

الرقم التسلسلي:



جامعة سعيدة – الدكتور مولاي الطاهر

كلية: الأدب واللغات والفنون

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم

الشعبة: لغة وأدب عربي التخصص: لسانيات

من قبل : شيباني عبد الرحمن

عنوان الأطروحة:

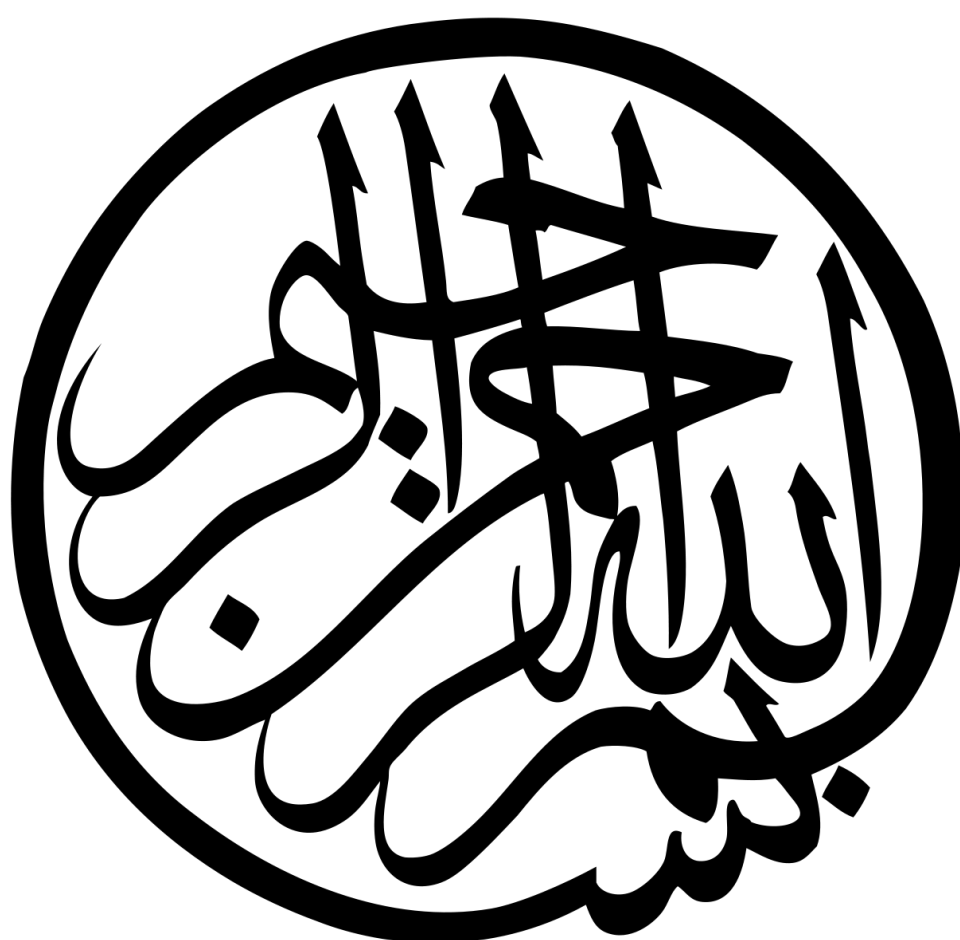
الأفعال الكلامية في إلياذة الجزائر

- دراسة تداولية-

أطروحة مناقشة بتاريخ 2023/03/22 أمام لجنة المناقشة المشكلة من :

الرقم	اللقب والإسم	الرتبة	المؤسسة	الصفة
01	زحاف جيلالي	أستاذ التعليم العالي	د. مولاي الطاهر - سعيدة	رئيسا
02	حميدات مسكجوب	أستاذة محاضرة. أ	د. مولاي الطاهر - سعيدة	مشرفة ومقررة.
03	كريم بن سعيد	أستاذ محاضر. أ	د. مولاي الطاهر - سعيدة	ممتحنا
04	بن قويدر مختار	أستاذ التعليم العالي	مصطفى اسطنبولي - معسكر	ممتحنا
05	طبيي أمينة	أستاذة التعليم العالي	جيلالي ليايس - سيدي بلعباس	ممتحنة
06	بوخاتمي زهرة	أستاذة محاضرة. أ	جيلالي ليايس - سيدي بلعباس	ممتحنة

الموسم الدراسي: 1444-1445 / 2022-2023



كلمة شكر

نزولاً عند قوله تعالى: " قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ " الملك 23.

و امتثالاً لقول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: " التَّحَدَّثْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرًا وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَمَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ، وَالْجَمَاعَةُ بَرَكَةٌ وَالْفِرْقَةُ عَذَابٌ ". حديث حسن صححه الألباني في صحيح الجامع عن النعمان بن البشير.

الشكر فضيلة تستأنس به الأنفس، وتستهوئ به الأفئدة، وتستقيم به الجوارح، ويعظمه الناس لنشر المودة والألفة بينهم، لهذا، أحمد الله الذي وفقني لإتمام هذه الرسالة، فله المنة والفضل كله، ثم أتوجه بالشكر إلى الدكتورة "حميدات مسكجوب" على توجيهاتها لي، كما أتوجه بالشكر إلى الدكتور "زحاف الجيلالي" الذي لم يبخل عليّ بالإجابة عن استفساراتي، وهما اللذان أمداني بروح المثابرة بواسطة التحفيز المعنوي، كما أرفّ شكري إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين يحملون عبء دراسة هذه الرسالة المتواضعة واصطبارهم على ذلك، فألف شكر للجميع.

هَدَايَا

انطلاقاً من قوله تعالى عز وجل: "...فالصالحات
قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله". سورة النساء 33.

ومصادقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم
بخير ما يكنز المرء: المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها سرته، وإذا
أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته" رواه الإمام أحمد.

أتقدم بهذا الإهداء إلى رفيقة دربي في هذه الحياة، زوجتي
الفاضلة التي وقفت بجاني معنوياً، وكانت
تشجعني دوماً، وتحثني على إتمام الرسالة،
واصطبرت معي، لأنني كنت دوماً آخذ من وقت
العائلة، وأعتزل في مكثي لإنجاز هذه الرسالة.
فاللهم احفظها لي.

مقدمة

تُعَدُّ اللغة وسيلة مهمّة في عملية التّخاطب الحاصل بين المتكلم والمخاطب، بغية التواصل وتحقيق المقاصد، لأنّ الممارسة اللغوية تقتضي ذلك إنجازاً وفهماً. فقد كان للمفكرين العرب السّبق في تداول اللغة للفهم وللإفهام، أمّا في العصر الحديث فقد ظهرت التداولية التي اهتمّت باللسان من أجل تحليل اللغة ودراساتها.

إنّ هذا المنهج عالج الظواهر اللغوية من كل الجوانب، حيث نظرت إلى اللغة نظرة شمولية تمثّلت في وحداتها اللغوية من خلال الألفاظ والتراكيب، وخصّتها بالدراسة الدلالية والتداولية. اهتمّت هذه الأخيرة بمقاصد اللغة، والظروف المحيطة بالقول أو النّص من خلال أنساقه، وسياقاته البلاغية والكلامية التي تُسهم في وصف اللغة العربية وتحليلها، ودراسة مميزات التواصلية ضمن خطابات مختلفة.

وفي ظل المنهج التداولي اهتمّ اللغويون بتحليل اللغة والخطاب تداولياً، لمعالجة لغة الأفراد في أحاديثهم وفي معاملاتهم اليومية في جميع الأصعدة، سواء في التّفنن أو في النصوص الأدبية عامة. والنّصوص الشعرية تحمل كلاماً من المتكلم أو الشاعر، حيث يشير هذا الأخير إلى أوضاع ومشاهد يومية يصاحبها تواصل بينه وبين المتلقي، وهذا ما سنجده في "إلياذة الجزائر" لمفدي زكريا بما يصبو إليه الشاعر، لأنّ التداولية تبحث في مقاصد المتكلم مقامياً، والتي تُسهم في بناء إستراتيجية تواصلية ثلاثية بين المتكلم والمخاطب والسياق، وتكشف عن فحوى القول والغرض الإنجازي منه. ونظراً لهذه الأهمية وقع اختيارنا على فكرة اصطفاء الموضوع الموسوم: **الأفعال الكلامية في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، دراسة تداولية.**

وإنّ أسباب اختياري لهذه المدوّنة يكمن في القيمة الأدبية الكامنة في الإلياذة والتي يمتلك ناصيتها مفدي زكريا، ولما تتضمّنه من عناصر تداولية ممثّلة في الأفعال الكلامية الإنجازية. وهذه الأسباب هي:

الأسباب الموضوعية:

- ما مدى تحقق الظواهر اللغوية في الإلياذة.
- استنباط معاني الأفعال الكلامية في الإلياذة والإحاطة بمعانيها، وقوتها الإنجازية.

الأسباب الذاتية:

- تفضيلنا للدراسات اللغوية التي تهتم بالنصوص الأدبية وخاصة الشعرية، التي تُفصح عن تداول المجتمع للقضايا المختلفة، ولما تتميز به النصوص الأدبية من بُنى ودلالات تنم عن بعد تداولي.

- تعدّد موضوعات الإلياذة وظهور التبادل الخطابى الشّيق في ثنايا المواضيع في ظلّ مقامات مختلفة وسياقات نصّية متباينة، وما تضمنته من تقارير طاغية في الإلياذة من خلال التّتابع اللغوي وتنوّع الأساليب وغيرها من قيم النص، هذا ما جعل الإلياذة تشدّ انتباهنا وتأسر فكرنا ومشاعرنا.

- تأثّرنا بمصدرين ومرجع في التداولية وهم: (نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام لـ" "أوستين"، و"العقل واللغة والمجتمع" لـ "جون سيرل"، و"التداولية عند العلماء العرب" لمسعود صحراوي) لما تتميز به من دراسات تداولية غربية وعربية، وهذا التّمازج شدّ انتباهنا، وشجعنا على البحث في الموضوع. بالإضافة إلى علماء لغة وردت أبحاثهم وأسمائهم في هذا العمل، ممّا بثّ في روعي البحث والدّراسة لإثراء هذا الموضوع المتداول، ورغم ذلك لم أُحِط معرفة بالجانب التداولي، بل سعينا ما استطعنا إليه سبيلا للوقوف على بعض ما جاء في نظرية التداولية وإسقاطه على الإلياذة.

- وهذه الأسباب أفضت إلى طرح إشكالية اختيار هذا الموضوع، وهذا الاختيار جعلني أ طرح إشكالية هي أساس البحث:

- ما هي الأفعال الكلامية الواردة في الإلياذة، وما الغرض الإنجازي منها؟ والتي تفرعت عنها إشكالات أخرى جعلتني مضطرا للإجابة عنها ومعالجتها في ثنايا البحث، وهي:
- من يتكلم؟ ماذا يريد أن يقول المتكلم؟ مع من يتكلم؟

- كيف يتكلم؟ وما الغرض من كلامه؟
- كيف استعمل الأفعال الكلامية، وكيف أجيب عن أسئلتها؟
- هل بالإمكان الكشف عن البعد التداولي في الخطاب الشعري للإلياذة الجزائر في دائرة الأفعال الكلامية.
- ما مدى قدرة الأفعال الكلامية على كشف آليات الأسلوب الخطابي المستعمل في الإلياذة.
- كيف يتعامل النص مع الأفعال التقريرية؟ وكيف يتعامل مع الأفعال الإنشائية؟
- ما مدى إمكانية استثمار القوة الإنجازية و الأفعال المتضمنة في القول لإبداء القدرة الفكرية واللغوية للشاعر؟

بعد هذه الأسئلة أسعى محاولا للإجابة بالتوضيح التالي:

نحاول إسقاط هذه الأفعال على نصوص المدونة، حيث يمثل كل نص خطابي قصيدة تضم أفعالا إنجازية تبحث عن الأغراض المتعددة، ذات وحدات خطابية صغرى متوالية تُكوّن وحدة خطابية كبرى، ليتمّ خلالها الكشف عن ظروف وملابسات الخطاب في أجزاء الإلياذة. وأفردنا هذه الدراسة موضوع إلياذة مفدي زكريا، فهي تعبّر عن جوانب متعددة من الإلياذة، فكان هذا الموضوع محل بحث بعد الإطلاع على إلياذة الجزائر، مع فهم معاني قصائدها وأغراضها، فألفيناها تعالج بعضا من الواقع الجزائري : تاريخيا وسياسيا واجتماعيا وخلقيا، هذا ما شجّعنا على دراستها تداوليا، حينها تمّ الوقوف في البحث على أفعال الكلام المتعددة وأغراضها الإنجازية والوظيفية الإبلابية التي اعتمدتها هذه الأفعال، وموقعها بين الشاعر والمتلقي في الإلياذة. وقد جاءت قصائد الإلياذة خاضعة للجانب التواصلية ممّا يمليه الواقع الجزائري، سواء تعلق الأمر بالبلد أو الشعب، وقد كانت هذه الأفعال ثرية بمضامينها ومقاصدها، فكان لزاما ربط مواضيعها بالأفعال الكلامية التي تعكس فصاحة الشاعر وتحكمه في هذه الأفعال تحكما دقيقا وبلغا.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التداولي الوصفي التحليلي للتعبير عن أهمية الأفعال الكلامية، ونشأتها، وتطورها، وعلاقتها بالعلوم الأخرى، وبعض روادها، وأهم أعمالهم، وربط الجانب النظري بالجانب التطبيقي وفق التقسيم الخماسي الذي تبناه "جون سيرل" في تصنيفه للأفعال الكلامية.

كما تم تناول موضوع الدراسة وفق خطة بحث مجسدة في: مدخل ، وثلاثة فصول، وإرفاقها بملحق الأعلام.

تتناول المدخل: ماهية التداولية، لغة واصطلاحاً، واهتماماتها بالدرس التداولي تماشياً والإطار النظري للأفعال الكلامية.

أما الفصل الأول: فهو نظري:

تناول نشأة التداولية وتطورها، درجات التداولية، والظواهر اللغوية للتداولية للوقوف على الجانب التاريخي للنظرية، ومعالجتها للظواهر اللغوية وأبعادها المبنية على استراتيجيه التخاطب بين المتكلم والمخاطب في منظومة البحث اللغوي الغربي.

كما خُصّ الفصل أيضاً بدراسة علاقة التداولية بالعلوم الأخرى كالبنوية، علم الدلالة، علم البلاغة، علم اللغة الاجتماعي، علم اللغة النفسي، تحليل الخطاب والشعر، والتي لها علاقة مباشرة باللغة.

أما الفصل الثاني: فهو أيضاً نظري:

تمّ التطرق إلى الأفعال الكلامية في الدراسات العربية، وبخاصة عند البلاغيين العرب في دراساتهم لعلم المعاني (الخبر والإنشاء) الذي يضاهاي الأفعال الكلامية بالمصطلح العلمي الحديث، وتطور دراسة هذا العلم من قبل دور الفلاسفة واللغويين العرب، منهم عبد القاهر الجرجاني، أبو يعقوب السكاكي، الخطيب القزويني، وإسهاماتهم الكثيرة في علمي المعاني والبيان للفهم والإفهام.

وضمّ أيضاً التطرق إلى الأفعال الكلامية في الدراسات الغربية ممثلة بعلمين لغويين في مرحلة النضج هما: "جون أوستين"، و"جون سيرل" في دراساتهم المتنامية للأفعال الكلامية،

وأغراضها الإنجازية المختلفة، وموقف المتكلم والمخاطب منها، وتصنيفاتها للأفعال الكلامية حسب مقتضيات الأحوال في أحضان مدرسة "أكسفورد".

أما الفصل الثالث: فهو تطبيقي محض، تناول الأفعال الكلامية في الإلياذة تطبيقاً صِرفاً، وفق تصنيف "سيرل" الممثل في الأفعال الإخبارية، التوجيهية، التعبيرية، والوعدية، موظفاً آليات الاتجاه التداولي من عرض للأفعال الكلامية، وتوضيح مقاصدها، والمواقف الخطابية المتباعدة وشروط التخاطب، ومقتضيات الأحوال.

وأخيراً دُيِّلَ البحث **بخاتمة** تضمّنت النتائج المحصّل عليها جرّاء هذه الدراسة و **بملحق** **الأعلام و بفهرسين:** فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات، ثمّ بملخصين: الأول باللغة العربية والثاني باللغة الانجليزية.

استند موضوع الرسالة إلى مصادر ومراجع مختلفة، كلّ حسب ما يقتضيه مقتضى كلّ فصل، وبعض المجالات العلمية وما بُثَّ فيها من دراسات تداولية، وتمّ الاعتماد على مصادر مثل: "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع"، السيد أحمد الهاشمي، و"مفتاح العلوم" للسكاكي، و"التلخيص في علوم البلاغة" للقزويني. ومن **المراجع العربية:** "التداولية في البحث اللغوي والنقدي" بشري البستاني، و"استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية" لعبد الهادي بن ظافر الشهري. ومن **الكتب المترجمة** التي تهتم بالبحث اللغوي المعاصر نذكر منها: "المقاربة التداولية" لفرانسواز أرمينكو، "التداولية اليوم علم حديد في التواصل" لأن روبول و جاك موشلار، "العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي"، لجون سيرل. ومن **أطاريح الدكتوراه** في هذا الصدد نذكر منها: "تداولية الخطاب الشعري، ديوان الإمام الشافعي نموذجاً" (أطروحة ماجستير)، ريمة لعبادلية، جامعة قالمّة 2016، و"التحليل النصي التداولي للخطاب الشعري، شعر عز الدين نموذجاً"، (أطروحة دكتوراه) نجاح مدلل، جامعة باتنة 2015.

وأتخذت الدراسة أهدافا للموضوع تمثلت فيما يلي:

- الكشف عن الأغراض الإنجازية وأبعادها في إطار المنهج التداولي.
- استحضار الشعر الجزائري تداوليا، وربطه بالأفعال الكلامية للدراسة ومدى تحيينه للأوضاع الجزائرية.
- استثمار نظرية الأفعال الكلامية في شعر أحد فحول الشعر الجزائري وهو الشاعر الفذ "مفدي زكريا".

وإنني لا أخفي شيئا من العوائق التي واجهتني قبل إعداد هذا البحث وأثناء إنجازه، وهي صعوبات واردة كالتالي:

- أهمية الموضوع وإشكالية التطبيق على المنهج التداولي فيما يخص الشعر.
 - استعصى وأقفل الأمر عليّ في بداية عمل البحث التداولي التطبيقي.
- وختاما لذلك أثني على الله الذي أمدني بتوفيق منه، ثم أشكر الأستاذة المشرفة "حميدات مسكجوب" على تقديم النصح والتوجيه، كما أتقدم بالشكر إلى الدكتور "زحاف جيلالي" لتواصله معي حتى إتمام هذه الأطروحة، فأحسن الله إليهما. ولقد أجهدت نفسي لإخراج الرسالة في هذه الحلة، والأمر ليس بالهين، فالجهد الفكري والجهد المادي رافقاني لإتمام هذه الرسالة، وليتأكد جميع أعضاء اللجنة أنني بذلت قصارى تفكيري في دراسة "الإلياذة" تداوليا كلما اهتمت إلى ذلك سبيلا، وأحسبه كذلك. فهذه الدراسة مكنتني من استكشاف المنهج التداولي عن كثب، رغم وجود نقائص في عملي، إلا أن ذلك لم يثلم عزيمتي في التتقيب والبحث بكل صبر واصطبار، فإن قصرت من نفسي، وإن أصبت من المولى عز وجل.

سعيدة: 2023/10/25 .

مدخل

1- ماهية التداولية

2- إهتمامات التداولية

1- ماهية التداولية:

تهتمّ التداولية بدراسة اللغة وما يحيط بها من عناصر التواصل؛ فهي تهتم بالمتكلم ومقاصده ووضعية المخاطب، والظروف الخارجية التي لها علاقة بعملية التواصل بغية تحقيق الهدف التواصلية بحكم أنها مجال لغوي فسيح يستمدّ معطياته من مصادر كثيرة كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم اللغة، وهذا التوسع مع علوم إنسانية أخرى جعلها محلّ اهتمام من قبل الباحثين.

1-1 - التداولية لغة:

تعدّ التداولية منهجا لغويا ذا أهمية لتحليل الخطاب لما تتّصف به من وصف وتفسير للغة والخطاب معاً، فهي تفسّر الأثر الأدبي اعتماداً على الخلفية الاجتماعية والنفسية والواقعية بغية تحقيق الوظيفية التواصلية، حيث يرجع أصل المصطلح العربي للتداولية إلى الجذر اللغوي (دَوَلَ) الذي يحمل عدّة معاني تمحورت حول معنيين وهو التبدّل والتحول، وذلك تبعاً لما سنذكره. لقد سعينا في هذا الصدد الاعتماد على مراجع محدّدة لتعريف التداولية لغة واصطلاحاً، لكننا وجدنا ذلك يحتاج إلى تدقيق فنظرنا في معاجم وقواميس ذات أهمية فألفيناها تقي بالغرض وكانت التعريفات كالتالي:

ورد في لسان العرب لابن منظور: "تداولنا الأمر، أخذناه بالدول. وقالوا دَوَالِيكَ أي مُدَاوَلَةً على الأمر... ودألت الأيام أي دارت، والله يُدَاوِلُها بين الناس. وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرّة وهذه مرّة... وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تَعَاوَرَنَاهُ فعمل هذا مرّة وهذا مرّة"¹. إنّ تعريف ابن منظور لمادة (دَوَلَ) وتناوله شرحها إنّما يدلّ على: التّداول والتّناوب في شتّى الماديات لما فيها من تفاعل، وهذا ما ذكر في الصّرف العربي أنّ الفعل (تَدَاوَلَ) مصدر (تَدَاوُل) وردت على وزن صيغة (تفاعل) بزيادة (التاء والألف) اللتان تدلان مع الفعل المجرد (دَوَلَ) على المشاركة في إنجازية الفعل.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دت)، المجلد 11، ط3 1994، مادة (دول)، ص ص 252، 253

وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي نجد: " تداولوه: أخذوه بالدول، ودواليك، أي مُدَاوَلَة على الأمر، أو تداوله بعد تداول، وأدالنا الله من عدونا: من الدولة والإدالة: الغلبة، ودالت الأيام: دارت"¹. دالت الأيام أي دارت، وهو كلام مستعمل، فالتداولية في اللغة العربية تدلّ على الممارسة والتفاعل.

وفي مختار الصحاح: "دَوَّلَ" (الدولة) في الحرب أن تُدال الفئتين على الأخرى. يقال: كانت عليهم الدّولة بكسر الدال. والدّولة بالضم في المال، يُقال صار الفيء دولة فيما بينهم يتداولونه، يكون مرة لهذا ومرة لهذا، والجمع (دُولَات) و(دُول) وقال أبو عبيدة (الدّولة) بالضم اسم الشيء الذي يتداول به بعينه والدّول بالفتح، ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس وتداولته الأيدي أخذته مرة هذه ومرة هذه"². وهنا أيضا نجد التعاقب والتداول حسب الأحوال في زمن معيّن ومكان محدّد.

وفي المعجم الوسيط: " (دال) الدهر، ودولة انتقل من حال على حال. والأيام دالت: دارت، ويقال دالت الأيام بكذا، ودالت له الدولة، أدال الشيء: جعله متداولاً،... وغيره أو... نصره وغلبه عليه، وأظفره به، وفي حديث وصف ثقيف: "ندال عليهم ويدالون علينا". داول... كذا بينهم جعله متداولاً تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، ويقال: داول الله الأيام بين الناس، أدارها وصرفها. وفي التنزيل: (وتلك الأيام نداولها بين الناس). تداولت الأيدي الشيء: أخذته مرة هذه ومرة هذه ويقال تداول القوم الأمر"³.

¹ - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص1014

² - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحيح، تحقيق مصطفى ديب، ط4، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1990 ص144

³ - ينظر مادة "دال" في: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، إشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، اسطنبول تركيا، 1979

وفي معجم النفائس الوسيط: **التداول** من قولنا: "أدال الشيء إدالة جعله متداولاً. وأدال الله بني فلان من عدوهم: نصرهم وغلبهم عليه ونزع منه وحولها إليهم. داول الله الأيام بين الناس أي صرفها لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى"¹.

وعند الزمخشري: فقد ورد في معجم أساس البلاغة (ت358): "دَوَّلَ" دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدالَ الله بني فلان من عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه... وأدِيلَ المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأدِيلَ المشركون على المسلمين يوم أحد... والله يُداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم... وتداولوا الشيء بينهم والماشي يُداول بين قدميه، يراوح بينهما"².

نخلص إلى أنّ هذه المفاهيم قد وردت في المعاجم العربية بمعنى:

- تناوب الناس على الشيء المقصود.

- الانتقال من مكان إلى مكان .

هذه المفاهيم المستقاة من المعاجم العربية تثبت جذور كلمة "دَوَّلَ" من خلال معاني التّحول والانتقال سواء أكان من حال إلى آخر، أو من مكان إلى آخر، ممّا يستدعي وجود طرفين أو أطرافاً تشترك في الفعل الإجرائي التّبدل والتّحول، فذلك هو حال اللغة التي تنتقل من وضع المتكلم إلى وضعية السامع، فالناس يتناقلونها بالتّداول، ولذلك أجمعت هذه المعاجم والمصادر بأنّ مصطلح التداولية هو الأنسب لالتّخاذ منهجاً للغة، لأنّ لفظ "التداول" لغوياً هو التناقل والتّحوّل، وأخذ "تداول" من الصّيغة الصرفية (تفاعل) الدّالة على تعدّد حال الشيء، وكذلك (التداول) من تداول، ويتداول وجذره دَوَّلَ بفتح الدال على صيغة التّجاوز فيه الممارسة والتفاعل، لذلك صار هذا المصطلح أكثر استعمالاً في اللغة.

¹ - جماعة من المختصين : معجم النفائس الوسيط، إشراف أحمد أبو حاقّة، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 402

² - أبو القاسم جار الله محمود بن محمد بن عمرو أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق، محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج 1، 303

نلاحظ أنّ هذه المعاجم العربية تُجمع في دلالتها للجذر "دَوَلَ" الذي يحمل معاني التحوّل والتبدّل والانتقال من مكان إلى آخر أو من حال إلى حال "وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم، إلى حال أخرى لدى السامع، ومتقلبة بين الناس، يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى الذرائعية، النفعية، والسياقية"¹. وتُجمع هذه المعاجم العربية مجتمعة في معانيها بأنّ كلمة (دَوَلَ) هي التحوّل والتناقل، وهذا حال اللغة التي تتحوّل من حال المتكلم إلى حال السامع، ويتناقلها الناس بينهم في تداول مستمر، ممّا يثبت تداول أهل اللغة والبلاغة مصطلح التداولية الشائع، وهذا ما سنوضّحه لاحقا.

إنّ تناقل الكلام بين الناس يؤدي إلى تفاعل بينهم، ويدور الكلام بينهم حين استخدام اللغة من أجل التواصل والتفاعل، ف"التداولية لغة من التداول، والتداول تفاعل، وكل تفاعل يلزمه طرفان على كل تقدير: مرسل ومستقبل، متكلم وسامع، أو مستمع، كاتب وقارئ، على معنى أنّ مدار اشتغال التداولية هو مقاصد وغايات متكلم، وكيف تبلغ مستمعا أو متلقيا"². إذن فالتداولية هي المصطلح الأكثر ثبوتا، تدرس انتقال اللغة من حال إلى حال، من المتكلم إلى السامع ليتمّ تحقيق التواصل بينهما وفق مقام محدّد، وهذا ما جعل التداولية تدعى بهذا المصطلح دون المصطلحات الأخرى لتناقل اللغة بين الناس واشتراكهم في التحوّل والتناقل، وإنّ آثار تداول اللغة يكمن في الظروف الاجتماعية واستعمال المقالات في هذا الإطار الاجتماعي لتحقيق العملية التواصلية بأغراض تكون بين المتكلمين.

¹ - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر ط1، 2009، ص148

² - بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص18

1-2- التداولية اصطلاحاً:

لقد تناول العديد من علماء اللغة والباحثين مصطلح "التداولية" بالتعريف في كثير من المراجع التي سمحت لنا الإلمام بتعريفات متعدّدة لهذا المصطلح، حيث يعدّ منهاجاً عصرياً مهماً لتحليل الخطاب، فالتداولية تهتم بدراسة اللغة حين الاستعمال، وتلمّ بما يحيط بالمخاطبين وعلاقاتهم الاجتماعية والثقافية ومعتقداتهم ومقاصد كلامهم.

وإنّ أقدم تعريف لمصطلح التداولية يعود إلى الفيلسوف السيميائي الأمريكي موريس سنة 1938: عرّفها بأنّها " جزء من السيميائية تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات ومستعملها"¹. لقد سعى هذا الفيلسوف إلى التقريب بين السيميائية واللسانيات، "فالتداولية عنده تدرس علاقة العلامات بالمؤولين، بينما علم الدلالة يدرس العلاقة الشكلية بين علامة وأخرى"²، واعتبر التداولية جزءاً من السيميائية ورأى أن مكُوناتها تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات ومستعملها وتعالج اللغة من خلالها باللغة الطبيعية والدلالة.

ويردّف "فرانسواز أرمينكو" أنّ التداولية هي " تلك الإمكانيات التي تتيح لنا التواصل من خلال الإجابة عن أسئلة هي: ماذا نصنع حيث نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من المتكلم؟ إلى من يتكلم؟ ما الغاية من الكلام؟"³. فالتداولية عنده تدرس استعمال اللغة في الخطاب، أي استعمال المخاطبين لدلالات لغوية بغية تحقيق كفاءة تواصلية بشرط تحقق الانجاز الفعلي غالباً وفق إستراتيجية محددة.

ارتبطت التداولية بالسياق ارتباطاً وثيقاً بأنّها "المكوّن التداولي يعالج وصف وربط الملفوظات في سياقاتها"⁴، حيث ربط "منقونو" التداولية بالسياق الذي يساعد المخاطب بتأويل متضمنات في القول لما يتلقاه من المتكلم فتحدث علاقة بين المعنى والسياق.

¹ - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، بيروت، لبنان، مركز الإنماء القومي، (دت)، (دط)، ص12

² - المرجع نفسه، ص08

³ - المرجع نفسه، ص، ص07، 08

⁴ - دومينيك منقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتين، منشورات الاختلاف، ط1، 2005،

أما "فان ديك" فعرفها وربطها بالعُرف، فذ: "التداولية بوصفها علما يعني بتحليل الأفعال اللغوية ووظائف تهدف إلى الإسهام في الاتصال والتفاعل الاجتماعي"¹، حيث وصف التداولية بأنها علم يُسهّم في التفاعل الاجتماعي بالألفاظ وتراكيب ذات مقاصد معيّنة وبكيفية مختلفة لربط العلاقة التواصلية بين المتكلم والمتلقي. والتداولية عنده ليست إبراز ملفوظ لغوي فحسب، بل هي إنجاز فعل اجتماعي والتعبير عن أحداث تُنجز بفعل النطق بجملة ما، فيتأكد التفاعل الاجتماعي بالمضامين والمقاصد، والمنطوق اللغوي هو الذي يغيّر مجريات الأحداث، فتصير العلاقات بين الشركاء في تواصل وفق شروط معيّنة.

أما "إيليور" فيعرفها بأنها "إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية، في الاهتمام ثلاث معطيات لما لها من دور فعال في توجيه التبادل الكلامي وهي:

- المتكلمون (المتكلم والمخاطب)

- السياق (الحال/المقام)

الاستعمالات العادية للكلام، أي الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع"². فقد جمع "إيليور" بين ثلاثة أقطاب التواصل: المتكلم، المخاطب، والسياق معتبرا وجود علاقة تواصلية نابعة من استعمال اللغة والتعبير التي تعبّر عن القضية المطروحة، حيث ركّز "إيليور" على معطيات ثلاثة (المتكلم، السامع، والسياق) لما لها من أهمية في عملية التواصل، فالسياق عنده عنصر مهمّ في التداولية لإنتاج اللغة، فالألفاظ لا تستقي معانيها إلا في إطار السياق، ومن هذا الأخير يتحقّق الفهم والإفهام المتعلقان تداوليا بالمتكلم والسامع في مقام محدّد يتحكّم فيه المتكلم، وهذه المعطيات الثلاثة منسجمة فيما بينها ولا تتفصل عن بعضها لإثراء العمل التواصلية.

¹ - نحلة محمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص11

² - طالب الإبراهيمي خولة، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ص، ص176-177

وفي القاموس الموسوعي: "تُعَرَّفُ التداولية بأنها دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي تعنى به تحديدا اللسانيات"¹. فهي علم يدرس استعمال اللغة من حيث الاستعمال، فالقول أثناء نطقه هو تحقيق العمل.

ويعرّفها صلاح فضل: "التداولية هي الفرع العلمي من مجموعة العلوم اللغوية، التي تختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف الأقوال اللغوية، وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام"²، بمعنى أنّ التداولية هي منهج لغوي يدرس الكلام من وجهة نظريات أخرى لها علاقة بالتداولية كاللسانيات، والدلالة وعلم اللغة الاجتماعي ووعلم اللغة النفسي وغيرها من العلوم التي تهتم بدراسة اللغة والخطاب والتواصل مع العالم.

لقد تنوّعت تسمياتها بين: "مصطلح البراغماتية، ومصطلح المقاماتية، ومصطلح السياقية، ومصطلح علم المقاصد، ولكن المصطلح المشهور لدى الباحثين هو مصطلح "التداولية" الذي وضعه الباحث المغربي: "طه عبدالرحمن" فهو في نظره "أوفى بالمطلوب باعتبار دلالاته على معنيين الاستعمال والتفاعل معا"³. فالمصطلح الغالب في استعمال اللغة هو التداولية حيث "يطلق على الدراسات التي تعني بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام، وهو ما يتفق مع معناها الحرفي، وهو علم الاستعمال وهذا المصطلح يقتصر على اللغة وحدها"⁴. فمصطلح "التداولية" هو المهيمن على البحوث والدراسات التي يعتمدها الباحثون، ثم صارت "التداولية" علما جديدا يعبر عن موجودات مجال التخاطب بين المتكلم والمتلقي بظواهر لغوية يحققها التواصل الجاد الحاصل بينهما أو بين مجموعة من المتكلمين.

¹ - جاك موشلار. آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف عزالدين المجذوب، دار سنيترا، ط2، 2010، ص21

² - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المقدمة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص80

³ - طه عبدالرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي المغربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص28

⁴ - جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، الجزائر، ط1، 2015، ص7

إنّ الدراسات الفلسفية السابقة اهتمت بدراسة اللسان وأقصت الكلام، لكن التداولية اليوم اهتمت بالاستعمال اللغوي، فهي تهدف إلى بلورة أفعال الكلام في سياقات تحمل سلوكيات ملموسة مشخصة.

واعتمادا على ما سبق من تعريفات للتداولية فإنّها " تشغل اهتمام المناطقة والسميائيين والفلاسفة والسوسيولوجيين والسيكولوجيين والبلاغيين وعلماء التواصل، واللسانيين... وبذلك هي على مستوى التحليل، لا يمكن أن نصنّفها في أيّ من المستويات، ولا تدرس جانبا محدّدا في اللغة، بل تستوعبها جميعا، وليس لها وحدات تحليل ولا أنماط تجريدية"¹. لم يهتم علماء التداولية باللغة بالتركيب اللغوية المعتمدة من قبل البنويين من خلال المقاربة اللغوية الصورية، بل اهتموا باللغة وعلاقاتها بمستعملها والسياق وبالمرجع والإحالة، واهتموا بالمقصدية ووظيفة الفعل وفق المقام وملاءمته التوضعية.

إنّ التداولية هي دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام، بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية، فالتداولية تشكّل مجموعة من النظريات (السياقية، اللسانية، التواصلية، الحجاج،) التي تجمع في دراستها للغة من وجهات نظر خاصة بكل نظرية نقدية من هذه النظريات.

وتعرّف على أنّها : تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث². فالتداولية تقوم بتأويل الخطاب وتخرج به من المعنى الحرفي إلى المعنى المقصود حسب طبيعة السياق واستعداد المتلقي لتأويل الخطاب.

يجدر بنا أن نولي لتعريف طه عبد الرحمن للتداولية اهتماما بالغا لما فيه من توضيح بسيط للتداولية: ف" قد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح

¹ - ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002 ص10، ص،

11.

² - الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992،

الغربي (براغماتيكاً) لأنه يُوفي المطلوب حقّه باعتبار دلالاته على معنيين "الاستعمال" و "التفاعل" من خلال عناية التداولية بكل عناصر التواصل، لأنها تدرس اللغة وهي تدور بين ألسنة المتخاطبين، ودراسة التفاعل بين طرفي العملية التواصلية، لأنّ الأطراف كلّها تنتمي إلى ظروف مقامية سواء أكانت داخلية أو خارجية يجب مراعاتها عند الدراسة، وعدم إغفال أنّها تنظر إلى المتكلم والمخاطب لتتمكّن من دراسة التفاعل الذي يقتضي النظرة العامة لأطراف التواصل، وليس النّظر لكل طرف على حدة أطراف الخطاب في مقام معين، ولا تعنيها اللغة وهي خارج الاستعمال"¹. في هذا القول نجد شمولية التعريف من حيث الاهتمام بأسس النظرية من متكلم، ومتلقي، وقناة التواصل، والتفاعل الحاصل والمقام الذي يُحيل إلى المعنى والظروف المحيطة بالحديث. فالتداولية تدرس الظواهر اللغوية وفق تكوّن تداولي بأنّها: "دراسة استعمال اللغة في مقابل دراسة النظام اللغوي"². فالتداولية تدرس استعمال اللغة، فهي تتجاوز التّركيب الصّوري والنّظر اللغوي من خلال مستوى الجملة إلى الخطاب لتعبّر عن معطيات مقامية وتكشف عن المعنى ومكوناته الخارجية كالجانب النفسي والاجتماعي.

ويتدعّم هذا التعريف بالقول: "أنّها دراسة استعمال اللغة في سياق معين"³، أي استعمال المركبات اللغوية وتفاعلها مع السياق من أجل توضيح الكلمة أو العبارة المتلفظ بها بغية مساعدة المخاطب على تقريب الملفوظ من المتكلم معنى ومبنى. ولهذا ف"التداولية ليست علماً لغوياً محضاً، بالمعنى التقليدي، علماً يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنّها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال

¹ - ينظر طه عبدالرحمن، تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط1993، ص 243.244

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2004، ص09

³ - جورج يول، التداولية، ترجمة قصي عدي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2010، ص13

الاستعمال"¹. التداولية تدرس استعمال اللغة، لذا اهتم العلماء بها، والمهمّة الكبرى لها هي تأكيد فعل السياق في العملية التواصلية وضرورته في الكشف عن الأفعال المتضمنة في القول وفي الخطابات المختلفة.

وخلاصة هذه التعريفات أنها تجمع على أنّ جل الباحثين يستعملون مصطلح التداولية في دراساتهم وبحوثهم، ومهما كانت المفاهيم المتعدّدة للتداولية فإنها تعني دراسة اللغة حين يستعملها المتكلم والمخاطب لمّا يستوفي التركيب دوره في السياق مع احترام الجوانب المحيطة بهذه العملية في ظروف تحددها العمة التواصلية لإنجاح نسق تواصلية تنتجها الألفاظ والعبارات.

وأخيراً أتوقف عند هذا الحدّ من التعريفات لأنّ بحثنا هذا لا يقتصر على مفهوم التداولية فحسب، بل يتعداه إلى ما يعزّز فكرتنا في هذه الدراسة، وإنّما يعتبر التعريف توطئة للدراسة.

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص16

2- اهتمامات التداولية:

تهتم التداولية باللغة - من حيث استعمالها - لتحقيق مبادئ الحوار وعلاقته بالمقام الذي ينتجه الكلام، بعيدا عن الجانب الشكلي، وتدرس الكلام المحدد الصادر من المتكلم الموجّه إلى المخاطب والمحدد في مقام تواصلية معيّنة بغية تحقيق غرض معين. وتدرس اللغة من حيث الاستعمال اللغوي في المقامات المعيّنة في دائرة أغراض المتكلمين وأحوال المتخاطبين بحكم أنّها تركز على دراسة اللغة ودراسة استعمالاتها، رافضة الانكباب على دراسة اللغة فحسب كما كان عليه في سابقا في الدراسات اللسانية التي سبقت الفكر التداولي، ف" اللفظ هو النشاط الرئيسي الذي يمنح استعمال اللغة طابعها التداولي"¹. فاللفظ هو منطوق يُقصد به المعنى لتحديد فكرة ذهنية مجردة ويجسدها في الواقع بمحسوسات للتواصل بين الإنسان وأخيه بلسان يشتركان فيه. واللفظ في هذا الحال هو مفتاح التأويل لكلّ موجود، وهو أساس تداول الكلام بهذه اللغة.

كما تهتم التداولية باللغة ضمن الخطاب وتحاول الإجابة عن العديد من الأسئلة: من المتكلم؟ من المخاطب؟ ما مقصد الكلام؟ هل المعنى الضمني كاف لتحديد المقصود؟ ماذا نفعل حين نتكلم؟ وماذا نقول بالتحديد؟ كيف يمكننا قول شيء ونحن نريد قولاً مغايراً؟ ما هي استعمالات اللغة؟ و" إلى مدى تتجزأ الأفعال الكلامية تغيرات معينة وبخاصة لدى الآخرين؟ من يتكلم؟ إلى من يتكلم؟ وماذا نقول عندما نتكلم؟ وما هو مصدر التشويش والإيضاح؟ كيف نتكلم بشيء ونريد قول شيء آخر؟"². إنّ هذه الأسئلة تجعل من التداولية حقلاً لغوياً واسعاً، تتعالق معه كثير من الحقول المعرفية كاللسانيات، والدلالية، والتواصلية، والخطاب وغيرها، وتثير قضايا لغوية لها مرامي وأبعاد تناسب البحث اللساني التداولي التي تميزها عن غيرها من المباحث المعرفية الأخرى.

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 27

² - فان ديك وتون. أ، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر ط1، 2001، ص 131

تهتم التداولية بمباحث كالاقتضاء والتضمينات والمعاني السياقية وأصناف أفعال الكلام، لأنَّ " الفكرة الأساسية في التداولية هي أننا عندما نكون في حالة التكلّم في بعض السياقات فنحن نقوم أيضا بإنجاز بعض الأقوال الاجتماعية، وأغراضنا ومقاصدنا من هذه الأفعال"¹، فحقّ لها أن تكون نظرية تدرس استعمال اللغة وفق مقاصد الناطقين بها، وهذا ما يثبت التوجه الجديد للتداولية التي أحدثت تحوّلًا في الدراسات النقدية، وذلك لاهتمامها باللفظ والنص وما ترتبط به من اتصال اجتماعي في سياقات هادفة، عكس الدراسات السابقة التي كانت تهتم باللغة على مستويات دلالية أو نحوية أو معجمية، أو لسانيات الجملة أو البنيوية، ولذلك "قسّم العلماء اللغة إلى عدة مستويات تحليلية ليتمكّنوا من كشف محتوياتها، إظهار أسرارها ومعرفة مضمونها فقد سلكوا في ذلك مناهج متعدّدة، يهدف كل منهج منها إلى وضع تفسير دقيق لظواهر اللغة والقصد من هذا إماطة اللّثام عن أبعاد اللغة الدلالية ومقاصدها في التواصل الاجتماعي"². وهذا ما جعل التداولية نظرية أكثر غنى بالتخصصات، فهي ليست تداولية واحدة، بل وجدت تداوليات مجتمعة لدراسة اللغة، فهذا الاكتفاء بالنظريات جعلها محط اهتمام العلماء لدراسة اللغة، وذلك لضمّها فلسفة السيمائية وعلم والاجتماع وعلم النفس وغيرها من النظريات.

كما تبحث التداولية في شروط نجاح المشتركين في الموقف الكلامي من خلال عملية التخاطب بغية المحافظة على تواصل الكلام ونجاحه، لـ " أنها تتيح صياغة شروط إنجاز وإنجاز العبارة وبيان أي جهة يمكن بها أن يكون مثل هذا الإنجاز عنصرا في اتجاه مجرى الفعل المتداخل الإنجاز، الذي يصبح بدوره مقبولا أو مرفوضا عند فاعل آخر"³، وذلك وفق

¹ - فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبدالقادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2000، ص292

² - محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية الصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط2011، ص12

³ - فان ديك، النص والسياق، ص293

ظروف مناسبة لتنفيذ الفعل الإنجازي بشكل صحيح وبصورة تامة لأشخاص مناسبين ذوي ثقافة مشتركة وأداء سلوك ناتج عن ذلك.

وأهم المبادئ التي تهتم بها التداولية هو مبدأ التعاون الذي يسهم في المشاركة بين المتواصلين، و" أنه لما كانت معطيات التجربة متاحة بأوسع ما تكون في صورة العبارة فقط فيجب أن يكون من الواضح في التداولية كيف تتربط شروط نجاح العبارة كفعل إنجازي وكمبادئ فعل مشترك للإنجاز التواصل مع بنية الخطاب وتأويله"¹. والملاءمة تقتضي أن تكون مبادئ التعاون مناسبة، فالمتكلم يوظف المؤثر المناسبة للإبلاغ، ويستدل على ذلك، لأن المتلقي يستند إلى القصد من الأخبار بدءاً من معينات المتكلم وذلك لنجاح الفعل الإنجازي. كما تسعى التداولية إلى تحقيق الفعل الإنجازي "وهو عمل ينجز بقول ما، وهو ما يؤديه الفعل التلفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي كالتحذير من عمل شيء أو رجاء عمل شيء أو استفهام عن شيء"². إن ظروف نجاحه تتوقف عند الفعل المشترك بين المتكلم والمخاطب كإنجاز تواصل يتم تأويله في موقف سياقي معين مع ضبط الشروط المساهمة في إنجاز هذا الموقف، الأمر الذي يجعل التداولية تدرس موضوعات في ضروب خطابية معينة منجزة صادرة عن الفعل الإنجازي. كما تهتم بالظروف المناسبة عند استعمال اللغة، فتفصح التداولية عن أحوال الناس وحاجاتهم، وتهتم بالتواصل الفعلي عندما يستعمل المتكلمون اللغة أثناء التخاطب مما يجعل التواصل يضبط الظروف المحيطة ببنية اللغة لأن المتكلم يحدد كلامه في ظروف تواصلية تلائم طبيعة ووضعية المتلقي أثناء عملية الاستعمال اللغوي. كل هذا الحديث ليتبين أن التداولية تحيل إلى تحويل الخطاب من بنية مجردة إلى بنية تدرس اللغة إلى أفعال إنجازية هادفة متجاوزة النظرة الصورية للغة.

ونجدها تهتم أيضاً بأقطاب العملية التواصلية من متكلم ومقاصده وتحريكه للفعل التواصلية إلى سامع يستقبل الفعل الكلامي مع الاهتمام بالظروف الخارجية الملمة بالعملية

¹ - المرجع السابق، فان ديك، النص والسياق ، ص 293

² - الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 24

التواصلية لتحقيق الغائية من ذلك، لأجل ذلك اهتم الباحثون بالتفاعل اللغوي بدءاً بظروف التواصل، وفهم مقاصد المتكلم والمقامات الاجتماعية: فالمتكلم هو فاعل الكلام وهو الذي يحدّد مدلول الكلام ومقصده بحكم ارتباط المعنى بما يريد تبليغه للمتلقى، شرط إلمامه بمقتضى الكلام، مراعيًا قدرات السامعين، وقدرته على إقناعهم بما يتلاءم والموقف الكلامي. ومرجع ذلك في بلاغة العرب أو التداولية بالمصطلح الحديث، إلى أنّه "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقيم أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"¹. فالمتكلم له ارتباط بالمتلقى، وعليه أن يركّز على قدراته لتقبل الفعل الإنجازي وفق إرادة مناسبة لذلك، فيخاطب المستمعين فيما يفهمونه حتى يُتقبل القصد ولا يحدث انتهاك لعملية التواصل.

أمّا القصد فهو مرتبط بالخبر للتعبير عن حالة نفسية، وإن الفعل الكلامي مرتبط بالمتكلم، وإنّ "العلامة تنطوي على القصد إذ يقتضي دستورها الدلالي توفر النية في إبلاغ ما يفيد"². فالقصد يعبر عن الأداء الفعلي للغة من قبل المتكلم الذي ينشئ الكلام من أجل فائدة، ولا يتم القصد والفعل إلا بإرادة القاصد، تجاه المقصود بالكلام، والقصد يعبر عن أحوال المتخاطبين الفاعلين في الكلام.

ترى الدراسات أنّ التداولية بدراسة اللغة لذاتها، بل تدرس اللغة من حيث الاستعمال بمعينة عناصرها: المتكلم، المتلقى، المقام، والغرض، وتدرس علاقة اللغة ومستعملها من حيث الأساليب والسياقات والأنماط المقامية المتعددة المنجزة ضمن الخطاب، كما تتهم بعوامل النجاح لتحقيق التواصل والتفاعل، وطريقة استخدام الأدلة الكلامية في خطاباتهم،

¹ - الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.ط،

² - عبدالسلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار العربية للكتاب، ط 2، 1986، ص 144

وتأويل الكلام الصادر عن منشئ الكلام لفهم السياق الخارجي، مما يدل على أنّ التداولية تتجاوز الدراسة البنيوية السطحية للغة لتحقيق الفهم والتفسير.

الفصل الأول

1. نشأة التداولية وتطورها.
2. درجاتها.
3. ظواهرها اللغوية.
4. علاقاتها بالعلوم الأخرى

1- نشأة التداولية وتطورها:

1-1- الإرهاصات:

ظهرت "الفلسفة التحليلية" على يد الألماني "غوتلوب فريجه"، حيث اعتمدت على منهج فلسفي جديد، ممّا استدعى ظهور "فلسفة اللغة العادية" على يد "لودفيغ فيتغنشتاين" الذي دعا إلى الاستعمال اللغوي بما يدعى بـ "ألعاب اللغة" المرتبطة بالإطار الاجتماعي. وبما أنّ التداولية لها جذور تعود إلى الفلسفة التحليلية، وهو اتجاه فلسفي علمي اهتم باللغة وجعلها من ممارساته، فقد ثار هذا الاتجاه التحليلي على الفلسفة القديمة التي اهتمت بالجانب الميتافيزيقي لعدم اهتمامه بتحليل اللغة، فلم يتعمق فيها ويدرس الظواهر اللغوية وخاصة الدلالة اللغوية، فمن اليقين " أنّ البحث التداولي وليد الثقافة الأنجلوسكسونية وقد تطورت في الولايات المتحدة وإنجلترا بسبب الدور الذي لعبته الاتجاهات التحليلية في الفلسفة، ومن جهة أخرى بسبب ما خلفته النظرية التوليدية في نموذجها الأول من مشاكل إخفاق نتيجة تمسكها باستقلالية التركيب، ممّا أدّى للتفكير بجد في البعدين الدلالي ثم التداولي"¹. هذا ما يدلّ على أنّ الفلسفة التحليلية هي منبع التداولية، وهي انبثاق لنظرية الأفعال الكلامية ممّا ساعد على نشوء تيار تداولي يهتم بالبحث اللغوي.

في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين رأى بعض اللغويين أنّ انجازات البنيويين اقتصرت على دراسة بعض جوانب اللغة، وعلى اللسانيات ألا تقتصر على النظرة الشكلانية الصورية الضيقة التي تقتصر على دراسة اللغة بمنأى عن السياق حيث " بدأ يسود الاعتقاد لدى بعض اللغويين في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين، أنّ ما أنجزه البنيويون لا يعدو أن يكون سوى دراسة لبعض جوانب اللغة دون بعضها الآخر، وأنّه يتعيّن على اللسانيات أن تتجاوز نفسها لتصل إلى نظرية أكثر شمولية عن اللغة"². هذا الجانب يدعو

¹ - مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيوييه، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد 33، يوليو 2004، ص 245.

² - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف،

د.ت، ص 44

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

إلى مراعاة العوامل التي لها دور في عملية التواصل عندما نستعمل اللغة، كالعوامل النفسية، والاجتماعية، والثقافية، وغيرها، بعيدا عن دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

اهتمّ الفلاسفة بالدلالة التي ترمي إلى توظيف ربط الكلمة بمدلولها، فاللفظ له دلالة تجسّد الواقع والأشياء المحيطة به، بمعنى أنّ اللغة التي يستعملها الإنسان تعبّر عن حاجاته وطموحاته من خلال الدّعوات التي عابت على المدارس الأوروبية والأمريكية اقتصارها على البنية اللغوية واهتمام اللغويين بالتركيب الداخلية للغة، لأنّهم لم يأخذوا بعين الاعتبار العوامل المحيطة باللفظ و السياق كالعوامل النفسية والاجتماعية والثقافية، فبرزت دعوات فلاسفة أخرجوا اللّغة من أسرها إلى الشمولية، فكانت " جهود ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة (أكسفورد) وهم: "أوستين" و"سيرل" و"جرايس" وكان ثلاثتهم من فلاسفة ما يسمى (مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية أو العادية)، وذلك في مقابل (مدرسة اللغة الشكلية أو الصورية). قد اهتموا بالكيفية التي تؤدّي بها اللغة الإنسانية وظيفتها الإبلاغية"¹، حيث اهتموا بالأفعال الكلامية بحكم أنّها عمل لغوي اجتماعي، ممّا يحتم وجود صلة بين الفعل الكلامي ودور المتكلم اجتماعيا وإنسانيا معبّرا عن قضاياه.

اهتمّ هؤلاء الفلاسفة بالمقام اللغوي، وأخذوا ينظرون في القول متسائلين عن علاقة اللغة بالكلام لدراسة اللغة متجاوزين المفاهيم اللغوية التي خاض فيها كلّ من "دي سوسير"، و"تشومسكي" فصارت التداولية منهجا جديدا يهتم بدراسة اللغة يبحث عن حلّ العديد من المشاكل اللغوية التي أهملتها اللسانيات، وتشكّل حولا جادّة للإجابة عن جملة من الأسئلة.

ترى الدراسات أنّ للتداولية جذور هي بمثابة منبع، وهي "الفلسفة التحليلية"، حيث كان ظهور هذا الاتجاه " في العقد الثاني من القرن العشرين في "فيينا" بالنمسا على يد الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجه (1848-1925) في كتابه "أسس علم الحساب"، وكانت دروسه

¹ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص9

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

في الجامعة الألمانية موردا لطلاب الفلسفة والمنطق من مختلف الأصقاع الأوروبية".¹ ومن أهم فلاسفة هذه المرحلة نذكر:

1-1-1 شارلز ساندير بيرس: (Charles sanders Peirce 1914-1839)

يرجع الفضل في ابتكار مصطلح التداولية إلى الفيلسوف الأمريكي ساندير بيرس، حينما نشر مقالتين في مجلة ميتافيزيقيا سنة 1978 و 1979 بعنوان "كيف يمكن تثبيت الاعتقاد" ومنطلق العلم: "كيف نجعل أفكارنا واضحة؟"، و"قد ذكر بعض الباحثين أن الفيلسوف والمنطقي والرياضي تشارلز ساندر بيرس.... أول من استخدم البراجماتية، وأنه واضعه"²، ويعدّ الفيلسوف السيميائي "شارلز ساندير بيرس" أول من أسهم في تطوّر الجانب الفلسفي اللساني. وبرزت بواكير التداولية في مقالته: "كيف نجعل أفكارنا واضحة" سنة 1878، حيث بدأ تفكيره الفلسفي بكيفية جعل أفكارنا واضحة بعيدة عن الغموض، ثم انتهى إلى تصوّر للنتائج العلمية الدقيقة وتطرّق إلى وضوح المعنى من خلال التفاعل الذي يحدث بين الإنسان والعمل السيميائي، وربطها بالجانب الاجتماعي، كما أتى بـ"الإشارة"، ودرس بأنّها واسطة لإنجاح التواصل بين المتكلمين. وبهذا المعنى فالتداولية عنده منهج معرفي توصلي ينقل الواقع، والعلامة السميائية هي التي تحدّد التداول اللساني وتربطه بظروف الاستعمال، إذ يعدّ "بيرس" من علماء اللغة الأوائل الذين اهتموا بدراسة العلامة واعتبر الإنسان ذاته علامة وفق منظور فلسفي تأملي. وقد اتخذ من البراغماتية منهجا فكريا لدراسة الألفاظ والمعاني وربطها بالواقع، فـ"أمّا البراغماتية بالنسبة لـ"بيرس"، فهي منهج في التفكير لا نظرية فلسفية، منهج لتحديد معاني الألفاظ والمفاهيم أو نظرية في معنى الإشارات، لجأ إليها لمعرفة الواقع و ربط بينها وبين إثبات واقعية القوانين وبينها وبين نظريته النقدية في

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص18

2- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، ط1، 2013، القاهرة، مصر ص10

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

الإدراك السليم الفطري، وبينها وبين نظريته في الاتصال¹. فالبراجماتية عند "بيرس" هي كل قول يستجيب لغرض ما، ويتحقق بمرجعية تظهر في الفعل ممّا يشكّل حدوث العمل وتأديته، فبمجرد التلفظ بجملة فهي توافق على الأقلّ انجاز عمل قولي، وعمل يتضمن في القول والقيام بعمل التأثير في المذكور.

اهتمّ "بيرس" بنظرية الإشارة أو العلامة " فقد كان ما يشغله في هذا المجال هو اكتشاف طريقة يتمّ بموجبها الاتصال بين الناس، هذا الأخير الذي لا يمكن أن يتم إلا من خلال الإشارات². كما تأثر بالفلسفة التحليلية، ف" قد ظهرت التداولية عنده في تقسيمه علم الرموز إلى ثلاثة فروع:

" الأول: علم تركيب الجملة: دراسة العلاقة الشكلية بين تركيب الجملة.

الثاني: علم الدلالة: دراسة علاقة الرموز بالأشياء التي تشير إليها.

الثالث: البراجماتية اللسانية: دراسة علاقة الرموز بمفسمري هذه الرموز أو علاقة العلامات بمفسمريها³، فالتداولية لا تدرس اللغة، بل تدرس العلاقة بين الرموز الموظّفة ودلالاتها، وارتباط الإشارات أو العلامات فيما بينها لتأدية النشاط اللغوي، والعلاقة بينها وبين مستخدميها، وهذا ما يشير إليه هذا الثالث.

وتصوّر "بيرس" أنّ الفكرة المتداولة تتم بالموضوع والدليل معاً، إذ " الدليل أو الوحدة الممثّلة هي شيء موجود من أجل شخص ما، و لغرض ما، وذلك على نحو من الأخطاء؛ أي أنّه يحدث في فكرة هذا الشخص دليلاً مساوياً، أو قد يحدث فيه دليلاً أكثر تطوراً، هذا

¹ - نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دط، ص172

² - المرجع نفسه، ص175

³ - رولان بارت، مبادئ في علم الدلالة، تر: محمد البكري، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، ط2، 1986،

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

الدليل الحدث يسمى مؤولا للدليل الأول¹، فالدليل الذي يقصده "بيرس" هو الذي يُحيل إلى الفكرة من أجل الموضوع قصد توضيحه وتأويله.

أمّا "العالم" عند بيرس " فيتم إدراكه بواسطة التفاعل ما بين الذوات، والنشاط السيميائي، أي أنّ هذا يتم أساسا بفضل الأدلة². إنّ الأدلة هي التي تربط بين المتكلمين لتجسيد الواقع بغية القيام بسلوكيات تمثل الواقع، وهذه السلوكيات نابعة من العبارات المولدة للأدلة بالكيفية المتعارف عليها في ظروف ممكنة أو متوقعة.

1-1-2 تشارلز ويليام موريس: (Charles .w. Morris 1979-1909)

يُعدّ الفيلسوف الأمريكي "تشارلز موريس" أول من استعمل مصطلح التداولية وذلك سنة 1938 صنفها إلى ثلاثة أقسام يمكن من خلالها معالجة اللغة وهي:

أ- علم التراكيب: وهو يعني دراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.
ب- علم الدلالة: وهو يدرس علاقة العلامات الشكلية بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها.

ج- التداولية: تهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسيها³. يتّضح أنّ علم اللغة يدرس الخصائص الشكلية والبناءات اللغوية المبنية على ألفاظ معجمية يراعى فيها العلاقة بينها لتشكّل سياقاً، ومنه إنشاء الخطاب، أمّا علم الدلالة فيدرس العلاقات الموجودة بين اللغة والعالم، فتتلاحم فيما بينها لتكوّن سلسلة الخطاب، وترتقي من التعقيد المعجمي إلى العلاقات بين السياق الداخلي والسياق الخارجي. وإنّ التواجد الدلالي في مستوى التركيب وما انطوى تحته من دلالات معجمية مهّد للمستوى التداولي الذي يضم الصنفين الأولين: علم التراكيب، وعلم الدلالة، أمّا التداولية فتهتم بمعاني الكلام ودراسة المعنى، وتحتاج إلى وجود صيغ لغوية لمعرفة كيفية التعامل اللغوي الذي يجعل من المتكلم يبني جملاً تُحيل

¹ - نعمان بوقرة، المدارس اللسانية العربية، ص 176

² - الجلال دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 8

³ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 9

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

إلى واقع معيّن سواء كان حقيقيا أو افتراضيا كي يفهم المخاطب فحوى ما يقصده المتكلم، فقولنا مثلا: "شاهدت حادثا مؤلما".

إنّه تركيب يتكوّن من ألفاظ: فعل + فاعل + مفعول به + صفة، تستند إلى قواعد تصيغ الأقوال المتلفظ بها، وتجعل الأقوال واضحة ومفهومة، لها دلالات تسهم في تفسير القول، والمغزى منها يؤدي إلى تأويل الأقوال تداوليا وربطها بالأشياء والموضوعات ليكون القول ناجحا وملائما للموقف التواصلّي القائم بين المتكلمين، وفي المكوّن التداولي حيث تُحيل الجملة إلى تأويلات يفهمها السامع:

- الإخبار عما جرى في هذا الحادث.

- التحذير من المسلك الذي وقع فيه الحادث.

- التعجب ممّا حصل مأسويا.

فهذا المعنى التداولي "مرتبط بالسياق، وهذا ما عبّر عنه في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال ومقولة لكل مقام مقال"¹، وهذا الذي يراه "سيرل" بأنّ التعبير عن الكلام ينبغي أن يراعي مقتضى الحال حينما يبلغ المتكلم إفادة المقصود من الكلام للسامع، وهذا ما يُدعى في البلاغة العربية "لكل مقام مقال".

أشار "موريس" إلى أهمية التداولية وهو يقسّم علم العلامات إلى حقول ثلاثة هي النحو في دراسته لأهمية العلاقة بين العلامات بمستعملها ومفسّريها، كما أشار إلى أنّ هذه الفروع متماسكة فيما بينها، لأنّ التداولية تبحث في كيفية تأويل المتلقي للعلامة من عند الباث بشرط سلامة البناء اللغوي للكلام المستعمل، مع التركيز على العالم الخارجي الملائم للعلامات التي تدلّ على مرجعية محددة للكشف عن مقاصد المتكلم.

¹ - نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 169

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

لم يتمّ الاهتمام بالتداولية إلا في مطلع الستينيات من القرن العشرين، حيث صارت تهدف إلى دراسة اللغة من مكوناتها الثلاثة التي سبق ذكرها وتميّزها عن البنيوية التي اهتمت باللغة كنظام، وأصبحت التداولية تهتم بدراسة الاستعمال اللغوي، واعتبر "موريس" فرع الدلالة عنصر مهم في عملية التأثير في المتلقي حيث تجعل المخاطب مستعداً لتوليد ردّ فعل معين إيجابي أم سلبي، وبهذا ينظر إلى الدلالة على أنها جانب سلوكي.

1-1-3 - غوتلوب فريجه: (1848-1925 Gottlob frige)

هو الفيلسوف الرياضي النمساوي "فريجه"، وله " يرجع الفضل في اكتمال البراجماتية اللسانية ومنهجها التطبيقي إلى المدرسة التحليلية الفلسفية"¹، حيث ساهم في تطوير الفلسفة التحليلية (فلسفة اللغة العادية) التي انبثقت عنها الأفعال الكلامية، ف "الأفعال الكلامية منبثقة من مناخ فلسفي عام وهو تيار الفلسفة التحليلية بما احتوته من مناهج وقضايا"². فعلاً لقد انبثقت التداولية من مناخ فلسفي تحليلي الذي ساهم في ظهور النظرية التداولية التي تفاعلت مع الظواهر اللغوية بالوصف والتحليل من حيث المعنى، ولقد ركّز علماء الفلسفة التحليلية على دلالات الألفاظ والعبارات المستخدمة التي تدور دلالاتها حول تصوّر ما.

كما ميّز الفيلسوف بين اللغة العلمية و اللغة العادية، ف"الأولى ضرورية في البرهنة الحسابية ويجب أن تكون أحادية المعنى صريحة وليس لها من هدف سوى وضع حقيقة، أمّا اللغة العادية فيجب أن تكون متعدّدة المعاني كي تتمتع بثراء الممكنات التي تهيء لها تأدية وظائفها التواصلية بالشكل الملائم، وبالمرة فقد وضع "غوتلوب فريجه" حجر الأساس لعلم الدلالة ومن ورائها التداولية، وذلك بمفهمة الروابط الدلالية الموضوعية التواصلية. إنّ مسألة تعدّد المعنى ووظائف اللغة العادية التي تمثل صعوبة من وجهة النظر المنطقية هي

¹ محمود عكاشة، النظرية البراجماتية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص44

² مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص17

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

التي نشطت أعمال أوستين¹، لأنّ اللغة العلمية لا تحتاج إلى مساعدة قصد تحديد الحقيقة، فهي مستقلة عن التفاعل بين المتكلمين، أمّا اللغة العادية فتختص بتحقيق التواصل والتفاعل والإثارة والاهتمام، ويعد هذا العمل الذي قام به "فريجه" عملاً ضرورياً في استعمال اللغة.

قام "فريجه" بـ "أهمّ التحليلات التي أجراها على العبارات اللغوية وعلى القضايا، ومنها تمييزه بين مقولتين لغويتين تتباينان مفهوماً ووظيفياً، وهما: اسم العلم والاسم المحمول، وهما عماد القضية الحملية"². إذ ميّز بين المحمول واسم العلم، وإنّ القضية الحملية تتكون من: اسم العلم والمحمول الذي يسند إلى اسم العلم؛ فأقام "فريجه" هذه الموازنة ليبين أنّ المحمول له وظيفة تصوّرية للشيء وهو اسم العلم، وهذا الأخير يدلّ على معيّن لا يمكنه أن يؤدي دور المحمول، واسم العلم يتّصف بخصوصية وهي إشارته إلى الشيء الفردي المعيّن، إلا أنّ المحمول يضمّ مجموعة من الخصائص تسند إلى اسم العلم، و"إنّ التّصور كما أفهمه يقوم بوظيفة المحمول، أمّا اسم العمل فإنه عاجز تماماً عن استخدامه كمحمول، يبدو أنّ ذلك محتاج لتوضيح وإلا كان التمييز باطلاً"³. إنّ "اسم العلم" يدلّ على معيّن ويؤدي إلى معنى مقصود دون الحاجة إلى لفظ آخر لإتمام المعنى ليؤدي وظيفة دلالية، بينما "المحمول" يحتاج إلى اسم العلم ليكمل المعنى. وميّز أيضاً بين المعنى والمرجع، فـ "المعنى يحدّد في ضوء السياق وتساعد الحقيقة المشروطة فمعنى الجملة يقوم على شروط حقيقية تعين دلالتها، تنأى عن الافتراض والتأمل"⁴، فهو يفرّق بين المعنى الظاهر والمعنى التقديري أو المضمّر الذي يبطنه القول الظاهر.

1- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص30

2- حميد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز العربي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 2003 ص80

3- محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، 1984، ص13

4- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص45

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

كما اهتمت الفلسفة التحليلية بالتحليل اللغوي وتعمّقت في المبحث اللغوي، وخاصة المبحث الدلالي، ولأجل توضيح ذلك ضمت اتجاهات حيث نعرش على أن:

الفلسفة التحليلية انقسمت إلى ثلاثة اتجاهات كبرى:

- الوضعانية المنطقية: بزعامة رودولف كارناب
- الظاهرتية اللغوية: بزعامة إدموند هوسرل
- فلسفة اللغة العادية: بزعامة فيتغنشتاين.

و "هذا الفرع الأخير أعني فلسفة اللغة العادية هو الذي نشأت بين أحضانه ظاهرة الأفعال الكلامية"¹. يشير هذا القول إلى أن التيارين الأول والثاني هما خارج نطاق التداولية، بينما الاتجاه الثالث هو الذي اهتم بالدراسة التداولية؛ فاتجاه الوضعانية المنطقية اهتم باللغة الصورية المصطنعة، واستبدلها باللغة العادية، فالوضعانية "تستبعد تلك اللغات وتقصّيها من نشاطها العلمي الدراسي، وتهتم ببناء لغات بديلة مقصورة على مجال تواصل في غاية المحدودية والرسمية والتّخصّص العلمي الضيق المحدود"²، أمّا الفلسفة الظاهرتية فاقترعت على البحث الفكري بعيدا عن الاستعمال اللغوي، لكن زعيمها "هوسرل" أتى بمبدأ القصدية ورأى "أنّ الفلسفة الظاهرتية قد جاءت بمبدأ إجرائي جد مفيد في اللسانيات التداولية، وهو مبدأ القصدية الذي استثمره الفيلسوف "أوستين" في دراسة ظاهرة الأفعال الكلامية، وقام "سيرل" بنفس الصّنيع حينما اتخذ معيارا أساسيا لتصنيف القوى المتضمنة في القول"³، أمّا فلسفة اللغة العادية فقد أخذت منحى اللغة التي يتكلّم بها الناس في حياتهم اليومية، ومؤسّسها الفيلسوف "لودفينغ فيتغنشتاين".

¹- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص21

²- المرجع نفسه، ص22

³- المرجع نفسه، ص، ص 22-23

1-1-4 لودفيغ فيتغنشتاين (1889-1951) (ludwig.wittgenstein)

هو فيلسوف نمساوي من أصل انجليزي تأثر بـ "فريجه" فنظر في الحقل الخاص باستعمال اللغة، حيث انتقد مبادئ المناطقة الوضعانيين الذين بحثوا في "الفلسفة التحليلية" وأصروا على المعنى المنطقي بمنأى عن اللغة العادية، " وقد اقتفى أثر فريجه، فانقد مبادئ الوضعانية المنطقية وأسس اتجاهها فلسفيا جديدا "1، وهذا الاتجاه سمّاه " فلسفة اللغة العادية" وبحث فيها وتوصل إلى نتيجة مفادها أنّ لغة الفرد تكون عادية وغير ثابتة تتغير حسب الأحوال النفسية والاجتماعية، و ركّز "فيتغنشتاين" اهتمامه على اللغة العادية بعيدا عن اللغة العلمية المنطقية التي تعتمد على القضايا الميتافيزيقية، فهي " فارغة من المعنى، بما أنّها لا تحيل على الواقع، بل تشكّل إطارا صوريا ما للمعرفة العلمية"2، فالأقوال المنطقية العلمية بالنسبة له لا تحيل إلى الواقع ولا تحقّق ما هو ملموس، ولا تراعي اهتمامات الناس في الحياة، ولا تعين مشكلاتهم، ولا تجد لها حلا ولا تواصل، بل هي قاصرة عن التواصل الإنساني بشتّى جوانبه.

بهذا القول نجد أنّ الفلسفة التحليلية قد اعتبرت اللغة أداة معرفية، بها يتمّ التواصل بعيدا عن الفلسفة التقليدية، وهذا المبدأ هو أصل البحث التداولي، ويعدّ الفيلسوف رائد لفلسفة اللغة العادية حيث أسهم في إيجاد توافق بين اللغة والفكر الفلسفي، واهتدى إلى دراسة اللغة الطبيعية التي تركز على أسس هي: الدلالة، القاعدة، والألعاب اللغوية، وقامت دراسته على ثلاثة مفاهيم أساسية: الدلالة، القاعدة ولعبة اللغة"3:

- **الدلالة:** ميّز بين القول والجملة، وصيّر الأخيرة أكثر شمولية من القول، والجملة لا معنى لها إلا من خلال السياق الذي ترد فيه، ويعكس ذلك توظيف ألعاب اللغة في الواقع، حيث

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص20

2- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص30

3- محمود عكاشة، النظرة البراجماتية للسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص45

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

"أفاد فيتغنشتاين أنّ لا يجب الخلط بين المعنى المحصل والمعنى المقدر؛ لأنّ هذا يعني الخلط بين الجملة والقول كما حدّد معنى الجملة الحقيقي الذي يمكن مشاهدته والتحقّق منه في صلب الممارسة اليومية لألعاب اللغة"¹. فهو يدرس الدلالة المحدّدة التي تربط الكلمات والعبارات بالأشياء والواقع، ودلالة الأشياء تتجاوز اللغة والدلالة إلى البعد الاستعمالي كدراسة ألعاب اللغة.

- **القاعدة:** عدّها نشاط لغوي يقصد بها القاعدة النحوية السليمة استعمالاً وترتيباً، يقصد "فيتغنشتاين" بالقاعدة أنّها لعبة من ألعاب اللغة، عندما يكون المشاركون فيها ملزمين بالقواعد الأساسية أي المفاهيم الاجتماعية، لأنّها تسهم في تنامي النشاط اللغوي بشكل واسع، فهو "يرى أنّه يجب النظر في هذا المفهوم من حيث وجوهه الاجتماعية والاستبدالية والنحوية يمكن في أنّها تستدرج إلى التواضع والاصطلاح؛ أي أنّ استخدام الأدلة يمثل إلى القاعدة"². ويرى "فيتغنشتاين" أنّ التّخاطب لا يقتصر على أفعال تُؤدي غرضاً معيّناً أو تعتمد على زمن ومكان معيّنين، بل الخطاب لعبة تضبطها قواعد: اجتماعية، واستبدالية ونحوية، فالمشارك في الخطاب لا يحقّ له تجاوزها.

- **ألعاب اللغة:** يرتبط هذا العنصر ارتباطاً وثيقاً بالعنصرين السابقين، الدلالة والقاعدة، ويرى أنّ اللغة ليست حساباً منطقياً، فكلّ كلمة لها معنى خاص بها ضمن جملة وسياق معيّنين، ويرى أنّ معنى الكلمة يتّضح من خلال استعمالها، وأنّ توظيف الألفاظ واستعمالها هو الذي يكسب اللغة حركة وحياة، واعتبر اللغة وسيلة تستخدم في وصف العالم الخارجي وأنّها أداة رمزية فقط تشير إلى الواقع، وبهذا يكون قد أسهم في فعالية التداولية، واللغة عنده هي ألعاب لغوية كألعاب الشطرنج" ولهذه اللعبة قواعد معينة ينبغي مراعاتها،

¹- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص183

²- المرجع نفسه، ص183

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

فإننا حين نتعلّم كيف نلعب الكلمات عن طريق استخدامها¹. من خلال هذه النظرة المختصرة نصل إلى أنّ "فتغنشتاين" قد أثبت بأنّ اللغة حين استعمالها في المحيط الاجتماعي فإنّها تتقيّد بالظروف الاجتماعية والأعراف المتداولة مثل لعبة الشطرنج التي تحتكم إلى قوانين معينة ؛ فاللغة ولعبة الشطرنج يشتركان في اللاعبين أو المتكلمين، والاستعمال الجماعي والتداول بينهم محدّد بضوابط، لكن ثمة حيّل ينشئها اللاعب أو المتكلم من أجل الإبداع في الاستعمال، وكلاهما يعتمد على الذكاء للإسهام في اللعبة أو في الاستعمال التداولي.

اهتمّ الفيلسوف بلعبة اللغة " فالتعبير الذي يختاره فيتغنشتاين للإشارة إلى هذا المحيط المعقّد الذي تأخذه فيه المراسلات معنى، هو لعبة اللغة، فاللعبة هي أساس نشاط منظم ومتقاسم، إنه كذلك شكل الحياة"². إنّه يعتبر اللغة جزءا من النشاط الإنساني، لأنّ لائحة الألعاب اللغوية كثيرة وهي موجودة بطرق مختلفة في الحياة، أي ثمة تعدّد لألعاب اللغة كتعدّد أشكال الحياة، فيرى أنّه "على كل كلمة لعبة اللغة أن يستخلص منها بأن تكلم اللغة، هو جزء من نشاط وطريقة حياة"³. نستنبط من مضمون القول أنّ الحياة تنبض بألعاب لغة كثيرة متنوعة الأنماط حسب النشاط الإنساني وما يبدعه الأخير من اهتمام لغوي في الحياة لطرق مجالات وجود الإنسان، و" مفهوم اللعبة اللغوية يستقيم في أطروحته مع البعد الإنساني للغة في إطار الممارسة اليومية التي تحقق المعرفة الإنسانية عبر ممارسات شكلية متنوعة ومتكاملة"⁴. ترتبط الألعاب اللغوية بالبعد الإنساني، إذ أنّ استعمال اللغة في سياق ما يستدعي بعدا اجتماعيا تداوليا، إلى جانب استعداد المتلقي للاستجابة وتقبله ما يردّه

¹ - برتراند راسل، حكمة الغرب، تر: فؤاد زكريا، عالم المعرفة، الكويت، ط 1983، 228/2

² - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 20

³ - المرجع نفسه، ص 23

⁴ - محمود عكاشة، النظرة البراجماتية اللسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، 45

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

المتكلم لتجسيد صدق التواصل اللغوي، وأنّ ألعاب اللغة تتنوّع ولا تتم مظاهرها إلا من خلال استعمالاتها المختلفة، ومنها تتحدّد مقاصدها.

كما اهتمّ الفيلسوف بالوظيفة التمثيلية للغة للإفهام وتغيير العالم والأوضاع التي يملئها الواقع فـ "يعد فيتغنشتاين من الفلاسفة الأوائل الذين نظروا في الجانب الاستعمالي للغة، بدءاً من أعماله الأولى في المنطق والفلسفة والمنتية في (1918)؛ حيث ميّزتها دراسة الوظيفة التمثيلية للغة اعتداداً بمدى صحة الملفوظات أو خطئها"¹، فاللغة عنده عنصر تأثيري في المتلقي نظراً لعلاقة الترابط المتمثلة في توفر المواقف الملموسة بغية تمكين أطراف التواصل فيما بينهم، ويرى ثمة علاقة بين اللغة والتفكير والملفوظات ترتبط بالمعنى ثم تأويل الكلام، أي أنّ الأفعال الملفوظة تنطلق مباشرة من الفهم وتمثيل العالم من خلال الممارسات الملموسة المستنبطة من الواقع المعاش. وبهذه النتيجة نجد الفيلسوف قد اهتم بالربط بين اللغة والفكر واعتبرهما سيان، لأنّ الألفاظ والعبارات التي يتحدث بها المتكلم، هي لغة لسان حال المجتمع تعبر عن أفكاره وتطلعاته.

فهو من الفلاسفة الذين اهتموا بالجانب الاستعمالي للغة، فقد ربط اللغة بالواقع بـ " أنّ الأقوال المنطقية هي من تحصيل حاصل، ومن ثمة فإنها لا تحيل على الواقع، بل تشكل إطاراً سوريا ما قبلها للمعرفة العلمية"². من هذا الطرح نستشف بأنّ "فيتغنشتاين" لا يؤيد مبادئ الفلسفة الوضعانية المنطقية مفضلاً اللغة العادية على اللغة المنطقية " حيث اتّجه إلى اللغة العادية كوسيلة للعمل الفلسفي"³، وباعتباره زعيم فلسفة اللغة العادية أخذ " يطور فلسفته الجديدة التي توصي بمراعاة جانب الاستعمال في اللغة، فالاستعمال هو الذي يكسب تعميم اللغة واستخدامها"⁴، لأنّ استخدام الأدلّة يمثل القاعدة، فالفعل الكلامي هو لعبة

¹ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 42

² فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 30

³ محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1985، ص 43

⁴ مسعود صحرأوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 23

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

لغوية، ولهذا التركيب دلالة تخضع لقاعدة نحوية واصطلاح اجتماعي متعارف عليه دون إهمال شخصية المتكلم والمتلقي ولغة التواصل التي تتواصل بها هذه الذات.

يلتقي "فيتغنشتاين" مع "فريجه" في استعمال الجُمْل في المواقف المحسوسة: أي مواقف الفعل وتكتسب الأخبار معانيها وقوتها في الوحدات المتعالية على جملها (أي الوحدات الصغرى)، التي لا تفترق عن موقف الاستعمال، فوجهة النظر المعبر عنها هنا، هي وجهة تداولية بالمعنى الواسع للاصطلاح¹. لقد أصبحت أعمال "فيتغنشتاين" ذات أهمية في الدرس التداولي حيث تبناها فلاسفة "مدرسة أكسفورد" الذين تأثروا بأعماله و ربطوها بأعمالهم وبالتحديد الفيلسوف "أوستين" وتلميذه "سيرل"، وهو ما مهد لظهور نظرية القصدية، والملاءمة، والاستلزام الحواري، وغيرها من النظريات التي أسهمت في وجود التداولية.

1-2- مرحلة الاكتمال والنضج:

انعكست بعض أعمال "فيتغنشتاين" التي اهتمت بالتحليل اللغوي لأعمال فلاسفة أكسفورد، وتبناها أولهم "ج. ل. أوستين" في كتابه "كيف نفعل الأشياء بالكلمات" سنة 1962 الذي قام بتطوير نظرية التداولية وخاصة الأفعال الكلامية، ثم جاء بعده تلميذه "ج. سيرل" الذي أثرى الأعمال اللغوية لأستاذه وبالتحديد اهتمامه بالفعل الإنجازي والقوة الإنجازية والأفعال المتضمنة في القول، ثم جهود "بول جرايس" الذي طور التداولية وخاصة مبادئ المحادثة.

أصبحت التداولية منهجا علميا يعتدّ به في المجال اللساني في العقد السابع من القرن العشرين، ثم طوّره هؤلاء الفلاسفة الذين ينتمون إلى مدرسة فلسفية تهتم باللغة الطبيعية أو العادية في مقابل مدرسة اللغة الشكلية أو الصورية، حيث كان اهتمامهم منصبا على كيفية تبليغ معنى اللغة الإنسانية من المتكلم إلى المتلقي عبر رسالة يتم تفسيرها، فكان اهتمامهم

¹ - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 19

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

منصب على أهمية اللغة العادية ودورها في تثبيت عميلة التواصل وهو موضوع التداولية، فتطوّرت التداولية "نظرية أفعال الكلام" على يد هؤلاء العلماء:

1-2-1 جون لانجو أوستين (john langshaw austin 1960-1911)

تأثر "أوستين" بالفيلسوف "فنجشتاين" في أفكاره لكنّه انتقدها حيث اعتبر أنّ الوظيفة الأساسية للغة ليست الإخبار فقط، بل هي وصف للواقع والحال سواء كان صادقا أو كاذبا. وترجع نشأة التداولية كمفهوم لغوي إلى سنة 1955 لما ألقى "جون أوستين" محاضرات بعنوان "تطبيقية نظرية الأفعال اللغوية على الخطاب الأدبي عند "ويليام جيمس" في جامعة (هارفارد)، ولم يكن مبتغاه إنشاء فرع جديد في اللسانيات، بل كان يهدف إلى وضع تخصص فلسفي يدعى فلسفة اللغة من أجل تأسيس تخصص فلسفي لم يكن يفكر في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات، " فلقد كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة"¹. لاحظنا أن أوستين قام بتأسيس فلسفة اللغة، إذ سعى من خلال محاضراته إلى تأسيس فكرة وهي أنّ الأفعال الكلامية تهدف إلى وصف الواقع والحكم على الجمل الخبرية بمعيّار الصدق والكذب، أمّا الجمل الإنشائية لا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره.

أرسى "أوستين" دعائم الاتجاه التداولي الذي اعتمد فيه على "الأفعال الكلامية" التي تتحقّق بفعل مستعملي اللغة، وأتى بجديد في هذا الاتجاه وهو قسم بلاغي يُدعى "الأفعال الإنجازية" بعدما كان الفلاسفة الوضعانيين يعتمدون على الأفعال الخبرية، واعتبروها مقياسا وحيدا للدلالة على اللفظ ويحتكم فيه إلى مقياس الصدق والكذب.

لقد فصل بين نوعين من التراكيب؛ النوع الأول يصف العالم الخارجي ونستطيع الحكم عليه بالصدق أو الكذب وهي جمل وصفية، والنوع الثاني تنجز به الأفعال ولا تحتمل الصدق أو الكذب، وهي جمل إنشائية لا ينطبق عليها ذلك الحكم، ف "ميّز بين نوعين من

¹ - آن روبول و جاك موشلار، التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة، لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2003، ص29

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

الملفوظات؛ الملفوظات الثابتة، التقريرية والتي تمثل حالات أشياء، وهي قابلة لأن تكون حقيقية أو خاطئة، والملفوظات الإنجازية¹. يدلي أوستين من خلال هذا التوضيح أن كل قول عبارة عن عمل وأن كل كلمة نتلفظها تُبطن هدفًا كلاميًا، ولتوضيح ذلك فقد صنّف أوستين "أفعال الكلام" في نظريته إلى نوعين:

- الأفعال الإخبارية information acts :

نجدها في الجمل التي تعبّر عن الوقائع الخارجية ونحكم عليها بالصدق أو الكذب؛ ويرى "أوستين" أن الجملة تكون وصفية إثباتية و تقريرية، فعبرة: "إن الشمس تشرق من المشرق وتغرب من المغرب"، هي فعل إخباري نتحقّق من صدق القول انطلاقًا من مطابقته الواقع بأنّ الشمس تمرّ بمرحلة يومية من الشروق إلى الغروب، وهذا القول صادق لا يختلف في اثنين، وهي ظاهرة كونية من تدبير الخالق. أمّا إذا قلنا: "تصنع الجزائر أدوية مضادة للسرطان"، هذا فعل كلامي كاذب مخالف للواقع، لأنّ الجزائر تصنع أدوية أخرى لا الدواء المخلّص من داء السرطان، وهي تقابل في اللغة العربية الجمل الخبرية، وإنّ اللغة لا عمل لها إلا في وصف الوقائع الخارجية بعبارات إخبارية نحكم عليها بالصدق أو الكذب بمطابقتها الواقع أو عدمه.

- الأفعال الأدائية (الإنشائية) performative acts :

إنّها أفعال لا تصف الواقع، ونحكم عليها بمعيارى النجاح أو الفشل والتي يسمّيها "أوستين" بالأفعال الإنشائية التي تخالف تماما الأفعال السابقة التي تحمل الصدق أو الكذب. تتميز الجمل الإنشائية بخصائص لا توجد في الجمل الوصفية فهي "تسند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، وتتضمن فعلا من قبيل أمر ووعد وقسم، ويفيد معناه على وجه الدقة إنجاز عمل وتسمى هذه الأفعال أفعالا إنشائية"². يمكن الحكم على هذه الأفعال الإنشائية بمعيار التوفيق أو الإخفاق، وأنّ كل جملة تامة مستعملة نُقبل كإنجاز لغوي، حيث

¹ - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص44

² - آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص31

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقاتها بالعلوم

ميّز أوستين ثلاثة أنواع من الجمل عند الإنجاز: العمل القولي، والعمل المتضمن القول، وعمل التأثير بالقول، ومثال ذلك، عندما يقول الأستاذ لتلميذه:

- " اجتهد في دروسك، يا بُني".

فيرد التلميذ:

- " لم أرسب بعدُ، يا أستاذ".

تلفّظ التلميذ بالقول هو عمل القولي، أمّا الفكرة التي تحملها الجملة فهي العمل المتضمن في القول وقد سمعها التلميذ، أمّا عمل التأثير بالقول فيتّضح في جواب التلميذ " لم أرسب بعد"، تضمنت هذه الجملة إقناع الأستاذ لتلميذه بأنّ الاجتهاد حتمية لتقادي الرسوب.

1-2-2 جون سيرل:

يُعتبر "أوستين" أول من أسس لنظرية أفعال الكلام، ثم جاء بعده تلميذه الفيلسوف "سيرل" الذي استفاد من معلمه وأسس لمفهوم الفعل الإنجازي، فأكمل "سيرل" النظرية واقترح تعديلات لتطوير نظرية الأفعال الكلامية مركّزا على الأعمال المتضمنة في القول، فهو " لا يهتم إلا بالأعمال المتضمنة في القول، فلقد شك في وجود أعمال تأثير بالقول ولم يحفل بحق بالأعمال القولية. يتمثل إسهامه الرئيسي في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول، وما يتصل بمضمون العمل وهو ما يسميه القوة المتضمنة في القول، وما يتّصل بمضمون العمل وهو ما يسميه المحتوى القضوي"¹. يولي "سيرل" أهمية للقوى المتضمنة في القول والذي يرى أنّ الأفعال الكلامية غير المباشرة لا تكتسب معناها إلا إذا تبّينا فكرة المغزى الحرفي وهذا غير كاف لوحده، بل ثمة ما يولّد الاستنتاج، أي ما يدلّ على المعنى الحرفي والمغزى الحرفي ضمن سياق محدّد.

ومثال ذلك قول شخص لأحدٍ من أترابه: " أضمن لك بأن أساعدك في حلّ مشكلتك ظهرا".
الفعل "أضمن" هو القوة المتضمنة في القول، ومحتوى قضوي، وإنّ المتكلم له نيّة الوعد، وهي المقصد الذي يدعوه إلى الحضور ظهرا، لأنّ المتكلم وعد بإنجاز العمل مستقبلا.

¹ - أن روبول وباك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص33

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

نوجز جهود "سيرل" بأنّ الفعل الإنجازي عنده هو الوحدة الصغرى بغية التواصل الذي يؤدّيه المتكلم بتلقّظه لجملة محدّدة، وبصيغة معيّنة لها دلالة مبينة كالأمر والنهي، كما نجد الفعل الكلامي عنده مرتبط بالبعد الاجتماعي. وهناك أعمال خاصة بـ "سيرل" فيما يتعلّق بالأفعال الكلامية التي سنذكرها بالتفصيل في الفصل الثاني.

1-2-3 هيرت بول غرايس (h. paul grice 1988-1913) :

أصبحت التداولية مجالاً يعتدّ به لما طورها ثلاثة من فلاسفة اللغة في العقد السابع من القرن العشرين المنتمين لجامعة أكسفورد، وهم : "أوستين"، و"سيرل"، و"غرايس"، مهتمين بمعاني اللغة العربية المفوظ بها التي تدلّ على أنّ المتكلم يبلّغ المخاطب أفعالا كلامية بلغة بسيطة في سياقات يفسرها المتلقي، و"تجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلّمة مشتركة مفادها: أنّ فهم الإنسان لنفسه وعالمه يركّز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تُعبّر له عن هذا الفهم"¹. وقد درس فلاسفة أكسفورد اللغة الطبيعية التي تعبّر عن الإنسان وهو الآخر يعبّر عن نفسه بلغة عادية، حيث واعتبروا الظاهرة الاجتماعية للتواصل مع الآخرين ظاهرة صحيّة، فنقلوا البحث اللساني من الوصف والتحليل إلى منهج تواصل.

أقام "غرايس" مبادئ تثبت مقاصد المتكلمين من أجل تحقيق ديمومة التواصل، فارتكزت أبحاثه على أصول الحوار وشروط المناسبة لاستعمال الألفاظ والعبارات، وقد ذكر "غرايس" آليات التواصل، ومبدأ التعاون والتي حدّدها في مبادئ انحصرت في أربعة أحكام هي:

- "حكمة الكم: تجعل مساهمتك في الحديث إخبارية بالقدر الذي يقتضيه هدف هذا الحديث لكن لا تجعلها إخبارية أكثر مما هو مطلوب.

- حكمة الكيف: أن تقدم مساهمتك حقيقية للحديث، ولا تجهر بشيء لا يمكنك أن تدّعيه دون دليل كاف.

- حكمة العلاقة: أن تقدم مساهمة دالة لها معنى في الحديث.

¹ - بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، إنجلترا،

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

- حكمة حكم الكلام: أن يتكلم بوضوح ويتجنب الإبهام وأن تقدم حجتك في شكل منتظم¹.

إنّ أطراف الخطاب يتعاونون فيما بينهم لتحقيق الغاية من الأفعال الكلامية باعتماد قواعد تخاطبية: كم الخبر، وحال الخبر، وعلاقة الخبر بمقتضى الحال كي يتناسب المقال مع المقام حين الاستعمال اللغوي، فيتحمّ على المتكلمين احترام هذه المبادئ لتجد المقاصد تأثيراتها ومنافعها أثناء تبليغ الكلام ممّا يؤدي إلى تحقيق التواصل ووضوحه بين المتكلمين، حيث برهن "غرايس" على ملائمة مبدأ التعاون والقواعد المتقرّعة عنه، فظاهرة الاستلزام الحواري لا تتحقّق إلا إذا احترمت القواعد الأربعة مع وجود مبدأ التعاون حسب كل مقام، ولتوضيح هذه الظاهرة التداولية نذكر هذا الحوار البسيط الذي دار بين شخصين:

-الذهان: أين الطلاء الجديد الذي جلبته الآن؟

-المساعد له: تركته في السيارة؟

إنّ إجابة المساعد كانت واضحة وهو مبدأ الجهة الملائمة لسؤال الدهان وهو مبدأ الملائمة، وهو سؤال واضح ودقيق ومحدد وموجز فكانت الإجابة مختصرة كاملة دون نقص يشوب المعنى وهو مبدأ الكم، واتضح أنّ الإجابة كانت صادقة وهو مبدأ الكيف، ونتيجة ذلك أنّ الاستلزام الحواري لم يتحقّق لأنّ المساعد أجاب عن المقصود بدقة، فكان مبدأ التعاون حاضرا.

ومثال آخر عن الاستلزام الحواري:

أنّه دار حوار بين مدير مؤسسة الأشغال العمومية ورئيس المصلحة فيما يخص القابض المالي عن سلوكه في الورشة.

- فردّ رئيس المصلحة: "إنّه يؤدي أعماله ويظهر إخلاصه، لكنه يضخم الفواتير".

فهم المدير الإجابة المنبثق عنها معنيين: المعنى المستلزم الأوّل أنّ القابض يقوم بواجبه تظاهرا حتى لا يُعاقب، والمعنى المستلزم الثاني أنّ القابض يتعمد السرقة، والنتيجة المحصل عليها أنّ رئيس المصلحة اخترق قاعدة الملائمة وقاعدة الكيفية معًا، لأنّه لم يكن واضحا

¹ - الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص33

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقاتها بالعلوم

في كلامه، ورغم ذلك حافظ رئيس المصلحة على مبدأ التعاون. وفي خضم هذا التواصل استنتج المدير أنّ رئيس المصلحة متأكد بأنّ القابض يسرق أموال المؤسسة، وبالتالي استطاع المدير من خلال المعنى الحرفي والمعنى المستلزم الفهم بأنّ رئيس المصلحة احترام مبدأ التعاون وتحقق الاستلزام الحواري. إنّ هذه الأمثلة التداولية تُعبّر عمّا اهتدى إليه "غرايس" بأنّ الدلالة اللغوية تنقسم إلى معاني صريحة ومعاني ضمنية، ومبدأ التعاون يقتضى التزام المتخاطبين حواراً بناءً في تعاونهما في تحقيق الهدف من الكلام من خلال احترام مبدأ التأدّب " إذ يستحسن لطرفي الحوار مراعاة هذا المبدأ قبل مراعاتهما لقواعد مبدأ التعاون"¹، لأنّ مبدأ التعاون يعدّ أحد المبادئ الأساسية في الدرس اللغوي بغية خلق جوّ تحاوري تفاهمي بعيداً عن أيّ اختراق للتخاطب.

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 100.

2- درجات التداولية:

يُعتبر السياق القاسم المشترك بين نظريات التداولية، والسياق هو الذي يبيّن سمات كلّ نظرية حيث يقسمها "هانسون" إلى ثلاث درجات؛ إذ تهتم كل درجة بالسياق إلا أنّ توظيفه يتفاوت من درجة إلى أخرى فقد حاول "هانسون" التوفيق بين أقسام التداولية التي تعتمد في إنتاجها اللغوي على السياق إذ "أضحى هذا التصور الخطوة الأولى في تنظيم وهيكلية النظريات التداولية، وقد أفضى ذلك إلى ظهور تيارات مختلفة ومتداخلة في الوقت نفسه تشكّل النسق العام لما يسمّى بنظريات التداولية"¹. يُعدّ الهولندي "هانسون" من الباحثين الذين اهتموا بالدرس اللساني وبلوروا أفكاره إذ قام بتوحيد مكونات التداولية، "فهو أول من حاول توحيد التنسيق بين مختلف الأجزاء المتقدمة إلى حد الآن بطريقة مستقلة نسبياً، وذلك بتمييزه لثلاث درجات، واختيار اصطلاح الدرجات بدل الأجزاء"²، إذ قدّم هذا التصور سنة 1974 والذي يهدف من خلاله توحيد فروع الدروس التداولية وفق التقسيم التالي:

2-1 تداولية الدرجة الأولى (دراسة الرموز الإشارية):

يرى الباحثون أنّ تداولية الدرجة الأولى تختص بدراسة البصمات التي تشير إلى عنصر الذاتية في الخطاب، فتدرس الأقوال والصيغ التي تتجلى مرجعيتها ودلالاتها في سياق الحديث، فهي "دراسة للرموز الإشارية، (أي للتعابير المبهمة حتماً)، ضمن ظروف استعمالها، (أي سياق تلفظها)"³. الإشارات مبهمة مجردة لما تنسلخ من السياق، أمّا إذا ارتبطت به أزيح الإبهام ودلّت على معنى مقصود حسب ظروف السياق، وهذه الدرجة التداولية بالعلامات الإشارية مثل (نحن، هناك) التي تظهر في السياق وتوضح مرجعيتها فيه، فلا تؤدي الإشارات إحالتها إلا من خلال السياق حينما يوظفها المتكلمون في مكان وزمان محددين، لأنّ هذه العلامات تختلف إحالتها حسب الظروف المتاحة.

¹ - عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص12

² - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص37

³ - المرجع نفسه، ص37

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

ويُعدّ العالم اللغوي "إميل بينفيسست" أحد منظري هذه النظرية الذي استطاع إبداء الفرق بين اللغة كنظام تركيبى واللغة كنشاط يستتطق الواقع ويجسده من خلال الخطاب وفق منظومة العلامات أي المؤشرات كما يسمّيها حيث تتحوّل اللغة إلى خطاب متماسك وفعال.

تهتم هذه النظرية بدراسة الرموز الإشارية أي التعبيرات المبهمة التي تحيل إلى المخاطبين مراعاة لظروف استعمال الكلام في سياقه وتهتم بالموجودات لذا سياقها وجودي إحالي في زمن وفضاء محددين، كقولنا: - "هل هذا المحمول لك؟ فاسم الإشارة "هذا" يشير إلى المحمول، وضمير المخاطب "الكاف" يشير إلى المخاطب، والمتكلم لا يعتمد إلى الدلالة اللفظية المباشرة، بل يتجاوز اللفظ مبنى ومعنى إلى مقصود محدّد من المتكلم وهو يستفسر إن كان المحمول ملك للمخاطب.

يُبدى "هانسون" أهمية للضمائر والإشارات، حيث "تعد ضمائر أنا، وأنت، وهو، وإشارات هذا وذاك، والآن تعابير تختلف إحالتها بالضرورة، بحسب ظروف استعمالها، أي وفقا لمفوضها في السياق، فهي تشير في البداية إلى التفصيل اللساني، الذي تتبثق عنه، قبل إحالتها على فرد متكلم وعلى مكان، وفترة زمنية، من ثم، تعد دراستها عند هانسون مكونا للدرجة التداولية الأولى"¹. إنّ الضمائر تؤدّي وظيفة تداولية في تحديد ظروف استعمالها انطلاق من الملفوظات المصاحبة لها فتعبر عن دلالة محددة مشيرة إليها بدقة، وهي تختلف فيما بينها كأن تشير إلى الشخص أو إلى الزمان أو المكان. كما "تعتمد هذه التداولية على السياق الوجودي؛ المتمثّل في المخاطبين، ومعطيات الزمان والمكان، وتعكسها أعمال دارسي الإشارة والرمز، نحو بيرس، روسل، قومين... وبعض إشارات (بنفيسست) في البعد الإشاري للزمن"². فوجود السياق بين المتخاطبين في الكلام يجعله عنصرا مهما في عملية التواصل، وله أهمية في دراسة الرموز والعلامات والمستعملين، لذا مهمته تكمن في التفاعل بين المتخاطبين كتحديد القصد من قبل المرسل إلى المرسل إليه بحكم العلاقة الوجودية المتمثلة وجود السلوك الاجتماعي والمعطيات المحيطة بهما.

¹ - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 41

² - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 64

2-2- تداولية الدرجة الثانية (المعنى الحرفي والمعنى التواصلية):

هي نظرية أفعال اللغة، تهتم بالمعنى الحرفي والمعنى المستلزم للتعبير عن القضايا المعبر عنها المرتبطة بالكلمات والتراكيب؛ فوجود الموضوع يُنبئ عن دلالة حرفية في سياق معين يتداوله المتكلمون، وهذا ما سنجدّه عند "سيرل" حينما ركّز على المعنى الحرفي والمعنى السياقي والاقتضاء.

تدرس هذه النظرية كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلمحي "فهي دراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها في الحالات الهامة، إذ على القضية المعبر عنها أن تتميز عن الدلالة الحرفية للجملة"¹. فنظرية هذه الدرجة تجيب عن الأفعال المتضمنة في القول وعن مبادئ المحادثة والحجاج، حيث تهتمّ بنقل الكلام الصريح إلى الضمني، وتدرس اللغة على أنّها مجموعة من الأقوال المضمرّة وتدرس كيفية التعبير عن القضايا المطروحة المرتبطة بالملفوظات للقضية المعبر عنها بعيداً عن الدلالة الحرفية للعبارة، كما توسع مضمون السياق لما يعتقده المخاطب فيتناول طريقة انتقال دلالة الملفوظ داخل السياق من التصريح إلى التلميح، وهذه النظرية درسها كل من الفلاسفة "أوستين" و"سيرل" و"غرايس" وخاضوا بحثاً فيها اشتملت على تداول الكلام. ونسوق مثالا لذلك:

- "الثلوج تتهاطل بغزارة اليوم". فالمتكلم لا يبالي بوصف منظر الثلوج، بل يتعدّاه بطلب من المخاطب كي يقوم بفعل ويؤوّل الكلام كأن يتهياً لسوء الأحوال الجوية، أو يلزم المخاطب بيته، أو يكثر من التدفئة.

من هذا المنطلق أنّ التداولية تهتم بدراسة علاقة الملفوظات بالموضوع والتي تحمل دلالات يبلغها المتكلم وتتعدى السياق الوجودي إلى معتقدات المتخاطبين وحالاتهم النفسية والاجتماعية وسياقها في هذا الحال يكون أوسع من السابق؛ حيث يمتد من الموجودات إلى نفسية المتخاطبين وحدهم والاعتقادات المشتركة بينهم. وبهذه الكيفية نجد التداولية تعنى بالجانب التواصلية فهي "تهتم من خلال ذلك بقضايا مختلفة، نحو: شروط التواصل، التمييز

¹ - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص38

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

بين المعنى الحرفي والمعنى التواصلية (لدى ستالناكر وجاك) أو المعنى الخفي والمعنى السياقي (سيرل)، و المعنى الحرفي والمعنى الموضوعي (ديكرو)¹، لأن المعاني اللغوية تستقي من معان وضعية تدرك من ألفاظ اللغة وجملها.

2-3- تداولية الدرجة الثالثة (نظرية الأفعال الكلامية):

تشمل هذه النظرية كل الدراسات التي تدخل ضمن نظريات الأفعال الكلامية، فهي نظرية أفعال اللغة، ويتعلق الأمر بمعرفة ما تم من خلال استعمال بعض الإشكالات اللسانية؛ فأفعال اللغة مسجلة لسانيا، إلا أن هذا لا يكفي لرفع الإبهامات، والإشارة إلى ما أنجز فعلا عبر هذا الموقف التواصلية². إن هذه النظرية تدرس أفعال اللغة الصادرة عن المتكلمين في وضعيات مرتبطة بخارج النص كالبعد الاجتماعي والنفسي والعقائدي لإزالة الغموض في التواصل اللساني، ومثال ذلك:

- "سيحل فصل الربيع بعد شتاء قاس". هذه الجملة تحمل على الأقل دالتين؛ فسياقها ممكن أن يكون إخبارا بسعادة الشخص لقدم الربيع، أو يتعجب لمنظر هذا الفصل الزاهية مناظره، ويمكن تحديد الدلالة الحقيقية للجملة المفوضة انطلاقا من القصدية الدقيقة والحقيقية الصادرة عن المتكلم والتي مفادها سعادة المتكلم بانقضاء فصل الشتاء القاسي.

والمثال هو سياق كلامي حدّد فعلا كلاميا معينا لانجاز فعل معين ف " لا يتحدّد الفعل الكلامي إلا من خلال السياق الذي يتكفل بتحديد جدية التلفظ أو الدّعابة، أو انجاز فعل معين"³. فالفعل الكلامي يمثله السلوك الإنساني بنيّة التفاعل داخل المجتمع من خلال السياق اللغوي الذي يعبر عن الموقف والمقام التواصلية المستمد من التكوين الداخلي من معرفة واعتقاد وأغراض ومقاصد وفق بنية زمانية ومكانية تُمكن من تحقيق الفعل الكلامي في السياق.

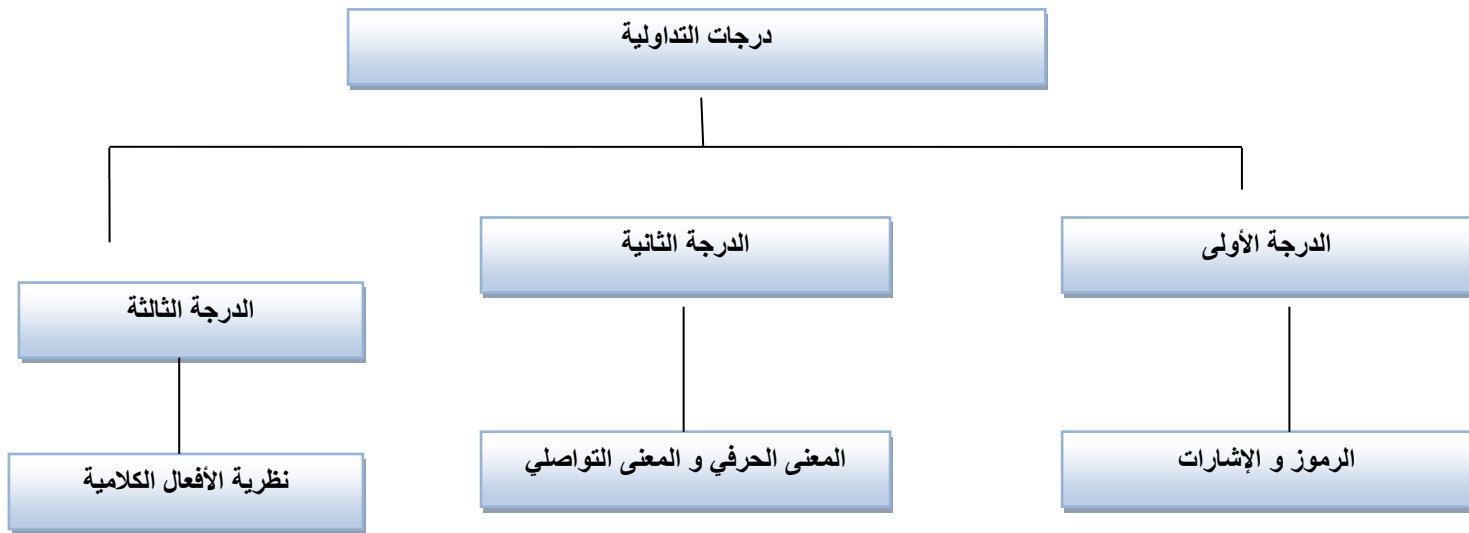
¹ - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص64

² - ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص38

³ - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية في محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص66

الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

وخلاصة ذلك أنّ التداولية مرّت تاريخيا بثلاث درجات: " تهتم الدرجة الأولى بدراسة المشيرات التي تربط الخطاب بسياقه، وتعني الدرجة الثانية بدراسة العلاقات الرابطة بين الملفوظ ومقتضاه أي بين الكلام والقصد منه بالاعتماد على سياق التلفظ، وتعني الدرجة الثالثة بدراسة أفعال الكلام وبمفهوم الإنجازية"¹ والمخطط التالي يلخص هذا التوضيح:



¹ - خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013، ص105

3- الظواهر اللغوية للتداولية:

يقوم الدرس التداولي على عدّة أسس وهي أيضا ظواهر تداولية كلها متضمنات القول تتطرق إلى دراسة ظواهر اللغة من جوانب مختلفة يضبطها السياق، المتكلم والمخاطب، ومن هذه ظواهر التداولية:

3-1- الافتراض المسبق : *présupposition* :

يُقصد به الإضممارات التداولية في عملية التواصل، ويفهم الافتراض المسبق من خلال سياق الكلام والقرائن السياقية التي تعبّر عنه الجمل والتراكيب، وهي خلفية معرفية يشترك فيها المتكلمون بشكل تواصل، ف " في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم. تشكّل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة"¹. يحدث بين الباحث والمتلقي تواصل انطلاقا من افتراضات خلفية تثبت نجاح العملية التواصلية، وللافتراض المسبق أهمية قصوى وضرورة أساسية لنجاح عملية التواصل، حيث يحدّد على أساس معطيات لغوية، مولّدة عن السياق الكلامي، وهو " الذي يُمكن تعريفه بالمعلومات التي إن لم يفصح عنها المتكلم، فإنّها وبطريقة آلية واردة ومدرجة في القول الذي يتضمنها أصلا، بغض النظر عن خصوصيته في إطار الحديث الذي يتجلى فيه"². وبهذا المعنى يشكّل الافتراض المسبق خلفية تواصلية ضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل من خلال السياق.

فإذا خاطب أحدنا الآخر قائلا: - "ابتعد عن التدخين". هذا الفعل الكلامي يحمل خلفية وهي افتراض مسبق فحواها أنّ الشخص يُدمن مسبقا على التدخين، فيتحوّل القول إلى نهى للإقلاع عن التدخين، وفي هذا الصّدّد " يعوّل التداوليون كثيرا على الافتراضات المسبقة كونها تمثل المفتاح الرئيس لعملية التواصل المعرفي بين الناس، فالتداولية تؤمن بأنّ توجيه المتكلم لأفكاره ورميها صوب السامع قائم على إيمان المتكلم بامتلاك السامع معلومات تؤهله

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 31

² - عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، ص 82

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقاتها بالعلوم

لفهم قصدية المتكلم، ولا ينجح الحوار إذا ما كانت قنوات المعرفة موصدة بوجه السامع¹، لأنّ الافتراض المسبق هو مفتاح عملية التواصل الاجتماعي والنفسي المعرفي بين المتخاطبين، ممّا يجعل المتكلم يوجّه أفكاره إلى المتلقي، وهذا الأخير مؤمن بقوى الباث التي تبعث فيه فهم قصد المتكلم.

ولتوضيح ذلك، نسوق حواراً جرى بين مزارعين:

عيسى: كم نوعاً من المحاصيل زرعت هذه السنة؟

عبدالله: محصولين.

عيسى: ما هما؟

عبدالله: المحصول الأول قمحاً والآخر شعيراً.

يفهم من السياق والافتراض المسبق أنّهما شريكان في الفلاحة وكلّ واحد منهما يدرك مسبقاً أهمية المحصولين، وهذا الانسجام في الزراعة سهّل من عملية التواصل الكلامي بين الشريكين وأعطى ضرورة للافتراض المسبق.

ومن أمثلة الافتراض المسبق أيضاً:

- "شرح الأستاذ الدرس". يُفترض مسبقاً ثمة أستاذ ودرس يشرح ويوضّح، وتلقّي علم يبيّنه الأستاذ، هذا العلم يتلقاه التلميذ في تواصل مع أستاذه يسعيان لإنجاح الفعل الكلامي وتحقيق الفعل الإنجازي وهو نجاح التلميذ.

وإذا حدث العكس في هذه الأمثلة فإنّ الخلفية التواصلية لا تتحقّق بين الشريكين، ويحدث تواصل سيء، "أمّا مظاهر سوء التفاهم المنضوية تحت اسم التواصل السيء، فلها سبب أصلي مشترك هو ضعف أساس الافتراضات المسبقة الضرورية لنجاح كل تواصل

¹ - بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص 89

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

كلامي"¹. فحُسن التواصل يكمن في كيفية الإفهام انطلاقاً من الأفعال الكلامية التي تعبّر عن الحدث بقوة لأنّه ثمة تناغم بين المتخاطبين وتتمّ هذه العملية في غضون تبادل المعلومات والخبرات فيحدث الافتراض المسبق.

في هذا الصدد نجد الافتراضات الخلفية ناتجة عن العرف الاجتماعي حيث "تشكّل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي ضمن السياقات التركيبية العامة، ويتّسع مفهوم الافتراض السابق ليشمل المعلومات العامة، وسياق الحال، والعرف الاجتماعي والعهد بين المتخاطبين، وما يفترضه الخطاب من مسلمات"². إنّ المتكلم هو الذي يخلق الافتراض المسبق مراعاة لسياق الحال لا الجملة ذاتها، ف"الافتراض المسبق هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام، أي أنّ الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين، وليس في الجمل"³. ونوضّح ذلك بأنّ المعلومات المضمرة ممكن أن ترتبط باللفظ مثل: - "اكتري والد الأستاذ سيارات".

يُحتمل من خلال هذه الجملة التي أنشئت بألفاظ أنّ المتكلم له افتراضات مسبقة مضمونها أنّ الأستاذ له والد على قيد الحياة، ومن الممكن أن يمتلك المتكلم افتراضات مسبقة أخرى: اكتري الوالد سيارتين أو ثلاث سيارات، وأنّه ثري، وقد تكون هذه الافتراضات الصادرة عن المتكلم صادقة أو كاذبة، لأنّ الافتراض المسبق يعتمد على المتكلم، ويمكن أن يكون الافتراض المسبق واقعي صحيح وغير واقعي، مناقض للحقائق، والافتراض المسبق نوعان:

- الافتراض المسبق الواقعي: هو الافتراض الذي نفترض صحته، كقولنا:

- " يدرك المجتمع أنّ العمليات الإجرامية استفحلت في المجتمع الجزائري".

¹- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص32

²- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية "التداولية"، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص86

³- جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتاي، ص51

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

الفعل "يدرك" يثبت أنّ الافتراض المسبق هذا صحيح وواقعي وهذه الصيغة في حدّ ذاتها افتراض مسبق كامن وكائن، وجد المعنى فيها في سياق يتناوله المتكلمون، و"سنعتبر هذه الصيغ اللغوية على أنّها مؤشرات لافتراضات مسبقة كامنة، والتي يمكنها أن تصبح افتراضات مسبقة واقعية فقط عند وجودها في سياقات مع المتكلمين"¹. وواقعية الافتراض المسبق تكون واقعية حينما يستند إلى الدلالات الضمنية التي يستند عليها سياق الكلام.

- الافتراض المسبق غير الواقعي: هو الافتراض الذي نفترض عدم صحته، كقول أحدنا:

- "وددت تحقيق أمنيّاتي".

إنّ الفعل "وددت" يحمل افتراضا مسبقا مخالفا للواقع، لا يملك وجودية ولا حقيقة فهو تركيب يبيّن أنّ الخبر غير صحيح حين التّحدث، وهذا الذي يجعلنا نستنتج توقعات تحدث مشكلا ذاتيا حيث "يشكّل وجود الافتراض المسبق غير الواقعي جزءا من مشكلة مثيرة في تحليل الأقوال ذات البنى المعقدة، وتعرف بمشكلة الإسقاط"². من هذا القول نجد أنّه للافتراض المسبق وظيفة هي تناسق الخطاب بشكل لا يحمل تداخلا، حيث يضمن التماسك العضوي للخطاب، وأنّ نجاح التواصل يكمن في فهم المعطيات اللغوية، وقدرة المتلقي على الاستنتاج والتأويل المرتبط باللفظ والسياق.

3-2- الأقوال المضمرة contained sayings :

هي مجموعة من المعلومات التي يحتويها الخطاب تتأرجح بين التّحقق في الواقع من عدمه وفق السياق المعطى، متعلقة بوضعية الخطاب و"هي النمط الثاني من متضمنات القول، وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه، على عكس الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية"³. فالأقوال المضمرة وليدة ملابسات الخطاب الذي يحدّد

¹ - جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتّابي، ص54

² - المرجع نفسه، ص57

³ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص32

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

انطلاقا من الخطاب ومقامه، حيث يجري تأويل السؤال الذي يطرحه المتلفظ وعلاقته بالشئ الذي يقوله في السياق المحدد، وليس في السياق ذاته.

إنّ التّعاون في تداول الكلام بين المتكلم والمستمع يؤدي حتما إلى التواصل بينهما، يحدث الأوّل في الثاني تأثيرا بلغة بيّنة، فينتج عن هذا التفاعل تحقيق الفعل الإنجازي من خلال تأويل الكلام وتلقيه بوسائل لفظية أو إشارية، ومثال هذا المحتوى الحوار البسيط التالي:

. أحمد: ناولني قلما

. خالد: خذ واحدا.

المتكلم صرّح للمخاطب أنّه يريد قلما فقد نسي القلم في البيت أو في السيارة، لكنّه لمّح للمستمع عرضيا بذلك، وهنا يتضح أنّه قد نجح في إيصال فحوى الجملة تصرّحا وتلميحا، أي مباشرة وغير مباشرة وتمكّن من أخذ القلم، وهذا التّفاهم هو استعمال المتكلمين أشكال التعبير وفق مبادئ ذكرها "غرايس".

تهتم التداولية باللغة وكيفية استعمالها في الخطاب الذي يتضمن أفعالا كلامية ومقاصد وإشارات ذات دلالات لتحقيق غايات معينة، فإذا " كان الخطاب تركيبا لغويا له قوانينه وضوابطه يصدر من متكلم وموجّه للمتلقى لترسم عملية الإبلاغ التي تحقق التّخاطب والتواصل سواء بالتّصريح أو التّلميح ؛ فالخطاب يشتمل على ألفاظ وجمل إيحائية لتحقيق التواصل تصرّحا أو تلميحا، وهذا الأخير نقصد به الإضمار أو التضمين لتوضيح التركيب المضمّر وفق قواعد تنظم الخطاب الذي يعدّ "محادثّة ذات طبيعة رسمية، أو المصطلح الرسمي المنظم للأفكار سواء أكان مكتوبا أم مقروءا"¹. نلاحظ من خلال هذا القول أنّ ثمة استلزام حوارى الذي يعتبر حلقة وصل بين المعنى الحرفي الصريح والمعنى المتضمن في القول تربطهما الجملة التي تستلزم أنّ المتكلم هو الذي يفترض معنى

¹ - عصام خلف كامل: مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، درا فرحة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

مقصودا، فهذا الأخير يعرف مسبقا معلومة مشتركة بينه وبين المتلقي، فيستلزم سبقا للتواصل من خلال القول الفعلي.

3-3- الاستلزام الحواري: (conversational implicature):

يعود الفضل للفيلسوف الإنجليزي من مدرسة أكسفورد في اهتمامه بالفلسفة التحليلية، فهو واضع نظرية أحكام المحادثة ومنجز مفاهيم كالاقتراضات المسبقة والأقوال المضمرة وواضع مفهوم الاستلزام الحواري إذ " يدور أشهر مقالات غرايس وهو المقال المشهور سنة 1975م، على ما يسميه صاحبه (منطق المحادثة). ويسجل هذا المقال تطورا في مفهوم الدلالة غير الطبيعية ويصوغ مقاربة لإنتاج الجمل وتأويلها غير تواضعية حصرا. وقد أدخل فيه "غرايس" مفهومين مهمين هما: الاستلزام الحواري، ومبدأ التعاون¹". بمعنى أن "غرايس" ركز على مبدأ التعاون الذي اعتبره ركيزة مهمة في قيام الحوار، حيث يرى هذا الفيلسوف أن التراكيب اللغوية هي ألفاظ منسجمة مع بعضها في إسناد معين وفي مقامات وتدل على معنيين، أولهما خفي والثاني استلزامي، وتعني أيضا النظرية المحادثية والتي مبتغاها التواصل الكلامي، ومثال ذلك هذه المحادثة :

- قال مدرب كرة القدم: اللاعب جمال مؤهل للعب كمهاجم.

- قال مساعده: إن قامته المتوسطة وارتماؤه على الكرة تجعل منه أفضل حارس مرمى.

يرى "غرايس" أن إجابة مساعد المدرب تحمل دلالتين؛ الأولى لها دلالة حرفية أنه يصلح لحراسة المرمى، والثانية تحمل معنى استلزاميا أن اللاعب " فريد " لا يمكنه أن يلعب في الهجوم.

بهذا ابتكر "غرايس" مبدأ تعاونيا يرتكز على أربعة أسس: مبدأ الكم، ومبدأ الكيف، ومبدأ المناسبة لأن السياق يتكوّن من تراكيب لها معاني قضوية مباشرة وحرفية، لكنّها يمكن أن تخرج إلى إحياءات سياقية إنجازية، وهذا الذي سمّاه "غرايس" بالاستلزام الحواري.

¹ - آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص54

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

يُعدّ السياق الكلامي القوّة الفاعلة في الاستلزام الحواري ويحمل دلالات ضمنية وصريحة، فنجد أنماط أفعاله فيما استنتجه "أوستين" في أفعال متماسكة وهي: الفعل التلفظي والفعل القضوي والفعل الإنجازي والفعل التأثيري؛ قد تكون معاني هذه الأفعال صريحة تحمل معاني قضوية ذات قوة إنجازية حرفية، وفيه يكمن التصريح المباشر، أمّا المعاني الضمنية فتتوقّف على الإحالة أي الاقتضاء والاستلزام الحواري فـ "الاستلزام الحواري يتعلّق بالدلالات الضمنية التي يستلزمها السياق الكلامي، ومن ثمّ يرتبط الاستلزام الحواري بنظرية الأفعال كما هي عند "أوستين" و"سورل"، أي ينتقل الكلام من نطاق حرفي وقضوي مباشر إلى معنى حواري استلزامي غير مباشر، ويتحكّم فيه المقام أو السياق التداولي"¹. إنّ الاستلزام الحواري هو حلقة الوصل بين المعنى الحرفي الصريح والمعنى المتضمن، فقد حاول الفيلسوف "بول غرايس" التمييز بين ما يقوله المتكلم وما يقصده في السياق، لأنّ الجملة قد تحمل عدّة معاني يتم التوصل من خلالها، على أنّ الألفاظ تحمل معنى حرفياً، أي قيمة لفظية ممّا يقوله المتكلم، لكن ما يقصده ويفهمه المخاطب بصورة غير مباشرة إذا تمكّن من توظيف معطيات خارجية لها علاقة بالسياق، التي تعتمد على فهم قصد المتكلم في ضوء السياق، لا على القول، لأنّ الجملة يستنتج فهمها من قبل المخاطب إذا فهم قصد المتكلم فـ "الاستلزام الحواري حلقة وصل بين المعنى الحرفي الصريح والمعنى المتضمن في شكل الجملة، ويعدّ من أهم جوانب البحث التداولي الذي يعول عليه السياق في معرفة المعنى"². في هذا الجانب يعتمد الاستلزام الحواري على لزومية التواصل بين المتحاورين ليحدث التفاعل بينهم شرط فهم المخاطب قصد المتكلم، وإذا لم يحصل هذا القصد فلا تواصل حيث "يشدّد غرايس" في التواصل اللغوي على نوايا القائل وعلى فهم المخاطب لهذه النوايا"³. بمعنى أنّ المتحاورين يبدیان معاني ويقصدان مضمونها في مقامات ومقاصد تُستقى من السياق تبين المعنى الضمني والمعنى المقصود، وعلى هذين الركيزتين اقترح "غرايس" نمطا معينا يبيّن فيه الحمولة اللغوية للمعاني الصريحة والمعاني الضمنية كالتالي:

¹ - جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، (دت)، (دط)، ص 39

² - محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، ص 89

³ - آن روبول، وباك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص 53

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

"أ- فالمعاني الصريحة: هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها وتشمل ما يلي:

- المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها على بعض في علاقة إسناد.

- القوة الإنجازية الحرفية : وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما: كالاستفهام، والأمر، والنهي، والتوكيد، والنداء، والإثبات، والنفي.

ب- المعاني الضمنية: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها وتشمل ما يلي:

أ معاني عرفية: وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين مثل معنى الاقتضاء.

ب- معاني حوارية: وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تتجز فيها الجملة مثل الدلالة الإستلزامية¹. تتمثل فكرة "غرايس" في مساهمة المتكلمين في توصيل المعطيات إلى المستمعين خطابيا بالاستعانة بمبدأ عام وهو مبدأ التعاون، والمتكلم هو الذي يحوز إدارة الكلام وتواصله، ويرى غرايس " أن تجعل مساهمتك في المحادثة كما هو مرجو منك من حيث اختيار التوقيت المناسب وأن تكون المساهمة متماشية مع الهدف والتوجه المسلم بهما للتبادل الخطابي الذي تقع ضمنه"². ولهذا يعدّ الاستلزام الحوارى عملية تداولية تسهم في تفسير الخطاب وتبيين مدى جاهزية قدرة المتكلم على إصدار أفعال إنجازية محددة كقولنا: "لا تكن صلبا فتكسر ولا لينّا فتعصر".

" لا تكن" فعل إنجازي حرفي إلا أنّه يخرج إلى النّهي قصد النّصح والتّوجيه للاعتدال والوسطية، ولهذا نجد "بول غرايس" يبحث للإجابة عن السؤال " كيف يقول المتكلم شيئا

¹- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص، ص34-35

²- ج.ب. براون، و ج. يول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطي، ومنير التركي، دار النشرالعلمي والمطابع، الرياض السعودية، 1997، ص40

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

ويعني شيئاً آخر؟ وكيف للمخاطب أن يسمع ويفهم شيئاً آخر¹. لقد ورد المثال السابق في سياق تلفظي بين المرسل والمرسل إليه يتضمن معلومات تبين قصد المرسل في اقتضاء معين لإصدار إنجاز محدد، تعود إلى معرفة مقصدية المتكلم ومدى إدراك المتلقي لكلامه في حدود قواعد المحادثة كتحقيق مبدأ التعاون.

يتّضح أنّ الجمل هي التي تحمل مضمون الكلام الذي يصدره المتكلم، ولهذا فـ "الاستلزام فهو شيء ينبع منطقياً مما قيل في الكلام، أي أن الجمل هي التي تحوي الاستلزام، وليس المتكلمون"². هذه المبادئ تستوجب على المتكلمين احترام بعضهما لتحصيل منفعة طبقاً لمقاصد المتكلم فتنتج قوة خطابية تواصلية بين المتكلم والمتلقي، لأنّ التداولية " تهتم بظروف الكلام ومقام الحال وكل ما له صلة بالكلام من عوامل خارجية، أو تناسب حال من الأحوال، أو تنافره للحدث الكلامي وتهتم بالسياقات اللغوية للمتكلمين حسب الواقع اللغوي، فتبحث في الكيفية الخطابية، وتستنتج مقاصد المخاطب فهي إذن دراسة اللغة في الاستعمال"³. فالتداولية تدرس اللغة من حيث وحداتها اللغوية والتغيرات التي يحدثها الأفراد في التخاطب بينهم، وتدرس القدرات الإنسانية للتواصل البشري، وهذا هو الاستعمال اللغوي، لأن الكلام مظهر من مظاهر تحقق اللغة.

3-4- نظرية الملاءمة: (compatibility theory):

برزت هذه النظرية للوجود بأفكار تداولية ضمن اللسانيات، إنها نظرية تفسر الملفوظات وظواهرها البنيوية وتشرح المدركات؛ فهي متخصصة في معالجة الظواهر اللغوية، إذ تؤوّل المقصود من ملفوظ معين معتمدة على الجانب الصوتي والتركيبى والدلالي، مستندة إلى مرجعية علم النفس المعرفي، إذ " تعدّ نظرية الملاءمة نظرية تداولية معرفية، أرسى معالمها كل من اللساني البريطاني دريدنر ولس والفرنسي دان سبربر"⁴. حيث تبحث نظرية الملاءمة في تفسير معطيات خارج النص وفق قول ومقام مناسبين، لأنّها

¹ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص13

² - جورج يول، التداولية، ص51

³ - طالب لبراهيمي خولة، مبادئ اللسانيات، دار القصة، الجزائر، ط1، 2000، ص185

⁴ - مسعود صحراوي، التداولية عند العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني، العربي، ص36

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

مقترنة بالخطاب الحوارى، فهي نظرية "الاعتدال في القول والتوسط مراعاة لمقام القول ومستوى المتلقي وهي نظرية عربية أصيلة، وتعد أصل البلاغة، وعبر عنها البلاغيون بقولهم (كل مقام مقال)¹. فالملاءمة أساس ارتكازي لعملية التواصل، عناصرها المتكلم والمتلقي والسياق؛ يستعمل المتكلم مثيراً مناسباً وواضحاً ليبلغ المتلقي استدلالياً كلاماً مفترضاً، ويستدل بمؤشرات تُعين على الفهم ويبيد الوضوح الافتراضي للمخاطب بأقوال متتابعة تصور السياق تصويراً يساعد عملية الفهم على الوضوح وتتوالى الأقاويل تباعاً فيتحقق التلاؤم بين المتخاطبين وتحدث ملاءمة وتواصل.

3-5- مبدأ التعاون : (principle of cooperation):

لقد وضع غرايس مبدأ حوارياً للاستلزام الحوارى سماه "مبدأ التعاون" الذي قال فيه: "هو مجموع القواعد التي يخضع لها المتحاورون ليتحقق التواصل بينهم وليصلوا إلى فائدة مشتركة تتطور بقدر ما يساهم كل طرف مساهمة فعالة في الحوار وبما يراه مناسباً لمقام القول، ويعد أساس عملية الخطاب؛ لأنه يربط بين أطراف الحوار كي يتحقق التفاهم بينهم بطريقة منطقية، وهو مبدأ اجتماعي يتحكم في العلاقات الاجتماعية للمتكلمين من خلال الاستعمال الحرفي للغة، والأخلاقي لما يستتبعه من مبادئ أدب الحوار بين المتحاورين،². فينبغي على المتكلمين التزام قواعد التّحاور لتحقيق فائدة من الكلام ترضي الطرفين، فيحدث بينهما تعاون وتفاهم بلغة بسيطة تناسب العرف الاجتماعى والأخلاقي والثقافي.

يتحقق هذا المبدأ انطلاقاً من تفهم المتكلم للمخاطب وحسن الظن ببعضهما وانسجام التخاطب بينهما، الذي يجعل التعاون آلية من آليات النص الأدبي التي يستمد منه انسجامه تحقيقاً للتواصل مع القارئ، لأنّ الباث يوجّه خطابه على أساس عقد "ميثاق أدبي" إلى متلقي أو قارئ افتراضي يتشارك في قاسم معرفي مشترك وبخلفيات متعددة وافتراضات مسبقة مهيأة للمتلقي لإنجاح العملية التواصلية، وهذا التعاون لا يتمّ إلا بتوفر جوّ التعاون

¹ - محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص 83.

² - محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، بيروت، لبنان، ص 99

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

التواصلي. ولتقريب الفجوة الحاصلة بين المتكلمين أي بين الملقى والمتلقى، وضع "غرايس" أربعة مبادئ عدّها شروطاً ضرورية هي بمثابة أسس تسهم في تواصل الخطاب، يتحتمّ عليهما الالتزام بها أثناء التخاطب لتحقيق مبدأ التعاون الذي عدّ ركيزة أساسية تقوم عليها التداولية بأسس حوارية تالية:

أ- مبدأ الكم: اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من الإخبار أولاً، وأن لا تزيد على إسهامك أو تنقص منه شيئاً، أي:

- اجعل مساهمتك إخبارية بقدر ما يتطلب الأمر (لأغراض التبادل الآنية).

- لا تجعل مساهمتك إخبارية بقدر يفوق.

اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه، فيقول المتكلم ما هو ضروري بالقدر الذي يضمن تحقيق الغرض، ف"قدّم القدر المطلوب من المعلومات، لا أكثر ولا أقل"¹، حيث يشترط فيها أن يكون المتكلم مكتفياً بمقدار المعلومات المقدمة.

ب- مبدأ الكيف: لا تقل ما تعتقد أنّه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه، فالمحاور لا ينجح في حوار به يراه كذباً أو غير إقناعي، وبما لا يستطيع البرهنة عليه لأنّه يضعف حجّته، ف" كن صادقاً لاتقدّم معلومات خاطئة، أو معلومات لا تستطيع أن تبرهن على صدقها"². ففي مبدأ الكيف يقول المتكلم قولاً للمخاطب حتى يصدقه ويصدق الفعل الذي تكلم به وهو فعل القول الذي يتعلق بالجانب التبليغي في الخطاب.

ج- مبدأ المناسبة: وهي أن يكون كلام المتكلم له علاقة بالموضوع ومناسب له، ف" اجعل كلامك مناسباً الموضوع، فيجب أن يكون الكلام مناسباً سياق الحال وهو السياق البراجماتي، فيجب أن تكون المشاركة في موضوع الحوار مناسبة ومفيدة. ويرى البراجماتيون

¹ - بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة،

مصر، ط 1، 2001، ص 40

² - المرجع نفسه، ص 40

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

اللسانيون "أنّ هذه المبادئ أساس نجاح كل أنماط الخطاب، ومنها المحادثة التي تتفاعل فيها الأطراف التخاطبية"¹. وكذلك " لتكن معلوماتك ومساهماتك ملائمة للحوار، فلا تخرج عن الموضوع"²، وهي أن يكون كلامك مناسباً للمقام الذي قيل فيه، أي مناسباً لمقام الحال، ومناسب المقام للمقال.

د- مبدأ الطريقة: يعتمد هذا المبدأ على الوضوح وتجنب الغموض والإبهام، ف"كن واضحاً ومحدّداً، فتجنب الغموض واللبس وأوجز ورتّب"³. فكن واضحاً ومحدّداً تحديد الموضوع وإيضاحه وإبرازه، لأنّه ضرورة لتحقيق مبدأ الاستلزام الحواري، لذا يجب في الحوار تجنّب الإبهام واللبس والاضطراب في الترتيب والخلل المنطقي، وأن يكون واضحاً ومنظماً، ومتجنباً للغموض، مخاطباً الناس على قدر عقولهم وتخصصاتهم وخلفياتهم المعرفية، فيتحقّق التفاهم إذا تحقّق التأثير، أي إذا تمكن المتكلم الإحاطة بظروف المخاطب والسياق بلغة واضحة مراعيًا الجوانب النفسية والاجتماعية مقدراً الجانب الثقافي للطرف الآخر تلفظاً وإيحاءاً وهو " أن يراعي المخاطب في كل ما يأتي ويدع لغويا ونفسيا واجتماعيا وثقافيا؛ بل إنّه يسخر في ذلك ما يعين في التبليغ بالإشارة والملاح...ليجد المخاطب نفسه متعاوناً متمثلاً في الإصغاء ومحاولة الفهم"⁴. إنّ هذه المبادئ التي وضعها "غرايس" هي أولويات التعامل الطبيعي بين المتخاطبين، وهي مبادئ ترسّخ مبدأ التعاون في أذهان المتكلمين وتحديد أفكارهم التي تسهم في عملية التواصل بشكل طبيعي ويكون ذا فائدة.

¹ - محمود عكاشة، النظرية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص، ص91، 92

² - بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، ص40

³ - محمود أحمد نحلة، ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعارف الجامعية، ط2006، ص34

⁴ - نوري سعود أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط1، 2009،

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

وعند تحليل نص ما نحتاج إلى نشاط تعاوني بدءاً من مقاصد المتكلم أو الكاتب مع توفّر قرائن مساعدة القارئ لإدراك النص الموجّه له، كي يتمكن من استخلاص هذا النشاط التعاوني واستنتاج ما يشير إليه النص، وما يحدثه فيه من تأثير وهذا الذي يدعى "التعاون التأويلي" وهو تعاون ضروري يحدث بين الكاتب والقارئ لتحقيق التواصل الأدبي، وإنّ قرائن النص والإستراتيجية الخطابية هي التي توجّه النص ليؤوّل ويفهم ويُحدّث أثراً تداولياً بالتعاون مع المتلقي أو الكاتب الذي لا يبخل بأي جهد لفهم النص وتأويله، وهذا الجهد هو وسيلة من الوسائل التي توطّد علاقة التواصل بين الباث والمتلقي، إنّه التعاون الملائم للشعور بلذة إرسال النص واستقباله معاً، لأنّ التداولية تختص بتحليل الأفعال الكلامية وتأدية الوظائف اللغوية.

يُشكّل مبدأ التعاون قاعدة أساسية في النشاط الكلامي، إذ يتبادل المتخاطبان أدوار التواصل بينهما في تناوب ويتعاونان في حوارهما لتحقيق المطالب المرجوة من كلّ السياقات التي يوظّفانها، فالضوابط اللغوية لا تكفي وحدها في عملية الحوار، بل ترتقي إلى معطيات تستنبط من ضمن الكلام تثبّت في المتكلم قوّة في اصطفاء لغة ملائمة للسياق بغية إفهام المتلقي مقاصد وتمكّنه من إقناع المتلقي وجعله يدرك معنى الحوار. فعلى المتكلم " أن يراعي المخاطب في كل ما يأتي ويدّعي لغويا ونفسيا واجتماعيا وثقافيا؛ بل إنّه يسخر في ذلك ما يُعين في التبليغ بالإشارة والملاحم ليجد من المخاطب نفسه متعاوناً متمثلاً في الإصغاء ومحاولة الفهم"¹. هذه المبادئ تحقق التعاون بين المتكلمين للوصول إلى حوار ناجح، وتوضيح ذلك هذا الحوار البسيط الذي دار بين الوالد وابنه:

- الوالد: هل أنجزت واجباتك اليوم؟

- الابن: أنجزتها وهي في الدفتر.

¹ - نوراي مسعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، ص30

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

يبدو أنّ مبدأ التعاون تحقّق في هذا الحوار، لأنّ الابن أجاب إجابة واضحة، وكانت الإجابة صادقة وهو الكيف، واستعمل قدراً مطلوباً من الكلمات وهو الكم، وأجاب إجابة ملائمة لسؤال والده وهو المناسبة، فتحقّق القصد ولم يكن ثمة استلزام حوارى.

ولتبسيط المبدأ التعاوني يجدر بنا توضيح هذه المبادئ الثانوية:

أ- أعتقد أن ابن صديقي حصل على شهادة البكالوريا.

ب- ظننت أنني أبصرت اسمه في القائمة.

ج- لكنني غير متأكد من نجاحه.

د- لم يستطع النجاح حسب ظني.

إنّ هذه التعابير التي نستعملها قد تكون دقيقة أو تفتقد إلى الدقة، ومبدأ النوع هو الذي يوضح طبيعة التعابير التي تهتمّ بالدقة في الكلام، فسياقات التخاطب في هذه الأمثلة تتضمن معطيات لا تحمل الدقة في نوع الخطاب في (أ، ب، ج). وإنّ المتكلم مدرك للمبدأ الثانوي "الكم" في التحذير من مغبة عدم النجاح، إنّه يسهم بالقدر الذي يقتضي التواصل، ولا يعطيها درجة قصوى في الإخبار ويكتفي بالمطلوب، لوجود مؤشرات ليست لها صلة بالمحادثة بين المتكلمين مثل (أعتقد ظننت، غير متأكد، حسب ظني)، هذه التعابير احتمالية لا تفي باليقين الذي ينقل الحقيقة بصدق، ولم يتصف بالنزاهة، التوقعات الواردة في الأمثلة بين المتكلمين تبين حال الحادث، إذ يريدون إظهار محمولات والوصول إلى شراكة في المحادثة.

والذي يهمنّا من هذه النظرية الغرايسية أنّها تمكّنت من إحداث تعاون رباعي غرايسي، لأنّ المتكلم يبث مثيرات لغوية لإبلاغ المتكلم ما يفترض من كلام، أمّا الطرف المقابل يتلقى الأخبار من خلال تأويل ما يقصده المتكلم، وهذا كلّ ضمن سياق يتبنى التلاؤم بينهما بحكم أنّ الأقوال لا تتحقّق إلا بعد الفهم وهذا ما تهدف إليه التداولية.

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

ولاحظنا أنّ نظرية الأفعال الكلامية تعتمد على مبدأ التعاون الذي يُعتبر عند "غرايس" الدّعمة الأساسية للتواصل الكلامي، حيث يتناوب المتخاطبان في تداول الكلام، وينعدم التخاطب بينهما كلما فقد هذا المبدأ، كما يتّسم بمرجعية اجتماعية وأخلاقية تساعد على تبادل الكلام والتفاهم بينهما لطغيان المصالح الذاتية أثناء الخطاب ف" إذا كان للشخصين فائدة في ممارستهما للكلام فإنّ كل طرف منهما سيجني ثمار ذلك إذا تحقق التبادل، وعكس ذلك مآله الفشل"¹. إذا تحقّق التواصل بين المتخاطبين وحدث الفهم والإفهام تمّ إنجاز الفعل وتجسّد مبدأ التعاون، وإذا اختل أحد المبادئ كان مصير الخطاب الفشل والإخفاق، لذا يعدّ مبدأ التعاون ركيزة أساسية في الحوار والتخاطب، فيرى غرايس " أن المتخاطبين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون مبدأ التعاون، فالمشاركون يتوقعون أن يساهم كلّ واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتيسير تأويل أقواله"²، أمّا إذا تمّ انتهاك مبادئ الحوار، فهذا يستدعي الاستلزام " فإذا انتهك المتكلم مبدأ من مبادئ الحوار أدرك المخاطب اليقظ ذلك، وسعى الوصول إلى هدف المتكلم من هذا الانتهاك"³. فالتعاون بين الباث والمتلقي ضرورة ملحة للفهم والإفهام، فالأفعال الكلامية تحفّزهما إلى إبداء المعلومات الصحيحة، وإن حدث تحايل أو إيهام فهذا انتهاك للتعاون بينهما.

ولتجسيد ذلك نذكر هذا الحوار الذي جرى بين المزارع والعامل:

المزارع: هل سقيت الحقل ونزعت الأعشاب الضارة من حوله؟

العامل: نعم، سقيت الحقل. فالمزارع سأل عن شيئين ، لكنّ العامل أجاب عن شيء واحد، وسكت عن الثاني ممّا طُلب منه، وهذا يستلزم أنّ المزارع فهم أنّ العامل لم ينزع الأعشاب الضارة ، وبهذا تمّ اختراق مبدأ التعاون بمبدأ الكم، والمخطط التالي يلخص هذا التوضيح:

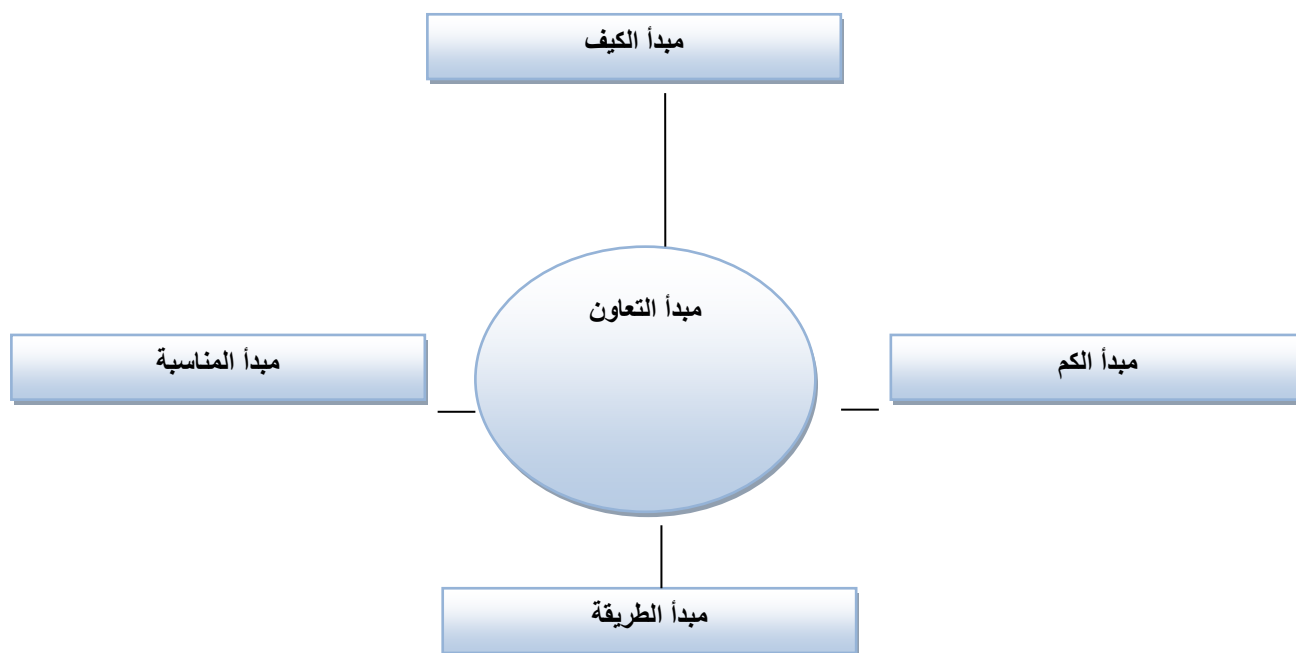
¹ - عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، 2003، الجزائر

العاصمة، ص102

² - آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد، ص55

³ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 36

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم



3-6- مبدأ القصدية: (intentionality theory) :

عنيت التداولية بالمتكلم الذي يمثل تفوقا تداوليا لامتلاكه قوة في توجيه الخطاب تجاه المتلقي، وهي قاسم مشترك بينهما، لأنّ المميز الأساسي بين الإنسان وغيره هي القصدية، فـ "القصدية مبدأ أخذهُ أوستين من الفيلسوف "هوسرل" مقولة "القصدية" بالخصوص في الربط بين التراكيب اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد للظاهرة اللغوية¹. إنّ المتكلم سواء كان شاعرا أم ناثرا فإنّه يتلفّظ بتراكيب ذات مقاصد، يعبر بها عن أفكاره ومقاصده كحبّ الخير ونبذ الشرّ أو الإعجاب، لكن على المتلقي فهم مدلول قصد الباث وفق الحالة النفسية والاجتماعية.

إنّ المتكلم المبدع يعبر بتعابير مختلفة مباشرة يمكن إدراكها شكلا، أمّا إذا كانت التعابير غير مباشرة تتضح بالتضمنين أو التلميح، وتتضمن هذه التعابير علامات أو رموز ذات دلالات مقصدية تظهر في فهم المتلقي مضمون مقصدية المتكلم وتأويله بشكل سليم من خلال النص حيث " تعد المقصدية أحد المقومات الأساسية للنص، باعتبار أنّ لكل منتج خطاب غاية يسعى إلى بلوغها، أو نيّة يريد تجسيدها، ويستمدّ مفهوم القصد شرعية وجوده في الدراسات اللسانية، قديمها وحديثها من أنّ كل فعل كلامي يفترض فيه وجود للتوصيل والإبلاغ"². المقصدية أساس اللغة، لأنّ أصل الكلام هو القصد الذي يتطلب تشاركية المرسل والمتلقي للتبليغ والتواصل.

للقصدية ارتباط وثيق بالمتكلم وما يضمّره من ملفوظات مضمرة أو ملفوظات صريحة ترتبط بالمتكلم الذي يساعد في تأويل هذه الملفوظات وفق منهجية محددة، فـ " من الناحية المنهجية يلعب القصد دورا محوريا في تأويل الملفوظات والنصوص، باعتبارها صادرة من شخص قد لا يصرح عن مقاصد إلا قليلا، وعلى المحلّ في هذا المجال أن يبحث عن هذه

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، ص10

² - محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص96

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

المقاصد في كل شبر من ملفوظات المتكلم من جهة، وفي مختلف الظروف التي أسهمت في صدور الملفوظات من جهة أخرى¹، ولذا فإنَّ أيَّ خطاب يتم تأويل ملفوظاته كناية لمعرفة القصد منه بعيدا عن المكونات الداخلية للملفوظات، وتتجلى فيه القصدية في الربط بين التراكيب اللغوية مع مراعاة قصد المتكلم وهدفه من الخطاب المستعمل، لضمان فهم دقيق لأبعاد التداولية عند دراسة الظاهرة اللغوية، فالدراسات اللغوية " اهتمت بدراسة المعنى التداولي وكيفية التعبير عنه بالفعل اللغوي غير المباشر، وهذا يمثل إحدى استراتيجيات الخطاب، لإفصاح المرسل عن قصده، ويتحدّد القصد من خلال السياق بعناصره الكثيرة، فهو ركيزة في الخطاب لتجسيد معنى المرسل"²، و إنّ القصد يؤثّر في النص تأثيرا بليغا لما تكون أبنية النص منسجمة وأسلوبه سليم لإعطاء النص نفاذية انطلاقا من النية الصريحة للمتكلم من جانب، وأن يكون المخاطب فاعلا إيجابيا لإنتاج دلالة القصد حيث " ترتبط بالمخاطب، أو الطرف المستمع، لا بوصفه طرفا منتجا أساسيا، بل لكونه معتبرا في العملية التواصلية؛ لأننا نتكلم، ولا ننظر إلى الآخرين باعتبارهم طرفا مستهلكا سلبيا، بل طرفا فاعلا، كما أننا إذ نفعل ذلك فإنّما نتكلم عبرهم ومن خلالهم، بغضّ النظر عن المتكلم بوصفه عملية إصدار أصوات، بل باعتباره إنتاجا للدلالة، التي وإن تخلقت في بدايتها في حضن المتكلم"³. والتعاون يقتضي مبدأ التأدب، وذلك لما يلتزم التكلم والمتلقي في تعاونهما لتحقيق الهدف الذي يقصدانه، ومن أجل تحقيق المبتغى من الخطاب بحكم وجود الجانبين التبليغي والتهديبي.

¹ - عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2013، ص 65

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 78

³ - نوري سعود أبوزيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، ص 33

يؤدّي النص رسالة محدّدة تصدر من الأديب إلى المتلقي في ظروف خاصة مرتبطة بالسياق الواردة فيه، ولا تتحدّد وحدات السياق إلا بوجود علاقة بالمحيط المتعلق بالسياق، حيث عرفت الدراسات الدلالية الوصفية تطورا فثارت في النصف الثاني من القرن العشرين على الشكلائية، وأدرك العلماء أهميّة المقام، لأنّه جانب مهمّ في البحث اللغوي والتواصلي والمعنوي لتحقيق معنى السياق الاجتماعي، لذا " فكرة المقام هذه هي المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي ينبني عنه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال"¹. هذا المعنى يجعل المقام عنصرا أساسيا مساهما في اتساق النص أو الكلام دلاليا، لأنّه لا يؤدّي وظيفته إلا إذا راعى فيه الباث الظروف المحيطة به من أعراف اجتماعية وتقاليدي ليكون هناك تفاعل بين الأعراف والسياق، ولهذا دعا علماء اللغة إلى تجاوز التحليل البنوي الداخلي للنص ليعمّ النص كلّ " ولما كانت ملائمة النص للسياق الذي يرد فيه تمثل أحد مقومات النصية، فإنّ من علماء النص من يدعو إلى ضرورة أن يتجاوز التحليل البنية الداخلية للنص ليشمل بنية السياق والعلاقات القائمة بين البنيتين"². نعني بهذا الكلام أنّ المقام عنصر مهمّ في النص، لأنّ أهميته تكمن في بنيته الداخلية وعلاقتها بالمحيط الاجتماعي حيث "أصبح اللغويون ينظرون إلى المقامية كأحد أهم العناصر التي تقوم عليها النصية، وقد ترتب عن ذلك اقتناع بأنّ دراسة النص لن تكون كافية بالوقوف فقط عند وصف بنيته النحوية أو الدلالية الداخلية، بل لا بد من دراسته على مستوى الخطاب، وهذا ما يعني الاهتمام ببنية السياق والعلاقة بينها وبين النص"³. إنّ معنى المقام يُفهم من الحدث الخارجي الذي ارتبط به الخطاب، والقارئ

¹ - حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979، ص337.

² - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص98

³ - المرجع نفسه ، ص99

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

الخارجية المناسبة للموقف الاجتماعي، إذن فالمقام هو المحيط الذي أُنتج فيه النص خارجياً وفق معطيات تداولية كالأفراد المشاركين في الحدث والزمان والمكان والظروف المحيطة به وقناة التواصل التي تعطي دلالة معينة.

ورغم توفر عامل المتكلم وعامل المخاطب فلن يتحقق التواصل إلا بتوفر عامل الخطاب وهو المقام الذي يضمن نجاح تداول الكلام، بالإضافة إلى العامل النحوي والعامل الدلالي، فالمقام يعتمد على " المعطيات التي يشترك فيها كل من المرسل والمرسل إليه حول المقام الثقافي والنفسي والخبرات والمعارف "1. المقام عنصر جوهري في تحديد قصدية المتكلم، لذا فهو يعتمد على معطيات مرتبطة بالفعل الكلامي كالجانب الثقافي والاعتقادي والاجتماعي، ويسهم المقام في توضيح الارتباطات غير الظاهرة.

3-8- السياق (context):

يُعني به الوضعية التي ينطلق منها كلّ مقصد يخصّ المكان والزمان وملامح المتكلمين وهو "الوضعية الملموسة، والتي توضع وتنطلق من خلالها مقاصد، تخص المكان، والزمان، وهياة المتكلمين،... إلخ. وكلّ ما نحن في حاجة إليه، من أجل فهم وتقويم ما يقال"2. إنّ ما يحيط بهذه الوضعية هو إدراك ما يقال وما يفهم، فلا مجال للمعنى دون سياق، لأنّ أهميته تكمن في استيعاب العلاقة التخاطبية، وهذا ما جعل (ماكس بلايك) يسمّي التداولية بالسياقية، فالكلام يُفهم تداولياً ومنه ترتبط الكلمات من الناحية البراغماتية بالمتكلم ومدى قدرته على التحكم في استعمالها داخل الخطاب وفهمها وتأويلها"3. فالسياق جوهر التداولية لأنّه يفصح عن جوانب سياقية، كالسياق الاجتماعي، والسياق النفسي، والسياق الثقافي، فالسياق التداولي يتشكّل "من جميع العوامل النفسية والاجتماعية التي تحدد

1- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 58

2- فرانسواز ارمينيكو، المقاربة التداولية، ص 6.

3- خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص 68

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

نسقيا ملاءمة الأفعال الكلامية، ومن هذه العوامل: المعرفة التي يملكها مستعملو اللغة ورغباتهم وإرادتهم ... وكذلك علاقاتهم الاجتماعية¹. إنَّ ما ورد في القول يؤكِّد أهمّية السياق في التداولية وتجاوزه الإطار اللغوي الشكلي، وإفصاح السياق عن العوامل النفسية والاجتماعية الصادرة عن المتخاطبين في مسار تداولي.

هذا ما جعل السياقية تتسم بخصائص تعدّد الوصف المناسب لموقف التواصل بين المتكلم الذي ينتج عبارة تحمل معنى، حيث يصير الفاعل الأمثل لإنجاز أفعال كلامية في سياق تواصلية وفي تركيب سياقي مناسب، وقد اعتمد "فان ديك" على مجموعة من الخصائص:

- الديناميكية المتحرّكة: رغم أنَّ السياق لفظ يؤدي معنى محدّد يحمل كلمات متوالية ومواقف ذات انطلاقة ونهاية تتغيّر مع تغير زمانه " فليس السياق مجرد حلّة لفظ، وإنّما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ، فضلا عن ذلك لا تظل المواقف متماثلة في الزمان، وإنّما تتغيّر، وعلى هذا فكلّ سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث، وقد يكون اتجاه الأحداث هذا². وإنّ إدراك معاني السّياق الفعلية للمنطوقات إنّما يتحقّق في سياق التواصل الفعلي لا غير.

- الواقعية في السياق: لكلّ سياق خصوصيات تميزه عن غيره، ويرتبط بزمان ومكان محدّدين وأدوار يؤدّيها كلّ من المتكلم والمخاطب ليعبران عن أحوال في مجرى تواصلية عن الأحداث، وقد يخرق التواصل الشيء المعتاد إلى شيء مُتخيّل حيث " يتحدّد السياق الواقعي بفترة من الزمان والمكان بحيث تتحقق النشاطات المشتركة لكل من المتكلم والمخاطب"³. وهو سياق غير لغوي، يتمثّل في الظروف المحيطة بالحدث الكلامي من مرسل والمحيط الاجتماعي والمرسل إليه، لأنّ الفعل الكلامي ليس بمعزل عن الإطار الواقعي الخارجي.

1- علي آيت أوشان، السياق النصي والشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص83

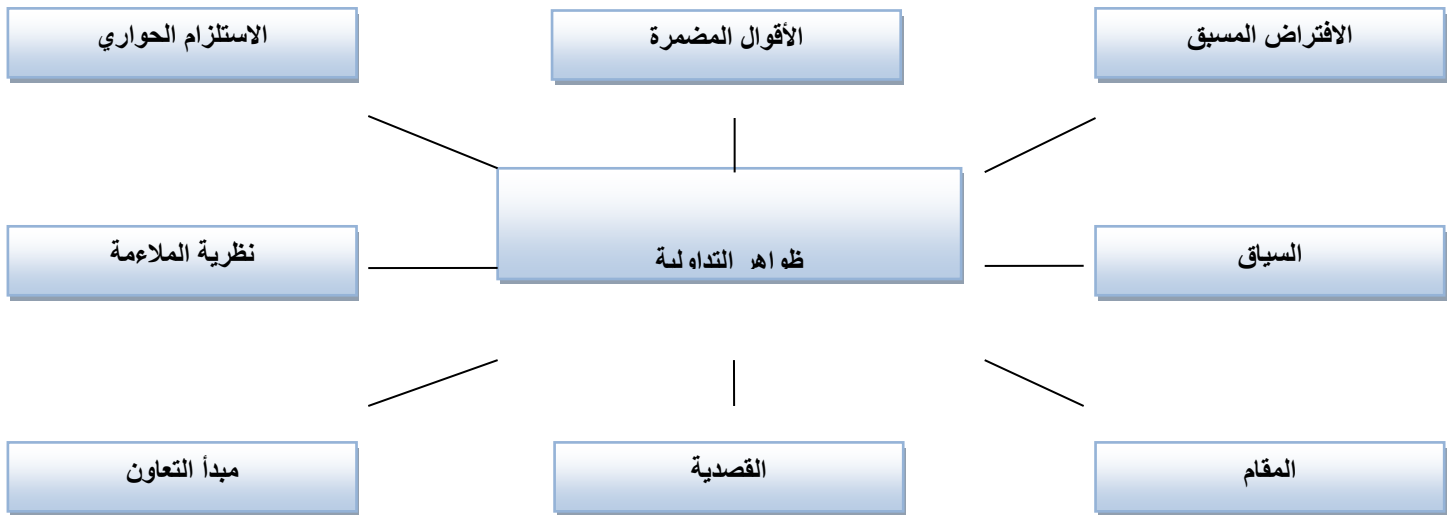
2- فان ديك ، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص258

3- المرجع نفسه، ص258

الفصل الأول : التداولية: نشأتها وتطورها ودرجاتها وظواهرها اللغوية وعلاقتها بالعلوم

وعليه نجد أهمية بالغة للسياق في تحديد المعنى، لكنه ليس بمنأى عن أطراف أخرى، فلا مناص من الاعتداد بها حتى يكون ثمة تفاعل تواصلية لتفعيل عملية الفهم فـ "ليس النص وحده حاوي المعنى، ولا المبدع أو المرسل/ المتكلم وحده منتج الدلالة، وليس السامع أو القارئ أو المخاطب وليس هو تفاعل هؤلاء معاً؛ لأنّ هناك ظروف تتدخل في تشكيل الحدث التخاطبي تدخّلاً لا بدّ منه شئنا أم أبينا، من هنا دخل السياق عاملاً حاسماً في رسم الإبعاد التي لا بدّ من تفاعلها في تحقيق عملية الفهم وتفعيلها"¹، وبهذا يكون السياق قد اتّصف على أنّه مُكوّن أساسي للنص، إلى جانب المتكلم والمخاطب والظروف والمقام والزمان والمكان، وهذا ما ترسو عليه التداولية للتخلص من الغموض الذي يعترض عملية فهم الكلام المقصود.

والمخطط التالي يلخص هذا التوضيح:



¹ - بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص12

4- علاقاتها بالعلوم الأخرى:

بعد التطرق إلى تبلور التداولية وتحليل نماذج من نظرية التواصل عند بعض الفلاسفة وعلماء اللغة، تجدر الإشارة إلى أنّ هذا العلم التواصل له علاقة بحقول معرفية أخرى، كعلم التواصل واللسانيات والفلسفة التحليلية وعلم النفس وعلم الاجتماع والخطاب، والتي تتداخل فيما بينها لتدرس البنيات اللغوية من حيث استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، وكذلك أسس التخاطب وما يحيط به من الجانبين الاجتماعي والنفسي، فالتداولية " ليست مفصولة عن حركية التفكير المعاصر الذي أصاب مجموع العلوم الإنسانية والاجتماعية والتي تبدو أنها تشكّل الهدف الأساسي لنظرية التواصل"¹. تداخلت التداولية مع علوم أخرى فزادتها تجسيدا في الواقع، لـ "أنّ التداولية كمبحث في قمة ازدهاره، لم يتحدّد بعد... فهي تقع في مفترق الطرق، حيث تلتقي اللسانيات والمنطق والسيميائيات والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع"²، فهذا الالتقاء بين التداولية والعلوم الأخرى أضفى دراسات معمقة لظواهر اللغة في جميع التخصصات التي لها ارتباط بالتداولية، فأعطتها شمولية أكثر وانفتحت عليها واستفادت منها.

4-1- التداولية واللسانيات البنوية (structural linguistics):

البنوية منهج خاص لدراسة الأنظمة اللغوية بدءا من "دوسوسير" وحركة النقد الجديدة في أمريكا، حيث تُقسّم البنوية النص الأدبي إلى وحدات متناسقة بغية تحقيق المبتغى البنيوي ألا وهو التركيز على الأنساق النصية كوحدات مدمجة لأنّ " العلاقة القائمة بين

¹ - ذهبية حمو الحاج، التحليل التداولي للخطاب السياسي، منشورات مختبر تحليل الخطاب، دار الأمل، العدد الأول، ماي

2006 جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ص244

² - علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص57

عناصر في نظام يشترط كل منها وجود الآخر، وليس بين جواهر كل منها مستقل بذاته¹، وذلك لمعالجة المعطيات اللغوية وفق نظام علم الأصوات الوظيفي وعلم التركيب وعلم الدلالة.

لقد أجرى "دوسوسير" تقسيما ثلاثيا للظاهرة اللغوية وهي (لسان، لغة، كلام) واقتصر في بحوثه على اللغة في تركيبها البنيوي دون الكلام، أي أنّ البنيوية تهتمّ بدراسة اللغة كنظام يشترك فيه المتكلم والمخاطب وفق سياق معين فقط، بينما تدرس التداولية الكلام، وهو الشق الذي لم يتناوله العالم اللساني "فردينان دوسوسير" في أبحاثه التي تطرق لها من خلال ثنائياته الشهيرة (لغة/كلام) إذ جرّد اللغة من المؤثرات الخارجية وجعلها في نظام مغلق، ف" اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة"²، فاللغة عند "نعوم دوسوسير" هي نظام شامل من الأنظمة والقواعد، وهي ثابتة في مغزاها، حيث ركّز على الرّكام اللغوي، وأصل الكلام الذي يجسّد الحياة للنّص، ومن الشّكل نستنبط توظيفات الكلام رجاء التواصل بينما، بينما تهتمّ التداولية بالباحث والمتلقي لأنّهما دعامتان أساسيتان في العملية التبليغية التواصلية، مع مراعاة مقتضى حال المتلقي الذي يتبادل مع الباحث معارف وفق نظريات متداخلة من خلال عميلة التخاطب.

فإذا كانت اللسانيات تهتمّ بدراسة اللغة بنيويا، فإنّ التداولية تسهم بإكمال العمل في دراسة الكلام داخليا وخارجيا، أي تستنطق البنيات اللغوية نفسيا واجتماعيا، ف" إذا تتبعنا اهتمام الدراسة اللسانية وجدنا أنفسنا أمام عتبات المفارقة أو الحدود، فبمجرد أن ينتهي العمل اللساني في دراسة اللغة (البنية)، يظهر الإسهام التداولي في تملي الأبعاد الحقيقية لتلك البنية المعلنة المغلقة وتنفسح من ثم على الأبعاد النفسية، والاجتماعية، والثقافية للمتكلم، والمتلقي،

¹-د عصفور، سلسلة عالم المعرفة، د.ت، ص15

²- فردينان دوسوسير: علم الكلام، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، دار الكتب والنشر، بيت الموصل، بغداد، العراق، دط،

والجماعة التي يجري فيها التواصل"¹، وهذا ما يجعل التداولية تؤدي وظيفة التواصل المعرفي من خلال الاهتمام بظروف الاستعمال اللغوي.

تلقي التداولية مع مناهج معرفية مختلفة ومتداخلة، فتفرعت إلى تداوليات "التداولية كبحث في قمة ازدهاره، لم يتحدد بعد في الحقيقة، ولم يتم بعد الاتفاق بين الباحثين فيما يخص تحديد افتراضاتها أو اصطلاحاتها، ونكاد نرى جيداً، على العكس من ذلك، إلى أي حد تكون التداولية مفترق طرق غنية لتداخل اختصاصات؛ اللسانيين، والمناطقية، والسيميائيين، والفلاسفة والسيكولوجيين، فنظام التقاطعات هو نظام الالتقاءات والإفترضات"²، مما يؤكد أن التداولية نهلت من المجالات المعرفية المختلفة لتحقيق شمولية للوصول إلى غاية محددة، فذا التّواشج العلائقي يعطيها أهمية للتعبير عن المحيط الخارجي.

إنّ التداولية علم يختص بتحليل الأفعال الكلامية ووظيفة كلّ منطوق لغوي حيث تتسم بالتواصل وتتداخل مع تخصصات أخرى التي أثبتت فعاليتها كعلم النفس وعلم اللغة وعلم الاجتماع، فهي تهدف إلى الإسهام في التواصل والتفاعل الاجتماعي، " فنحن نرى أنّ التداولية تمثّل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة، منها: الفلسفة التحليلية، ممثلة في فلسفة اللغة العادية، ومنها علم النفس المعرفي ممثلاً في نظرية الملاءمة على الخصوص، ومنها علوم التواصل ومنها اللسانيات بطبيعة الحال"³. ومن هذا المنطلق نرى للغة خصائص تميّزها فلا يمكن أن تكون في منأى عن خصائصها الفردية ومؤثراتها الخارجية وبدونها لن تتحقق الظاهرة الكلامية، " فالكلام مظهر من مظاهر تحقق اللغة واقعا ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للغة، والتداخل واضح بينها"⁴. ولا مناص بأنهما جانبان يهتمان بمنظومة الكلام؛ فنجد البنيوية تهتم بالوصف اللغوي وتعتدّ بقوانين هي في منأى عن محيط

¹ -نوار سعود أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، ص 21

² -فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 10

³ -مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 16

⁴ -خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 123

اللغة، أي أنها تهتم باللغة بوصفها ظاهرة شكلانية فقط، بيد أن التداولية تدرس اللغة من الجانب الاستعمالي، قصد تحقيق خاصية اللغة التواصلية والتأثيرية في المتلقي، بمعنى أن التداولية اهتمت بالكلام الذي يضاهي النظام اللغوي.

يُجمع الباحثون على أن التداولية تهتم بالكلام لا على اللسان الذي يعتدّ به "دوسويسر" فالبنوية تهتم باللغة كنظام بعيدا عن ربط اللغة بالمتكلم والمتلقي والسياق، لأن اللغة لا تتحقق إلا في الجانب الكلامي، و"لا يهتم هذا الاتجاه بالمعنى المقامي، بل يعده خارج نطاق اهتمامه، ومن ثم فهو يهتم بالتركيب أكثر من اهتمامه بالسياق المستخدم فيه، واللغة عند أصحاب هذا الاتجاه تدرس بوصفها نصا مجردا **abstract text** وليس بوصفها خطابا **discourse** ومن أبرز نظريات هذا الاتجاه البنوية 'structuralisme'¹، لكن التداولية تدرس استعمال اللغة مع الأخذ بين الاعتبار نظام اللغة الذي له تأثير في عملية التواصل، وهذا ما تهدف إليه التداولية، و" هذا الاتجاه فهو يهتم بالاستعمال اللغوي والظروف السياقية التي تحكمه، ويهتم بالمتكلم والسامع والعلاقة بينهما ودورهما في عملية التواصل وكذلك العناصر السياقية والمقامية وغير اللغوية، كما يهتمون بزمان عملية الاتصال ومكانها، كما يهتمون بسياق المتلقي ومدى قدرة السامع على الكشف عن مقاصد المتكلم واستجابته له"²، لأنّ التفاعل الحيوي للمعارف المتباينة والظروف المشتركة هو الأساس في بناء استراتيجية بين المتكلم والمخاطب لتحقيق هدف الحدث اللغوي الكامل.

لم تنشأ التداولية من عدم، بل هي وليدة اللسانيات فقد تفرعت عن هذه الأخيرة لتكون أكثر شمولية وحسبها-اللسانيات- أنها " أقرب حقل معرفي إلى التداولية **pragmatique** في منظورها هو اللسانيات³ ومنه فالتداولية جزء من اللسانيات وأقرب منها إلى العلوم الأخرى التي لها علاقة بها، لكن لا نجد تطابقا مدمجا بينهما، لأنّ اللسانيات البنوية اقتصرت على

¹-فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 182

² -المرجع نفسه، ص 10

³-بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص 65

البناء اللغوي في الألفاظ والتراكيب بصورة مجردة بعيدة عن البيئة الخارجية بعكس التداولية التي اتّصفت بالشمولية بحكم تجاوزها حدود وصف التراكيب ودلالاتها، مهتمة بالعلائقية بين اللفظ وتأويله، بغية التواصل بالنظام الثلاثي (المتكلم ، السياق، المخاطب)، حيث انغلقت البنيوية على نفسها بعيدة عن العمل الإبداعي الجماعي وإثباتا لذلك ف" اللسانيات الصورية تناولت اللغة عن طريق أنساقها بمعزل عن وظيفتها، أي الانكفاء على دراسة النّسق في ضوء المستويين التركيبي والدلالي، ولا تجاوز لتلك المسلّمات، في حين ركزت اللسانيات الوظيفية على التواصل المعرفي عن طريق الاهتمام بظروف الاستعمال اللغوي"¹، واللسانيات الصورية تدرس اللغة من خلال أنساقها بمعزل عن الوظيفة اللغوية، وهذا ما يقوّي الاستعمال اللغوي ويجعله لا يكرّس التفاعل اللغوي.

تمكّنت اللسانيات البنيوية من وأد التواصل المعرفي في ظلّ الواقع الاجتماعي وتعرّضت للنقد من قبل الاجتماعيين حيث ذكر " إنّ إحدى المؤاخذات الأساسية التي وجهها علماء اللسانيات الاجتماعية والتداوليون على حدّ سواء إلى اللسانيات: هي كونها غير قادرة على أخذ الواقع الاجتماعي للاستعمالات بعين الاعتبار"²، وهذا النقد ظل محل اهتمام التداوليين لإقرار عملية التواصل المنفعي في ظروف واقعية بين المتكلم والمخاطب.

أمّا اللسانيات التداولية تهتم بدراسة المعنى اللغوي وهو قيد الاستعمال، ولها ميزة تختص بها وهي قدرتها على تأويل الكلام وإثراء معانيه لذا هي " مشروع شاسع في اللسانيات النصية تهتمّ بالخطاب ومناحي النصية فيه، نحو المحادثة، المحاجة، التضمين، ولدراسة التواصل بشكل عام، بدءا من ظروف إنتاج الملفوظ، إلى التي يكون فيها للأحداث الكلامية قصد محدّد إلى ما يمكن أن تنشئه من تأثيرات في السامع وعناصر السياق"³،

¹ -آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة

لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص، ص75- 76

² -التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص35

³ -خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص135

ولهذا تعدّ التداولية أكثر تأثير، لأنها لم تهمل الواقع الاجتماعي وسائرته تبعاً لاستعمالات المرسل والمرسل إليه.

وما ذكرناه من تقارب بين اللسانيات البنيوية و التداولية وتباعدهما بينهما نُلفي أنّ اللسانيات التداولية لها تأثير في الجماعة، ويتجسّد هذا التأثير في تحقيق الأثر التواصلية التخاطبية، لأنها لم تلغي الواقع الاجتماعي، بل سائرته وراعيته كالجوانب المحيطة بالنص أو عملية التحوّل. وفي خضم هذه المقاربة نجد تداخلاً مبدئياً؛ إذ بمجرد يتم العمل اللساني أي البنية تكمل التداولية عملها، لتهم بأبعاد نفسية، واجتماعية وثقافية عند تداول الكلام بين المتكلم والمخاطب أو الجماعة حين التخاطب والتواصل.

4-2- التداولية وعلم الدلالة : (semantics):

علم الدلالة فرع من فروع علم اللسان، وهو علم يدرس معنى اللغة، فهو: " دراسة كيف يكون للمقولات معان في المقامات الخطابية"¹، فعلم الدلالة له علاقة بالتداولية، حيث يهتم بدراسة المعنى اللغوي فحسب، والتداولية تستوعب علم الدلالة وتخضعه لجانب التأويل حتى يدرك المتحاورون لغة التخاطب وينشأ بينهما تواصل بشكل متواتر، ويتضح أنّ تداخل التداولية بعلم الدلالة مرده إلى أنّ كلا منهما يتناول المعنى، الذي هو زبدة التواصل"². التداولية وعلم الدلالة يتكاملان، لأنّ الدلالة تفسّر الملفوظات وتحدّد معانيها دون الاهتمام بمقاصد المتكلمين، فتكمل التداولية وظيفتها وتنقله إلى ارتباطات خارجية للمتكلمين وفق شروط لانجاح الأفعال الإنجازية.

علم الدلالة يدرس المعنى ويوضّحه ويدلّ على الشيء لذا هو " ذلك الفرع من علوم اللغة الذي يهتم بدراسة المعنى، أو هو فرع من علم اللغة يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي

¹ - محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الجديدة، بيروت، لبنان، ط2004، ص13
² -نواري سعود أبوزيد، في تداولية الخطاب، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلة، الجزائر، ط1، 2009،

ومعناه¹. فإذا كانت التداولية منهج ذا حداثة يهتم بالتواصل، فإنّ علم الدلالة يدرس اللغة من جانب خاص وله علائق باللسانيات والبلاغة والفلسفة، وترتبط ارتباطا وثيقا بالجانب الدلالي للغة الذي ظهر عقب اللسانيات التوليدية، التي اهتمت بدراسة اللغة دراسة تجريدية، بعيدا عن السياق. وعلم الدلالة علم معرفي أقرب إلى التداولية من العلوم المعرفية الأخرى، فقد وجد اللسانيون صعوبة التمييز بين علم بين الدلالة والتداولية، لأنّ كلاهما يبحث في معنى الكلمة أو الجملة، وامتنع اللبس بينهما بعد أن وضع (شارل موريس) مجالات ثلاثة يتم التمييز بها بين المستوى الدلالي والمستوى التداولي، حيث قدم (تشارلز موريس) 1938 مخططا لعلم العلامات وضمّنه الدلالات والتداوليات وجزأه إلى ثلاثة حقول معرفية هي:

"- التركيب: **syntaxe**

وهو دراسة العلاقة بين العلامات بعضها ببعض في تركيب معيّن.

- الدلالات: **sémantique** وهو دراسة علاقة العلامات بما تدل عليه.

- التداوليات: **pragmatique** وهو علم يبحث في العلاقة بين العلامات

ومستعملها². فقد ربط العلامات بالموضوع وهما البعدان النحوي والدلالي حيث تشملهما التداولية التي تهتم بالمقاصد، لأنّ التداولية تركّز على الاستعمال اللغوي، حيث ميّز بين التداولية المحضة والتداولية الوصفية، واعتبر التداولية فرع من السيمياء.

إنّ علم الدلالة يدرس الكلام مستقلا عن السياق، ويهتم بوصف المعاني بينما التداولية تدرس المنجز اللغوي في سياقه التواصل، وتهتم باستعمالات المعاني لا وصفها بحكم " أنّ علم الدلالة يتناول دراسة جوانب المعنى التقليدي القائم على اشتراط الحقيقة والمستقل عن السياق الشامل إذ أنّ العلاقة وثيقة بين الدال والمدلول، في حين تركّز التداولية على ذلك، بل تتناول جوانب المعنى التي تفهم وفقا لمناسبات الاستعمال الخاصة، ويجب أن يؤخذ في الحسبان وبمفهومه الواسع الذي يتضمن السياق الذي نطق فيه الكلام، أي سياق الخطاب

1- خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009،

ص24

2- بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص120

والمشاركة في الحدث الكلامي والعلاقات المتبادلة بينهم، وأهدافهم، والمكان الطبيعي والاجتماعي لذلك الحدث"¹. فإذا كانت الدلالة تهتم بالمعنى فحسب، فإنّ التداولية تدرس المعنى من حيث الاستعمال، ونشير هنا إلى هذا القول: "أفزعني أدغال إفريقيا الوسطى". المعنى الدلالي هو احتواؤها للوحوش، أمّا المعنى التداولي يقصد به صعوبة العيش في هذا المكان، والتحذير من الحيوانات المفترسة التي تهدّد حياة البشر عندما نتساهل التواجد فيها، لكن هذا لا يعني أنّ التداولية منفصلة عن الدلالة، فهما جانبان متكاملان، يفصل بينهما السياق والظروف المحيطة بالمقام ويجسد هذا الكلام "إذا كانت الدلالة تستخدم مفهوما مجردا، وهو الواقع، أي العالم الممكن، فإنّ التداولية تستخدم مفهوما تجريديا يدلّ على الموقف التواصلي وهو السياق"². وما يميّز علم الدلالة والتداولية أنّ علم الدلالة يدرس المعنى، والتداولية تدرس الاستعمال فالدلالة تدرس المعنى بمنأى عن السياق والتداولية تدرس اللغة في استعمالها التخاطبي الفعلي، أي: "أنّ معاني الجمل هي موضوع علم الدلالة في حين أنّ معاني المقولات هي موضوع علم التخاطب"³، وفي ظلّ هذه المفارقة نجد تكاملا بين التداولية وعلم الدلالة، لأنّ كلاهما يدرس اللفظ، لكن التداولية تكمل العمل التداولي.

وخلاصة القول أنّ الدلالة تبحث في معنى اللفظ، بينما التداولية تدرس معنى اللفظ في السياق الوارد فيه، ممّا يجعلهما متكاملين لإنجاح عملية التأويل وتحقيق التواصل، والغاية منه أنّه "يشترك المحوران الدلالي والتداولي في أنّهما مختصان بما يتجاوز الرمز اللغوي نفسه إلى أبعاد أخرى، غير أنّهما يفترقان في أنّ الدلالة تدرس المعنى المجرد خارج إطار المقام. أمّا التداولية "فتهتم بما يرمي إليه المتكلم من معان تتجاوز المعنى الدلالي للكلمات،

¹ -بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص148

² - نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص169

³ -محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004،

ممّا يستدعي الإحاطة بالمقام والمرجعية الثقافية للمتكلم والمخاطب معا¹ إنّ الدلالة تدرس معنى ثبت يشترك في سياقات مُتوقعة، تتقيّد بالمعنى المجرّد خارج إطار المقام ولا يعني بتفصيل القول، بينما التداولية تُلمّ بالمعنى الملازم للمقام، والارتباط متين بينهما بحكم "إنّ تداخل التداولية بعلم الدلالة مرده إلى أنّ كلا منهما يتناول المعنى، الذي هو زبدة التواصل"²، فكلاهما يهتم بالمقام والسياق، والتداولية تفصل في القول فيمتدّ تداخل التداولية مع علوم عدّة كعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي الذي لم يكن حاصلًا في النظريات السابقة.

4-3- التداولية والبلاغة : (rhetoric):

فالبلاغة في التراث النقدي هي وسيلة اتصال بين المتكلم والمتلقي، تربطهما علاقة المقصد لتحقيق الهدف، فيستعملان أساليب بلاغية للتأثير فيما بينهما لمقتضى الحال، وبلغة يفهمانها حيث تكون أداة للتواصل بينهما بسلوكيات معينة، وفي موقف محدد، لكن يجب ألا يضيق المجال البلاغي على الممارسة اللغوية، حتى يفهم المتلقي الممارسة التواصلية ممّا يقوله المتكلم باعتماد أبنية التواصل من نحو ودلالة وتداولية واضحة.

تبحث البلاغة في الممارسة اللغوية بغية التواصل بين المتكلم و المتلقي، فقد "سُميت البلاغة بلاغة، لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه"³، فالبلاغة تقوم بوظيفة تأثيرية في المتلقي، لأنّ المخاطب والسامع يوظفان لغة للتخاطب من أجل التواصل لـ "أنّ البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ أنّها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع، بحيث يحلّان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما، ولذلك فإنّ البلاغة والتداولية تتفقان في اعتمادهما على اللغة لممارسة الفعل الكلامي على المتلقي، حيث ارتبطت البلاغة

¹ - بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص، ص 39- 40

² - نوري سعود أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، ص22

³ - أبو الهلال العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986، ص6

العربية بأفعال الكلام والحجاج، واهتمت بالمعنى، وهذا ما جعلها تتوافق مع التداولية، فكلاهما يهتم بتوصيل المعنى إلى المتلقي وإقناعه، وممارسة اللغة بغية تحقيق التواصل لتبليغ الرسالة وفق مقتضى الحال، فقد ذكر الجاحظ (ت255هـ) أنَّ البلاغة: "إصابة المعنى والقصد إلى الحجة مع الإيجاز"¹، فالبلاغة تهتم بالمعنى وقصد المتكلم بإيجاز مع حجة دامغة مؤكدة للمعنى تبعاً لسياق محدود الكلمات من أجل لتوضيح المعنى، كما تهتم البلاغة بوسائل الإقناع بغية الإبداع لا التكلّف اللفظي، ورونق الصور البيانية، ولا الحشو البديعي الذي يبعد الفعل الكلامي عن أداء وظيفته التداولية، وفي هذا الصدد ذكر عبدالقاهر الجرجاني (471هـ) في حديثه عن البلاغة "أن تكون لفظة ما يتعارف الناس في استعمالاتهم و يتداولونها في زمانهم"²، وهذا ما أشار إليه "سيرل" لضرورة توافق اللفظ والسياق مع العرف الاجتماعي لمسايرة الواقع في ظرف زمني معيّن.

ونجد في تراثنا العربي تأكيد واهتمام بقصدية الخطاب البلاغي الذي يتعدّى جمالية البيان إلى تحقيق النفع والتفاعل والتخاطب والتلقي "لأنّ مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام؛ فبأيّ شيء بلغت وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان"³. فالجاحظ يوضح أنّ البيان متعلّق بالفهم والإفهام، وهذا مفهوم للتداولية لدى الجاحظ لأنّ الهدف هو النفع والتّجاوب ثم التواصل. فالبلاغة بهذه الصفة تُمكن المُبلِّغ والسامع من أداء وظيفة تداولية أولية، وهي التواصل والوصول إلى نتيجة، وبعد ذلك تؤدّي البلاغة وظيفة جمالية، بمعنى أنّ البلاغة تجمع بين الفكر والجمال للكشف عن التّغيير الذي يحدث في المتلقي.

¹-الجاحظ، رسائل الجاحظ المختارة من كتب الجاحظ، اختيار عبيد الله بن حسان، شرح وتعليق محمد باسل عيون السود، المجلد 2 الجزء 4، ص113

²- عبد القاهر بن عبدالرحمن محمد الجرجاني، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية (دت)، (دط)، ص9

³-الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ص75

ويوضح ذلك "ليتش": ب " أن البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع حيث يحلان إشكالية علاقتهما، مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما، ولذلك فن البلاغة والتداولية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي"¹، وإنّ البلاغة تصوّر لغة الكلام وتجسّده في الواقع قصد إحداث تغيير وتأثير يَهْمُ به المتكلم، وهو نفس التأثير الذي تفتح مجاله التداولية، وهذا ما يدعى الممارسة اللغوية في كليهما.

وترى "أوريكوني" أنّ البلاغة: " هي نظرية الوجوه، ونظرية طرق تحريف الكلام وتحويله ولكنها أيضا في نطاق الإرث الأرسطي... هي دراسة فن الإقناع ودراسة الوسائل الناجعة للتعبير، إنّ الصور والوجوه البيانية تعلل تداوليا"². إنّ المقصود بالإرث الأرسطي هو ما ذكره في كتابه "الخطابة" من أضرب تؤثر في المتلقي من إقناع بالحجّة، والتأثير في المشاعر والوعظ، لأنّ الحجاج ركيزة أساسية في التداولية والخطاب البلاغي الذي يتّصف بالعقلانية من خلال التأثير في المتلقي بغرض الإقناع.

وبالبلاغة عند "بيرلمان" ليست: " معنيّة بشكل الخطاب من أجل الزّخرف أو القيم الجمالية، بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع وخاصة وسيلة للإبداع أي الحضور"³. ومن هذا المنطلق فإنّ لكل من الخطاب والتداولية مقصدية وصفية تحليلية تأثيرية، لأنّ المتكلم يبيّن لغة صريحة مرتبطة بالحقائق، ولغة ضمنية مرتبطة بمعاني مضمرة مجازية متعلقة بمقام الأفكار، وهما متقيدان بمعيار الفائدة والقصد. وتراعي البلاغة مقام التّحدث والسياق لفك شفرة المقصد وجعل المتلقي في وضع يحل السياق البلاغي ويفهم معانيه، وتؤثر فيه بغية الإمتاع والإثارة والانتباه وإعمال فكره في تأويل السياق البلاغي وفق مفاهيم بلاغية، فيصير المتلقي ملحقا بالمتكلم متعلقا بالسياق متأثرا بمعاني بيانية تترجم سلوكيات معينة.

¹-صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، ط 1978، ص 86 '

²- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، ط 2، 2000، ص 11

³- المرجع نفسه، ص 16

وخلاصة القول أنّ التداولية والبلاغة يتفقان في تحقيق الهدف المنشود من الموضوع وإبلاغه أملا في إيجاد تواصل وتأثير من خلال العملية التواصلية، لأنّ فهم القول وتأويله يحتاج إلى وحدة أو وحدات لغوية ومحيط ملمّ بالسياق المقامي، وهذا كلّهُ تتوقّر عليه التداولية والبلاغة لأنّ " البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ أنّها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع، بحيث يحلان إشكالية علاقتهما، مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما، ولذلك فإنّ البلاغة والتداولية البراغماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة لممارسة الفعل على المتلقي"¹، وهذا ما جعل البلاغيين العرب يهتمون بطرفي العملية الإبلابية، وخاصة المخاطب لأنها محل اهتمام من قبل المتكلم، ممّا جعلهم يهتمون بمقتضى الحال المرتبط أساسا بالمخاطب.

4-4- التداولية وعلم اللغة الاجتماعي : (sociol linguistics):

نشأت التداولية مباشرة بعد زوال اللسانيات البنيوية كردّ فعل لإهمال الأخيرة البعد الاجتماعي في التحليل اللغوي، فعمدت التداولية إلى إسناد العرف الاجتماعي في الأفعال اللغوية، فكلاهما يراعي العلاقات الاجتماعية بين المتكلمين، ويؤدّي السياق المتداول بينهما تواسلا اجتماعيا على اختلاف المتكلمين ومراتبهم وأجناسهم وثقافتهم. لقد أولت التداولية اهتماما ملفتا بالتواصل الاجتماعي تواسلا جدّيا يكون بين شخصين متفاعلين أو أكثر كأن يحدث تفاعل بين الباحث والمتلقي، لأنّ علم اللغة الاجتماعي والتداولية يهتمان بالعلاقات الاجتماعية وتداعياتها على المتكلمين ومقاصدهم، والكلام الذي تجري أحداثه بينهما على اختلاف مراتب المتكلمين.

وتولي المدرسة الاجتماعية اللسانية أهمية للتواصل الاجتماعي برأئدها " فيرث" الذي أعجب بآراء "دوركايم" اللغوية وهذه المدرسة ظهرت كردّ فعل للمدرسة البنيوية، لأنها اعتبرت

¹ - حفاوي بعلي، التداولية، البراجماتية الجديدة، ما بعد خطاب الحداثة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، (دت)

المُكوّن الاجتماعي ضروري في عملية التواصل، وتحليل النصوص لا يتحقّق إلا بأخذ السيرة الاجتماعية، فإذا قلنا مثلاً: "أثمان المواد الغذائية باهظة في بلادنا هذه الأيام". هذه العبارة تأخذ بعداً اجتماعياً، فالمتعارف عليه هو تأثّر الناس بغلاء الأسعار، والمجتمع يودّ أثماناً رخيصة، أو تكون في متناول الجميع، وهذا هو الفعل المتضمن في القول، أي الشكوى من هذا التعامل الاجتماعي لا الإخبار فحسب الذي يأخذ المعنى الحرفي، إنّه البعد الاجتماعي التداولي.

فنلاحظ أنّ علم اللغة الاجتماعي يشارك التداولية في الموضوع المقصود، وطبيعة الكلام المستعمل من خلال السياق اللغوي الذي يتضمّن علاقة اجتماعية تُنبئ عن دراسة الكلام اجتماعياً لتبيين أثر العلاقات الاجتماعية بين المتكلمين، ولهذا "يُمكن تعريف علم اللغة الاجتماعي بأنّه دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع"¹. ولكي نصبو إلى تفسير اللفظ في صورته الاجتماعية، وجب مراعاة الظروف الاجتماعية، فلا نفصل البعد الاجتماعي عن البعد التداولي فكلاهما يخدم اللغة واستعمالاتها، وعلم اللغة الاجتماعي "هو العلم الذي يدرس اللغة في ضوء المجتمع الذي يستعملها، وهذا من خلال الإجابة على: من يقول، ماذا يقول، أين، متى، كيف، لماذا؟"². إنّه نفس التساؤلات التي تطرحها التداولية وتسعى إلى تأويلها في سياق ومقام اجتماعي.

للأفعال الكلامية مكانة في المذهب اللساني التداولي لدى المعاصرين حيث أعطوها أهمية، وهذه المكانة نابعة لما جاء به الفيلسوف الإنجليزي المعاصر "ج. ل. أوستين" الذي أعطاهها منهجاً معيّناً، حيث اهتمّ بالمضامين والمقاصد التواصلية خلافاً لما كان عند البنيويين الذين درسوا معنى الجملة مجردة من سياق خطابها اللغوي، وثمّن التراكيب اللغوية، وجاء بنظرية جديدة تهتمّ بقول المتكلم، فلا تنظر اللغة على أنّها مجرد أداة تصف الواقع منفصلة عن لغة

¹-حاتم صالح الضامن، علم اللغة، مطبعة التعليم العالي، الموصل، بغداد، ط 1979، ص 36

²-محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، 70

الكلام، بل هي جزء من التعامل الاجتماعي، وذلك بنقل التعامل اللغوي من المعنى النحوي والنفسي إلى الواقع الاجتماعي وفق تجاذب الأطراف بين اتجاهين أساسيين هما: التأثير والتأثر لما نستعمل اللغة بغية تمكين التواصل والتفاهم.

أسهمت اللسانيات الاجتماعية في تحليل الخطاب وبيّنت الأدوار التي يقوم بها المتكلمون بلغة اجتماعية تجاه موقف محدّد، لإنتاج الفعل التواصل وتحقّقه وربطه بالعرف والظاهرة الاجتماعية المتضمنة في اللغة المنطوق بها، التي تسعى إلى تغيير الواقع حيث "تعدّ اللغة في هذا العلم كائناً اجتماعياً يتأثر بحركة المجتمع وتفاعلاته، وتساعد اللسانيات الاجتماعية في دراسة الظواهر الاجتماعية"¹. فاللغة تعبّر عن الأحداث في الواقع، وتُقرّب السياق بالعالم وتُحيل إلى الموجودات وتُعيّنها وتُفسّرها، وتُوضّح مقام الحدث بدلالات معينة لتمكين المتكلمين من التواصل الاجتماعي.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ علم اللغة الاجتماعي من أكثر المجالات التي أحرزت تقدّماً سريعاً في الدراسات اللغوية الحديثة، وهو "يهتم بدراسة اللغة في سياقها الاجتماعي، ويدرس أيضاً الطرائق التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، والطرائق التي تتغيّر بها البنية اللغوية استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة والتعريف بماهية الوظائف"². فالتداولية تعتمد في بحوثها على النصوص اللسانية الاجتماعية كقولنا: "الجوّ حار صيف 2019". المتكلم لم يطلب شيئاً من المخاطب، بل هذا الأخير فهم بذكائه ضرورة تشغيل المكيفات، لأنّ الموقف الكلامي أنتج تواصلًا بين الشخصين، فالثاني فهم قصد قول الأول في ظرف اجتماعي يسوده شكوى الناس وتذمرهم من الحرّ اللافح. هنا تتدخل نظرية الملاءمة ومبدأ التعاون، والواضح أنّ التداولية لها علاقة باللسانيات الاجتماعية .

وللتوضيح أكثر، نذكر حواراً دار بين السّكير والمُصلح:

¹ - محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص 71

² - حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 38

- "هلا توقفت عن تناول الخمر".

- "إنّها تُسَيِّني همومي لحظة تناولها".

نتساءل بدورنا: ماذا طلب المصلح من السّكير؟ وما طبيعة ردّ هذا الأخير؟ وما الاتفاق الذي تمّ بينهما؟ إنّ المثال يعالج الواقع الخارجي للجملتين والسياق أيضا بتواصل مباشر، فثمة قواعد اجتماعية تفرض واقعا محدّدا وفق أعراف اجتماعية، وأنّ المجتمع المسلم ينبذ السّكير ويخرجه - أحيانا - من دائرة التعاملات الاجتماعية، ففي الخمر ضرر لشخصه وعائلته. تلك الملفوظات لها استدلالات نستقي منها معلومات ومعارف مستمدة من الواقع الخارجي بين أفراد المجتمع بلغة واصفة للوضع الاجتماعي صادرة عن سلوكيات شخصية. ونتيجة ذلك ف "قد ساهم علم اللغة (أو اللسان) الاجتماعي في البراجماتية في دراسة المفردات التأثيرية الاجتماعية التي قُسمت إلى شخصية زمانية ومكانية وخطابية، واجتماعية والمضامين المحادثية، وبنية الاقتضاء، وأفعال الكلام، وتصنيفها واستعمالها وتحليل الخطاب وتحليل المحادثة"¹. هذا كلّ جعل علم اللغة الاجتماعي يتوافق مع التداولية لاهتمامهما بالعلاقات الاجتماعية وتأثيراتها في المتشاركين من خلال الموضوع الاجتماعي المطروح بينهما لتوضيح المقصد من الكلام.

4-5- التداولية وعلم اللغة النفسي : (psycholinguistics):

تتوطّد لغة البشر بعلم النفس وتزداد علاقتها به، لأنّ الكلام هو أساس التواصل وتعاطي المواضيع، لذا علم اللغة النفسي هو "دراسة اللغة الإنسانية وفهمها وإنتاجها واكتسابها"². فاللغة هي ظاهرة إنسانية ناتجة عن ظواهر فيزيولوجية تحت طائلة من السلوكيات الوصفية، التي تتبلور في حُسن فهم الأفعال الكلامية الناتجة عن المتكلم.

¹ - محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص35

² - جلال شمس الدين، موسوعة مرجعية لمصطلحات علم اللغة النفسي، مطبعة الانتصار للطباعة والنشر، الإسكندرية،

مصر ط2003، ص441

تستند التداولية في دراستها للكلام على قدرات المتخاطبين ومقاصدهم المتضمنة لأحوالهم الشخصية، وقدراتهم العقلية من حيث الذكاء، والانتباه، والتركيز قصد مراعاة أحوالهم النفسية خلال الموقف الكلامي، لأنّ علم النفس أعطى أهمية للجانب اللساني فقد " أولى علماء النفس اهتمامهم زمنا طويلا للظواهر اللسانية، وذلك أنّهم عدّوها مصادر موثوقا بها للمعلومات في موضوعات متنوعة ذات أهمية بالغة للدراسات النفسية"¹، لذا اهتمّ علماء اللغة بالجانب النفسي لارتباط النفس البشرية بالعوالم الداخلية نتيجة التأثير بالظواهر الخارجية، فالكلام المتداول بين الناس مرتبط بعلاقات نفسية وعقلية للتواصل من خلال الحدث الكلامي، ومثال ذلك ما طالعنا به إحدى القنوات التلفزيونية الجزائرية خبرا مفاده:

- " لقد وقع حادث مرور خطير بالطريق الوطني المؤدي لولاية (الوادي) الذي نتج عن اصطدام حافلتين ثقل مسافرين، تمخض عنه موت 13 مسافرا وجرح 45 مسافرا".

هذا الخبر تداوله الناس، وبمجرد سماعه ورؤيته ذهلوا لهول الكارثة من خلال تأثرهم به وجدانيا، فالحدث الكلامي هذا له أثر انفعالي يعبر عن أفعال كلامية تستدعي تفسيرات عن الحدث انطلاقا من عملية التفكير المتعلق بالموضوع والجانب النفسي الإدراكي، فحدثت استجابات شعورية تختلف من شخص لآخر، تلعب دورا في ترجمة السلوك الإنساني في الواقع والتغيير منها وتحويلها إلى سلوكيات ذات انفعالات ومشاعر كافية للتجاوب مع الحدث. فكلّ تواصل لغوي يحتاج إلى قدرات نفسية تثبت مدى قدرة المتكلم تحصيل مبتغاه وفق الموقف الكلامي، حيث تساهم في هذه العملية عوامل شتى: الانتباه، الذاكرة، الإدراك، والشخصية، فتحدث تأثيرا في المتلقين.

إذا كان علم النفس يدرس السلوك الإنساني، فإنّ التداولية تدرس اللغة وفق دراسة قوى النفس الكامنة وراء السياق، وهذا التّعالق يحدث امتزاجا بينهما، لأنّ التداولية تفسر السلوك

¹- ميلكا أفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعيد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2

الإنساني، وتهتم أثناء دراستها بالكلام والنصوص و بالجانب النفسي مراعية الاستعدادات النفسية للمتكلمين والتمثلة في نسبة الذكاء والقدرة على الفهم والانتباه والتركيز، أملا في التأثير لبيان تجاوبهم النفسي من خلال الموقف الكلامي المتبادل بينهم، وعليه فقد " استقادت البرجماتية من علم النفس وعلم اللسان النفسي، فقد استعانت بعلم النفس الإدراكي في معالجة إنتاج اللغة وأثرها"¹. إنَّ الكلام يؤدي وظيفة نفسية حيث يقوم كلٌّ من المتكلم والمتلقي بتحليل الكلام وتفسيره وفق تصوّر نفسي داخلي، فيتمّ الردّ من قبل المخاطب الذي يفسّر كلام المتكلم تحسبا لردود الأفعال النفسية التي توضحها لغة تناسب المقام النفسي، ف " لا يطلق على الكلام لغة إلا إذا أدى وظيفة نفسية قائمة على التحليل والتصور ورد الفعل، ولا تدرس اللغة بمعزل عن العوامل النفسية"². هذا الكلام يوضح أنّ علم اللغة النفسي يتطرق للعمليات العقلية ويؤكد عليها، حينها يقوم المتلقي بتفسير الكلام واستنتاج مقاصده التي تُمكنه من التجاوب مع المتكلم.

كما يستخدم علم اللغة النفسي اللغة لتمكين المتكلمين من تلاؤم أفعالهم الكلامية مع ملاءمة التواصل بعمليات عقلية بغية الفهم والإدراك، وهذا ما تدعو إليه التداولية في استخدام اللغة والتحكم في العمليات العقلية، ف" قد وُلدت نظرية الملاءمة من رحم علم النفس المعرفي، وهي تفسر الخطاب وظواهره البنيوية في الطبقات المقامية المختلفة"³، وذلك لاستخلاص استدلالية قابلة للتغيير لدى المخاطب، وإفادته بأخبار ذات تأثير لها علاقة بلاسياق والموضوع المعين.

وخلاصة ذلك نلاحظ أنّ التداولية وعلم النفس يوضحان قدرة المتكلمين على فهم المعاني في سياقاتها لأنّ الذهن الإنساني مرتبط بالسياق، كما يدرسان أيضا العلاقة بين الكلام والفكر والمؤثرات النفسية سلبا و إيجابا، وكلاهما يهتم بعملية اصطفاء المخاطب

¹ - محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص35

² - محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ ، ص76

³ - المرجع نفسه، م ص77

لألفاظ المُعبّر عنها بغية الإفصاح عن أفكاره وتبليغها إلى المتلقي بلغة سهلة وواضحة تُمكن المتلقي من فهمها حين صدور اللغة من قبل المتكلم. إنّ العلاقة القائمة بين التداولية وعلم النفس هي علاقة كلام ومضمون وتأثير وانفعال وتفاعل، وهذا الارتباط بينهما هو الذي يجعل علم اللغة النفسي والتداولية يتشابكان في البحث عن الظواهر اللغوية كالاستلزام الحواري والقصد، ومبدأ التعاون وغيرها من الظواهر اللغوية.

4-6- التداولية وتحليل الخطاب (Discours analysis)

الخطاب هو كل منطوق أو كلام مُعبّر عنه، و النصّ هو متتالية من التراكيب تتعالق فيما بينها ترتبط بجمل قبلها وأخرى لاحقة، والخطاب كذلك هو متتاليات من الجمل المتلفظ بها، فهما وجهان لعملة واحدة للمشاركة في الكلام، واستخدام اللغة بشكل فعلي وفق ظروف مقامية وهذا ما تدرسه التداولية.

يهتم تحليل الخطاب بدراسة النصوص المختلفة، حيث عيّنت الدراسات بتحليل النصّ من حيث السياق وعملية التواصل بين الكاتب أو القائل والمتلقي من خلال الألفاظ والعبارات المرسلة فتحليل الخطاب يتجاوز شكلانية النصّ من أجل دراسة البنية اللغوية للنص على عدّة مستويات، ولذا فـ " الخطاب هو التحليل اللغوي للخطاب سواء أكان محكياً أو مكتوباً، ويهدف إلى دراسة البنية اللغوية على مستوى يتعدّى مستوى الجملة إلى مستويات أكبر مثل الحوار أو النصّ مهما كان حجمه"¹. نستنتج من هذا القول أنّه ثمة انسجام بين التداولية وتحليل الخطاب فكلاهما يهتمّ بالنص والمتكلم والمخاطب ومقاصد الكلام وكذلك السياق.

ومن هذا المنطلق تعدّ التداولية منهجاً من المناهج اللغوية التي أخذت تتبلور على يد الفيلسوف الأمريكي "جون بيرس" ثم أبدع فيها كل من الفلاسفة: "أوستين" و"سيرل" في القرن التاسع عشر في أبحاثهما المتعدّدة، حيث جنحت التداولية إلى الربط بين اللغة والكلام لأنّها تسهم في تحليل الكلام وتقوم بربط العلاقة بين المتخاطبين، فقد اتّخذت النص وسيلة

¹ - جماعة من المؤلفين، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 2006، ص200

لإنجاح التواصل اللغوي الحاصل بين المتكلم والمستمع، الذي يرصد تجاوبا صريحا أو ضمنيا، وكلاهما مصدر أساسي في عملية التواصل بحسب طبيعة الملفوظ.

اهتمت دراسات الباحثين في القرن العشرين (20) بدراسة الجملة من خلال مستوياتها: الصوتية، والصرفية والنحوية والدلالية مُنقّبة عن التّناغم والانسجام بين مستوياتها، فالجملة تراعى من حيث قواعد اللغة وقواعد الصرف رافضة الاستعمال الخارجي للسياق، لكن الدراسات اللغوية الحديثة اهتمت بدراسة النصوص سواء أكانت مدونة أو محكية.

كلّ من التداولية والخطاب يهتم بالسياق الذي يرد فيه الخطاب اللغوي من المتكلم إلى المتلقي، فكلاهما يهتم بتفسير الخطاب من خلال تفسير المعنى وتأويله مع ضرورة مواكبة الظروف الخارجية و السياق المستعمل في اللغة، إذ يعتبر الخطاب " الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، والخطاب كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"¹. بهذا المعنى فالخطاب هو الكلام، أو هو كل منطوق، أو هو سلسلة من الجمل المنطوقة تهتم بالاستعمال اللغوي المرتبط بالظروف المقامية متجاوزا قوانين اللغة، وهذا ما تشتمل عليه التداولية، إذ هو " الصّيغة التي نختارها لتوصيل أفكارنا إلى الآخرين، والصّيغة التي نلتقي بها أفكارهم،... إنّ الخطاب يتجاوز هذا المفهوم الضيق، ليدلّ على ما يصدر من كلام أو إشارة أو إبداع فني"². هذا الإبداع والتّناغم بين الخطاب والتداولية جعل الإجراء التداولي يركّز على تحليل الخطاب من جوانب سياقية ودلالية، التي تضبط مقاصد النص وأهدافه، ويعتبر الخطاب فعلا تداوليا يثبت ضرورة السياق في تأويل الكلام وتفسيره، ويعني أيضا أنّه التّحدث الذي يقصد به تبادل الأخبار، حيث يهدف إلى تغيير وضع المتلقي، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه

1- لطفي الله الشملي، تحليل الخطاب الروائي، المفاهيم والتشاكلات، مجلة الراوي، ع17، النادي الأدبي الثقافي، جدة،

2007، ص8

2- سمير شرف استيتية، اللغة وسيكولوجية الخطاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002، ص18

السلوكي، و "السياقات ما هي إلا تصورات المشاركين في الخطاب"¹. حيث يبين السياق المواضع النصية، ويخلق علاقة بين المتكلم والمخاطب، كما يربطهما بالمعنى خارج نصي.

إذا كانت اللسانيات تهتم بالجملة بحكم أنها مبدأ الدراسة والتحليل من منظور "سوسيري"، فإن التداولية تتجاوز الجملة، بغية دراسة النص والخطاب، وتتعامل مع الخطاب كبناء كامل متسق منسجم، وهذا التصور فهو ملفوظ لغوي ترتبط ملفوظاته بالوظيفة، والسياق المقامي، والأداء الإنجازي، ويتم التركيز أيضا على مكوناته التلفظية والسياقية ف "إن المقاربة التداولية تتجاوز الجملة لدراسة الخطاب، وخاصة مع لسانيات النص واللسانيات الوظيفية"². وهذه الفكرة أثارها الفيلسوف "بول غرايس" الذي فرق بين ما ذهبت إليه نظرية المعنى اللغوي الحرفي، وبين معنى السياق الذي يحقق عملية التواصل.

الخطاب عند "دوسوسير" يدرس لغة الخطاب من أجل ذاتها، مهمشا الكلام الذي يعدّ ظاهرة فردية لا أساس لها، والسياق في الخطاب لا مرجعية له، فلم يُول اهتماما بالكلام والإنجاز اللذان أساسهما الإحالة والمرجعية، وهو يتعامل مع العلامة التي تدلّ على الدال الصوتي والمدلول المعنوي، أمّا الخطاب في نظر التداولية لم يعد مجموعة من العلامات وبنيات داخلية مغلقة، بل أصبح له بنيات ودلالات و تراكيب ووظائف سياقية، وهذا ما يستلزم التعامل مع السياق والوظيفة في تحليل النصوص والخطابات الأدبية، ف " من المعلوم أن (فرديناند دو سوسير) ، في كتابه (محاضرات في اللسانيات العامة) الذي نشره سنة 1916 م، قد اعتبر فيه اللغة عبارة عن علامة، وتتكوّن هذه العلامة من الدال الصوتي والمدلول المعنوي، لكنّه أبعد المرجع الحسي المادي، واحتفظ بما هو مجرد وصوري، ومن ثمّ فقد كان يدرس اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها"³، فجمع "دوسوسير" النص التخاطبي بين أطراف

¹ - بهاء الدين مزيد، تبسيط التداولية، ص30

² - جميل حمداوي، التداولية وتحليل الخطاب، ص 9

³ - المرجع نفسه، ص10

مثلث: الطرف الأول هو المرسل الذي يتحدث سواء كان قاصا أو كاتباً أو شاعراً، و الطرف الثاني المرسل إليه الذي يفترض أن يكون متلقياً قارئاً أو سامعاً، والطرف الثالث يتجسد في الرسالة أو الخطاب التداولي، يبعث الباث رسالة وجدانية أو ذهنية إلى المتلقي الذي يستقبلها بتفكيك رموزها ومعانيها بلغة مشتركة بينهما ليحصل على الإبلاغ والمغزى منها بعد تفسير ناجح لعملية التخاطب، وذلك في حدود السياق الفعلي الذي تستخدم فيه اللغة بشكل مثالي بعيداً عن كل لبس وغموض لتحقيق العملية التخاطبية المفسرة لمقاصد المتكلم والمخاطب، إذ "ليس ما يؤثر في الخطاب أو يتأثر به هو الموقف الاجتماعي، بل رؤية المشاركين في الخطاب هذا الموقف وإدراكهم إياه"¹، وبما أنّ النص الأدبي خطاب بين المتكلم والمخاطب يتعين تجنب وتغادي عوائق أثناء التحليل كالانزياح والترميز والغموض، وهذا ما يجعل المتلقي يبذل مجهوداً لتأويل النص ويقوم هو الآخر بإثراء النص واختبار قدراته التأويلية، لتقبل المعاني وفق مبادئ التخاطب: مبدأ الكم، مبدأ الكيف، ومبدأ المناسبة؛ ففي المبدأ الأول يجب التحدث بقدر الحاجة للأمر، دون إطناب وتوسع، والمبدأ الثاني أن تصدق القول دون كذب، والمبدأ الثالث أن يكون الكلام المُعبّر عنه خالياً من اللبس، مراعيًا منزلة المقال والمقام وفق الحال الوارد في النص، وهذا طبقاً لما ذكره (غرايس).

ويعتمد التحليل التداولي أساساً على الخطاب ومُنْتَجَه؛ فالخطاب هو موضوع مُفترض خارجي، والمُنْتَج هو فاعل الخطاب الذي يقدّم عمليات إجرائية في نصوصه، والنص مرتبط بذات المتكلم وشخصيته، وله علاقة بالواقع وموضوعاته، فالنص يوضح علامات لشخصية القائل، وكيفية القول حسب الحال، معتمداً ذاته وخارج النص لاعتبار "أنّ التداوليات النصية تعاملت مع الخطاب ككلية عضوية منسقة ومنسجمة، بل اعتبرته جملة نصية كبرى"²، وذلك ليؤدي الفعل الكلامي دوره في تحقيق قصد السياق ويشمل المعطيات الاجتماعية والنفسية والدينية والتاريخية حتى يتم تنامي الفعل الإنجازي الكلي.

¹ -بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، ص 29

² -جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ص 9

النص الأدبي هو خطاب له مقاصد سياقية مباشرة وغير مباشرة ووظائف ، حيث يحمل رسائل جلية ومضمرة ، وله أبعاد ثقافية ، واجتماعية، وعقائدية، ونفسية وغيرها من الأبعاد، مما يستوجب التعامل مع السياق والوظيفة بشكل دقيق، ف "ليست السياقات إذن مجموعة من العلل المباشرة التي تبرّر الخطاب، ولا من الظروف الموضوعية المجردة، بل هي مجموعة من التصورات الذاتية الشخصية التي تتشكل وتتغير باستمرار أثناء التفاعل بين المشاركين في الخطاب بوصفهم أفرادا ينتمون إلى جماعات ومجتمعات" ¹. فالتداولية تنطلق من النص على اختلاف أشكاله وبنياته واصفة الروابط التي تربطه بداخله أو خارجه، حيث يتم تفسير مظاهر التواصل عند استخدام اللغة، وأساسها في هذا المقام تجاوز الجملة أكانت ملفوظة أم مكتوبة يشترك فيها كل من المتكلم والسامع، كقولنا لشخص كثير الكذب:

- " أتقي بوعدك الآن أيها الكذاب؟ " .

تظهر في هذا النمط الكلامي علاقة داخلية وهي الاستفهام الظاهر بصيغة نحوية، لكن المعنى المضمّر فيه دعوة من المتكلم تجاه المخاطب أن يُقلع عن الكذب، لأنّ العلاقة الخارجية جعلت السامع مدمناً على الكذب الذي اكتسبه من المحيط الذي يلفّه، ولقد استتبط الخطاب المعاني المضمرة وراء الشكل الخارجي للكلام ، وللنص علاقة بيّنة بينه والموقف التّواصلي، ومن هذا الكلام نستنتج ثمة تداخل بين تحليل الخطاب والتداولية، فكلّ منهما يهتم بدراسة النصوص وتحليلها مع الاهتمام بشروط التواصل من المتكلم والمتلقي ومقاصدهما، والسياق، والجوانب الحوارية.

4-7- التداولية والشعر: (poetry):

الشّعر هو خطاب يثير اللذة والمتعة في نفوس القراء ويشد انتباههم للاهتمام بمضامين الشعر وما يحتويه من أفكار ومعتقدات، والذي يميّز الشّعر عن بقية الخطابات أنّه وسيلة تجعل القارئ يجد متعة نفسية لإيقاعاته، وبالتالي يتفاعل معه القارئ ويتأثر بما يبثّه

¹ -بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، ص29

المتكلم، لأنّ " الإيقاع وسيلة تشد انتباه المتلقي وتثير في نفسه شعورا، يتلوه تبني أفكار الشاعر. فالألفاظ الشعر حين ترابطها، وتجاورها، وبتقديمها وتأخيرها، وتجانس حروفها، وإطلاقها عنان الأجراس الموسيقية، واعتماد على السجع، والترصيع المتداول في الشعر تجعل المتلقي يتأثر بالألفاظ التي تدلّ على المعاني التي تترجمها أيضا المواقف والمقامات

«¹ فكل عمل شعري معنى تواصل بين المبدع والمتلقي، والتواصل يبدأ بتوصيل الجملة من نوع خاص ذات محتوى متصل بالقيم فالتداولية تنظر إلى قول الشاعر والمستمع نظرة تأويل اللفظ والتراكيب التي يبنها الشاعر، وما يقصده من ورائها، وهذا ما ذهب إليه "غرايس" لتبني "مبدأ التعاون" كي يستمر العمل التبليغي أثناء العملية الخطابية، أي ضرورة حضور المستمع في هذه العملية وفق بيئات ثقافية، وفكرية، و اعتقادية متماثلة، ليتمكن من تأويل النص الذي تشير إليه لغة الأشخاص والأحداث والأماكن " لأنّ التأثير هو غاية الشاعر، يحدث بفعل مواقف كثيرة متشابهة، حاضرة تزول أحداثها، وتبقى انطباعاتها وما تولّده من عقول المتلقين من متصورات وحقائق، وما تخلفه في النفوس من عواطف ومشاعر"². فالقارئ هو الذي يعطي صبغة ذات حيوية على النص، ويضفي عليه حركية من خلال ما يقرؤه، مما يُمكن من وجود اشتراك تلفظي تبعاً لحركة زمنية في زمن قراءة النص فيحضر الكاتب وتحضر أفكاره .

يُمكن نص الخطاب القارئ من بناء إستراتيجية بغية فك رموز النص الشعري والولوج إلى ثنياه لمعرفة ظروف السياقات الواردة في النص بواسطة العناصر اللغوية من انسجام النص، واتساقه، وتحليله من أجل استنباط صور شاملة للشخص ومرتبتها، وصولاً إلى مضامين منشورة في النص الشعري، حيث "يقوم الشاعر أحيانا بإقحام القارئ في النص قصداً منه لإشراك القارئ (المستمع) فيما يقول عن طريق مخاطبته إياه باستخدام الضمير

¹- جابر عصفور، مفهوم الشعر، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص232.

²- نوري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، ص53

المخاطب، في الغالب أو ضمير المتكلم"¹، فيحاول الشاعر التّقرّب من القارئ كي تتوافق إستراتيجيتهما في التّجاوب مع النص، حيث "يقوم الشاعر أحيانا بإقحام القارئ في النص قصداً منه لإشراك القارئ (المستمع) فيما يقول عن طريق مخاطبته إياه باستخدام الضمير المخاطب، في الغالب أو ضمير المتكلم"². يُقحم الأديب القارئ في نصّه بتأثيرات اجتماعية ونفسية، ممّا يجعل للنص سلطة على القارئ كي يتجاوب مع الاثر الأدبي، ويوظّف اللغة ليتمّ تداول التعامل الاجتماعي بين الكاتب والقارئ فيثّره ويكسبه نضجا فكريا.

ولكي يستطيع القارئ تحليل النص الشعري وجب عليه امتلاك معاني السياقات في النص ومعرفة جيّدة بقواعد اللغة، ورصيد معجمي يُمكنه من فكّ رموز النص، إلى جانب معرفة إيحائية الألفاظ وقيم النص الواردة في ثناياه. فالشاعر وجب عليه أن يُضفي على نصّه صبغة تلفظية أثناء خطابه خلاصا لعكس نفسيته، ويقوم الشاعر أيضا باستمالة المستمع أو القارئ بأحاسيس ومشاعر تمكّن القارئ من التفاعل مع النص، بغض النظر عن صدق المشاعر أو عدم تجسّدها في الواقع نتيجة التواصل ولهذا "يحتاج القارئ في هذه العملية إلى معرفة مختلف الظروف والسياقات التي سبقت إنشاء هذا النص"³. إنّ النصّ الشعري يجعل القارئ يتحرّى خصائص وصفات الشاعر بدءا من الألفاظ الدالة على ذلك مروراً برصد توجّهات الشاعر النفسية والإيديولوجية والاجتماعية، لأنّ "النص الشعري ليس لعب ألفاظ، وليس نقل تجربة ذاتية وحسب، وإنّما يهدف فوق ذلك كلّهُ إلى الحثّ والتّحريض، وهذا المفهوم الأخير تشمله نظرية الكلام أو التداولية، وتعني هذه النظرية: أنّ التّحدّث يقصد به تبادل الأخبار، وفي الوقت نفسه يهدف إلى تغيير وضع المتلقي وتغيير نظام معتقداته،

¹ - عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، ص 227

² - المرجع نفسه، ص 227

³ - عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب ، ص 227

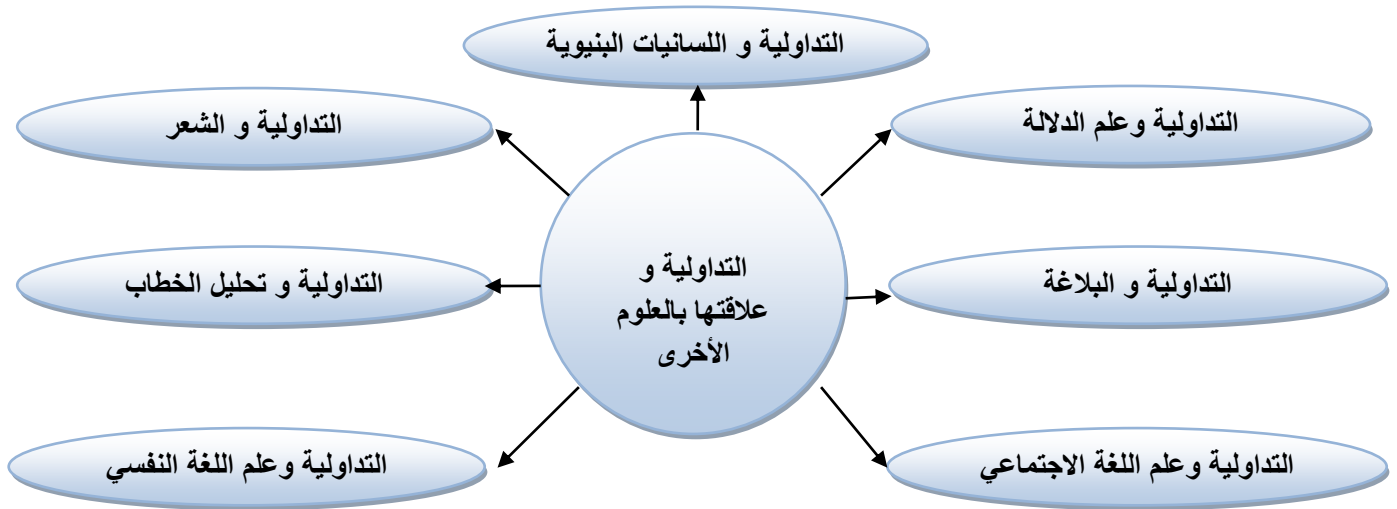
أو تغيير موقفه السلوكي"¹. وذلك نتيجة تأويل القول وفهم المقاصد والظروف المحيطة التي تتدخل في التأثير في المتلقي للحصول على ناتج القول.

وفي هذا المنحى يرى "أوستين" أنّ الخطاب الصادر من الأديب هو أفعال كلامية تؤثر في غيره قصد ثبت تواجده في المجتمع، فالشاعر يقول أفعالا كلامية ليؤثر هو الآخر في من سواه من قارئ أو مستمع، ويستطيع أن يغيّر أفكارا أو يثبتها في المتلقي، ويوجّهه لما هو أجدر من خلال التواصل المتبادل، لأنّ القصيدة هي فعل كلامي له مقصدية معينة لا تحيد عن هدفها، ويضمن هذا الفعل الكلامي أفعالا جزئية تؤوّل إلى الغرض المقصدي الذي نُظّمت من أجله مقصدية القصيدة التي تقتضي أفعالا كلامية يريد الشاعر تحقيقها، ليقرّ بأفكار معينة، ومعتقدات بارزة في المجتمع، وفي المقابل يتلقّى القارئ نص الشاعر بإستراتيجية تعتمد على التحليل والتأويل والتجاوب مع النص، حينها يثبت منزلته جراء النصّ المقدم، ويُسهّم في بناء أفعال كلامية اجتماعية تؤدي به إلى الفهم الدقيق لتحقيق المبتغى المشترك بينهما.

إنّ الشاعر في هذا الصدد يوظّف ألفاظا وأساليب لها مقصدية مباشرة ضمنية أو غير مباشرة يتبادلها المتكلمون، فيتقبّل المتلقي دلالات الباث التي قد تكون الكراهية، أو الحبّ وما سواهما من أغراض، فلا يتوقّف المتلقي عند هذا الحدّ، بل يستنبط الحالات الوجدانية، والثقافية والذهنية الصادرة عن الباث، فالشاعر تتحوّل قصائده إلى رموز ودلالات مقصدية وإشارات يكتشفها المتلقي من خلال التأويل والتفكيك، فلا نقصد بالنص الشعري نقل تجربة ذاتية من الشاعر إلى القارئ فحسب، بل يهدف إلى حثّه للقيام بأمر ما وتحقيق غرض ما، وكذلك التداولية تهتم بالحديث ومقصدية بغية تبادل الأخبار وتغيير وضع المتلقي، وتغيير نظام معتقداته، وموقفه السلوكي والتأثير فيه بشكل عام.

¹ -محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1979، ص55

استنتجنا من هذا الطرح أنّ التداولية لما تدرس اللغة تلتقي مع مجموعة من العلوم التي لها صلة مباشرة باللغة، وهذا ما جعلها ترتبط بعلوم عدّة. هذه ملاحظة تبين لنا أنّ التداولية توظّف اللغة من خلال هذه العلوم لأداء الدراسة اللغوية واستثمارها في العلوم التي ترتبط بالتداولية، ونخلص أخيراً إلى أنّ اللغة هي مركز جميع العلوم المتعلقة بها، وهذا ما جعل علماء التداولية يركّزون على استعمال اللغة في حدود السياق الملائم بغية التواصل والتفاعل بين المتكلم والمخاطب. والمخطط التالي يلخص هذا التوضيح:



الفصل الثاني

أولاً:

التداولية عند العرب.

1. الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب
2. تصنيف البلاغيين العرب للأفعال الكلامية في تراثنا العربي
3. تصوّرات الأفعال الكلامية من منظور البلاغيين العرب

ثانياً:

التداولية عند الغرب.

1. الأفعال الكلامية عند أوستين
2. الأفعال الكلامية عند سيرل

أولاً: التداولية عند العرب:

تُعَدُّ نظرية الأفعال الكلامية اتجاه تداولي، وركيزة أساسية للبحث اللغوي يتطرق إلى دراسة الكلام بين المتخاطبين وفق شروط العملية الإبلابية، لكن قبل الحديث عن التوجه اللغوي في الفكر الغربي يجدر بنا الحديث عنه في الفكر والتراث العربي. ففي هذا الفصل نحاول الكشف عن جهود علماء تراثنا اللغوي، وهل كان عندهم ما يعرف بالأفعال الكلامية؟ وهل هذه الأفعال إنجازية وذات طابع اجتماعي؟ وهل تتحقق في الواقع باللفظ؟ وهل تحمل غرضاً تواصلياً؟ وهل تصنع مواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية؟ وهل تغير من الواقع بفعل قوة التأثير؟ كل هذه التساؤلات هي محل اهتمامنا في الفكر والتراث العربي في هذا المبحث.

قبل الحديث عن الأفعال الكلامية لدى الغربيين يتعين الكلام في الحديث عن الكلام عند النحاة والبلاغيين والأصوليين وعلماء اللغة في دراستهم لأساليب الكلام، وسنركز على جهود واهتمامات القدماء اللغويين ودراساتهم اللغوية في التراث العربي، فقد تداولوا الظواهر اللغوية التي ارتقت إلى ما انتهت به جهود علماء التداولية المحدثين، و" قد بحثت ظاهرة الأفعال الكلامية في تراثنا العربي ضمن نظرية الخبر والإنشاء، واشتغل ببحثها عدد كبير من العلماء، ومن ثم صار متعيناً على من يدرسها أن يتتبع أصولها وتطبيقاتها في مؤلفات عدد من العلماء الأجلاء الذين أسسوا هذه الظاهرة في تراثنا أو عمقوا البحث فيها"¹. لقد سعى علماء اللغة العرب إلى البحث في التداولية، فدرسوا اللغة من حيث الاستعمال، خاصة في مجال البلاغة والنحو والفقه، وكان للبلاغة حصّة الأسد في دراساتهم المختلفة على يد علماء سنذكر بعضهم لاحقاً.

نقوم في هذا الفصل برصد المفهوم التداولي في اللغة العربية قصد تفسير الظواهر اللغوية الخطابية، وهذا من خلال إسهامات وجهود علماء اللغة العرب القدامى، ثم تفصيل الحديث عن الأفعال الكلامية ضمن نظرية "الخبر والإنشاء" في التراث العربي، حيث "تندرج

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص6

ظاهرة الأفعال الكلامية تحديدا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة بـ "الخبر والإنشاء" وما تعلّق بها من قضايا وفروع وتطبيقات¹. لقد اهتمّ العلماء العرب بالظاهرة الأسلوبية في التراكيب المفيدة ذات دلالات صائبة، أي التي لها دلالات مباشرة (حرفية) أو غير مباشرة (ضمنية) و" الملاحظ أنّ العلماء العرب عامة كثيرا ما كانوا يركزون على دعامة " الإفادة" في دراستهم للجملة والنص، إذ هي مناط التواصل بين مستعملي اللغة"². يتّضح لنا أنّ العلماء العرب قد اهتموا بالتواصل في استعمال اللغة وركّزوا على دراسة الجمل لحصول "الفائدة" من الكلام، ودعوا إلى تجنب الغموض والإبهام لاستيفاء معنى الكلام، والبعد عن اللبس الذي يعيق التواصل والإفادة.

للغة العربية خصائص ووظائف تشتمل على صيغ تستعمل في تداول الكلام لأغراض مختلفة كالطلب والإخبار والتمني وغيرها، إذ عالج البلاغيون العرب علم المعاني خاصة في القوة الإنجازية والقوى المتضمنة في القول، مع مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وتطرّقوا للأفعال الكلامية في تراثنا العربي من خلال نظرية الخبر والإنشاء. اشتغل علماء الأصول والبلاغيين والنحويين والفلاسفة بالأفعال الكلامية بغية دراسة المعاني الوظيفية للنصوص التي عالجوها وما احتوته من معاني القول، وجعلوا من هذه الأفعال الكلامية وسيلة لا غاية بغية فهم العلوم اللغوية المختلفة، حيث شكّلت هذه الظاهرة أساسا معرفيا، فاحتلّت التداولية منزلة في الدرس اللغوي، وأحدثت تغييرا لغويا، لأنّها تطرّقت إلى الخطاب بالدراسة، واهتمت بالأفعال المنجزة المنبثقة عن استعمال الألفاظ التي لا يمكن أن تكون نظاما لغويا محدّدا، بل يجب أن تستخدم اللغة في سياق من فعل الإنسان مهتمة بالمنطوق ومضمونه بحكم أنّه فعلا تواصليا. و لتبسيط ذلك نلاحظ " أنّ المنهج التداولي يحوّل الدراسات التي كانت مقتصرة على البنية المجردة لموضوع العبارة، وهذا مذهب البنيوية إلى الدراسة التي تأخذ في

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص49.

² - المرجع نفسه، ص51

الحسبان دراسة هذه البنية لإنجاز العبارة، أي الحثّ على تحويل الخطاب إلى أفعال منجزة، أو ما يمكن أن ندعوه: تأويلاً تداولياً للعبارة"¹، فيتّضح من هذا المضمون أنّ التداولية تجعل اللغة تتجاوز الدراسة الصّورية للغة إلى العناية بها وفق ظروف مواتية للاستعمال اللغوي.

1- الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب:

إنّ ظاهرة الأفعال الكلامية في البلاغة العربية تنحصر في علم المعاني (الخبر والإنشاء) فهي نظيرة الأفعال الكلامية بالتعبير اللغوي الحديث، و"اعلم أنّ علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره"². فعلم المعاني في لغتنا العربية هو علم المقاصد والإفادة التي تستفاد من التواصل اللغوي.

ويصير الكلام كامل المعنى إذا كان الخطاب ذا دلالة ثبوتية، حيث يحدث في السامع أثراً وفائدة، حينئذ لا يفقد الكلام صحّته، فقد قال ابن الجني عن الكلام: هو " كل لفظ استقل بنفسه، وجنيت معناه، فهو كلام"³. إذن الفعل الكلامي ملفوظ يتأسس على منظومة دلالية إنجازية تأثيرية لتحقيق أغراض إنجازية وغايات تأثيرية، وهو عنصر أساسي في التواصل الإنساني، وهذا التأثير له علاقة بالمتكلم فـ" الفعل الكلامي يعني: التصرف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسّساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام"⁴. فهو يقصد بالفعل الكلامي إنجاز الفعل الذي يتلفظه المتكلم من أغراض متعددة كالتهنئة والوعد وغيرهما، وفي اللغة العربية نستعمل الفعل الكلامي في معاني الأساليب العربية المقصودة بالأساليب الخبرية والإنشائية في تراثنا العربي وألا تبقى هذه المعاني مجرد مضامين لغوية، بل تكون إنجازات تواصلية

¹- زيبيليه كريم، اللغة والفعل الكلامي والاتصال مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين، ترجمة وتحقيق: ،

مكتبة زهراء الشرق، سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2011، ص 133

²- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي في مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب

العلمية، بيروت لبنان، ط 2006 ص 247

³- ينظر: ، أبي الفتح ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ص 17

⁴- مسعودي صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،

في مواقف اجتماعية للتأثير في المتلقي فلا تكون اللغة مجرد للتواصل كما تتصورها المدارس الوظيفية، أو رموزاً للتعبير عن الفكر كما تتصورها التوليدية التحويلية، وإنما هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداث.

اهتمّ البلاغيون بدراسة علم المعاني بشقيه الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي "سيبويه (ت180)"، أبو نصر الفراء (ت338)، "عبدالقاهر الجرجاني (ت471)"، "أبو يعقوب السكاكي (ت626)"، وجلال الدين القزويني (ت739)، ودرسوا الأساليب الخبرية والإنشائية وميزوا بينهما وفسروا الظاهرتين بدقة، كل حسب تخصصه ونظريته لهذه الظاهرة. ويذكر بأن معظم الأصوليين والبلاغيين والنحويين أجمعوا على أنّ الكلام خبر وإنشاء فقط "اعلم أنّ الحذاق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة على انحصار الكلام فيهما وأنه ليس له قسم ثالث"¹. ورغم ذلك لم يجعل العلماء الدارسون للغة أهمية قصوى لتقسيم علم المعاني، بل تعمّقوا في بحوثهم للخبر والإنشاء ملّمين بمعاني التراكيب ومقاماتها المتعدّدة، ودرسوا هذه الجمل من حيث قوتها وضعفها والفعل الذي تتضمنه الجملة القويّة هو ما نجده عند "سيرل" في مفهوم "القوة الإنجازية" في البحوث التداولية المعاصرة.

يعدّ علماء اللغة وأهل البلاغة والنحاة مصادر أساسية للتفكير التداولي عند العرب، وعليه سنوضّح بعض دراسات هؤلاء العلماء وفق تداولية معاصرة، حيث تفرّعت أفكارهم المعرفية إلى فرعين:

- الفرع الأول: فرع اهتمّ بالنظام اللغوي الذي تأسّس على أنماط صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، وجعلوا لكل مستوى مميّزات خاصة به مرتبطة ببعضها بعضاً دون الاهتمام بمقتضيات الحال و مقصدية المتكلم.

- الفرع الثاني: اعتنى العلماء بالنصوص وسياقاتها وعلاقتها بالمقام والمتكلم والسامع والجانب النفسي والذهني والاجتماعي على " أنّ الكلام غير مقصود في نفسه، وإنما احتيج

¹-جلال الدين عبد الرحمن "السيوطي"، الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، دت، ج2، ص97

إليه ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم¹. فالكلام يُثبِت ثَمّة وظيفة للغة تتمثل في التواصل اللغوي بين النَّاس لكي يفصحوا عن نواياهم ومقاصدهم وأغراضهم، ويوضّحوا معاني كلامهم في سياقاتهم الموظفة.

لقد قام البلاغيون العرب بتقسيم الكلام إلى قسمين: خبر وإنشاء واهتموا بدراسة أساليب الكلام الخبرية والإنشائية ومعانيها البلاغية المتعدّدة كالوعيد، والتهديد، والإغراء، والتحذير والتوكيد، والالتماس، وغيره من الأغراض البلاغية وأسبغوها صبغة تداولية حيث يرى ابن الجني (ت392) أنّ الكلام هو "كل لفظ استعمل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام... فكل كلام قول وليس كل قول كلاماً"². نستنتج من هذا القول أنّ الكلام هو الذي يؤدّي معنى مفهوماً ومفيداً مستقلاً بذاته، أمّا الكلام الذي لا يفيد فهو مجرد قول. هذا الكلام يُعتبر ملمحاً تداولياً عند علماء اللغة العرب، فالفعل لديهم هو النّواة الأساسية في العملية التواصلية، يراعون فيها ما يقصده المتكلم، ووضع السامع، مع مراعاة المقام، والغرض من الكلام، وهذا ما تشترطه التداولية عند المعاصرين اللغويين.

كما تجلّت أعمالهم في تفسير وظيفة اللغة على غرار ما أورده عبد القاهر الجرجاني (ت471) والرضى الإستراباذي (ت686) اللذان اهتمّا بالأساليب الخبرية والإنشائية وبينّا معانيها البلاغية ووظائفها التواصلية، وقاما بتحليل الظواهر اللغوية لما لها من غايات تواصلية تصدر من المتكلم لتحقيقها، وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني: "إنّ الناس يكلم بعضهم بعضاً ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصده الرامي والهادف إليه"³، وذلك لتفسير الظاهرة اللغوية من خلال مرجعية خارجية لها ارتباط بالقصد. و يوافقه في هذا السّكاكي في إفهام المتكلم خطابه للمتلقّي: "وأعني بالفهم فهم ذوي الفطرة السليمة مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب: "إنّ زيدا منطلق" إذا سمعه العرف بصياغة الكلام، ومن أن يكون مقصوداً به نفي الشك أو رد الإنكار، أو من تركيب: "زيد منطلق"، من أنّه مجرد القصد إلى

¹ - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص209

² - أبو الفتح بن الجني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، بيروت، لبنان، ج1، ط، 1952، ص18

³ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة، 1984، ص408

الإخبار، أو من نحو "منطلق" بترك المسند إليه من أنه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار، مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها¹. إنَّ هذه التراكيب دلَّت على معانٍ محدَّدة ذات قصد ومقام مختلف، استعملت في صيغ مختلفة وتتضمن إنجازيه للفعل، تتفاوت حسب درجة القوة الإنجازية، ولهذه التراكيب أبعاد تداولية:

- إن زيدا منطلق (1).

- زيد منطلق (2).

- منطلق (3).

في المثال (1) نجد المخاطب ينكر أو ينفي فعل الكلام لما انتابه شك، فاستعمل المتكلم قوَّة إنجازية بتوكيد واحد.

وفي المثال (2) تحقق الفعل الكلامي بذكر القصد فقط وهو الإخبار عن انطلاق زيد بغية الإثبات دون اللجوء إلى توكيد وبدون قوَّة إنجازية.

وفي المثال (3) هو فعل كلامي حذف فيه المسند إليه "زيد" يقصد به الإخبار عن انطلاق زيد وتتباين هذه الصيغ فيما بينها لغويا في درجة الشدة بحسب القصد المتضمن في القول.

هذه الأفعال اللغوية المختلفة من حيث القصد والمقام تجعل المتكلم يختار الأفعال اللغوية المتضمنة في القول مراعيًا موقف المتلقي، فـ "كل صنف من المتضمن في القول له غرض أو هدف ذاتي لكونه فعلا من ذلك التصنيف... فالوعود... غرضها إلزام المتكلم نفسه بعمل شيء، والأوامر... لحمل الناس على عمل شيء، وهكذا فكل واحد من هذه الأغراض أو الأهداف، نسميه الغرض المتضمن في القول للفعل المتعلق به"². نلاحظ أنَّ علماء البلاغة العرب قد تطرقوا إلى دراسة الظواهر اللغوية ذات دلالات ظاهرة وغير ظاهرة مستخدمين اللغة في مقاماتهم الخطابية لمواقف متعددة ومناسبة، حيث اهتموا بدراسة

¹- أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، ص248

²- سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة

الكويت الكويت، 1994، ص17

الخطاب والإقناع، وألما بمسألة تطرق المخاطب وطريقة أدائه، والمخاطب وطريقة تلقيه الكلام المواتي لمقتضى الحال، وهذه المسألة تعد من بواكير التفكير اللغوي للتداولية عند العرب، والعرب في هذه الدراسة لم ينطلقوا من عدم، بل جعلوا للتفكير التداولي اللغوي مصادر: كالنحو، وعلم البلاغة وكل ما ورد من علم أبدعه العلماء الأصوليين و البلاغيين.

2- تصنيف البلاغيين العرب للأفعال الكلامية في تراثنا:

اهتمّ البلاغيون بالعملية الإبلابية بين المتكلم والسامع لأنهما ركنان أساسيان في العملية التبليغية، ولكلّ منهما أهمية في عملية التواصل؛ فالأول يُنشئ الكلام، وينتجه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وكلاهما يشترك في العملية التواصلية، فالأول أساس الإبلاغ إذ يتحتّم عليه مراعاة مقام المخاطبين وأنماط الخبر المرسلّة إلى المتلقي، أمّا الثاني يستقبل الكلام ويتوجّب عليه الفهم بغية التواصل مع المتكلم ليتأثر ويتمكّن المتكلم من تغيير الواقع ليعطي للكلام قيمة تداولية.

لقد بحث البلاغيون العرب في علم المعاني، وكانت دراساتهم مقصودة لفعل "الخبر" و "الإنشاء" وغايتهم تبليغ المعنى حسب طبيعة التراكيب والنصوص المعدة للدراسة التي تقتضي الدقة والوضوح، وهذا تأكيد بأنّ المعاني الكلامية نفسها لها مقاصد وأغراض يتلفظ بها المتكلم لتجد غايتها لدى السامع بعد فهم المعاني و" اعلم أنّ المعاني جمع معنى؛ وهو في اللغة المقصود، وفي اصطلاح البيانين: هو التعبير باللفظ عما يتصوره الذهن، أو هو الصورة الذهنية من حيث تقصد من اللفظ"¹. وفي هذا الصدد نجد أنّ الكلام عندهم يتجزأ إلى نوعين هما: الخبر والإنشاء:

¹ - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة

العصرية للطباعة والنشر، ص48

2-1 - قسم الخبر:

الخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب، وهو " ماجاز تصديق قائله أو تكذيبه وهو إفادة المخاطب أمراً... نحو: قام زيد، زيد قائم"¹. فإذا كان الكلام المتضمن للمعنى موافقا للواقع فهو صادق المعنى، لأنّ الخبر يقصد به سرد حكاية محققة خارجيا، وإن خالف الواقع فهو كاذب أي أن الكلام يتضمن معنى إن وافق خارجه كان صادقا، وإن خالفه فهو كاذب.

ويقول الجرجاني: "إن الخبر وجميع الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض، وأعظمها شأنًا الخبر الذي يتصوّر بالصور الكثيرة"²، فالخبر هو عمل ذهني ينشئه المتكلم ليلبغ أفعالا كلامية لها مقاصد تتصور أيضا في ذهن المتلقي.

ويذكر أيضا أن: " الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته"³. إن صدق الخبر يقتضي أن يكون مطابقا للواقع، والعكس في كذب الخبر الذي يكون مخالفا للواقع، وبهذا يكون الكلام له نسبة عند قولنا: " إنّ الدين الإسلامي هو خاتم الأديان"، الخبر هنا صادق ومطابق للواقع، والنسبة الكلامية للجملة هي ثبوت صفة وحتمية أنّ الإسلام حوصلة الأديان، وفي نفس الوقت يطابق للنسبة الخارجية، أي أنّ النسبة الكلامية التي دلّ عليها الخبر وفهمنا معناها سُميت نسبة كلامية من خلال الجملة أو الخبر، أمّا النسبة الكلامية الخارجية فهي المحققة في واقع القرآن الكريم، فإنّ الأسلوب الخبري يثبت صفة وهي ألا دين بعد الدين الإسلامي، وهي صفة ثابتة سواء نطقنا بالجملة أم لم نلتزم بها، فالحقيقة في الواقع تجيب وحدها بما اعترف به اليهود والنصارى والشرائع كلها، وهذا ما يشير إلى أنّ "الخبر هو ما يتحقق مدلوله

¹- أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، ص74

²- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ص46

³- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص55

في الخارج بدون النطق به ¹. يكون الخبر مثبتاً ومنفياً بخلاف الإنشاء الذي لا نصيب له من ذلك؛ فالخبر عندهم ما كانت له نسبة كلامية خارجية تطابق الواقع مع مراعاة نية وقصد المتلقي ومطابقتها للواقع، والعكس إذا كان كاذباً، على خلاف الإنشاء من ذلك الذي لا نسبة كلامية له مطابقة للواقع والبون بينهما أنّ "الفارق بين الخبر والإنشاء هو قصد المطابقة أو قصد عدمها في الخبر، والإنشاء ليس فيه قصد للمطابقة ولا لعدمها" ². إذا كان الخبر له وصف الصدق أو الكذب فلا بد أن يكون له عوامل خارجية تحقق فحوى الخبر، ويستثنى من ذلك كلام الله عز وجل، فـ "في بعض الأحيان قد يوصف الخبر بالصدق فحسب، أو الكذب فقط، ولكن هذا ليس لذات الكلام من حيث هو كلام خبري، وإنما باعتبار أسباب أخرى خارجة عن نطاق الجملة تؤيد صدقه أو كذبه، فأخبار القرآن الكريم لا تحتل إلا الصدق باعتبارها كلام الله عز وجل، وقول اليهود: عزيز ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، كلام لا يحتمل إلا الكذب لأنّ الواقع يكذبه ويبطله، وإن كانت تحتل الصدق والكذب من حيث هي أخبار" ³، فالإدّعات لا وجود لها في خضرة الحقيقة، وهذا ما يصدّقه ويؤمن به المسلمون.

2-1-1- أصناف الخبر:

يراعى في الأصناف الثلاثة- التي سنتحدث عنها- عنصران أساسيان في عملية التّخاطب هما: المتكلم والمخاطب، إذ يحكمهما الكلام بدقّة دون اللجوء إلى الإسهاب في الكلام حتى يفصح المتكلم عن غرضه دون الحاجة إلى العبث في الكلام، ونقصد بهذه الأصناف أضرب الخبر التي تعدّ مبحثاً من مباحث علم المعاني في البلاغة العربية، فقد اتّفق البلاغيون قديماً وحديثاً أنّ أضرب الخبر ثلاثة: ابتدائي، طلبى، وإنكاري، والتي تتفاوت

¹- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص55

²- جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حواشيه

إبراهيم شمس الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 2013، ص56

³ -بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، مصر،

ط4، 2015 ص43

فيما بينها حسب حال المخاطب ومقامه من الكلام الموجه إليه، الأول يدعى ضرباً "ابتدائياً" لأن المتكلم خالي الذهن فيلقى إليه الكلام دون تأكيد، والثاني يدعى ضرباً "طلبياً" لأن المخاطب يشك ويتردد في الخطاب الموجه إليه، والثالث يدعى ضرباً "إنكارياً" لأن المخاطب يحتاج إلى تأكيد الكلام بأكثر من مؤكّد.

واستهلالات لأضرب الخبر نجد السكاكي يسرد رواية مشهورة لأبي إسحاق الكندي مع أبي العباس المبرّد بأنّه يجد في كلام العرب حشوا يظهر في قولهم: "عبد الله قائم"، ثم قولهم: "إنّ عبد الله قائم"، ثم "إنّ عبد الله لقائم" والمعنى حسبه واحد، فأجابه المبرّد وهو أديب لغوي، بأنّ المعاني مختلفة ذلك أنّ "قولهم عبد الله قائم"، إخبار عن قيامه، وقولهم "إنّ عبد الله قائم" جواب عن سؤال سائل، وقولهم "إنّ عبد الله لقائم"، جواب عن إنكار لقيامه¹. وبكلّ بساطة فإنّ هذه الرواية تجسّد أضرب الخبر في بلاغة العرب، وقد أفردتها كثير من البلاغيين مباحث لتبيين القصد من أفعالها، وهذه الرواية توضح لنا نسبة القيام لدى زيد الذي هو حشو لقضية واحدة التي تحمل معنى قضويًا، وفعلاً إنجازياً، فالجمل الثلاثة اتفقت على تشكيل أسلوب خبري، لكنّها اختلفت في درجاتها في كل حال حسب المقام والغرض المتضمن في القول، وبهذا فهي تحمل معنى تداولياً، إذ حملت الجمل معاني قضوية مختلفة؛ فجملة "عبد الله قائم" يقصد من هذا الخبر إفادة المخاطب بقيام عبد الله دون سواه، وجملة "إنّ عبد الله لقائم" خبرها يقتضي تأكيد قيام عبد الله بعد شك المخاطب وريبه في ذلك، أما جملة "إنّ عبد الله لقائم" فاقتضت التأكيد بمؤكدين لأنّ المخاطب أنكر هذا الحكم ورفضه، ومن هنا يتضح أنّ السكاكي يولي أهمية للمعنى القضوي وما تتضمنه الأفعال الإنجازية من قصدية المتكلم نحو المتلقي، وبهذه الحقيقة نجد أضرب الخبر عند السكاكي هي مظهر تداولي يهتم بالمعنى والفائدة بين المتكلم والسامع.

¹ - أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص 259

لقد ارتكزت أضرب الخبر على قاعدة تداولية حصرها البلاغيون في الباث والمتلقي، ممّا يجعل الأوّل يتصرف في الكلام والمقصد والمقام حسب الضرورة، وهذه الأنماط اللغوية الثلاثة ذات مقامات مختلفة نوجزها على النحو التالي:

- ضرب الخبري الابتدائي:

هو ضرب لا يحتاج إلى تأكيد بإحدى المؤكّدات، باعتبار أن المتلقي خالي الذهن ممّا سمعه من المتكلم الذي " إذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خلي الذهن عما يلقي إليه، ليحضر طرفاه عنده، وينتقش في ذهنه استناد أحدهما إلى الآخر ثبوتاً أو انتفاءً، كفى في ذلك الانتقاش حكمه ويتمكن لمصادفته إياه خاليا فتستغني الجملة عن مؤكّدات الحكم، ويسمى هذا النوع من الخبر ابتدائياً"¹، فالمتكلم ألقى بخبر وحكم تضمّن فعلاً إخبارياً إثباتياً جاهزاً لإفادة المخاطب، خالٍ من أدوات التوكيد فهو غير مضطرّ لذكرها، وذهن المتلقي خالٍ من الخبر، وهذا الخبر هو خبر ابتدائي، ومثال ذلك: الأستاذ قادم.

- ضرب الخبري الطلبي:

هو الذي يطلب فيه المتلقي تأكيداً من المتكلم بأداة من أدوات التوكيد ممّا يجلو الشك من ذهن المتكلم و " إذا ألقاها إلى طالبها متحير طرفاها عنده دون الاستناد فهم منه بين لينقذه عن ورطة الحيرة، استحسن تقوية المنقذ بإدخال "اللام" في الجملة، أو "إن"... كنحو لزيد عارف أو إن زيدا عارف... ويسمى هذا النوع من الخبر طلبياً"². إنَّ المخاطب حينما يلقي على مسمعه فعل الكلام ويكون متردداً وشاكاً في حقيقة الحكم فيطلب تأكيداً بعد الوقوع في حيرة وهو بحاجة إلى أن يقوي المتكلم كلامه بإدخال أداة من أدوات التوكيد لإزالة الشك باليقين لما يتضمنه فعل الإخبار، وتعدّ هذه الأداة قرينة تداولية لها دور فعّال في تقوية الكلام و بما يسمى بشدّة القول، ويسمى هذا النمط بضرب طلبي.

- ضرب الخبري الإنكاري:

هو طلب من المخاطب ليؤكد له المتكلم إذا كان السامع منكراً للخبر ف " إذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه، ليرده إلى حكم نفسه، استوجب حكمه ليترجح تأكيداً بحسب ما أشرب

¹- أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم ، ص119

²- المرجع نفسه ، ص258

المخالف الإنكار في اعتقاده" (مفتاح العلوم، ص258). وإذا بالغ المتلقي الإنكار فيتم التأكيد له بأدوات هي: "إنّ، وأنّ، ولام الابتداء، وأحرف التنبيه، والقسم، ونونا التوكيد، وأحرف الزائدة (كتفعل واستفعل)، والتكرار، وقد، وأمّا الشرطية، وإنّما، واسمية الجملة، وضمير الفصل"¹. وإذا أُلقي الكلام إلى المخاطب وهو منكر للحكم المتضمن في القول، ويكون معتقدا خلافه فإنّه بحاجة لتوكيد الخبر أكثر من مؤكّد، وهنا تتعزز درجة شدّة القول التي اقترحها "سيرل" لتحقيق غاية معينة من الكلام، وفي هذا يقول السكاكي: "وإذا ألقاها إلى حاكم بخلافه ليرده إلى حكم نفسه، استوجب حكمه ليترجح تأكيدا بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده، كنحو "إنّي صادق" لمن ينكر صدقك إنكارا، "وإنّي لصادق" لمن يبالغ في إنكار صدقك و"الله إنّي لصادق" على هذا"² في هذا الضرب الخبري استدعاء من المخاطب إلى المتكلم كي يثبت الحكم الذي نقله إليه، ويسمى هذا النمط ضربا إنكاريا. نلمس ثلاثة خطابات متباينة في هذه الأضراب الثلاثة لاختلاف حال السامع والمتكلم والمعنى القضوي، وهذا ما جعل "سيرل" يميز بين درجة الشدّة من خطاب الآخر، مما يجعل المتكلم ينقل كلامه عبر مراحل تدريجية من ابتدائي فطلبي ثم إنكاري. كما تحمل هذه الخطابات مقامات ثلاثة حسب حال المتلقي، وهذا ممّا يجعل القبول والرفض محلّ بين المتكلم والمخاطب ويتسم الخطاب بالحجاج، حيث ألفينا أنّ هذه الأضراب قد تضمنت فعلا إخباريا يحوي معنى قضويا واحدا، لكنّها اختلفت في درجة شدّته وضعفه حسب مقتضى حال السامع نتيجة توظيف قرائن كأدوات التوكيد للدلالة على القوة الإنجازية التي يتضمنها الكلام في الخطاب تماشيا والرؤية التداولية. إنّها مظاهر لغوية بين السكاكي أضرِبها واتّضحت مطابقة أقواله في البحوث التداولية تماشيا للقرائن التداولية التالية:

- **القصْد:** ويعني به بناء استراتيجيه من قبل المتكلم يسعى من خلاله توجيه المخاطب إفهام مقاصد الباث ومساعدة المتلقي لتأويل سياق المتكلم، وهذا "يتعلق بمختلف الشروط الإستراتيجية التي يقصد إليها المتكلم في عملية تخاطبه مع المؤلّ، والهدف منها هو

¹- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص58

²- أبويعقوب يوسف بن محمد علي السكاكي، مفتاح العلوم، صص259، 258

مساعدة هذا الأخير وتوجيهه توجيه صحيحا لفهم دلالة النص أو تأويله تأويلا يلائم سياقه التخاطبي¹. ويحقق القصد الفعل الكلامي الموجّه إذا تحقّق الفهم والتأويل، وأشبعت الحالة النفسية وتحقّقت الرّغبة، كان القصد محقّقا فهو يمثّل حالة معيّنة للأشياء.

- **الإفادة:** : ويعني بها تحقيق الفائدة من إبلاغ الكلام بشكل سليم وهي "حصول الفائدة لدى المخاطب ووصول الرسالة الإبلاغية إليه على الوجه الذي يغلب عليه الظن أن يكون هو مراد المتكلم وقصده وهي الثمرة التي يجنيها المخاطب من الخطاب"²، لأنّ الخطاب هو الكلام الذي يقصد به الإفهام في الجملة، وهي أن يكون الكلام مفيدا يصح الإكتفاء به فيتوقف المخاطب عند الكلام عند تمام المعنى، حين يستلزم التركيب موضوعا ومقصدا معينا ذا فائدة تامة.

- **السياق المقامي:** يعني القرائن اللغوية التي تتعلق بجوانب الخطاب، فالسياق المقامي هو الذي " يهتم بالموقف الخارجي الذي تقع فيه الكلمة وهو الإلمام بالمعطيات الخارجية التي تحدث أثناء التخاطب وفق الظروف والقرائن، وهذه القرائن التداولية تتدرج في الدرس التداولي العربي، فكلّ من القصد والإفادة والسياق المقامي تتدرج ضمن مقتضى الظاهر حيث يكون كلام المتكلم صريحا ومباشرا والذي يسمى في تصنيف "سيرل" بالإخباريات، لتحقيق الخبر وإثباته"³. انطلاقا من هذا التقسيم البلاغي جعل اللغويون القسم الأول خبرا ابتدائيا، والقسم الثاني خبرا طلبيا والقسم الثالث خبرا إنكاريا، وهذا ما سمّاه "سيرل" المتضمن في القول"، إنّها جمل ثلاث تختلف معانيها وتتفاوت من حيث شدة القول وإنجازية الفعل.

¹ - أبوشعيب شداق، مقصدية العمل الأدبي بين التقيد والانفتاح، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية

ديسمبر 2004، ج54، 449

² - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص186

³ - إبراهيم أصبان، السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، مجلة الإحياء، دار أبي رقرق، المغرب، العدد

2007، 205

2-1-2- ضوابط الخبر والإنشاء بلاغيا :

يعدّ الخبر والإنشاء (علم المعاني) أهم الركائز الأساسية في التراث العربي كما هو الحال لنظرية الأفعال الكلامية في التداولية المعاصرة، حيث نُوقشت في مباحث علم المعاني، الذي يعرفه السكاكي: "هو تتبع خواص تراكيب الكلم في الإفادة وما بها من الاستحسان"¹. وهذه الإفادة المرجوة من الخطاب يقابلها "مبدأ التعاون" لسيرل، إذ أحاط البلاغيون العرب علم الكلام بضوابط تجعله ذا كفاية علمية حين طبّقوا الظاهرة اللغوية "علم المعاني" في نصوصهم وعرضوها للتطبيق رغم تفاوت آرائهم وتخصصاتهم للتمييز بين الأسلوبين الخبري والإنشائي ومن هذه الضوابط:

. مطابقة الصدق أو الكذب:

يرى العلماء العرب أنّ الكلام خبر وإنشاء؛ فالخبر هو ما يقبل الصدق أو الكذب، أمّا الإنشاء فهو خلاف ذلك، وقد اتفق أغلبهم على هذه الضوابط، وفي هذا نسعى إلى عرض آراء البلاغيين في التفريق بين الخبر والإنشاء:

يقول السكاكي في الخبر: " أمّا في الخبر فلأن كل واحد من العقلاء ممن لا يمارس الحدود والرسوم، بل الصغار الذين لهم أدنى تمييز يعرفون الصدق من الكاذب بدليل أنهم يصدقون أبدا في مقام التصديق ويكذبون أبدا في مقام التكذيب، فلو أنّهم عارفون للصادق والكاذب لما تأتّى منهم ذلك"². يرى السكاكي أنّ الخبر هو الذي يصلح لمعاري الصدق والكذب، فالخبر إذا كان صادقا صار بهذا الوصف مطابقا للواقع مع اعتقاد قائله بالمطابقة، أمّا إذا اتصف بالكذب فهو غير مطابق للواقع حسب اعتقاد صاحبه أنّه غير مطابق للواقع.

أما الطلب فقسّمه السكاكي إلى نوعين: " الطلب إذا تأملت نوعان: نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول، وقولنا لا يستدعي أن يمكن أعم من قولنا يستدعي أن لا يمكن،

¹ - أبو يعقوب يوسف بن محمد علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص151

² - المرجع نفسه ص92-93.

ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول¹. إنَّ النوع الأول الذي ذكره هو التَّمني، لأنَّك تطلب شيئاً من الماضي غير موجود في الواقع، والنوع الثاني خصه للاستفهام والنهي والنداء، لأنَّ هذه الأنواع تتطلب الحصول في الواقع لأنه يحصل في الذهن.

ويدعم هذا الطرح بالقول: " الخبر والإنشاء وإن كانا نوعين متكافئين لا سبق لأحدهما على الآخر في المعنى، ولكن الخبر في اللفظ، والوضع أصل، والإنشاء طارئ عليه، وكل طارئ لا بدّ من دلالة، وتلك الدلالة في الإنشاء إمّا لفظية أو معنوية. واللفظية إمّا أداة: كحروف النهي والاستفهام والتّمني والترجي والنداء، ... وفعل المدح والذم... والمعنوية كألفاظ العقود، كبعث واشترت، وزوجت وطلقت"²، فيتّضح لنا أنّ الضابط الأساس والأول هو صدق الخبر من عدمه، وبه ميّزوا بين الخبر والإنشاء، وأنَّ هذا الكلام يجب أن يكون مقرونا بالفائدة المرجوة من الخطاب حتى يؤدّي التركيب تواصلاً نفسياً واجتماعياً، وأنَّ الخبر ينحصر في الأقوال الصادقة أو الكاذبة على أساس مطابقته الواقع أو عدمه، وله نسبة كلامية توصف إمّا صدقاً أو كذباً، فحقيقته تتجسّد في مرجعيته في الواقع، لكنَّ الإنشاء لا حقيقة مرجعية له في الواقع الخارجي عن اللغة المستعملة في الخطاب.

- مطابقة النسبة الخارجية:

يرى جلال الدين القزويني في نسبة الخبر وتطابقه للواقع أنّ "الكلام إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لاتطابقه، أو لا يكون لها خارج، فالأول الخبر والثاني الإنشاء"³. فالفعل في الخبر له نسبة كلامية، أي الخطاب الذي يقبل الصدق أو الكذب إذا تحقّقت النية الخارجية، ونقصد بها الجانب النفسي للمتكلّم والمخاطب، لأنَّ النسبة الكلامية تصف الواقع وحاله وهي معتمدة على مرجعية الخبر إن بالصدق أو الكذب، بيد أنّ الإنشاء لا يعتمد على حقيقة في الواقع فلا نسبة خارجية له، ومثال ذلك قول الله عز وجل: " قال إنه يقول إنها بقرة

¹ - المرجع نفسه، ص 131

² - ركن الدين محمد بن علي الجرجاني الإشارات والتنبّهات في علم البلاغة، تحقيق: عبدالقادر حسين، دار النهضة،

مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط 1997، ص، ص 85، 86

³ - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 152

صفراء فاقع لونها تسر الناظرين"البقرة⁶⁹. في الآية الكريمة إخبار ووصف وتصوير للبقرة، فالخبر له نسبة كلامية تطابق النسبة الخارجية لتواجد وصف متعارف عنه في واقع اليهود، فالنسبة الكلامية وافقت النسبة الخارجية، متعلقة بالنسبة النفسية، وهذه النسب لا تناقض بعضها ولا تنافر بينها.

وعرّف الشريف الجرجاني الإنشاء بأنه: "كلام لفظه سبب لنسبة غير مسبوق بنسبة أخرى"¹، حيث يرى الشريف الجرجاني أنّ الصدق والكذب هما صفتان للخبر، والإنشاء حقيقته الطلب، إذاً الإنشاء لا يحتمل المطابقة ولا عدمها، أمّا الخبر فيعرّفه "إن كان لفظه سببا لنسبة هي صورة الكلام، لكنها مسبقة بنسبة أخرى هي حكاية عنها، فإن تطابعا، فالخبر صادق، وإلاّ فكاذب"². أمّا القزويني فيذكر: "ووجه الحصر أنّ الكلام إما خبر أو إنشاء لأنّه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج الأول الخبر والثاني الإنشاء"³. فالقزويني جعل الخبر مطابقا لمتقتضى الحال مع الغفهام والفائدة من الخبر وما يسوقه عليه ظروف مجتمعه ووضعه النفسي، والخبر عنده هو قول متضمن في القول له نسبة معلومة في الواقع سواء بالإثبات أو النفي.

واعتمادا على هذه النصوص ندرك أنّ الخبر والإنشاء كلاهما كلام تام له غاية وفائدة تواصلية، إلا أنّ الخبر له نسب كلامية خارجية، غير أنّ الإنشاء ليس له تلك النسبة، حيث وجدنا أنّ البلاغيين العرب أجمعوا على أنّه للخبر نسبة كلامية تصف الخبر إمّا أن يكون صادقا أو كاذبا، لأنّ حقيقته تكمن في مرجعيته من الواقع، بيد أنّ الإنشاء لا حقيقة له في مرجعيته للواقع، فإنّ "الخبر هو الخطاب التواصلية المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية، وأنّ الإنشاء هو الخطاب التواصلية المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تجد نسبته الخارجية"⁴. وذلك لتعيين القيمة

¹- ركن الدين محمد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص86

²- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص86

³- المرجع نفسه، ص28

⁴- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص58-59

التداولية للخبر المتمثلة في الصدق، ومطابقته الواقع، وقصد المتكلم للإخبار يصبح اخباريا إذا قصد الباث البحث عن النسبة الخارجية.

ومطابقة النسبة الخارجية للخبر تترسّم بالشكلين التاليين:

- للخبر نسبة خارجية تطابق الواقع.

- انعدام النسبة الخارجية فلا تطابق.

إذ نجد في هذه الأقوال توجّها تداوليا من حيث توفر الصدق والكذب والقصد منهما، وحال المخاطبين ونسبة الكلام ونسبته الخارجية. وفي هذا الصدد لم نود إثارة الخلاف عند بعض البلاغيين حول الخبر والإنشاء، لأنّ الدراسة لا تقتضي التّوسع في هذا المجال، بل ذكرنا ما اتّفق عليه غالبية جمهور العلماء.

وخلاصة الكلام في هذا العنصر أنّ الخبر في سياقه هو خطاب يعتدّ به للتواصل بفائدة مرجوة من المتكلم انطلاقا من نسبته الكلامية المطابقة لنسبته الخارجية الموجود في الواقع، أمّا الإنشاء فهو أيضا كلام تواصلية ذا فائدة تصدر من المتكلم الذي يقصد كلاما ليست له نسبة خارجية.

- القصد في الكلام:

اعتمد علمائنا على ضابط "القصد" في توافق الكلام ونسبته الخارجية وفق الواقع، التي ينبغي أن تتحقق قبل الكلام، فاتّخذوا "القصد" كضابط للتمييز بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي. وإنّ القصد مرتبط بالمتكلم لأنّه "هو فاعل الكلام"¹، فالقصد هو الذي يبني استراتيجية التخاطب، وهو ركيزة التواصل للإبلاغ، لذا القصد هو النية، والمعنى من الكلام "فأما المعنى هو القصد"². القصد لا يقتصر على المتكلم والمعنى والقصد فحسب،

¹- أبو الهلال الحسن العسكري ، الفروق في اللغة، مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة، تحقيق لجنة

إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط4، 1997، ص27

²- أبو القاسم محمود الزمخشري ، أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان

1982، ص327

بل لا بدّ أن يكون موجودا لدى السامع ليتحقّق القصد في عملية التخاطب، وهو أيضا ركيزة لمقام المتكلم.

أمّا أبو يعقوب المغربي فقد ميز بين الخبر والإنشاء ووضح "نسبة القصد" في الخبر فقال: " فذلك الكلام الذي له تلك النسبة خبر، وألا يكن لتلك النسبة المفهومة من الكلام معنى خارج لأيّ أحد الأزمنة الثلاثة، بأنّ لا يقصد بالكلام حصول نسبة خارجية، بل قصد كون نسبته توجد باللفظ"¹، أمّا الإنشاء فعرفه " عدم قصد حكاية تحقّقها في الخارج " ². ومن منظور الأفعال الكلامية هناك تقابل بين الخبر والإنشاء، والاختلاف قائم بينهما تحت غطاء ضروب الكلام المنجزة، فالإخبار الذي يصدر من المتكلم لا يختلف عن الإنشاء من حيث حصول العمل، فالفرق بين الخبر والإنشاء عملاقان يصدران من المتكلم، كقولنا:

المثال الأول:

- هل جاء المعتمر؟ (1)

- جاء المعتمر. (2)

الفرق بينهما، أنّ (1) يدلّ على الاستفهام، بينما (2) يدلّ على الإثبات، أيّ الخبر. ففي كليهما يصنع المتكلم مقصدية، وينجز عملا إنجازيا، فيتلاقى الاستفهام مع الإثبات؛ فالمثال (1) ينشئ استفهاما عن الخبر، والمثال (2) يريد المتكلم إثبات الخبر، وكلاهما محلّ للفعل الكلامي بلفظه الصادر عن المتكلم أو السائل، والتلاقي بينهما ينحصر في تشارك الإخبار والاستفهام في أنّ الفعل صادر من المتكلم، بغية عمل (فعل) الأوّل للاستفهام، والثاني لإثبات قضية مشتركة، فيمكن للخبر أن يؤوّل إلى إنشاء ولا يحدث العكس.

المثال الثاني:

- (1) ما أعظم خلق الله!

¹ ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت

لبنان، ط1 2000-1/ ص، ص141-142

² ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق خليل إبراهيم خليل، ج1/ص459.

- (2) ما أعظم خلق الله؟

هذان ضربان من الكلام ينشآن عملاً وفق مقصد محدّد، فالمثال (1) هو تعجّب قياسي يحمل قضية ، والمثال (2) هو استفهام يحمل الآخر قضية، ولهما إحالة قضوية حسب المعنى، فالتعجب والاستفهام صادران من الباث لفعل وقضية واحدة، لكن الطبيعة القضوية تختلف من ضرب لآخر تبعاً للقصد المحدّد و العُرف المستعمل، مع الاختلاف في نوع التركيب والإحالة، فالأوّل القصد منه التعجب من صنع الله وما أبدعه في هذا الكون، والثاني هو تساؤل عن شيء يكون أعظم ممّا خلقه الله كأن يكون السؤال للتعجيز، أو الإفادة بمعلومة جديدة، وبهذا يختلف المحتوى القضوي في كليهما.

وختام هذا العنصر نجد أنّ العلماء العرب قد حرصوا على دراسة الخبر والإنشاء (الطلب)، وتصوروا أنّ الخبر " هو الخطاب التواصلية المكتمل إفادياً والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية"¹ واهتموا بالخطاب المرتبط بالمتكلم والمتلقي على أنّ المتكلم يشدّ انتباه المخاطب فيؤثر الأوّل في الثاني ويتجاوب مع مقاصد المتكلم .

2-1-3- أغراض ومعاني الخبر:

إنّ المتكلم حينما يخبر أو يعلم يقصد غرضاً محدّداً لفائدة الخبر بحكم أنّ المتلقي خال الذهن فنفيده بخبر له مقصد كقولنا: "نجح الطالب"، أو يصدر المتكلم حكماً إخباراً له مضمون كقولنا: "أنت رجل له خصال طيبة"، فالسامع أو المخاطب عالم بالحكم وليس بحاجة إلى أن نخبره، فهو لازم الخبر. وإذا لم يتحقّق قصد الخبر في التّمطين المذكورين السابقين، لم تتحقّق لا الفائدة ولا لازم الفائدة، حينها يخرج الخبر إلى أغراض متعدّدة. ورأى في ذلك البلاغيون العرب أنّ الخبر يخرج إلى معانٍ مختلفة حسب مقتضى الحال، والمقام الملائم، وأنّ هذه المعاني وجب " أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى

¹- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص82

مهني آخر¹، حيث درس البلاغيون القدامى خروج الخبر إلى معاني مختلفة حسب مقتضى الحال والمقام الملائم، وهي كالتالي:

- الإنكار: لم أذكره بسوء. مقام الجملة يوضح إنكار المتكلم للبهتان الذي حل به.
- الأمر، في قوله تعالى: وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ (البقرة: 228).
- التمني: وددت زيارتك لنا. بمعنى أتمنى أن تزورنا.
- التعجب، نحو: ما أجمل الورود! وهو التعجب من جمال الورد وبديع صنعه وصانعه.
- النفي: لا منافق موجود في مجلسنا. ينفي وجود جنس بشري في مكان تواجدهم.
- النهي: في قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) الواقعة (79) .
- الوعد، قال تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) فصلت (53) .
- التعظيم، لقوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) الإسراء (1) .
- الاستغفار، كقولي: (أستغفر الله)، اغفر لي.
- الفخر:

قال أبو فراس الحمداني: ومكارمي عدد النجوم ومنزلي مأوى الكرام ومنزل الأضياف

2-2- قسم الإنشاء:

إلى جانب الأسلوب الخبري نتطرق إلى الأساليب الإنشائية التي يقصد بها إنشاء الكلام ليس بغرض الخبر والإعلام، وإنما لإنشاء الطلب وتحقيق المطلوب من عدمه، وهو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب؛ فهو استحداث كلام له معنى لم يكن له أثر للحدوث في قصد المتكلم، وتقوم الأساليب الإنشائية بتنشيط المخاطب وإثارة ذهنه، وبه يطلب مطلوباً

¹ - عبدالقادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 193

معيناً، و"الإنشاء لغة الإيجاد، واصطلاحاً ما يحتمل الصدق والكذب لذاته"¹ "كقولنا: "حيّ على الصلاة"، و" لا تنه عن خلق وتأتي مثله"، و" هل الضيف مقداد؟"، و" يا باغي الخير أقبل"، "إنّها صيغ إنشائية مختلفة لا ننسب إلى قائلها قول صدق الجمل أو كذبها، ولا تتحقّق خارجاً إلّا إذا حصل التّلفظ بها، فالإنشاء هو: " ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقّق إلّا إذا تلفّظت به"². إنّ الإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، فليس لمُدلول لفظه قبل النّطق واقع خارجي يمكن أن يقارن به، فلا يمكن نداء شخص فنقول له كذبت أو صدقت، ولا ننهي شخصاً فنقول له كذبت أو صدقت، فهو لا يخبرنا بتحقيق شيء أو عدم تحقيقه، لذلك لا يكون مطابقاً للواقع أو غير مطابق له، وهذه الأساليب وغيرها من الأساليب الإنشائية لا تحمل مدلولات تساير الواقع، فالكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، ولا يصح أن يقال لقائله إنّّه صادق أو كاذب، لعدم تحقق مدلوله في الخارج وتوقفه عن النطق به"³. وتأكيّد ذلك أنّ " الإنشاء هو اقتران معنى الكلام بلفظة ولا يقبل التصديق والتكذيب"⁴. أي أنّه كلام لا يتطلب الصدق أو الكذب بحكم أنّ معناه لا يتضمن وجود خارجي يوحى إلى المطابقة وغير المطابقة كقولنا: -" قم بواجبك نحو وطنك"، إنّّه أمر صادر من المتكلم الذي أنشأ الجملة بفعل طلبي.

لقد قام علماء اللغة العرب بتقسيم " الإنشاء" من حيث تحديد معنى الطلب إلى طلبي وغير طلبي؛ ف "الطلب" هو "ما يستدعي مطلوباً"⁵. والطلب يستدعي طلب فعل ليس حاصلًا في الوقت المطلوب فيه كقولنا: (اجتهد) فاللفظ قد سبق الفعل فهو يستدعي مطلوباً وهو الاجتهاد.

¹- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، ص 69

²- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، ص 69

³- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1981، ص 13

⁴- السيوطي جلال الدين، همع الهوامع في شرح الجوامع، تحقيق عبدالعال سالم وعبد السلام هارون، دار البحوث، الكويت

ط 1975 ص 120

⁵- أبو يعقوب يوسف بن محمد علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص 302

والقزويني يعرف الإنشاء أنه : " ضربان: طلب وغير طلب، والطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل"¹. ندرك من هذا التعريف أنّ "الطلب" عند القزويني يحدد بالأسلوب الإنشائي الطلبي فحسب، وإنّ " الإنشاء إن كان طلبا استدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب"². ففعل الكلام يطلق على الإنشاء الذي ليس له نسبة خارجية تطابق الواقع. وتوضيح هذه النصوص أنّ الإنشاء يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وهو الذي يقصده القزويني "الطلب" أي نوع الضرب الأول وهو الإنشاء الطلبي، بينما "السكاكي" يجعله ضربان: الإنشاء الطلبي، والإنشاء غير الطلبي كل واحد منهما يختلف عن الآخر. و" هذا لايعني أنّ أساليب الإنشاء ليس لها نسبة خارجية حتى ينظر في مطابقتها للنسبة الكلامية فيكون المعنى على الصدق أو عدم مطابقتها، فيكون المعنى على الكذب، بل لها نسبة خارجية وهي قيام المعنى الإنشائي من تمن أو أمر أو نهي أو استفهام أو نداء في نفس المتكلم، ولكن ليس المقصود من الجملة الإنشائية الإخبار في مطابقة هذه النسبة للنسبة الكلامية، وإنّما المقصود هنا إنشاء المعنى وابتدأه"³، وذلك أنّ الخبر هو إعلام قد يكون صادقا أو كاذبا، بينما الإنشاء لا يقصد به المطابقة في نفس المتكلم أو عكسه.

2-2-1- أغراض الإنشاء الطلبي:

هو ما يراد به طلب حصول شيء غير حاصل وقت الطلب ويتمثل في أساليب الأمر والنهي والتمني والاستفهام والنداء، و "هو الذي يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب، ويكون بخمسة أشياء: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني،

¹- الخطيب القزويني جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة تح: رحاب عكاوي، بيروت، دار الفكر العربي، 2000، ص107

²- الخطيب القزويني جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة تح: رحاب عكاوي، ص151

³- القزويني، ابن يعقوب المغربي بهاء الدين السبكي، شروح التلخيص، دار الكتاب العلمية، (دت)، (ط)، 166/1

والنداء¹. ولَمَّا ذكر كلمة "مطلوباً" فإنَّ المقصود به أنَّ المطلوب لا يمكن توقعه فهو "التمني"، وإذا كان حاصلًا في الخارج فهو "النهي" و"الأمر".

لقد اهتم البلاغيون القدامى بالأساليب الإنشائية الطلبية لاعتبارات لغوية وبلاغية من أمر، ونهي، وتمن، واستفهام، ونداء، وما تولّد عنها من معانٍ بلاغية متفاوتة حسب السياق والقرائن اللغوية، أمّا الأساليب الإنشائية غير الطلبية فتستعمل فقط في معانيها الأصلية، وهذا لا يمنع أن تكون لهذه الأساليب اعتبارات بلاغية تستحق البحث والتدقيق، وتكون لها أسرار بلاغية.

لهذا الضرب منزلة عند العلماء العرب، ويشتمل على ظواهر أسلوبية متعدّدة لها صيغ متنوعة كما هو الحال في "الأفعال الكلامية" في تصنيفي "أوستين" و "سيرل"، وتتضمن معاني تواصلية وأغراض ذات إفادة. وفروع الإنشاء الطلبي تخرج إلى معانٍ فرعية مختلفة، نجملها دراستها فيما يلي:

- الأمر: الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، فـ "الأمر صيغة وضعت لطلب فعل، أو طلب بها فعل، بأداة على وجه الاستعلاء"². ويشمل الأمر على أربعة صيغ طلبية على مدلول الاستعلاء والإلزام:

- فعل الأمر: لقوله تعالى: (كَأَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) العلق (19).

- المضارع المقرون بلام الأمر: لقوله تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) الطلاق (7). ويعرفه السكاكي: (الأمر حرف واحد، وهذا اللام الجازم في قولك: ليفعل).

- اسم فعل الأمر: مثل: (صه إذا تكلم الكبير). والمعنى اسكت، وأسماء الأفعال ألفاظ لها معنى الفعل لكنها لا تقبل الكثير من علاماته، ومنها: "مه" بمعنى اكفف، و"إليك" إذا كانت بمعنى خذ، أو بمعنى ابتعد، و"عليك" إذا كانت بمعنى إلزم، و"دونك" إذا كانت بمعنى خذ.

¹ السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص 70

² محمد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص 100

- المصدر النائب عن فعل الأمر: لقوله تعالى: (وبالوالدين إحسانا) ويوضحه سيبويه: "فإنما جاء تحذيري زيدا، زيدا، لأنه المصدر يتصرف مع الفعل فيصير حذرك في موضع احذر"¹. فالأمر الحقيقي يتطلب توفر عنصرين هما: الاستعلاء والإلزام؛ فالاستعلاء، هو كون الأمر أعلى منزلة من المأمور، أما الإلزام هو كون المأمور مجبرا على تنفيذ ما يؤمر به، لقوله تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) المائدة (38) .

في هذه الأحوال الأمر حقيقي أصلي، يكون قصد الكلام من الأمر على وجه الاستعلاء، ويكون الكلام من أعلى إلى أدنى، وإذا خرج عن هذا الغرض أفاد معاني عدة، وأغراض متفرعة تتولد عنه معانٍ مجازية تستقى من السياق، أما إذا كان الطلب من أدنى إلى أعلى فيخرج إلى أغراض متولدة ومتفرعة على النحو التالي:

- النصيح والإرشاد: قال الشافعي: دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفسا إذا حكم القضاء. القصد من " طب نفسا" هو التسليم بالقدر، وحكمه النصيح الصريح.

- التحقير: قال الشافعي: قل بما شئت في مسبة عرضي فسكوتي عن اللئيم جواب.

- التهديد: قال تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) (إبراهيم: 30). إنه تهديد ووعد بعد إخبار بأنهم لما أشركوا بالله واشتد بطشهم وعنادهم كان مقابلة العقاب أقوى من قوة إعراضهم.

- الدعاء: قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (البقرة: 126). الأمر هنا للتضرع، فالله لا يؤمر، وسر هذا الأسلوب هو إظهار الخضوع لله.

- التعجيز: لقوله تعالى: " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (البقرة: 23). هو طلب من الله عز وجل إلى

²- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،

المشركين والكفار الجاحدين بالقرآن الكريم متحديا إياهم فيعجزهم بأن ينسجوا سورة واحدة من سورة القرآن الكريم.

- الوعيد: قال تعالى: "فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) التوبة.

- التهديد: قال تعالى: " قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111) البقرة

- الإنكار، لقوله تعالى: (خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) الدخان (49) .

- الامتنان: قال تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) البقرة.

- الترغيب: قال تعالى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)

البقرة 156

- التسوية: لقوله تعالى: (وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ "الملك (13) . علم الله حال الناس في إسرار المنافقين أو جهرهم بالقول حين يدسون سمومهم تجاه لإسلام وذلك لعدم اهتدائهم.

- الإهانة: قال تعالى: (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا) الإسراء (50) " .

- النهي: وهو "طلب الكف عن الفعل، على وجه الاستعلاء والإلزام، من الأعلى وله صيغة واحدة، وهي المضارع مع لا الناهية"¹. لقوله تعالى: وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42) البقرة.

¹ - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص86

إذا كان النهي هو "طلب الكف"¹، فإنّ البون بين الأمر والنهي جليّ كون الأمر هو " طلب لحصول ثبوت متصور"²، أي طلب فعل إنشائي يحصل في الواقع، أمّا النهي فهو طلب الكف أي "كف النفس عن الفعل"³. يشترك الأمر والنهي في المطلوب من المتكلم تجاه السامع بفعل معين، فالأمر يكون من المتكلم نحو المخاطب ليقوم بفعل ما يطلب منه في الحاضر، أمّا النهي فيكون المخاطب جاهز للقيام بالفعل المطلوب، يتطلّب منه ترك غير المرغوب فيه.

درس البلاغيون القدامى المعاني المتفرعة عن أصل النهي من خلال عملية الاستقصاء عن أحوال المتخاطبين والمقام، مع مراعاة أحوال المتكلمين النفسية، الاجتماعية والثقافية، وفهم مقاصد المتكلم والقوة التواصلية بينهما، ويخرج النهي عن معناه الأصلي إلى معان مولدة فرعية مجازية تفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، ومعاني النهي قليلة بالمقارنة مع الأمر، منها:

- النصيح والإرشاد: قال الشاعر: ولا تجلس إلى أهل الدنيا فإنّ خلائق السفهاء تعدي.
- التحقير: كقول الشاعر: لا تطلب المجد إن سلمه صعب وعش مستريحا ناعم البال.
- التيسيس: لقوله تعالى: (لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) التوبة (66) .
- الدعاء: (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) البقرة (286).
- التعجيز: قال الشاعر: لا تطلب المجد إن المجد سلمه صعب وعش مستريحا ناعم البال.
- التهديد: قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فصلت (40)

¹ محمد بن علي الجرجاني، حاشية على تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1948 ص44

² أبو يعقوب يوسف بن محمد علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص302

³ محمد بن علي الجرجاني، حاشية على تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية، ص44

- التحذير: قال تعالى: "تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا" (البقرة: 187).

للهي مجازات متعددة كالنصح والتهديد والوعيد والدعاء وغيرها، و"المعاني المجازية" عند علمائنا تقابل "الأفعال الكلامية الأصلية" التي تخرج إلى أغراض خطابية تؤدي وظائف تواصلية تنبثق من المتكلم الذي يحرص على مرتكزين أساسيين هما: القصد والغرض معا.

النداء: هو " طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب "أنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشاء"¹، "النداء هو إنشاء نسبة النداء بحرف يقوم مقامها ليقبل المخاطب به إلى المتكلم به بقلبه، وليس مقصودا بذاته، وإنما ينادى ليبدأ بكلام بعده، أو ليعلم حضوره أو غيبته، أو لنسبة صفة إليه"². ويكون النداء بأدوات: "أي، ويا، وآي، وأيا، وهيا، و وا؛ وهي في الاستعمال ومن أمثله، قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) المنافقون (9) . إنه نداء للمؤمنين الذين شغلته أموالهم وأولادهم، فمقتضى الحال أنهم في خسران مطلق، كما خسر الكافر، وما يؤكد هذا النداء ومقصوده هو ثبوت الخسران باسم دال عليه بدل من فعل، لأنّ الفعل يدلّ على التجدد، والفائدة من ذلك إثبات كمال الحكم.

وتخرج صيغ النداء عن معناها الأصلي إلى معان فرعية يحدد غرضها انطلاقاً من مضمون السياق:

- **الاختصاص:** "نحن - العرب - نكرم الضيف" أي نخصّ العرب بالكرم دون سواهم من الأجناس المختلفة في الكرم.

- **النّدة:** لقول الشاعر: فوا عجاكم يدعي الفضل ناقص ووا أسفاكم يظهر النقص فاضل

- **الاستغاثة:** يا للمسلمين للفلسطينيين.

- **الحسرة:** قال تعالى: "يا ليتني كنت تراباً" (النبأ: 40)

¹- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص 89

²- محمد بن علي بن محمد الجرجاني، الإشارات والتبیهات في علم البلاغة، ص 103

- الأمر : لقوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) آل عمران (8)

- التعجب: قال امرؤ القيس: فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت ببذبل!

- الفخر: أنا أفضل الناس بهاء ومنظرا، أيها المدعي.

- الاستفهام:

إنَّ "الاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته، وهي: الهمزة، وهل، ومن، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي¹. و" تنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

- ما يطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى وهو: الهمزة.

- وما يطلب به التصديق فقط وهو: هل.

- وما يطلب التصور فقط وهو: بقية ألفاظ الاستفهام². إنَّ المعنى الأصلي للاستفهام هو طلب الفهم من المخاطب وإثارته وتحريك ذهنه كي يبلغ فائدة، ويُحيل إلى فائدة من الكلام.

وهو قسمان:

القسم الأول:

- الهمزة: و "يطلب بالهمزة أحد أمرين: تصور، أو تصديق"³. يطلب بها التصور حينما يطرح السائل تساؤلا لتحديد مضمونه، كقولنا: - "أحمد في الدار أم عمر؟".

¹- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص78

²- المرجع نفسه، ص78

³- المرجع نفسه، ص78

السائل يدري بأنّ شخصا ما في البيت، لكنّه يجهل هوية الشخص، فهو يستفسر عن الهوية لتعيين المقيم في الدار، ومما لاشك فيه أن يكون التعيين والتّحديد من قبل المتكلم، وجاءت الهمزة لتصديق الكلام بالإثبات أو بالنفي. في هذا المثال استفهام بالهمزة لتحقيق التّصوّر الذي يكون عند التردّد في تعيين أحد الشّيئين، "محمد" أم "عمر" فطلب التعيين والتصديق يقصد به الموافقة لما في الواقع أو عدم موافقته له، وهذا بحد ذاته حكم. وبما أنّ الهمزة تختص بالتّصور يجوز حذف المعادل بعد "أم": "عمر". وهمزة التّصور جاء بعدها "أم" وهي متّصلة. وتكون الهمزة لطلب التّصور أو التصديق "والهمزة إمّا لطلب التّصور نحو: أزيد في الدار أم عمرو؟ وعمرو أفي الدار أم في المسجد؟ أو لطلب التصديق، نحو أقام زيد؟ وأزيد قائم؟"¹، وأنّ العرب أخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان، أو أشربته تلك المعاني"²، فيخرج إلى معاني مجازية كالتعظيم، والإنكار، والتّعجب وغيرها من المعاني التي قد ترد حسب السياق.

القسم الثاني:

أمّا حرف الاستفهام "هل" تستعمل للتصديق، "يطلب بها التصديق فقط، أي معرفة وقوع النسبة، أو عدم وقوعها لا غير، نحو: هل جاء الأمير؟ والجواب نعم، أو لا"³. ويذكر غالبا مع همزة التّصوّر معادل كما في المثال: هل أحمد صائم أم خديجة؟ وبما أنّها تختص بالتصديق لا يذكر هذا المعادل بعد "أم": "خديجة". و"هل" التصديق جاء بعدها "أم" عدت منقطعة المعادل. و"هل لا تكون إلا لطلب التصديق نحو: هل قام زيد؟ وهل عمرو قاعد؟ وامتنع: هل زيد قام أم عمرو؟، وقبح: هل زيدا ضربت؟"⁴.

القسم الثالث:

¹- محمد بن علي بن محمد الجرجاني، الإشارات والتّنبهات في البلاغة، ص88

²- جلال الدين عبدالرحمن بن أبي علي السيوطي، الإقتان في علوم القرآن، ت: مركز الدراسات القرآنية، ج1، ص102

³- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص79

⁴- محمد بن علي بن محمد الجرجاني، الإشارات والتّنبهات في البلاغة، ص88

يضم هذا القسم أدوات هي: "ما"، "متى"، "أي"، "أيان"، "أنى"، "كيف"، "كم"، "متى"، "أين".

- ما - ومن: "ما" يطلب بها توضيح الاسم كقولنا: ما السواك؟ فندرج بجواب: هو عود. كما نطلب تبيان حقيقة: ما الأرض؟، الجواب هي كوكب ضمن المجرات السماوية، ويطلب بها أيضا بيان الصفة: ما ولدك؟، والجواب قصير القامة.

"مَنْ" يطلب بها تعيين العقلاء، مثل: من أول مؤسس للدولة الجزائرية؟ وهي "ما يطلب به إمّا مسمى الاسم، نحو: ما العنقاء؟ أو الماهية، نحو: ما الحركة؟".¹ تستعمل "ما" للسؤال عن مسمى اللفظ، أو عن ماهية الشيء، وتعيين الجنس، وتكون جوابا له من حيث هو إنسان أو حيوان، وتستعمل للسؤال عن وصف الشيء لمعرفة ما نسب الموصوف بعد جهل. وكذلك "مَنْ" فهي سؤال للتعيين ومن موضوع للسؤال عن تعيين شخص من ذوي العقول².
- "متى - وأيان":

"متى" يطلب بها تعيين الزمان سواء في الماضي أو المستقبل، مثل: متى كانت غزوة بدر؟ ومتى احتلت القدس؟. و"أَيَّان" يطلب بها تعيين الزمان والمستقبل خاصة التي تكون للتهويل لقوله تعالى: (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ) القيامة (6).

- كيف وأين، وأنى، وكم، وأي:

"كيف" يطلب بها تعيين الحال، لقول تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) النساء (41). و"أَيْن" يطلب بها تعيين المكان، لقوله تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) الانعام (22). و"أَنى" يطلب بها تعيين المكان، حيث تخرج إلى معان منها: تكون معنى كيف: (أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ...) البقرة (259). وتكون بمعنى من أين: "يامريم أنى لك هذا" آل عمران (37).

¹ محمد بن علي بن محمد الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في البلاغة، ص 90

² محمد بن علي بن محمد الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في البلاغة، ص 92

وتخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي، فتتفرع إلى معاني مولدة لها أغراض مختلفة تفهم من سياق الكلام ودلالته، منها:

- النهي: لقوله تعالى: (أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) التوبة (13).

- التحقير: أهذا الذي تطريه دوما، إنه لأسفهنأ؟

- الأمر: لقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) القمر (51).

- الدعاء: قال تعالى: (أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْسَفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِينَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) الأعراف 155

- الإنكار: قال تعالى: (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) الزخرف (40).

- التعجب: قال تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (البقرة: 28). هذا الاستفهام يفيد إنكار الكفار لوحداية الله، فأنكر الله عليهم ذلك وتعجب من صنيعهم، لذا الأسلوب الاستفهامي هنا له فائدة تعجبية، وغاية الاستفهام هي "لينتبه السامع حتى يرجع على نفسه فيخجل ويرتدع ويعي الجواب"¹، فالسامع ينتبه فيجيب المستفهم بهذا الطلب فيرتدع ويكف عن الخطأ، لأن الاستفهام له غاية بلاغية تتحقق في السياق وقرائن الأحوال.

- التقرير: قال تعالى: "أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ" المرسلات (20-21-22-23). استفهام يفيد التوكيد والتحقق والتقرير لحقيقة خلق الإنسان.

¹ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1979، ص119

- التهديد: قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40) (فصلت: 40).

- الأمر: قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) (91).

- الإنكار: أتجزع ممّا يباغتتنا به القدر؟ هذا إنكار للإنسان ممّا هو مُقدّر عليه، والهمزة هنا أدخلت على الفعل لأنّ مقصد الإنكار هو الجزع، والهمزة تفيد معنى ما بعدها من الكلام.¹

- التمني: التمني من الأساليب الإنشائية الطلبية، وهو " أن تطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعا فيه مع حكم العقل بامتناعه. فعل التمني ينفي عن المتكلم طماعية حصول ما يتمناه، لأنّه ممتنع الوقوع، وهذه خاصية يتميّز بها فعل التمني، ولا يتوقع حصوله إذا كان غير ممكن لا يطمع في تحصيله لقوله تعالى: " يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون" القصص (79). أمّا إذا كان الأمر محبوبا ويرجى حصوله ، فيعبّر عنه بـ "عسى، ولعل" لقوله تعالى: "لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرا" الطلاق (1). وفي قوله تعالى أيضا " فعسى الله أن يأتي بالفتح" المائدة (52) و "قد تستعمل في الترجي (ليت). وللتمني أربع أدوات، واحدة أصلية وهي (ليت)، وثلاث غير أصلية نائبة عنها ويتمنى بها لغرض بلاغي². للتمني لفظ هو "ليت" تفيد تمنى شيء لا يمكن أن يتحقق لمحبته وبالتالي حصوله، وللترجي لفظ هو "لعل" يفيد إمكانية تحقيق الأمر، والرجاء والتّرقب لحصوله. وأيضا " التمني، هو إنشاء إرادة حدوث أمر ما، لأنّ إرادة شيء غير مستلزم لإمكانه³. التمني لا يحتاج إلى شرط الإمكان والوقوع، لذا هو فعل كلامي غير مباشر ناتج عن عبارة للدلالة على المعنى غير الظاهر، وله قوّة انجازية مستلزمة وتسمى عند البلاغيين العرب الغرض البلاغي.

¹ - أبو يعقوب يوسف بن محمد علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص303

² - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والبدیع، ص87

³ - محمد بن علي بن محمد الجرجاني، الإشارات والتبیهات في علم البلاغة، ص98.

وتتخصص صيغ التمني في الألفاظ التالية: "ليت"، "لوما"، "لولا"، "ألا"، "هلا"، و"لو":

"لو": لقوله تعالى: " لو أن لي كرة فأكون من المحسنين " (الزمر 58). في الفعل الكلامي نجد الفعل المتضمن في القول هو الحسرة والندم.

"ليت": "ليت السجين أطلقت سراحه". الفعل المتضمن في القول هو التوبيخ والتتدويم، لأنّ الفعل بعد ليت ورد في الزمن الماضي.

"لولا": "لولا تحزم أمتعتك كي تسافر، فلقد أكثرت من الشجار مع جيراننا وأنت ضيف عندنا". الفعل المتضمن في القول هو العرض والتحضيض، لأنّ الكلام جاء بشدة وقوة.

"لوما": "لوما تأتيني فتحدثني". تفيد العرض، لأنّ الكلام ورد بلين ورفق أثناء التواصل.

"ألا": قال امرؤ القيس: ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل.

أصاب الشاعر هموم أرقته و ألزمته عدم النوم، فتمنى حصول الصباح حتى تزول الهموم وينعم بالراحة، لكنّه تدارك قوله بأنّ الليل والصبح كلاهما سواء حين تراكمت عليه الهموم.

"هلا": هلا ركنت سيارتك في مكان لائق. فالتمني لن يرجى حصول أمر محبوب ولا إمكانية لتحقيقه، وبالتالي المتمني عاجز عن ذلك ونجد التمني مجسد عند "سيرل" في "المحتوى القضوي".

2-2-2- ألفاظ العقود والمعاهدات عند الأصوليين والبلاغيين العرب:

تستعمل هذه الصيغ في المعاملات، مثل: "بعت" و "اشتريت"، وعقود الزواج، مثل: "تكحت" و "طلقت" وغيرها من أفعال العقود، والتي أصلها الأسلوب الخبري، ومن ثم كان استعمالها في إبرام العقود وفسخها، حيث اهتم الفقهاء والأصوليون بهذه الصيغ من خلال مناقشتهم للقضايا الدينية العامة والقضايا الفقهية، وركّزوا في بحوثهم على الأفعال الكلامية المنبثقة عن هذه الصيغ، و" من ثم يكون بحث العلماء لها عرضيا غير مقصود لذاته... لولا

أن نفرا من الفقهاء والأصوليين كالقرافي والإسنوي والآمدي قد بحثوا ظواهر هذه الأفعال في ثنايا مباحثهم ومناقشاتهم الفقهية¹. لقد كان لعلماء الأصول والفقه دور كبير في فاعلية الأفعال الكلامية لتنامي دراساتهم في جانب المعاملات التي تتصل بالحياة الاجتماعية للناس، كالزواج والطلاق التي لا تتحقق إلا بالفعل الكلامي الملائم لها، وإن الأصوليين في كتبهم الفقهية يعتبرون الفعل الإنشائي "فعل الطلاق" فعل كلامي ف "الطلاق يقع إذا كان بنية ولفظ صريح"². إن الفعل الكلامي "الطلاق" هو فعل اجتماعي إجرائي تداولي بين متكلم ومخاطب وسياق وفق معيارين هما: القصد، والصراحة فالنية عند الطلاق قد تحقق الفعل أو لا تحققه، وتكون النية - حسب الفقهاء - من قبل المتكلم مانعة لحدوث فعل الطلاق في حالة سكر أو جنون فيخفق الاستلزام الحوارى لإخفاق شرط النية، لأن إكمال العقل واللفظ معا أصيبا بإخفاق.

تأخذ هذه الصيغ مظهرها يقابل مظهر "تضمن الفعل في القول" مما يجعل ألفاظ العقود ظاهرة لغوية تعكس الأفعال الكلامية في الدراسات العربية، حيث يدرج التداوليون وخاصة "أوستين" و"سيرل" و"غرايس" هذه الظاهرة ضمن "الأفعال المتضمنة في القول" والتي تقابلها ألفاظ العقود في تراثنا الأدبي، حيث يكثر الحديث عن هذه الألفاظ في كتب الأصول والفقه، وقد بحث علماءنا فيها كثيرا والتي تعني مقصدا مخالفا للمعنى الحرفي. كما ضمن التداوليون "ألفاظ العقود والمعاهدات" في الأفعال الكلامية، وأدرجها "سيرل" في الأفعال المتضمنة في القول وبالذات في "الإيقاعات"، أي "الفعل الإيقاعي" الذي يشترط فيه تشارك الطرفين كعقد الزواج وفسخه الذي لا يحصل إلا بوجود الطرفين الزوج والزوجة ووليها وهو موضوع فقهي، كما في القول التالي:

- أطلب ابنتك شريكة حياة ابني.

هذا تقديم بغية الحصول على جواب بالموافقة، فيقول ولي الزوج:

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص123

² - محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي الأندلسي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة بيروت، ط6،

ح2، ط1، ص74

- وافقت على تزويج ابنتي بابنك.

حينها تتم الموافقة، و يتمّ القران؛ حَدَّثَ القران وفق التلفظ بالطلب وحصول القبول لعقد زواج صحيح شرعي إسلامي، تستمر الحياة بينهما، لكن ربما يحدث طارئ وينتهي هذا الرابط بفعل كلامي "أنت طالق"، وهذه الظاهرة خاض فيها الفقهاء كثيرا ممّا دعاهم إلى فكّ هذا الرابط بشروط: التلفظ، و قصدية المتكلم، حال ومقام البعل، والزوج، والظروف المحيطة بهذا التلفظ، ولا يُؤجل الطلاق إلى حين الوضع أو انتهاء مدّة الطمث. وهذا ما يجعلنا نصنّف أفعال العقود والمعاهدات ضمن أفعال "الإيقاعات" عند علماء التداولية في هذا العصر.

وبألفاظ صيغ الطلاق يتمّ إنشاء الفعل الكلامي والذي يمكن أن يتحقق سواء بالبنية أو اللفظ، فنجد "الطلاق يقع إذا كان بنية أو لفظ صريح"¹، حيث يعتمد ابن رشد على دعامتين هما: المقصد والتصريح، وقد اعتمد عليهما "سيرل" في تفعيل الأفعال الكلامية لتأدية الفعل الإنجازي الذي يتأسس بمعياريين حدّدها "سيرل": الغرض المتضمن في القول، ودرجة الشدّة، فألفاظ العقود لها معنى أسلوبى يتأرجح بين الخبر والإنشاء من جانب، وتأخذ مساراً تُراعى فيه القصد والمعنى والغاية ممّا يلفظه الباث بهذه الصيغ مراعاة للظروف المحيطة والمقامات الملائمة من جانب آخر.

لقد لمسنا في هذا المبحث أنّ ثمة علاقة وطيدة بين الظواهر اللغوية عند العلماء القدامى واللسانيات التداولية في أغلب الدراسات اللغوية التي تطرّقت إلى العملية الإبلالية التواصلية في ظل التداولية، فكلاهما يدرس اللغة دراسة تداولية، ويشتركان في شروط أشرنا إليها في هذا المبحث.

هؤلاء العلماء جميعهم درسوا اللغة وقاموا بتحليلها لاستيعاب القرآن الكريم، وأولوا أهميّة للكلام المفيد، وبالذات في علم المعاني الذي هو "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بها من استحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام

¹- محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي الأندلسي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ص 75

على ما يقتضي الحال ذكره¹. ركّز العلماء العرب على علم المعاني مهتمّين بالتراكيب ودلالاتها المفيدة والتي تحمل دلالات مباشرة (حرفية) أو غير مباشرة (ضمنية) تفهم من سياق الكلام، واقتصر اهتمامهم في هذا الجانب على أساس مهم وهو "الإفادة"، وكثّفوا أعمالهم من خلال دراسة الجملة والنص بغية التواصل بين المتخاطبين. لم يتوقف القدامى عند ذكر المعاني الموضوعية لأساليب الاستفهام فقط، بل درسوا بشكل معمّق هذه المعاني وجعلوا للفظ الواحد معاني فرعية تستقي من سياق الكلام، متمسّكين بوضعية الباث، والمتلقي، ومقصد المتكلم، ومرامي مقاصده، من خلال الخطاب في مقامات محددة، وعليه كانت بحوثهم مميزة تتمّ عن رؤية تداولية تشتمل تحليل السياق والخطاب، واستقراءهم للمعاني الأصلية والفرعية لكل ظاهرة من مظاهر علم المعاني التي تنبثق عن الجمل تفرعا، وكانت هذه التفرعات تحمل دلالات لتتبع مقاماتها وبخاصة في المصدر البلاغي ألا وهو القرآن الكريم، فكثرت أبحاثهم عن الجمل ومعانيها وخاصة الصيغ الأصلية ومضامينها بما يسمى بالمصطلح الحديث "الأفعال الكلامية المباشرة"، وما تفرّع عنها مجازا سمي بـ "الأفعال الكلامية غير المباشرة" حسب دلالة القرائن وأحوال المتكلمين في السياقات المختلفة.

وخلاصة القول أنّ البلاغيين العرب قد اهتموا بالظواهر اللغوية بمختلف أساليبها بغية تجسيد واقع معيّن من خلال الخطاب، وتناولوها بالدراسة مهتمين بمقصديّة المتكلم وما يهدف إليه، مع مراعاة وضعية المتلقي أو السامع وظروف الخطاب التي بإمكانها تحقيق التواصل اللغوي، وإنّ الوصف اللغوي عندهم لا يقتصر على الجملة المجردة، بل نظروا إلى النصّ كونه خطابا متكاملا مراعاة للمقام والمقال.

¹ - أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص 247

3- تصورات الأفعال الكلامية من منظور البلاغيين العرب:

3-1- الجاحظ (ت 255هـ):

نستهل الحديث في هذا المقام بتصور للأفعال الكلامية عند الجاحظ لنرى مدى مساهمة معاني اللغة العربية في تراثنا لمبادئ التداولية في الوقت الراهن، حيث يعتبر الجاحظ من المفكرين الأوائل في التفكير التداولي في تراثنا اللغوي من خلال كتابه "البيان والتبيين" الذي ورد فيه اهتمامه بتبليغ الكلام والتواصل والتداول اللغوي من حيث الفهم والإفهام وإقناع الآخر والتأثير فيه، فإنَّ "أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد أولها: اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد ثم الخط، ثم الحال التي نصبة، والنصبة هي الحال الدالة، التي تقوم تلك الأصناف ولا تقتصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائدة من صورة صاحبها وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير وعن أجناسها وأقذارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وما يكون منها لغوا بهرجا، وساقطا مطرعا"¹. عبّر الجاحظ عن الوسائط التعبيرية لتأدية دور الإفهام والتعبير عن النمط الكلامي الذي يريد إبلاغه التي لها دلالات حسب المقام، ومطابقة الكلام لملازمات المقام، فاللفظ عنده أيقونة لغوية تتم عن طريق الصوت الذي بواسطته تتم العملية التواصلية، وهذا ما يطابق اللفظ عند "أوستين" و"سيرل" بأنَّ الألفاظ المتتالية تتكون من أصوات متتابعة لتأدية فعل نصي وللتفكير الجاحظي بعد تداولي قديم وحديث، فـ "إنَّ هذا البعد هو أحد الأبعاد الأساسية في البلاغة العربية، وهو بعد جاحظي في أساسه وإنَّ تخلّى البد يعيون عنه في مرحلة لاحقة حيث أدّى إلى اختزال البلاغة العربية وتضييق مجالها، وتحظى نظرية التأثير والمقال بعناية كبيرة في الدراسات السيميائية ومن ثمَّ الشروع في إعادة الاعتبار إلى البلاغة

¹-الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76

العربية تحت عنوان جدّي وهو التداولية¹. فواقع ذلك أنّ الجاحظ مرّ على فنية من المعتزلة يتدارسون أصول الخطابة في مجلس، فنصحهم إلى التوفيق بين الكلام والمقام المُتحدّث فيه فيذكر أنّ "مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع توافق الحال، وما يجب لكل مقام ومقال"²، فلا يمكن استيفاء الكلام إلا بشرط توافق الحال والمقام، ويكون للمعنى هدف هو تحقيق الفائدة من الكلام الذي ينتجه المتكلم وتجاوب المستمع فينتفع بالكلام. إنّها رؤية تداولية للحصول على المتعة والفائدة من الكلام فالتكلم يستعمل تراكيب ملائمة للأحوال والمقامات لتحقيق غاية محددة، حيث يتضح في هذا النص بأنّ قول الجاحظ يصبّ في المنحى التداولي الذي يعتمد هنا على ثلاثة ركائز هي: الكلام، والمعنى، وملاءمة مقتضى الحال، إذ يتحتّم على المتكلم مراعاتها، ويعرف حال المستمع وقدراته للفهم، ويعتمد في ذلك الإيجاز في الكلام دون إطناب حتى يسهل فهم الكلام، وبالتالي تحصل الفائدة بعد فهم المقصد من الكلام. ومنه أبدى الجاحظ أهمية سلامة الكلام واقتترانه بالفهم والإفهام بـ " أنّ مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إليها إنّما هي الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"³. نستشف من هذا النص أنّ الجاحظ يولي أهمية للفهم والإفهام وإعطائهما منزلة حين الكلام بآليات كتهذيب اللسان للنطق بشكل سليم، ووضوح الكلام، أي البعد عن الغموض والتكلف ليحصل التواصل المفيد من خلال فهم ما يقوله المتكلم وما ينجر عن عملية التخاطب.

إذا كانت مقولة الجاحظ المشهورة: " لكل مقام مقال" قد قيلت في بواكير البلاغة العربية، فإنّ كلامه هذا يهيء عقدا تواصليا للفهم والإفهام؛ فالتكلم يدلي بجمل تتوفّر على معايير من أجل بناء استراتيجيه خطابية تداولية للتأثير في المتلقي، وفي هذا القول يعطي الجاحظ للمقام أهمية كبرى، لأنّ انتقاء الكلمات والعبارات من قبل القائل بوضوح وتناسبها مع الجانب

¹-محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، المغرب، ط6، 1999، ص، ص، 293، 294

²- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص136

³-المرجع نفسه1، ص71

النّفسي والاجتماعي، والثقافي عن الموضوع المُتحدّث عنه، وتواجد اهتمامات المتلقي حينها يتحقّق مبدأ الفهم والإفهام. هذا التلاقي يُحدّث توافقاً بين المتكلم والمتلقي وحيثيات الكلام التي تناسب البعد التداولي لأفعال الكلام عند الجاحظ، والمتلقي نفسه مجبر على الإحاطة بحيثيات وظروف المقام، حيث يستطيع الاهتداء إلى تحقيق تأويل ما يصدر عن المتكلم من تحليل الكلام واستيعابه في السياق نفسه، غير منعزل عن العملية التواصلية التي تربطها جزئيات المقام من ظروف محيطية معينة على الفهم، وإلا حدث العكس وحصل الغموض واللّبس في تأويل الكلام وبالتالي يكون ثمة إخفاق في العملية التواصلية وتصير الأفعال الكلامية غير قادرة على تحقيق التواصل.

ومن هذا المنطلق نرى انسجاماً بين ما جاء به الجاحظ من دراسة كلام العرب وما تنتظر له الدراسات التداولية المعاصرة التي تهتم بالمقام والمقصد، والأغراض لأنّها أركان تداولية يحكمها السياق، إذ جعلت لعملية الاهتمام بالكلام آليات مأخوذة من استراتيجيه خطابية يتحمّس إتباعها لتحقيق البعد الكلامي، وعليه فإنّ هذه الآليات التي ذكرها الجاحظ هي "مجموعة شروط إنتاج القول، وهي الشروط الخارجة عن القول ذاته، والقول هو وليد قصد معين، يستمد وجوده من شخصية المتكلم ومستمعه أو مستمعيه، ويحصل ذلك في الوسط واللحظة الذين يحصل فيهما"¹. ويقصد بذلك التواصل الاجتماعي، تواصل نشط بين متفاعلين، فأحدهما يؤثر في الآخر، فهذه تداولية صريحة من الفكر البلاغي الجاحظي وهي جهود سعى بها إلى تحقيق التناسب بين الكلام وطريق نظمه واهتمام المتلقي به في وسط معين وزمن محدد بمعية المستوى الطبقي والثقافي.

3-2- عبد القاهر الجرجاني (ت 471):

نُشير إلى أنّ كتاب "دلائل الإعجاز" تضمّن أبحاثاً بلاغية معرفية متفاوتة الأبواب والمعاني ومن التخریجات التي قدمها نذكر منها تعريفه للخبر على أنّه "ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل دائم"²، حيث

¹- الجبالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 41

²- المرجع نفسه، ص 150

يتوقف الخبر عند الجرجاني على معياري الصدق والكذب القائمين بذات المتكلم الذي هو فاعل الكلام، لارتباطه بفعل الكلام سواء كان مطابقاً للواقع أو مخالفاً له. ويرى أنّ الكلام ينقسم إلى معانٍ متعدّدة، ذكرها في عشرة معانٍ هي: "خبر واستخبار، وأمر ونهي، ونداء، وطلب وعرض، وتحضيض، وتمن"¹. فالجرجاني يرى أنّ معاني الألفاظ يولّدها السياق من داخل الصياغة اللغوية حسب مقام التواصل.

إنّ نجاح العملية التواصلية تركز على أحد الشروط الأساسية وهي تعارف وتواصل الجماعة لسانياً مشكلة خطاباً أساسه التفاهم بلغة متعارف عليها لـ "أنّ الذي قاله العلماء والبلغاء في ضفتها (اللغة) والإخبار عنها رموز لا يفهمها إلا من هو في مثل حالهم من لطف الطبع، ومن هو مهياً لفهم تلك الإشارات حتى كأنّ تلك الطباع اللطيفة وتلك القرائح والأذهان قد تواضعت فيما بينها على ما سبيله سبيل الترجمة يتواطأ عليها المرسل بالعادات، ولا يعرفها من ليس هو منهم"²، فعملية التبليغ عنده تركز أساساً على القائل والمتلقي، وكلّ واحد منهما توجب عليه المشاركة في اللغة والتطبيقية والعادات الكلامية والألفاظ والتراكيب المتعارف عليها، لأنّها من أولويات العملية التواصلية الناجحة في تأويل الخطاب وفهمه، وهذا التنظير اللغوي يعكس الأبحاث التداولية المعاصرة التي تحث على اشتراك المتخاطبين في الكلام، لما لها من أهمية في توضيح فعل الكلام.

ولاحظنا أنّ عبد القاهر الجرجاني يشترط أساساً ركيزتا القائل والمتلقي لمستوى اللغة قصد إنجاح العملية التبليغية التواصلية، بالإضافة إلى شروط أخرى أساسية اعتنى بها السكاكي كمقتضى الحال أو المقام المرتبط بالتراكيب اللغوية والسياق، وهذا المقصود من كلام الحسن. وهذه الشروط تستدعي التواصل في أطر سليمة، وعكس ذلك فهو مدعاة للإخفاق والفشل في تحقيق الغاية والمقصد من نوايا المتكلم. إنّ طرح تداولي يتوافق مع

¹- أحمد ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، مطبعة المؤيد، القاهرة، مصر،

ط1910 ص150

²- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص74

مذهب "سيرل" الذي يرى أنّ الفعل الكلامي مقرون بالإطار الاجتماعي المُتعارف عليه بين الجماعات الناطقة بنفس اللسان من ألفاظ وتراكيب تحمل مقاصد ومعاني وأغراض تنمّ عن حسن استعمال الأفعال الكلامية بدقة.

ومن الركائز التداولية التي نجدها في جهود عبد القاهر الجرجاني شرط "المقام" الذي يعدّ دعامة أساسية، فـ " لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنة يباين مقام التعزية، وكذا مقام المدح يباين مقام الذمّ، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجدّ يباين الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغير مقام البناء على الإنكار؛ جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"¹. ذكر الجرجاني أنواعا من الخطاب من شكر وشكاية وتهنة وتعزية ... وفق ملابسات الواقع وغرض المتكلم وقصده، ومقام المخاطب وكل ما له علاقة بتداول الكلام ، وهذا ما ذهب إليه سيرل في تحقيق العرف الاجتماعي لتحقيق التواصل وتثبيت الخطاب.

ومن أولويات عبد القاهر الجرجاني "القصدية" لأنّها غاية تواصلية مرجوة من الخطاب مرتبطة بالسياق الاجتماعي والإيديولوجي والثقافي والاعتقادي، والبنية اللغوية هي التي تحمل مقاصد معيّنة في تعالق بين المرسل والمتلقي، لنجاح العملية التخاطبية بدءا من قدرة المتكلم على حسن تأويل كلام الباث ما يتوافق العملية التخاطبية، فالمتكلم وجب عليه " أن يدقّق النظر ويغمض المسلك في توخّي المعاني التي عرفت، وأن تتحدّ أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتدّ ارتباط ثان بأولها، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تصنعها في النفس وضعا واحدا وأن يكون حالك فيها حال الباني الذي يصنع بيمينه هنا في حال ما يضع بيساره هنالك، نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين"². ومن

¹ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص106

² - المرجع نفسه، ص936

خلال هذا الطرح فإنّ الجرجاني يدعو إلى بناء إستراتيجية للعملية التخاطبية التي تتكوّن من عناصر: المتكلم، المخاطب، السياق، الخطاب، الكفاءة ورأئدها المتكلم، وذلك لتحقيق الكفاءة التواصلية والمقصد التداولي، واعتنى كثيرا بالمتكلم وكفاءته " ذلك أنّنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه؛ فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: "زيد منطلق" و "زيد ينطلق" و "ينطلق زيد" و "ومنطلق زيد" و "زيد المنطلق" و "المنطلق زيد" و "زيد هو المنطلق" و "زيد هو منطلق"¹. نستشف بأنّ الجرجاني قد جعل الباث يختار الصيغ المناسبة لغويا لتحقيق المقصد التداولي، لأنّ التراكيب اللغوية متغيّرة، وعناصرها تجعل الدلالة المعنوية تختلف وتحيل إلى قيمة جمالية، وعليه أن يراعي انسجام المعاني متلاحمة فيما بينها مكونة مقصدا خطابيا وتواصلًا ناجحا ذات غاية تحقق الموقف الكلامي، لأنّ الألفاظ ليست مجردة من المعاني، لذا يصر الجرجاني على ضرورة اختيار المتكلم للألفاظ ومعانيها حين التعبير عن الموقف الكلامي، ف " إنّ الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق"². بهذه النظرة التداولية يرى الجرجاني أنّ المعاني لها علاقة بالجانب النفسي الموجود في معاني الألفاظ المرتبطة بالواقع الكلامي، أي أنّ دلالة الخطاب تتعلق بأمر خارجي وداخلي أساسه اللغة، فالمُخبر يعلم المتلقي أو السامع بالخبر سواء للإثبات أو النفي، فاللفظ له حمولة معنوية تتوقف على الباث والسامع.

هذا عن المتكلم، أمّا عن السامع يعدّه الجرجاني عنصر فعال في العملية التخاطبية، ف " لا يخلو السامع من أن يكون عالما بلغة وبمعاني الألفاظ التي يسمعها أو يكون جاهلا بذلك، فإن كان عالما لم يتصوّر أن يتفاوت حال الألفاظ معه، فيكون معنى لفظ أسرع إلى قلبه من معنى لفظ آخر وإن كان جاهلا كان ذلك في وصفة أبعد"³. تكمن عملية التخاطب

¹- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 82، 83

²-المرجع نفسه، ص52

³- المرجع نفسه ، ص267

عند الجرجاني بواسطة الأداء اللغوي التي تجعل السامع يحدّد إذا كان المعنى غير المباشر هو المقصود، حيث يرى الجرجاني أنّه على السامع تأويل الكلام للحصول على الدلالة المضمرّة في القول للربط بين اللفظ ومعناه.

3-3- أبو يعقوب السكاكي (ت 626):

السكاكي عالم بلاغي كان له تأثير في الدراسات البلاغية في كتابه "مفتاح العلوم" الذي خص به جهوده في المعاني والبلاغة، ومن جملة ما نظر له وجعل له شروطاً كالعناية بالكلام والمقام والجانب النفسي من قبل المتكلم بكيفية تناسب المتلقي، وأعطى أولوية لمقتضيات الحال، إذ يذكر " إنّ زيدا منطلق إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصوداً به نفي الشك أو رد الإنكار أو تركيب زيد منطلق من أنّه يلزم مجرد القصد إلى الإخبار أو من نحو منطلق بترك المسند إليه من أنه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها، وكذا إذا لفظ بالمسند إليه وهكذا إذ عرف أو نكر أو قيد أو أطلق أو قدم أو أخر"¹. نلاحظ أنّ السكاكي ركّز اهتمامه على مقام القول من أجل تحقيق مقاصد المتكلم المّفصح عن كلامه لتتّم المطابقة بين الكلام ومقام الحال، ولتحقيق الفائدة المرجوة من مقصد المتكلم وفق تراكيب تلفظية تلائم المقام.

جعل السكاكي علم المعاني أي الأفعال الكلامية نوعان: الخبر ثم الطلب؛ فالخبر " هو الكلام المحتمل للصدق والكذب، أو التصديق والتكذيب"²، أمّا "الطلب فلأنّ كل أحد يتمنى، ويستفهم، ويأمر وينهى، وينادي، يوجد كلا من ذلك موضع نفسه عن علم، وكل واحد من ذلك طلب مخصوص، والعلم بالطلب المخصوص مسبق بالعام بنفس الطلب"³. نجد الطلب عند السكاكي هو الأمر والنهي؛ فالأمر حصره في الحصول على ثبوته للفعل الكلامي،

¹- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص 91

²- المرجع نفسه ، ص 164

³- المرجع نفسه، ص 165

وتصوّر ما يطلبه منه المتكلم، أمّا النّهي فهو أيضا طلب، لكن قصده هو الكفّ عن فعل شيء ما وفق تصوّر معيّن.

وعند استعماله مصطلح "الطلب" قسّم الإنشاء إلى ضربين: طلبي وغير طلبي، فـ "الطلب إذا تأملت نوعان نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول وقولنا لا يستدعي أن يمكن أهم من قولنا يستدعي أن يمكن، ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول"¹. فالإنشاء لا يركز على معياري الصدق والكذب، لأنّ مدلوله يتجسد بمجرد النطق به، وهي أفعال يديها المتكلم لإفادة الكلام، وهذا التّصور مرتبط بما أنجزه "أوستين" حين صنّف الأفعال إلى تقريرية وإنجازية. إنّ هذا التقسيم للسكاكي يتلاقى مع تصنيف "سيرل" للأفعال الكلامية التي حصرها في خمسة أصناف كالأمريات التي يحصل المتكلم من خلالها على شيء من المتلقي، مثل: طلب، أمر، واستفهام.

بيّن السكاكي أنّ موضوع "الخبر والإنشاء" هو "تتبع تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"². الفعل الكلامي عنده هو الذي يدلّ على الفهم بمجرد السماع للتركيب، ويؤدي الفعل وظيفته حينها، لأنّ المقصود من تراكيب الكلام هو ما يتلفّظ به المتكلم، ويُمكنه تمييز الكلام الصادر، والكلام المسبق لإفهام السامع، وأنّ هذا الكلام الصادر عن المتلفّظ هو ليس بتركيب مجرد، ولا تركيب من أجل تركيب، بل هو الإفادة من مقصد التكلم بغية إفهام المخاطب، لأنّ الإنسان بفطرته يحبّ الفهم بشكل سليم، وبالمفهوم التداولي المعاصر.

اهتمّ السكاكي بدراسة السياق ومقتضى حال كلّ من المتكلم ومقصده والمخاطب على حدّ سواء، وكذلك المقام، و من "ثم إذا شرعت في الكلام، فكلّ كلمة مع صاحبها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في

¹ - أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم ، ص 170

² - المرجع نفسه ، ص 161

ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به"¹. ومقتضى الحال عند السكاكي هو مذهب التداولية حيث يعبر المتكلم عن المعاني المقصودة لتطابق مقتضى الحال فيتمكن من بلوغ غاية الفائدة المرجوة لدى السامع.

لقد خاض البلاغيون العرب أشواطاً في دراسة المقام، فـ "لقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة "المقام" متقدمين ألف سنة تقريباً على زمانهم بفكرتي "المقام والمقال"، فـ "يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت لمغامرات العقل المعاصر في الدراسة"²، و للمقام دلالة القول فهو عنصر مهم لإنجاح عملية التواصل، يتحقق لوجود عناصر كالمتلقي والقناة والرسالة والمرجع. ومن حقائق السياق والمقام وما يتضمنه من معانٍ، يجدر بنا ذكر سرد بعض السياقات التي هي من اهتمامات السكاكي:

- "ليت الشباب يعود يوماً" لفظ التمني ظاهره في "ليت" يتمثل في طلب عودة الشباب، مع جزم بأنه لن يعود.

- "هل لي من شفيع؟" استفهام ورد عن أصله في مقام لا يمكن التصديق بوجود الشفيع وامتنع إجراء الاستفهام على أصله، وناب عنه التمني بشكل مؤدّ بمساعدة قرينة الحال التي تدلّ على التمني.

- "أظنني لا أعرفك؟" استفهام تولّد عنه الإنكار والتعجب لقرينة دالة على الغرض من خلال اللفظ السياقي. وهناك أمثلة كثيرة في هذا الطرح التي تخص الأفعال الكلامية عند السكاكي، والمقام لا يستدعي ممّا ذكرها كلّها لأننا لسنا بدراسة الأفعال الكلامية عند علماء العرب بشكل صرف. والطلب عنده هو ما يستدعي أمراً مطلوباً لا يكون حاصلًا حين الطلب و "أن لا ارتياب في أنّ الطلب من غير تصوّر إجمالاً وتفصيلاً لا يصح، وإنّه

³- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم ص168

²- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994، ص256

يستدعي مطلوباً لا محالة، ويستدعي فيما هو مطلوبه أن لا يكون حاصلًا وقت الطلب¹. هذه أبعاد تداولية وجدت منذ مئات السنين وبحوث خاصة في دلالة الفعل الكلامي الإنجازي المباشر وغير المباشر، وبالذات القصديّة ومقتضى الحال للمتكلمين.

3-4- الخطيب القزويني (739):

سار القزويني على نهج السكاكي وهو عالم بلاغي اهتم بظاهرة "مقتضى الحال" وعدّها ركيزة أساسية في البلاغة من خلال كتابه "الإيضاح"، وتأثر بالسكاكي في التّظهير "لكل مقام مقال" و"مراعاة مقتضى الحال"، حيث تضمن كتابه "الإيضاح" تنظيرات بلاغية، تهتمّ بالتواصل، ومقتضى الحال لاعتبارات تداولية. ولقد عرّف البلاغة، "أما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"²، فمطابقة الحال عند القزويني هي شرط في تداول الخطاب بغية التواصل، وجوهر البلاغة عند القزويني هو علم المعاني الذي يهتم بطرائق الكلام حيث يعرفه: "هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"³. في هذا القول يهتمّ القزويني بالمعنى وخروج اللفظ إلى معاني مختلفة تقاديا للّبس، وهذه من أهمّ مبادئ التداولية التي تمثّلت في الفعل المباشر وغير المباشر عند "سيرل". فالأساليب الإنشائية تخرج عن معناها الأصلي إلى أغراض أخرى تُفهم من القرائن والأحوال، مثل الاستفهام وما يناسب المقام، والأمر الذي يخرج إلى معانٍ فرعية يستنتج من السياق، وهذا ما تهتم به التداولية.

وصنّف القزويني علم المعاني إلى قسمين (الخبر والإنشاء) هو "علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي تطابق مقتضى الحال... لأنّ الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنّه إن كان

¹- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص302

²- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، ص20

³- المرجع نفسه، ص04

لنسبته خارج تطابقه فخير، وإلا فالإنشاء¹. مَيّر "القزويني" بين الخبر والإنشاء، فكلّ الكلام عنده إمّا له نسبة خارجية تطابقه أو العكس من ذلك، وقد لا يكون له مطابقة أصلاً. وذ كر " صدق الخبر مطابقته للواقع، وكذبه عدمها؛ وقيل مطابقته لاعتقاد المخبر ولو خطأ وعدمها؛ بدليل قوله تعالى "إن المنافقين لكاذبون"²، وأشار إلى حقيقة الصدق والكذب من مطابقته للواقع، وهذا ما اعتمده معظم البلاغيين، إلا في قوله "لاعتقاده المخبر ولو خطأ" فإنّه غير مطابق للواقع، وأمّدنا بدليل قرآني عن كذب المنافقين في خبرهم "نعلم إنّك لرسول الله" فيردّ الله "والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون"، هنا لم يتم تطابق الخبر مع الواقع، فظهر خلاف قولهم والواقع أنّه كذب .

كما يولي القزويني أهميّة لمقتضى الحال حسب قصد المخبر بخبره ف " ينبغي أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة، فإن كان خالي الذهن من الحكم والتردد فيه استغن عن مؤكّدات الحكم، وإن كان متردداً فيه طالبا له، حسن تقويته بمؤكّد، وإن كان منكرا وجب توكيده بحسب الإنكار، كما قال تعالى حكاية عن رسل عيسى عليه السلام، إذ كذبوا في المرة الأولى: إنّنا إليكم مرسلون، وفي الثانية: إنّنا إليكم لمرسلون، ويسمى الضرب الأول، ابتدائياً، والثاني طلبياً والثالث إنكارياً"³. إنّ مقتضى الحال لكل ضرب مختلف؛ فالأول ألقى إليه الكلام، كما يلقى إلى الجاهل ومقتضى حال الكلام هو جهل الخبر وهي منزلة تحصل الخبر في ذهن المخاطب، إلّا أنّ مقتضى الحال جاء بغية التوكيد ويفيد التّقوية لإثبات الحال الجاري في المقام، وهذا بعد تطلّع من المستمع لتثبيت الخبر، ومقتضى الضرب الثالث بين مقتضى الحال هو التأكيد بعد نفي فيه تمام، ففي كل ضرب يخرج الكلام على خلاف مقتضى الحال.

¹-جلال الدين محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني ، التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح عبدالرحمن البرقوقي،

دار الفكر العربي، ط1904، ص37

²-المرجع نفسه، ص38

³-جلال الدين محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني ، التلخيص في علوم البلاغة، ص، 41، 42

إنّ الخبر إذا كان مطابقاً لحكم الواقع فهو صادق، وعكسه كاذب " فذهب الجمهور إلى أنّه منحصر فيهما، ثم اختلفوا فقال الأكثر منهم: صدقه مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له، هذا هو المشهور وعليه التعويل"¹. وبهذا نهتدي إلى أنّ الخبر يطابق الواقع إذا كان معتقّد المُخبر يلائم وضع الخطاب، وإذا كان العكس انحسر تطابق الكلام لعدم وجود نسبة خارجية تمنع من تطابق الواقع مع الخبر.

وخلاصة القول أنّ الأساليب الإنشائية والأسلوب الخبري شكلت عند البلاغيين العرب نقطة ارتكاز في تحليل أساليب اللغة، ولهذا تعتبر الأفعال الكلامية عند "أوستين" و"سيرل" امتداد لمجهودات البلاغيين العرب، الذين خاضوا في عديد من المجالات المعرفية، حيث ميّزت دراسات البلاغيين العرب بين الخبر والإنشاء، واهتمت بالجانب التداولي للغة، واعتنوا أيضاً بالجانب التواصل، والمقامات الخطابية، ومقاصد المتكلمين. هذه الدراسات التراثية العربية لها طابع تداولي في استعمال اللغة، وتتلاقى هذه البحوث مع البحوث الغربية التداولية، وهذا الذي سنورده في المبحث الثاني من هذا الفصل.

¹ - جلال الدين محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، ص25

ثانياً: الأفعال الكلامية عند الغرب:

تعتبر نظرية الأفعال الكلامية دعامة أساسية في اللسانيات التداولية، حيث اهتمت باستعمال اللغة في الواقع، وفي ظلّ اللسانيات التداولية المعاصرة من أجل تحقيق التواصل اللغوي بين المتكلمين. هذا الاهتمام يكمن في معالجة الظاهرة اللغوية والسّموم بها عن النظرية التقليدية التي كانت تولي أهمية للجانب الوصفي للغة، وهذا ما جعل فلاسفة "أكسفورد" يتبنّون هذه النظرية ثم القيام بتطويرها وعلى رأسهم الفيلسوف "جون. لانشو. أوستين" الذي اقتفى أثر الفيلسوف "فيتغنشتاين" وجسّد هذا الاقتفاء في محاضراته التي جُمعت لاحقاً في كتاب سمّي "كيف ننجز الأشياء بالكلمات"، بالإضافة إلى أعمال "سيرل" و"غرايس".

تأسست هذه النظرية على يد الفيلسوف الإنجليزي "أوستين" إذ يرى "أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، إنّما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية"¹. فقد ولدت نظرية الأفعال الكلامية في رحاب الفلسفة التحليلية، التي مهد لها الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجة" وطورها الفيلسوف النمساوي فينتغنشتاين، ثم أسس لها الفيلسوف الإنجليزي "أوستين" وطورها بعده تلميذه "سيرل". وقبل الخوض في هذا المبحث لا بدّ أن نشير إلى مفهوم الفعل الكلامي لأنّه الوحدة الصغرى في التداولية:

1- مفهوم الفعل الكلامي:

إنّ الفعل الكلامي هو الحدث والوقوع، ثمّ إنشاء الفعل حتى يصير له مدلول في الخارج، وهذا الإنشاء في الواقع هو الذي تقدّم به "أوستين"، حيث اعتدّ بإنجاز الكلام وإخراجه من العدم إلى الوجود، فالفعل الكلامي يحيل إلى أشياء كثيرة، كالقيام بوعده أو أمر

¹- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 155

ونهي، فالفعل اللغوي للمتكلم هو إنجاز الفعل الذي يهدف إلى التأثير في المتلقي ليقوم بعمل ما حسب مقتضى الحال.

وقد حدّد "دومينيك مانغونو" تعريفاً للفعل الكلامي و" المقصود به الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلاً بعينه، غايته تغيير حال المتخاطبين، إن المتلفظ المشارك لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل المتلفظ"¹، فطابع القصد للفعل يتجلى في النية والرغبة في إرسال الخبر والتفاعل مع المتلقي، فالتفاعل يؤدي إلى انتقال الأدوار عند عملية التخاطب. ويعرّفه فان ديك: " أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي؛ كأن نعد وعداً ما، ونطلب، وننصح، وغير ذلك ممّا شاع وذاع أنّه يطلق عليه أفعال الكلام"². نهتدي إلى إنّ المتكلم ينشر عباراته ذات مرجعيات محدّدة، ذات تفكير مسبق في إطار اجتماعي محدّد، فيقوم المتلقي بفهم المحتوى وربطه بنفس المرجعية المعاشة.

وبناء على ما سبق فإنّ " كل فعل لغوي يندرج في إطار مؤسّساتي يحدّد مجموعة من الحقوق والواجبات بالنسبة للمشاركين في عملية التخاطب ويجب عليه أن يلتبي عدداً من شروط الاستعمال التي هي عبارة عن "شروط النجاح" التي تجعله مطابقاً للسياق"³. يتّضح لنا أنّ لفظ (الفعل) يُحيل إلى أنواع كثيرة من الأفعال وكلّها يشترك في الحدث، فالحدّاد يشدّ السكين فيجعل ربيعاً حاداً، والنّجار يقطع الخشب لإنشاء أثاث منزلي فيجعله ذا ملمس وجمال والفعل له حدث وإنجازية ومقصود حين التلفظ ضمن سياق اجتماعي، ولا يمكن إنجاز فعل كلامي خارج الموقف الاجتماعي بين المتكلم والمخاطب، فـ " الفعل الكلامي يعني التصرف الاجتماعي أو المؤسّساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام"⁴. فالفعل الكلامي

¹-دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1،

2008 ص7

²-فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص263

³- طالب الإبراهيمي خولة ، مبادئ في اللسانيات، ص161

⁴- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص9

تصرف إنجازي يقوم على إنجازيته الفعل على الوجه الصحيح، لأنّ التلفظ يحدث تأثيراً صحيحاً إذا أريد النّجاح والتّوفيق في تأدية الفعل الإنجازي.

وكذلك الفعل الكلامي هو " كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري يعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالا قولية... لتحقيق أغراض إنجازية... كالطلب والأمر والوعد والوعيد... وغايات تأثيرية... لرفض أو قبول المتلقي، ومن ثم إنجاز شيء ما"¹. وهو كذلك، فالفعل الكلامي فعل إنجازي تأثيري يعبر عن الوضع الذي تستتطقه العبارات اللغوية لتكوّن دلالات لغوية مؤثرة تستدعي ظروفًا اجتماعية ونفسية ومعارف أخرى، ممّا يجعل المرجعيّات أساساً في التّغيير والتّأثير في المخاطب.

2-1- الأفعال الكلامية عند "أوستين":

2-1-1- أبحاث أوستين:

يعدّ جون أوستين (j.l.austin) أبرز مؤسس لنظرية الأفعال الكلامية من خلال كتابه: "نظرية الأفعال الكلامية" (عنوان الكتاب « **how to do think with words** » ترجم إلى الفرنسية ب: « **quand dire c'est faire** » وترجم إلى العربية بعنوان "نظرية الأفعال الكلامية") وقد جمعت محاضراته من قبل تلاميذه في كتابه (كيف ننجز الأشياء بالكلمات). وبمجرد أن أسس لهذه النظرية اللغوية جعل اللغة همزة وصل بين المتخاطبين والواقع بعيداً عن الوصفية والإخبارية فـ " اللغة ليست مجرد أداة للإخبار والوصف، بل وسيط لبناء الواقع والتأثير فيه وتحويله"²، وهذا يعني أنّ اللغة هي إنجاز أفعال في الواقع، لا وسيلة لنقل الأخبار ووصفها، وهذا ما يجعل جوهر اللغة يتمثل في الاستعمال اللغوي التداولي، ممّا أدّى بأوستين إلى نقد الفلاسفة في زمنه للتصور الذي كان سائداً عندهم أنّ وظيفة اللغة هي إنتاج ألفاظ وتراكيب خبرية وصفية فقط، فـ "لقد كان هدف

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ص40

2- عبدالسلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 2006 ص62

أوستين في البداية على الأقل أن يتحدى ما كان يعتبر مغالطة وصفية، وهي فكرة أن الوظيفة الوصفية الفلسفية المهمة الوحيدة للغة هي إنتاج عبارات خبرية صادقة، أو كاذبة... كان أوستين يتهم على رأي علم التحقق المرتبط بالفلسفة الوضعية المنطقية التي تفيد أن الجمل تكون ذات معنى فقط إذا كانت تعبر عن قضايا يمكن التحقق منها أو تفنيدها¹، وفي كتابه (كيف نصنع الأشياء بالكلمات) أثبت ذلك بقوله: " إنَّ قول شيء ما يعني فعل شيء ما أو أننا نفعل شيئاً ما بقولنا شيئاً ما"²، هنا، اشترط قول كلام ما أن يترجم إلى واقع بفعل شيء ما، وهذا سرّ اهتمام التداولية باللغة.

لقد برزت نظرية أفعال الكلام على يد الفيلسوف "أوستين" طلباً لتجسيد موقف مضاد للإتجاه السائد بين فلاسفة المنطق الوضعي الذين دأبوا على تحليل معنى الجملة المجرد من سياق خطابها اللغوي المؤسسي، إضافة إلى ما وصفه "أوستين" بالاستحواذ أو التسلط المنطقي القائل بأنَّ الجملة الخبرية هي الجملة المعيارية وما عداها من أنماط مختلفة للجملة هي مجرد أشكال متفرعة عنها"³. فالجملة الخبرية معيارية بالصدق والكذب، ولا تدعو إلى تغيير، بل تصف حدثاً معيَّناً وتميل إلى فهمه، بينما الأنماط الأخرى كالأمر والنهي والوعيد لا تحمل خصائص النمط الخبري، وهي تحتكم إلى التوفيق أو الإخفاق.

بعدها تبلورت نظرية الأفعال الكلامية وعدّت " النظرية التقليدية للكلام التي كانت تنحاز بشدة للاستعمال المعرفي والوصفي له، ونظرت إلى اللغة في بعدها الديناميكي أي اعتبارها قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه"⁴. هذا المنطوق يعتبر الفعل الكلامي نواة مركزية في البحوث التداولية اللغوية التي جاء بها الفيلسوف المعاصر "أوستين" المؤسس لنظرية الأفعال الكلامية الذي يرى أنَّ وظيفة اللغة تكمن في تبليغ المعلومات والإفصاح عنها، بتحويل الأقوال إلى أفعال ذات طابع اجتماعي ضمن سياقات محددة، مثال ذلك: -"ختم الوزير فعاليات المهرجان"، هذا الفعل الكلامي أدّى وظيفة وهي إبلاغ المعلومة التي تحمل فائدة إلى المخاطب الذي أفصح عما رآه وسمعه من نهاية رسمية للمهرجان المُقام.

¹-مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص68

²-آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، ص267

³-دومنيك منغانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص7

⁴- نصيرة غماري، نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة والآداب، جامعة الجزائر، العدد 17 يناير 2006، ص80

وأضفى عليه مسحة اجتماعية في هذا السياق المحدد، وهو الشيء الذي تتصف به الأفعال الكلامية، لأنها أهم دعامة في البحث اللساني حيث تهتمّ بالمتكلم ومقاصده والمتلقي لتغيير واقع ما، فهي دراسة لسانية " لدراسة مقاصد المتكلم ونوايا، فالمقصد يحدّد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها وهذا ما يساعد المتلقي على فهم ما أرسل إليه، ومن ثمة يصبح توفر القصد والنية مطلباً أساسياً، وشرطاً من شروط نجاح الفعل اللغوي الذي يجب أن يكون متحققاً ودالاً على معنى"¹. فالقصد عند "أوستين" يسهم في تحقيق الفعل الإنجازي تبعاً لقويدة ثقافية واجتماعية. لاحظ "أوستين" أننا حينما نتلفظ نخرج الكلمات من اللاوجود إلى الوجود لمعاينة الواقع وتغييرها إذ " ينظر إلى الفعل اللغوي كجنس عام من ثلاث جهات، التلفظ والنطق والخطابة ويختص فعل التلفظ بمخارج الحروف المادية، ويتعلّق فعل النطق بمقاصد العبارة، أمّا فعل الخطاب فيهتم بمقاصد المتكلم الخارجة عن العبارة والمفهومة من السياق"²، ولهذا يعدّ "أوستين" أوّل الفلاسفة من صرح أنّ المتكلم لا يخبر ويبلّغ فحسب بل يفعل، يؤدّي عمله بلغة ذات مقصدية التي تعدّ فقط ذات دلالة وبناء لكنّها فعل يصدر من قبل المتكلم قصد تأدية مقاصد وأغراض.

وعلى هذا الأساس قسّم "أوستين" الأفعال - في بداية أبحاثه إلى قسمين: قسم يهتم بالأفعال التقريرية، وقسم يتعلّق بالأفعال الإنجازية التي لا تصف الشيء ولا يحكم عليها بالصدق والكذب، لكنّها تتجزأ الفعل من خلال التلفظ. فهو يرى أنّ الجمل التي تصف الواقع يحقّ الحكم عليها بالصدق أو الكذب، بينما الجمل التي لاتصف الواقع لا يمكن الحكم عليه بالصدق والكذب؛ فميّز بين الجمل الخبرية والتي سمّاها بالوصفية، والجمل التي لا تصف سماها بالتقريرية.

¹ - نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية،

مجلة اللغة والأدب قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، الجزائر، العدد 17، جانفي 2006، ص 170

² - جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبدالقادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب،

د.ط 1991، ص 7

2-2- نوعا الأفعال الكلامية عند أوستين:

انتقد "أوستين" نظرية فلاسفة الوضعية المنطقية للغة الذين رأوا أنّ "اللغة وسيلة لوصف الوقائع الموجودة في العالم الخارجي بعبارات إخبارية، ثم يكون الحكم بعد ذلك على هذه العبارات بالصدق إن طابقت الواقع، وبالكذب إن لم تطابقه. وإذا لم تطابق العبارة واقعا فليس من الممكن الحكم عليها بالصدق أو كذب، ومن ثم فلا معنى لها"¹، إلا أنّ "أوستين" يرى عكس ذلك فاللغة تؤدّي وظيفتها قولاً وفعلاً " فلا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها، ولكن للغة وظائف عديدة كالأمر والاستفهام والتمني والشكر، والتهنئة واللعن والقسم والتحذير"²، وانطلاقاً من هذا الحكم قسّم "أوستين" بداية الأفعال الكلامية إلى قسمين:

- "إخبارية: وهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجي وتكون صادقة أو كاذبة.
- أفعال أدائية: وهي أفعال لا تصف الواقع، ويحكم عليها بمعياري النجاح والتوفيق والإخفاق وقد سمّاها "أوستين" بالأفعال الإنشائية، وقد نفى وصفها بالصدق أو الكذب"³. إنّ قول الأفعال الإخبارية والإنشائية عند "أوستين" يحتكم إلى معيار الصدق والكذب الذي ينطلق في الجمل المعدة للتواصل، لأنّها تستنتج موقفاً بين المتخاطبين وتسعى لتحقيق غرض ما، وتحقيق ذلك يكون بالسياق والمناسبة، أمّا الأفعال الإنشائية لا تصف ولا تعتمد على معيار الخبر وغايتها تحقيق فعل كلامي في الواقع.

لقد ثار "أوستين" على الفلاسفة الذين اسندوا الوصفية للغة، وأقصوا جملاً كثيرة بحكم أنّها لا تخضع لمعيار الصدق والكذب فذكر "التعارض بين نوعين من المنطوقات، هي المنطوقات التقريرية الوصفية، ونوع آخر يتشابه مع النوع الأول تشابهاً ظاهرياً في البنية

¹- محمد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص42

²- المرجع نفسه ص، ص41، 42

³-المرجع نفسه، ص44

غير أنّه لا يقوم بالوظيفة التي يقوم بها هذا النوع... ويسمّي أوستين هذا النوع بالمنطوقات الأدائية¹، وهي منطوقات تساوي تحقيق فعل إنجازي في الخارج، وتعتمد على القدرة وعلى القيام بالفعل لتحقيق الفعل الإنجازي وفق نسق تحليلي، وتتحقق هذه الأفعال بمعيّار الإخفاق أو التوفيق.

2-2-1- الأفعال التقريرية: (assertives verbs):

وهي الأقوال الخبرية التي نستطيع الحكم عليها بالصدق والكذب، ف" يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب".² لقد درس الفلاسفة الأقوال اللغوية ودرسوا معانيها في إطار المعنى القضوي للجملة الخبرية، وأبانوا على أنّ اللغة تستخدم لتجزأ أفعالا معينة كالتصريح والمقايضة وغيرهما. هذا النوع من الأقوال يصف حالا معيناً، والتي سماها البلاغيون العرب بالأساليب الخبرية، وهي " أنّ الكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، سمي كلاماً خبرياً، والمراد بالصادق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع"³. هذه الأفعال صريحة أفعالها ظاهرة، تنسب إلى المتكلم، ف" فعلها ظاهر (أمر، دعاء، نهي) بصيغة الحاضر المنسوب إلى المتكلم"⁴، فالمتكلم يصدر فعلاً محدداً يصف فيه حدثاً معيناً كقولنا: "أجزم- بعد حين- على تأديبك"، فالفعل "أجزم" صريح وفيه تهديد ووعد ولا يقبل تأويلاً سياقياً آخر، والأداء الصريح في هذا المثال يعلن عن نفسه منه خلال السياق التلفظ به. من هنا يرى "أوستين" أنّ الأقوال اللغوية تعكس نمطاً ونشاطاً اجتماعياً أكثر مما تعكس أقوالاً يتعاورها مفهوم الصدق والكذب، وهذا ما أدّى به إلى التمييز بين الأقوال التقريرية (الوصفية) والأقوال الإنجازية (الأدائية)، حيث يتلخص فكر "أوستين" في نقطتين أساسيتين: " - النقطة الأولى تتمثل في رفضه ثنائية: الصدق والكذب.

¹-صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1،

1993 ص، ص 137، 138

²- نعمان بوقرة، اللسانيات العامة، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديثة، عمان، ط1، 2009، ص 186

³-عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1981، ص 13

⁴-خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 96

- النقطة الثانية تتمثل في إقراره بأن "كل قول **énoncé** عبارة عن عمل"¹، في النقطة الأولى يرفض "أوستين" ثنائية الصدق والكذب بالنسبة للجمل التقريرية التي أقامها الفلاسفة والتي من خلالها صوروا الواقع حيث يرى "أوستين" إن: "ما نتلفظ به لا يمثل وصفا مطابقا للواقع، بل يمثل فعلا (أو حدثا) يتوفر على معنى أولا"². وعارض "أوستين" آراء فلاسفة اللغة الذين اعتبروا أن الكلمات غير الوصفية لامتني لها، ولا أهمية لها، لذا عارض هذه الفكرة "لأنها حصرت المجالات الواسعة لاستعمال اللغة عن طريق سجنها في الجمل الوصفية فقط"³، وهذا ما حقّزه على التمييز بين "الأقوال التقريرية" وتسمى أيضا بالأقوال الوصفية، و"الأقوال الإنجازية" وتدعى أيضا بالأقوال الإنشائية أو الأدائية، فالأقوال الإنجازية تؤدي دورا إنجازيا معنا عكس التقريرية التي تتسم بالصدق والكذب. ولتوضيح ذلك نسرّد المثال:

أ- إنّ مباراة الجزائر ضد انجلترا كانت ممتعة.

ب- ازدان الربيع بجلّة القشبية.

ج- البركان ثائر.

الجملة (أ) تصف واقعا خارجيا، وتقر بأن المباراة استمتع بها العالم، فيمكن الحكم عليها بالصدق إذا كانت المباراة ممتعة حقا، وبالكذب إذا كانت أغلب فتراتها لصالح الفريق الانجليزي. أما الجملة (ب) جملة خبرية أيضا تصف فصل الربيع، إنه وصف يحتمل أن يكون صادقا إذا طابق الواقع، ويكون كاذبا إذا خالف الوصف الواقع الخارجي. والجملة (ج) تصف ظاهرة طبيعية يمكن أن يكون قائلها موفقا في الخبر فنصدقه، وقد يحدث العكس فنكذب إخباره عن الحادثة. إنّها أفعال تصف وقائع العالم الخارجي يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب يسميها أوستين بـ "الأقوال التقريرية"، وذكرت عند العرب بالأساليب الخبرية.

¹- الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،

1992، ص22

²- المرجع نفسه ، ، ص17

³- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص60

2-2-2- الأفعال الإنجازية: (locutionary acts):

جعل "أوستين" هذه الأفعال للإنجاز، لا للوصف أو الاعتماد فيها على معياري الصدق والكذب، بل تتسم بالموافقة أو الإخفاق وبشروط إذا لم يلتزم بها فشل الفعل الإنجازي، كقولنا: - قم بنا لمزاولة عملنا، كي لا تتراكم الأشغال.

الأمر هنا موجّه لصديق معين الذي هو ملزم بتنفيذ الأمر المتعلق بالخطاب الحاصل بين اثنين بمجرد التلفظ، فإذا انعدمت الفاعلية هنا فقد اخترق شرط الإنجاز، فالمخاطب هو في موقع تلقي الخطاب ويريد منه المتكلم إجابة وردا فوريا، وإنجاز الفعل هو قوة خطابية من المتكلم بملفوظ إلى المتلقي ليكتسب إنجازا كلاميا. للمتكلم أهمية في تحديد القصد ودرجة تأثر المخاطب بالفعل الإنجازي لإنجاح العملي التواصلية، فالمثال السابق المتضمن في قول الأمر يتطلب نتيجتين:

- تنفيذ الأمر بشكل عفوي وطبيعي.

- إباء واعتراض، وفي هذا الموقف يتراجع فهم المخاطب للفعل الإنجازي .

وفي هذا الصدد يقترح "أوستين" معايير تضبط الفعل الإنجازي:

"- إنَّ الفعل الإنجازي ينجز في الكلام ذاته، فهو إذن ليس نتيجة تنتظر من الكلام.

- إنَّ الفعل الإنجازي قابل للتفسير والتأويل بواسطة صيغة إنجازية مناسبة له.

- إنَّ الفعل الإنجازي ذو طبيعة اصطلاحية تواضعية"¹.

يتضح أنَّ الفعل الإنجازي هو "التنفيذ العملي لقواعد القدرة وآلياتها، إنه التحقيق الفعلي للقواعد الضمنية التي يملكها الفرد المتكلم عن لغته"². إنَّ عملية إنجاز الفعل الكلامي مرتبطة بقصدية المتكلم واستيعاب المخاطب لقصد المتكلم وما تضمنه الفعل الكلامي

¹- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، ص71

²- غلفان مصطفى بمشاركة محمد الملاح وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2010، ص43

الإنجازي "هو العمل الذي يتحقق بقولنا شيئاً ما"¹. الفعل الإنجازي هو نتاج فعل القول فـ"الفعل الإنجازي الحقيقي... هو القيام بفعل ضمن قول شيء"². وهي الأقوال التي لا تخضع لمفهوم الصدق والكذب، وهي ذات وظيفة انجازية تجعل المتكلم ينجز عمله بالتلفظ والتي يمكن أن نقول عنها "أنّ هذه الأقوال قد تنجح أو قد تخفق أو أنّها تستجيب لمقتضى الحال أولاً"³. وإذا قال أحدهم لخليله: هل ترافقني إلى المسبح "طاب لحسن"؟

هذا فعل ليس بخبري ولا يخضع لمفهوم الصدق والكذب، بل لإنجاز فعل المرافقة لأنّ اللغة عند "أوستن" تعبّر عن جمل تتضمن أمراً، وتعجباً، وترغيباً، وترهيباً، وتعمل الأفعال على إنجاز فعل الإخبار، فهي أقوال لا تصف الواقع ولا تخبر عنه ولا تخضع لمعيار الكذب والصدق، وتتسم بسمة مخالفة حيث التّلفظ بها يجسّد فعلاً في الواقع، وسمّاها العرب بالأساليب الإنشائية، ودعاها "أوستن" بالأفعال الإنشائية *actes performatifs* ، ومن أمثلتها:

أ- أنهاك عن إتيان المنكر.

ب- قال الوالي: أعلمكم بقدوم الوزير.

الجملة (أ) تضمنت نهياً، ولتحقيق النهي ينبغي توفر الناهي والمنتهي على قصد الفعل، ولا تصف واقعا خارجيا ولا يمكن قبول الحكم عليها بالصدق أو الكذب، فهي تحمل معنى لإنجاز فعل معين بمجرد التقوه بهذه الجملة، والجملة (ب) إعلان صريح من الوالي للسلطات بقدوم الوزير الذي يملك الحق في التبليغ والتأكيد، وهو لا يصف واقعا خارجيا، ويتحقق فعلها بمجرد الإعلام بالقدوم قصد التجهيزات البروتوكولية.

هناك فرق بين الأقوال التقريرية والأقوال الإنجازية؛ فالأقوال التقريرية تصف حدثاً أو حالة معينة دون فعل فلا تتجاوز القول إلى الفعل، أمّا الأقوال الإنجازية فتتجزّ قولاً وفعلاً في

¹- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص31

²- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،

ص42

³- الجيلالي دلاش، مدخل على اللسانيات التداولية، ص22

الوقت ذاته؛ الأولى تصف حدثاً معيناً وكذا وصف حالة وتبيين هياتها ويتوقف عملها عند القول فقط، بينما الثانية لا تصف واقعا معيناً بل تتجزأ أفعالاً لها القدرة على التأثير في الواقع، ولا تتّصف بالصدق أو الكذب، بل تخضع لضابط النجاح أو الإخفاق كالبيع والشراء والوعد والأمر والنهي وغيرها من الأفعال. ونجاح الأفعال الإنجازية يتوقف على ضوابط إذا توقّرت كان الفعل الكلامي ناجحاً ومحققاً، وإذا لم تتوقّر هذه الضوابط ثبت خرق الفعل الكلامي وتتسم بالإخفاق "بيد أن هذه الأقوال تخضع لبعض الشروط التي تضمن لها النجاح والتوفيق"¹. هي أفعال أدائية لا تصف ولا تخبر، ولا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، فالنطق بها في مقام معين يثبت فعلاً ما في الواقع الخارجي، كالوعظ والتهديد والوعيد، ولها ميزة خاصة وهي اتصافها بتحقيق الفعل في الواقع عند التلفظ، حيث يسميها "أوستين ب: الأقوال الإنشائية" كقولنا:

- قال مدير المؤسسة: أعلن شغور المنصب (1).
- آيت بسورة من مثل القرآن. (2)
- قف عند حدود الله. (3)

يُجمع فلاسفة مدرسة "أكسفورد" على توفر هذه الأقوال على شروط أعطوها اسماً وهو القواعد الأساسية، فالمثال (1) يترتب عنه الإعلان عن شغور المنصب المالي، والمدير هو الوحيد الذي يخوّل له ذلك، والمثال (2) يتأسّس على التّحدي، وهذا التّحدي له فعل يتضمن القدرة على القيام بالشيء، والمثال (3) يتجسد بفعل أمرٍ لتحقيق شيء ما، حيث يتوجب توفر كل من الأمر والمأمور لتحقيق فعل الأمر. يظهر في هذه الأقوال أنّ الفاعل للحدث هو ضمير المتكلم المفرد (أنا) أو الضمير الجمعي (نحن)، والزمن هو الحاضر أو المستقبل والأفراد المشاركون في هذه الأفعال يحكمهم التفاعل فيما بينهم والاحتكام إلى قواعد تضبط كيفية المساهمة بينهم، وبالفعل تُتجر عن هذه الأفعال نتائج بعد التلفظ، وهذا ما يجعل أفعال الكلام تختص بإنجاز الأفعال، بمعنى أنّها لا تصف الوضعية، بل تحقّق وضعية غير مجسّدة في الواقع .

1- الجيلالي دلاش، مدخل على اللسانيات التداولية السابق، ص 23

2-3- شروط تحقيق الأفعال الإنجازية (الأدائية):

وضع "أوستين" شروطا لتحقيق الأفعال الأدائية، وقسمها إلى نوعين: أولهما الشروط التكوينية (الملاءمة)، والشروط القياسية ويمكن تلخيصها فيما يأتي:

"أ- أن يكون الإجراء عرفيا مقبولا اجتماعيا كالزواج والطلاق.
ب- أن يتضمن الإجراء نطق كلمات معينة من طرف أشخاص معينين في ظروف معينة.

ج- أن يكون الشخص المنجز مؤهلا لإنجاز الفعل وأن يكون تنفيذه صحيحا وكاملا، وأما الشروط القياسية، فليست لازمة لأداء الفعل بل مكمل له، لتحقيق صورته المثالية الخالية من العيوب"¹، حتى تؤدي فعلا في الواقع، وهذه الأفعال قد تنجح أو تفشل، ولن تتحقق إلا بشروط المفصلة كما يلي:

"-الشروط التكوينية: وهي ضرورية لتحقيق الفعل الأدائي وتتمثل فيما يلي:

- أن يكون الإجراء عرفيا مقبولا اجتماعيا مقبولا كالزواج والطلاق.
- أن يتضمن الإجراء نطق كلمات محددة من طرف أناس معينين في ظروف معينة، مثلا في الزواج يشترط التلفظ بكلمات من مثل قول زوجني ابنتك، والرد زوجتك ابنتي على ما كان بيننا من مهر.
- أن يكون الناس مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء، مثل الشروط الواجب توافرها في الزوجين كالبلوغ.
- أن يكون التنفيذ صحيحا، ففي الطلاق مثلا لا يقع إلا بنطق كلمة الطلاق، وإلا لما كان الطلاق، لأنه لم يؤد أداء صحيحا، فيجب الابتعاد عن استعمال الكلمات الغامضة.

¹-محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص61

- أن يكون التنفيذ كاملاً، فعقد البيع لا يتم إلا من خلال تأكيد كل من البائع والمشتري على المسألة بذكر الاستعمالات اللغوية المناسبة¹. ورأى "سيرل" أنه من الضروري توافر النطق بكلمات معينة تعبّر عن عرف مشترك بشرط أن يكون المتخاطبين أهلاً للعرف وبكل وضوح دون نقص في أداء الفعل الانجازي فينفذ تنفيذا كاملاً.

- **الشروط القياسية:** تتلخّص فيما يلي: "ضرورة كون المشارك في الإجراء صادقا في أفكاره ومشاعره ونواياه، وأن يلتزم القائل بما يقول فعلاً"². هذه الشروط تستند إلى توفيق الفعل أو إخفاقه، وأن يكون المتشاركين في الإجراء صادقين في أفكارهم ومشاعرهم ونواياهم بشرط أن يلتزم المتكلم فيما يقول.

لقد بذل "أوستين" جهوداً للتمييز بين الأفعال الإخبارية والأفعال الأدائية، واتّضح له أنّ الأفعال الإخبارية تؤدي وظيفة الأفعال الأدائية، وطرح سؤالاً: كيف ننجز أفعالاً حين ننطق أقوالاً؟ فاهتدى إلى الإجابة عن السؤال بأنّ الفعل الكلامي يتكون من ثلاثة أفعال، ذات كيان متماسكة وتحدث في آن واحد، و" ما لبث أن رفض في المرحلة الثانية من تأملاته حول هذه الأقوال الثنائية التي وضعها في المنطق بين الفعل الإنشائي والفعل التقريري، وخلص إلى أنّ " كل قول عمل، ولا يوجد جمل وصفية"³. بعدما خلص أوستين إلى التفريق بين بين الجمل الوصفية والجمل الإنجازية اهتدى لاحقاً إلى توحيد الجمل الوصفية والإنجازية تحت مصطلح واحد وهو الفعل اللغوي، والذي جعله نوعان فعل مباشر وفعل غير مباشر.

فمثلاً قول المسافر لصاحبه: "إنني عطشان" هذا الفعل إخباري، وصفي، وإثباتي، غير أنّ وظيفة الفعل الإخباري تحوّلت إلى وظيفة أدائية محصورة في طلب كأس من الماء لشدّ

¹ - محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص45

² - الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص25

³ - المرجع نفسه، ص23

الرمق. هذا ما حدا بـ "أوستين" أن يلحّ " أنه لكي يكون المنطوق منطوقاً أدائياً ناجحاً لا بدّ أن يتم النطق به في ظروف ملائمة وسيكون لهذه الفكرة خطر الأثر في نظرية المنطوقات الأدائية، طالما أنّ الوظيفة الأساسية للمنطوقات الأدائية ليست التطابق مع الواقع، فلا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، غير أنّ هذه المنطوقات لا تؤدي وظيفتها بشكل صحيح في كلّ الحالات، إذ قد يخفق المنطوق في أداء هذه الوظيفة بطريقة أو بأخرى"¹، لهذا وضع أوستين شروطاً لتحقيق الأفعال الكلامية سماها بـ "شروط الملاءمة" والتي ذكرناها في المبحث الأول من الفصل الأول.

لقد أبدى "أوستين" مجهودات كبيرة في التمييز بين الأفعال التقريرية والأفعال الإنجازية، ورغم ذلك بقي مجهوده يحتاج إلى المزيد من التوضيح في " التمييز بين الأفعال الأدائية والإخبارية فقد ظل يرجع النظر في هذا التقسيم حتى تبين له في النهاية أنّ الحدود بين هذين النوعين من الأفعال لا تزال غير واضحة"²، فعدل عن هذا التقسيم لأنّه ثمة أفعال إخبارية تتضمن أفعالا إنجازية، كقوله تعالى: " كُتِبَ عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" (183 البقرة). إنّ ظاهر الآية هو فعل خبري، لكن الفعل الكلامي "كُتِبَ" تضمن أسلوباً إنجازياً هو الأمر وفعله المتضمن في القول هو الإلزام الصادر من الإله إلى المسلمين لوجوب إقامة شعيرة الصيام. وبهذه النتيجة اهتدى "أوستين" إلى تركيب ثلاثي للفعل الكلامي؛ فالفعل الكلامي له ثلاثة مستويات، " بأنّ هذه الأفعال الثلاثة يقع حدوثها في وقت واحد"³. تحدث الأفعال الثلاثة في وقت واحد من تركيب ودلالة ومضمون في القول وصدق وما ينتج عنه من ردّ فعل القول، ولا يمكن الفصل بينها فهي فعل واحد.

¹-صلاح إسماعيل عبدالحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، بيروت، ط1، 1993، ص، ص، 141،

²- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص67

³-المرجع نفسه ، ص45

2-4- أقسام الفعل الكلامي الكامل:

تمكّن "أوستين" في مراحل متأخرة من تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال يتكلم بها المتكلم لينجز فعلاً معيناً في الوقت نفسه، وبالعبارة اللغوية ينجز ثلاثة أفعال هي: فعل القول، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري، حيث قام بالتمييز بينها. وحسب دراسة "أوستين" للفعل الكلامي نجده يحصره في "ثلاثة أفعال تشكل كيانه واحداً، علماً بأنّ هذه الأفعال الثلاثة يقع حدوثها في وقت واحد"¹، وتوضيحاً لذلك رأى أوستين أنّ الأفعال الإخبارية تقوم بوظائف الأفعال الأدائية، فاستدرك هذا بالإجابة على سؤال طرحه: كيف ننجز فعلاً حين ننطق قولاً؟ وأجاب بأنّ الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال تعدّ جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل بينهما إلا لغرض الدرس، والفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية.

2-4-1- فعل القول (التلفظ) (locutionary act):

يقصد به التلفظ بكلمات أي أصوات ضمن جمل سليمة، ويدل على إنتاج قول له دلالة في تركيب معين، "يقابل التلفظ بالأصوات (فعل صوتي) والتلفظ بالتركييب (فعل تركيبّي) واستعمال التراكيب حسب دلالتها (فعل دلالي)"²، فهو يشتمل على مستويات: مستوى الفعل الصوتي، ومستوى الفعل التركيبّي (التبليغي)، ومستوى الفعل الدلالي (الإحالي) والتركيبّي وهو فعل إنتاج الأصوات وتركيب الكلمات في بناء يتقيّد بقواعد اللغة ذا دلالة محدّدة لهذه الأفعال الفرعية، وفعل القول ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام فرعية:

"إنّ فعل القول الذي بواسطته يتفهّم المرء بشيء ما يتفرّع إلى ثلاثة أفعال فرعية:

- الصوتي: ويتمثل في التلفظ أو إنتاج أصوات والقرع.

¹- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص24

²- خليفة بوجادي، في اللسانيات العامة مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص96

- التبليغي: ويتمثل في كون هذه الأصوات والقرع تتوفر على (صورة) معينة، فضلا عن انتمائها إلى لغة محددة وخضوعها لقواعد هذه اللغة النحوية.
- الخطابي: الذي يجعل هذه الكلمات أو العبارات ذات دلالة معينة¹. وهذه المستويات الثلاثة للفعل عند أوستين نوضحها كالتالي:

- " الفعل الصوتي: voice act :

وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات التي تنتمي إلى لغة ما، يتحقق حين إنتاج وحدات صوتية مشكلة من ألفاظ معجمية، فهو "مجرد فعل التلفظ ببعض الأصوات المنقلة المقروعة المحمولة في الهواء قي لغة معينة وفي حدث معين"²، فالفعل الصوتي يحمل أصوات ذات تركيبة فيزيائية تسهم في تكوين أصوات.

- الفعل التركيبي: (التبليغي) syntax act :

هو إنتاج كلمات يكون لها رصيد في المعجم، فالتركيب " بوصفه مزجا لكلمات في تكوين صوتي ونفسي بشكل دقيق "³ يجعل الأحداث تتكوّن من مفردات اللغة التي صيغت بها وفقا لقواعدها النحوية، وتسمى أيضا بالفعل اللفظي التأكدي.

- الفعل الدلالي(الإحالي) (act rhetique) :

فهو "يتمثل في الربط بين الكلمات ودلالاتها حسب ما تحيل إليه"⁴، ويدعى أيضا الفعل الإبلاغي، يتجسد في هذا الفعل معنى ومرجع معينان غاية جلية. أفعال القول الفرعية الثلاثة منسجمة فيما بينها لأنها تنجز مجتمعة قولا واحدا، فملفوظاتها تتوقف على تناسق الأصوات منتظمة تبعا لأسس نحوية ذات دلالة، ويصعب الفصل فيها

¹- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص24

²- جون لانجو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1991، ص124

³- لودجر هوفمان، علم اللغة: الجملة، المنطوق، النص، المعنى، نصوص لغوية لقراء أهم اتجاهات البحث اللغوي، تر:

سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ص36، ط2015

⁴- الجيلالي دلاش، مدخل إل اللسانيات التداولية، ص 24

بين الفعل الفونولوجي والفعل التركيبي؛ فالفعل الصّوتي سابق للفعل التركيبي، والفعل الدلالي لاحق بهما. وإنّ فعل القول لاحتوائه على هذه الأفعال الثلاثة يتمّ معناه والمقصد منه إذا استند إلى فعلين لغويين هما: الفعل الإنجازي، والفعل التأثيري، وبهذا فإنّ الفعل الكلامي هو كلّ ملفوظ تلفّظ به يؤدّي بشروط محدّدة، وينبثق منه فعل (حدث) وينتج عنه تأثير.

2-4-2- الفعل المتضمن في القول (قوة فعل الكلام): (illocutionary act):

هو الفعل الكلامي اللفظي الذي يراد به الحدث الذي يقصده المتكلم بالجملة، كتقديم النّصح أو الأمر، وهذا النوع هو المقصود في نظرية أفعال الكلام، ويُدعى الفعل الإنجازي غير اللفظي يعني به أنّ المخاطب حين تكلمه ينجز معنى قصدياً تأثرياً، وسماه "قوة الفعل"، ف"أمّا الفعل الكلامي المتضمن بالقول فهو النطق ببعض الألفاظ أو الكلمات، أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة متصلة على نحو ما بمعجم معيّن ومرتبطة به وتمثّلية معه وخاضعة لنظامه"¹، ولكي يتجسّد هذا الفعل الإنجازي اشترط عوامل مشتركة: السياق، اللغة، المحيط، والأشخاص، ومثال ذلك قول الأستاذ لطلّبه: - "أعدكم بأن نكمل الدرس في الحصة اللاحقة". يتحقّق هذا الفعل إذا توفرت الشروط التالية:

- أن يفِي الأستاذ بوعده مع نيّة صادقة لذلك، ويتأكّد من وثوق الطلبة بأستاذهم.
- أن يرغب المتلقّي في تحقيق هذا الوعد، وهو المعنى الإنجازي.
- حضور الأشخاص من أستاذ ومتعلمين.
- يضمّهم محيط يتّسم بالتّعلم والاستفادة، أي وسط تعلّمي.

والفرق بين الفعل الأول والفعل الثاني؛ أنّ الأول مجرد قول، أمّا الثاني فهو القيام بالفعل ضمن قول. وقد اشترط أوستين لتحقيق المعنى الإنجازي ضرورة توفّر السياق العرفي المؤسّساتي لغة، ومحيطاً، وأشخاصاً، والمستمع لذلك له رغبة فيما يقوله المتكلم الذي قد يحيل إلى المعنى الإنجازي المراد.

¹ - جون لانجو أوستين، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ص 124

يعدّ الفعل الكلامي أهم ما في التداولية بالإضافة إلى متضمنات القول إذ يرتبط بوضعية الخطاب ومقامه، حيث يقوم المتكلم بالتلميح ليحمل المتلقي على التفكير في أشياء؛ فالمخاطب يعتمد تجنّب التصريح احتراماً لتقاليد المجتمع وأعرافه، لأنّ التفاهم بين المتخاطبين ضروري حيث يتعيّن على المتلقي امتلاك القدرة على التفاهم واستخلاص محتوى القضايا المقدمة في التّخاطب وما يحيط به لتأدية التفاهم بشكل لائق بين المتكلمين ليساعد على تحقيق غاية متضمنات القول، فهو فعل تداولي إجرائي يرتبط برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره.

إنّهُ فعل كلامي إنجازي حقيقي، مجرد قول، لكن التداولية تُؤليه أهمية فيحمل قوّة إنجازية كطرح سؤال أو أمر أو تحذير... إلى غيرها من الأفعال الانجازية، أمّا قوّته فتكمُن في القيام بالفعل أثناء قول الشيء، أي القيام بفعل ما ضمن قول شيء. أو هو إنجاز يؤديه المتكلم حين التّلفظ بكلمات محدد كالوعد، والتهنئة، والاستفهام، والأمر، والنهي، التأكيد، والوعيد، والتحذير وغيرها من المعاني الواردة في الفعل الكلامي، حيث يعدّ جزءاً مهماً في تركيبة الفعل الكلامي. والفرق بين فعل القول، والفعل المتضمن القول، أنّ الأول هو مجرد قول شيء، بينما الثاني هو القيام بفعل ضمن قول شيء.

2-4-3- الفعل الناتج عن القول : (perlocutionary act):

يُقصد به الألفاظ التي يتلفظها المخاطب التي تكون في قالب مكوّن من بنية نحوية سليمة ومقصد واضح، وسياق معيّن، تسهم كلّها في تبليغ الرسالة التي تحدث تغييراً وتأثيراً لدى المخاطب، أي أنّ الكلمات التي ينتجها المتكلم في بنية نحوية متضمنة في القول محمّلة بمقاصد معيّنة في سياق معيّن لتبليغ رسالة ما، تُحدث أثراً في المتلقي بقوة الفعل من خلال المعنى الإنجازي. فهو "التأثير العملي للقول، الذي يقوم به المتلقي، كالاستجابة لدعوة أو الإجابة عن سؤال، أو الامتثال لأمر، فالفعل التأثيري هو الأثر الذي يحدثه الفعل

الإنجازي في المتلقي ويدل على قدرته على إحداث آثار ناتجة عن الفعل الإنشائي¹، وهو حدوث تأثير في الفكر والمشاعر بإيعاز من الفعل الإنجازي مرتبطا ارتباطا مباشرا بالفعل التلفظي.

إنّ الفعل الإنجازي يترك أثرا في المتلقي، فيستجيب الأخير لأوامر المتكلم، ولهذا فـ"الفعل الإنجازي يتعلّق بالمرسل، أمّا الفعل التأثيري فإنّه يتعلق بالمرسل إليه، لأنّه يتوجّه إليه، وقد لا تكتمل دائرة التأثير فيه إلا عند حدوث ردّ فعل من المرسل إليه"². توصّل "أوستين" إلى الاهتمام بالفعل الإنجازي وعدّه عمل تداولي، واهتدى إلى أنّ الخطاب يحمل معانٍ صريحة ومعانٍ ضمنية مستلزمة متأثرا بـ"غرايس"، فجعل في العملية التخاطبية المتكلم والمخاطب محورين أساسيين في تداول الفعل الإنجازي وتحقيقه.

يرى "أوستين" بـ أنّ "الفعل التأثيري لا يكون تأثيريا إذا لم يؤثر في المخاطب، وقد اعتمد في أبحاثه على الفعل الإنجازي لأهميته القصوى في نظرية أفعال الكلام، ومنه صنّف الأفعال الكلامية الخمسة. والفعل التأثيري هو أن يقوم المتكلم الفاعل بفعل ثالث بعد فعل القول ثم الفعل التضمن في القول ليحدث أثرا في فكر المتلقي وفي مشاعره كأن يرشده، أو يوبّخه، أو يقنعه، أو يضلّله، و"بواسطته أحدث وجوبا ردّ فعل وتأثير إلى المخاطبين"³. ولتحقيق ما نقول ينبغي أن يتحقق الفعل الغرضي والقصد من الفعل الكلامي.

وقد لاحظ أوستين أنّ للفعل الكلامي خصائص ثلاث: فهو فعل دال، وفعل إنجازي، به تنجز الأشياء الاجتماعية بالتلفظ، وفعل تأثيري، حيث يدعُ أثرا في المتلقي، فلا يتم معرفة الأقوال المتضمنة للأقوال إلا بقوانين الخطاب التي "تلعب دور تحويل الكلام من مدلوله

¹ - الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص24

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولي، ص75

³ - الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص24

الصريح إلى مدلوله الضمني"¹، وهذه الأفعال الكلامية الثلاثة لا تحدث بشكل مرتّب، بل تعبّر عن مناحي عدّة متباينة لواقعة لغوية واحدة، كأن نقول: - "للکذب مضار وخيمة".

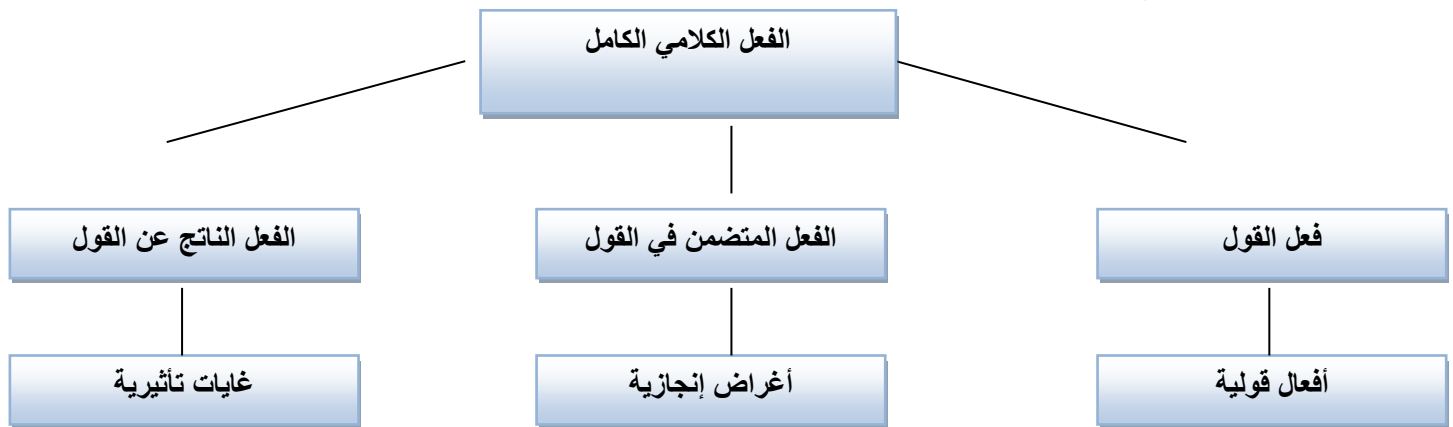
في هذا المثال تمّ إنتاج قول بصوت وكلمات محدّدة بدلالة التي تترجمه إلى الواقع، إنّنا نحذره من مغبة الكذب بنطق القول نظرياً، لكن المتلقي يأخذ سبيل الإقلاع، وهنا يتمّ الفعل الإنجازي بتأثير نتيجة التواصل ومن خلال ما تضمنه القول، وقد سمى "أوستين" فعل التأثير بالقوة الإنجازية للأفعال الكلامية، وقام بتصنيفها لاحقاً إلى خمسة أصناف. إنّ الأثر الذي يحدثه الفعل في المتلقي أو المخاطب ويرى أوستين أنّ الفعل التأثيري لا يلزم الأفعال كلها، ويرتبط بمقصد المتكلم ارتباطاً وثيقاً، كما يشتمل هذا الفعل على قوة الإنجاز سوا كان أمراً أو تحذيراً، وتتضح نتيجة الفعل في الأثر الذي يتركه فعل القول في شخص المخاطب تبعاً لطبيعة النفس، وردود أفعاله من فرح وحزن وغضب واشمئزاز وغيرها، ولهذا نجد المتكلم يريد التأثير في مشاعر المخاطب والأخذ بيده قصد الاستجابة، ومثال ذلك:

- "تناولك للسيجارة يؤذينا".

هذا المثال يحمل بين طياته تبايناً في القصد؛ يحتمل أن يكون القصد حث المخاطب الابتعاد عن المجلس بنمط إخباري، أو يقصد به الكفّ عن تناول السجارة وهو جالس معهم، أو ينفعّل وينصرف دون رجعة. والفعل الإنجازي هنا يجعل المخاطب يستجيب لخطاب المتكلم بتحقيق الأفعال الثلاثة وهي: فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول في آن واحد.

¹ - عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، ص82

والمخطط التالي يلخص هذا التوضيح:



2-5- تصنيف أوستين للأفعال الكلامية:

جعل أوستين تقسيما خاصا للأفعال الكلامية من حيث دلالتها الوظيفية إلى خمسة أصناف رغم كثرتها، لأنه يصعب إحصاؤها، وتوصل "أوستين" إلى تقسيم الأفعال الكلامية مبدئيا إلى خمسة أصناف:

- 1- الأفعال الدالة على الحكم *actes veridic tifs*
- 2- الأفعال الدالة على الممارسة *actes exercitifs*
- 3- الأفعال الدالة على السيرة *actes conductifs*
- 4- الأفعال الدالة على الوعد *actes commissifs*
- 5- الأفعال الدالة على العرض *actes expositis* ¹.

لم يقتنع "أوستين" بهذا التصنيف لاعتقاده بأن نظريته تحتاج إلى إضافات حتى تكتمل " فلم يكن ما قدمه من تصور كافيا، ولا قائما على أسس منهجية واضحة ومحددة؛ فقد خلط بين مفهوم الفعل، قسما من أقسام الكلام والفعل، حدثا اتصاليا، ولم يتم تحديده للأفعال وتصنيفه لها على أساس راسخ فتداخلت فئاتها، ودخل في بعض الفئات ما ليس منه، لكنه برغم ذلك وضع بعض المفهومات المركزية في النظرية، ومن أهمها تمييزه بين محاولة أداء الفعل الإنجازي والنجاح في أداء هذا الفعل، وتمييزه بين ما تعنيه الجملة، وما قد يعنيه المتكلم بنطقها، وتمييزه بين الصريح من الأفعال الأدائية والأولي منها" ². ورغم ذلك فلا زالت هذه النظرية محط اهتمام الباحثين والدارسين، فالباحث اللساني يتوجب عليه توظيفها في التحليل التداولي للغة.

يُعدّ تصنيف "أوستين" للأفعال الإنجازية هو أول تصنيف أولي، ورغم ذلك لم يكن راضيا عنه إذ يقول: " فإنّي أميز خمسة أصناف أو فئات عامة وإن كنت مع ذلك غير

¹ - الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص25

² - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص712

مسرور ولا راض عن أية واحدة منها"¹، ولعدم وضوح معالم الفعل الإنجازي، أبدى "أوستين" التصنيف الأولي: حيث قسم أوستين الأفعال الكلامية إلى مجموعات خمس وذلك في المحاضرة الأخيرة، أي الثانية عشرة على أساس قوتها الإنجازية: الأفعال الدالة على الحكم، الأفعال الدالة على الوعد، والأفعال الدالة على العرض، والأفعال الدالة على السلوك، والأفعال الدالة على الممارسة.

2-5-1- الحكميات: (verdictives):

تُدعى أفعال الحكم، تهدف إلى إصدار الأحكام تبعا لسلطة رسمية، سواء أكان الحكم الصادر من هيئة قضائية أو حكم تتبناه أطراف النزاع، أو أخلاقية، فهي "مجموعة الأحكام والقرارات القضائية يختص بكونه ناتجا عن إصدار حكم، وليس من الضروري أن تكون هذه القرارات نهائية فقد يكون الحكم مثلا تقديريا أو على صورة رأي تقيمي".² وهي أنواع: إصدار مرسوم الحكم، التحليل، التبرئة، التقدير... إلخ، وتكون هذه الأحكام تقديرية لأنها أفعال تقوم على الإعلان عن حكم معين تتعلق بحدث.

ولا يشترط فيها أن تكون دائما إلزامية وتشتمل على أفعال: كالتحليل، والحكم، والتقدير، التبرئة، الإدانة، التشخيص، التحليل... وهي أفعال تنفيذية، حيث يعتبر فعل الحكم بالفعل القانوني وهذا مذهب أوستين، ولذا فـ " هدفها هو إصدار الأحكام، مثلما يفعل القاضي في المحكمة، أو حكم المباراة في الملعب"³، وليس بالضرورة أن تكون هذه الأفعال قطعية، بل يمكن أن يكون الحكم تقديريا، ويكون المرسل فيها ذا سلطة معترف بها رسميا وأخلاقيا، تمكنه من إصدار تشريعات وأحكام في قضية ما.

¹ - جون لانجشو أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبدالقادر فني، إفريقيا الشرق، المغرب ط2، 2008، ص186

² - المرجع نفسه، ص174

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص156

2-5-2- الإنفاذيات (التمرسيات) executives:

هدفها أن يلزم الباث نفسه بأفعال محدّدة، مثل، التعهد، القسم، الوعد، التمني، والالتزام،... إلخ، وتسمى أفعال الوعد، والتكليف لأنها تجعل للمتكلم إلزامية القيام بعمل ما يقبله المخاطب، فالمتكلم يحمل المخاطب على الاعتراف بإلزامية الفعل في استعمال الحق والقوة، مثل: الضمان، والتعهد، والقسم، والطرد، والإعلان، والتوصية، والعزل، والأمر والنهي والاستقالة. وتسمى أيضا التنفيذيات لأنها تفضي إلى انجاز أعمال كالطرد أو العزل أو الاستقالة، وهي أفعال تنفيذية متّسعة المجال من حيث كثرة أفعالها، وليست أفعالا حكمية. إنّها أفعال تتعلّق بالجانب النّفعي للسلطة من خلال تنفيذ القرارات وتجسيدها في الواقع، فإِرها "أوستين" أنّها "ممارسة السلطة، ومن أمثلة ذلك التّعيين في المناصب وإصدار الأوامر التفسيرية"¹. هي أفعال تثبت في القضايا التي تهتم بالسلطة، ويشترط فيها أن تكون إلزامية، أي ليس من الضروري أن تكون هذه الأفعال قراراتها نهائية فقد تقديرية أو تقييمية أو نهائية. وتدعى أفعال الممارسة والقرارات التشريعية المتعلقة بـ "ممارسة السلطة والقانون والنّفوذ وأمثلة ذلك التعيين في المناصب، والانتخابات، وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير وغيره"². فهذه الأفعال تهدف إلى إصدار حكم قاطع، مثل نصح، تأسف، نبّه، عيّن، دافع. تقوم على إصدار سلوكي، مثال: الترجي، الأمر الطلب،... تتضمن أفعالا توضّح وجهة الرأي لتقديم البرهان والدليل، مثل أعترض، أؤكد أنك، ويحصل ذلك بالمحادثة.

2-5-3- الوعديات commissives :

تتوقّف عند حد ما يأخذه الإنسان على نفسه من أنّه سينجز فعلا ما، ومن أمثلتها: عزم، نذر أقسم، عقد، راهن، وعد، تكفل، اشترط، ويرى "أوستين" أنّه من واجب المتكلم أن يلتزم بأقواله، ويوجب عليه تضمين كلامه بألفاظ تثبت هذا الالتزام، وقد يندرج ضمن

¹ - جون لانجو أوستن، نظرية الأفعال الكلامية العامة، ص174

² - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص69

التصريح وإعلان النية والقصد، اللذان يدخلان في الوعد، أي " أن يلتزم المتكلم بهذه الأفعال"¹. إنَّ المتكلم الواعد يقوم بفعل الوعد وينوي إنجازَه بشرط صدق كلامه لانجاز فعل الشيء الموعود به، ويعبّر عن مضمون الكلام بإخلاص.

2-5-4 السلوكيات behaviors:

تُدعى أفعال السلوك، لأنها تهدف إلى توضيح سلوك معين، وتدل على " ردود أفعال وتعبيرات تجاه السلوك"²، حيث تعبّر عن رد فعل سلوك الآخرين مثل التعزية، الشكر، النقد، الاعتذار والترهيب والترغيب، اللعنة، التهنية، المواساة، التعاطف، الرجاء والتحية... وتمثل نسيجا من السلوكات الاجتماعية الصادرة عن المتكلم، تجعل هذا الأخير يتّخذ موقفا ملائما إزاء المخاطب.

تتموقع هذه الأفعال ضمن سلوكات وأعراف مجتمعية " وكلّها تتدرج تحت السلوك والأعراف المجتمعية، ومن أمثلتها: الاعتذارات، التهاني، والتعازي، والقسم،..."³، إنها أفعال تخرج المكنون النفسي تجاه المرسل وتعبّر له عن ما يحدث بسلوكات صادرة عن ردود الأفعال، وبالتالي يتحقّق السلوك الاجتماعي والسلوك النفسي معا. تقوم هذه الأفعال على تفاعل المتكلم مع الآخرين، وتتعلق بالإفصاح عن الجانب النفسي، أو الجانب الاجتماعي، ومن أمثلتها: عزي، هنا، شكر، اعتذر، بارك، أنب، انتقد، إلخ...

2-5-5- التبيينيات (التعبريات) expositives:

تُدعى أفعال العرض والإيضاح، تستعمل لتوضيح موضوع ما اعتمادا على التبرير والحجاج والنقاش، وتستخدم لتوضيح وجهة نظر ما أو بيان الرأي مثل: التفسير، الاعتراض، التأكيد، التعاقد، الموافقة، العزم، القسم، الوعد، الاعتراض، الإثبات، الإجابة، التحليل، التوضيح، النفي، إلخ، وهي إلزام المتكلم بأداء فعل ما، و" هي أفعال تظهر في الكلام عند

¹ - جون لانجو أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة، ص174

² - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص97

³ - جون لانجو أوستن، نظرية الأفعال الكلامية العامة، ص174

توضيح وجهة نظر المتكلم، حيث تبين كيف أنّ العبارات المتلفظ بها تجري مجرى الاحتجاج والنقاش، ومن أمثلة ذلك: أجيب أعارض، أوضح، أفترض...¹. فالأفعال التعبيرية يتركز فعلها على المرسل الذي يقدم انطبعا عن انفعال معين سواء أكان صادقا أو كاذبا، وتعبّر عن عواطف المرسل والمواقف إزاء موضوع معين الذي يُعبّر عنه.

3- الأفعال الكلامية عند "سيرل":

3-1- مفهوم الفعل الكلامي:

الفعل الكلامي هو عامل ترتكز عليه التداولية ومضمونه الألفاظ ذات أفعال إنجازية دلالية تأثيرية، فهو نشاط نحوي إنجازي تأثيري له غايات ترسل إلى المتلقي الذي يتأثر، فينجز بعد الفعل الكلامي فعلا تأثيريا يحدث أثرا في المتلقي، فهو "يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازية actes illocutoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...الخ)، وغايات تأثيرية actes illocutoires تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)"². ولتحقيق أغراض إنجازية أعطى سيرل أهمية للفعل الإنجازي، وهو أن يتكلم الباث بلفظ ما ينجز معنى قصديا بفعل القوة الإنجازية وتحقيق الغرض الإنجازي حين توفر السياق العرفي.

كما أنه دعامة أساسية في كل الأفعال اللغوية و في التواصل التداولي، ولهذا الفعل أفعال لغوية مترامنة معاً حيث "يعدّ سيرل إنتاج جملة لغوية إنجازا مترامنا لأربعة أفعال لغوية: الفعل التلفظي، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري"³. إنّ الفعل التلفظي (الفعل الكلامي) هو الأصل، والأفعال الثلاثة الأخرى: القضوي، والإنجازي والتأثيري تحقق وجودها لوجود الفعل الكلامي، وبدونه يُمتنع الإنجاز اللغوي.

¹ - جون لانجو أوستين، نظرية الأفعال الكلامية العامة ص 175

² - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 40

³ - أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1986،

بعدما استفاد "سيرل" من أفكار ودروس أستاذه "أوستين" سعى إلى تطوير وبناء نظرية الأفعال الكلامية مكملة لنظرية "أوستين" التي هي حصيلة أستاذه وتأثر به فيذكر "إنني مهما بلغت من القول فلن أسرف فيما أنا مدين به لهذا الفيلسوف من الناحيتين العلمية والشخصية على حد سواء"¹، حيث انطلق "سيرل" من أرضية تداولية أسس لها "أوستين" واستفاد من هذه النظرية حيث قام بتعديلات فطورها، حيث تبرز مجهوداته في:

- ربط الفعل الكلامي بالعرف اللغوي والاجتماعي.

- تطوير شروط الملاءمة.

قام بتعديلات منتظمة خصت شروط إنجاز الفعل الكلامي، حيث اعتمدت هذه النظرية على مبدأ القصدية intentionalit " فقد ظهرت على يده نظرية منتظمة لاستعمالات اللغة بمصطلحات الأفعال الكلامية قائمة على أن الكلام محكوم بقواعد مقصدية وأن هذه القواعد يمكن أن تحدّد على أساس منهجية واضحة ومتصلة باللغة"². والقصد عند سيرل ينطلق من الفعل الإنجازي وقصد المتكلم من أجل الوصول إلى السامع، وهنا يلعب القصد دوره المركزي في توجيه السامع أو المتلقي.

اهتمّ الفيلسوف الأمريكي "جون سيرل" J.searle بتطوير نظرية أفعال الكلام لـ "أوستين" معتمدا أيضا على دراسة غرايس grice التي تختص بمقاصد المتكلم وتحليل المعنى، والتي رفض من خلالها التوجه الشكلي للغة في حقلها الدلالي بمنظرها العام، فقد انتقد (سيرل) تقسيم أستاذه (أوستين)، لأنه أهمل معايير كانت هذه الدوافع محفزة لـ "سيرل"، فاقترح بعض التعديلات لتطوير نظرية الأفعال الكلامية من خلال هذه الخطوات:

- رأى "سيرل" أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال، وأنّ القوة الإنجازية هي دليل الفعل الإنجازي حين استعمال صيغ ذات دلالات محددة كالأمر والنهي. ورأى "أنّ الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأنّ للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل

¹ صلاح إسماعيل عبد الحق، فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، ط2007،

ص54

² محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص71

القوة الانجازية يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة. ويتكوّن هذا الدليل أو المؤشّر من خصائص نحوية تتضح في نظام بناء الجملة، خبرية أو إنشائية طلبية، والطلبية أمرية أو استفهامية، أو تعجبية... إلخ. كما يتكوّن - بالإضافة إلى ما سبق - من خصائص صوتية نطقية كالنّبر والتّغيم في اللغة المنطوقة وعلامة الترقيم في اللغة المكتوبة، ومن خصائص صرفية معبّرة عن صيغة الفعل، ومن خصائص معجمية متمثلة في دلالة الأفعال¹. يرى سيرل أنّ التخاطب يشمل على متواليات من أفعال كلامية يحكمها فعل كلامي إجمالي له قوّة إنجازية شاملة ذات تراكيب تعبّر صيغها عن دلالات فعلية.

يتضح لنا أنّ الفعل الكلامي عند "سيرل" ارتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، فهو يرى "أنّ الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضا بالعرف اللغوي الاجتماعي"²، إذ ربط الفعل الكلامي بالعرف اللغوي والاجتماعي، فالفعل اللغوي يندرج ضمن مصطلح المشترك اللفظي، أنّنا ننطق بالفعل ونعني به الصيغة بمعناها الصّرفي والنحوي، والحدوث، والوقوع، ويربط "سيرل" الفعل الكلامي بالعرف اللغوي والعرف الاجتماعي، ولا يتوقّف مغزاه ومراده عند مقصد المتكلم.

- طور "سيرل" شروط الملاءمة وحصرها في أربعة شروط: وطور "سيرل" شروط الملاءمة حسب ما جاءت به أبحاث "أوستين"، فهي "إذا تحققت في الفعل الكلامي يصبح موفقا"³. وجزأها إلى أربعة شروط:

3-2- شروط نجاح الفعل الكلامي:

عمد "سيرل" إلى تتبّع طبيعة بناء الملفوظات المتعلقة بالفعل المتضمن في الكلام، وحدّد شروطا تتضمن إنجاز الفعل رفقة القصدية، فيصبح للفعل الإنجازي طابعا دلاليا

¹ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 47

² - المرجع نفسه، ص 47

³ - المرجع نفسه، ص 75

لتحقيق نجاحها دون إخفاق، وتحقيقها يتوقف على الإنجازية في الواقع، وبهذه الإسهامات وضع سيرل-أسوة بـ "أوستين"- شروطا لضبط الاتصال الإنجازي ومعالجة قصور الشروط التي قدمها أوستين، وجعل لها شروطا متمثلة فيما يلي:

- شرط المحتوى القضوي propositional content condition :

هو المعنى الأصلي للقضية التي تقوم على متحدّث عنه، حيث يكون للكلام معنى قضوي يتألف من مرجع وخبر، وهو الذي يتم فيه الإعلان عن حدوث فعل في المستقبل من قبل المخاطب كالوعد بأمر ما يقتضي إنجاز فعل من المتكلم مستقبلا، وينبغي أن يعبر فعل التلفظ عن قضية لذا "يجب توفر فعل القول في القضية المطروحة، والذي يتحقق في فعل الوعد مثلا إذا كان دالا على حدث في المستقبل يلزم به المتكلم نفسه"¹، فهو إسناد القضية إلى المتكلم فعلا مستقبليا، حيث يتم تحقيق الفعل الإنجازي من قبل المخاطب في زمن مستقبلي، وهو المعنى الأصلي للقضية كفعل الوعد.

- الشرط التمهيدي preparatory condition :

وهو رغبة المستمع بأن يقوم بالفعل حسبما يفترضه المتكلم، و "يتحقق إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل"²، يتعلّق هذا الشرط بالمتكلم والسامع والفعل الإنجازي المرتبط بهما قصد القيام به، بحيث يطلب المتكلم من المخاطب القيام بإنجاز الفعل وأن يكون قادرا على ذلك ويتحقق إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل. ويثبت هذا الشرط وجوده عندما يستطيع المتكلم إنجاز الفعل، حيث يختص بالتواصل، ويتطلب أن يتحدّث المتكلم بلغة يفهمها المتلقي حينما يكون المتكلم قادرا على إنجاز الفعل بقوة، وفي المقابل يكون السامع مدركا لإمكانية الفعل المادي، ويشترط "سيرل" أن يكون الاتصال صريحا بين المرسل والمتلقي مع توفّر القدرة على التواصل بينهما نفسيا وجسديا.

¹- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص45

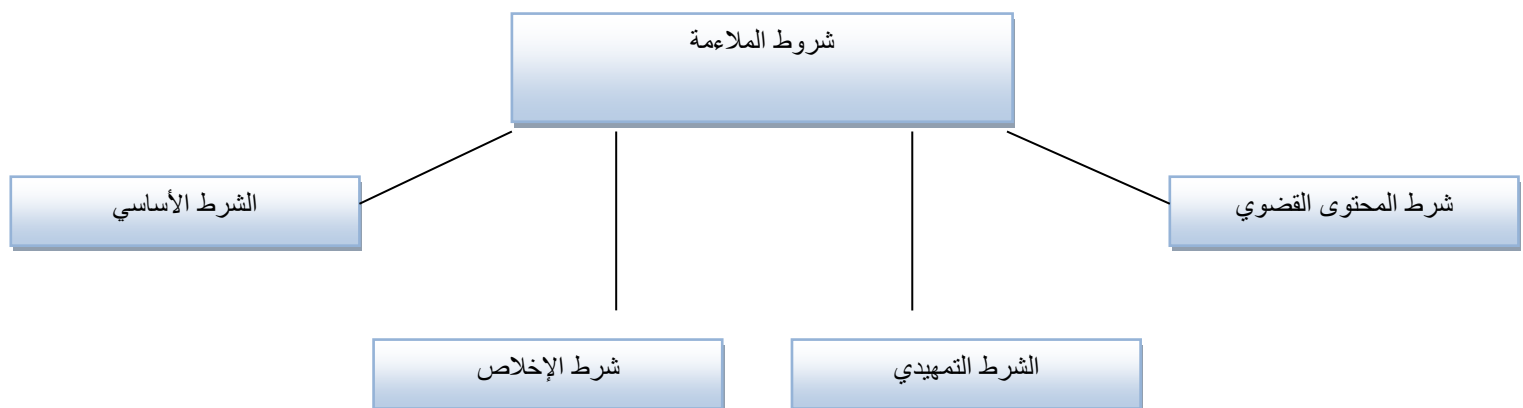
²- المرجع نفسه، ص45

- شرط الإخلاص (النزاهة) **sincerity condition** :

وهو أن يكون المتكلم يريد بكل تأكيد أن ينجز المخاطب الفعل، ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل وقادرا على انجازه. يتجسد هذا الشرط " حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل فلا يقول غير ما يعتقد ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع"¹. حيث يقصد "سيرل" بشرط الإخلاص أن كفاءة المتكلم ممثلة في رغبة تحقيق الفعل الانجازي لأن الإخلاص هو الصدق الذي يؤدي إلى تحقيق نجاح الفعل بأن يقول قولا يطابق ما يقصده وأن يكون قادرا على فعل الأمر المقصود.

- الشرط الأساسي **essential condition** :

يُقصد بها محاولة المتكلم التأثير في المخاطب بغية إنجاز الفعل الكلامي، ويتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع للقيام بالفعل وانجازه. إنّه شرط جوهري عند "سيرل"، إذ "يتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل"² ، وقد قام "سيرل" بتطبيق هذه الشروط على أنماط من الأفعال الإنجازية كالإخبار، والرجاء، والاستفهام، والنصح والتحذير، والتحية، والتهنئة، وعرض "سيرل" الأفعال الإنجازية على محك هذه الشروط، وتحقيقها يتوقف عند الإنجازية في الواقع. والمخطط التالي يلخص هذا التوضيح:



¹- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص45

²- المرجع نفسه ، ص45

3-3- أقسام الأفعال الإنجازية:

بعدها قام "سيرل" بتقسيم الأفعال الكلامية إلى أفعال مباشرة وأخرى غير مباشرة، باستحدثاته للفعل اللغوي المباشر وغير المباشر، وبهذا يكون "سيرل" قد تحدّى النظرية الكلاسيكية البنيوية فقسم الأفعال الإنجازية إلى نوعين: أولهما: الأفعال الإنجازية المباشرة (direct) ، ورأى أنها التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيطابق ما يعنيه، والثاني: الأفعال غير المباشرة (indirect)، وهي التي التي تخالف قوتها مراد المتكلم¹، وبهذا فإنّ الأفعال الكلامية بشقيها لها غايات تأثيرية إذ تغير من وضعية المتلقي وتغير معتقداته وسلوكاته، وينجر عن ذلك فهم المحتوى، فهي تسعى لتحقيق شيء ما أو غرض ما. وعلى إثر ذلك قسم "سيرل" الفعل اللغوي إلى قسمين؛ مباشر وغير مباشر، وأولاهما أهمية خاصة، وهي كالتالي:

3-3-1- الأفعال الإنجازية المباشرة direct verbs :

وهي الأفعال التي توافق قوتها الإنجازية المعنى الحرفي الذي يقصده المتكلم، فالأفعال الإنجازية هي التي تطابق قوتها الإنجازية قصد الباث فيكون الكلام مطابقا حرفيا وعفويا لمراد المتكلم، لذا فإنّ " الفعل الذي يتلفظ به المتكلم في خطابه، وهو يعني حرفيا ما يقول، وفي هذه الحالة يكون المتكلم قاصدا أن ينتج أثرا إنجازيا على المتلقي، ويقصد أن ينتج هذا الأثر من خلال جعله المتلقي يدرك قصده في الإنجاز². الفعل الإنجازي سلوك اجتماعي ينتج عنه عمل، بمعنى أنّه يتم إنجاز أربعة أفعال في وقت واحد هي: فعل القول، فعل الإسناد، فعل الإنشاء، فعل التأثير؛ إن فعل القول يتمثل في التلفظ بكلمات وجمل مشكلة من بنيات تركيبية وصرفية ونحوية، بينما فعل الإسناد هو الذي يربط بين المرسل والمرسل إليه، أمّا فعل الإنشاء فهو الغاية والقصد المعبر عنه في القول كالوعيد والتهديد

¹ محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص108

² عبد الهادي ابن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص135

والأمر، أمّا الفعل التأثيري هو محاولة المتكلم التأثير في المخاطب الذي يسعى بدوره إلى استيعاب مقصد المتكلم.

أبدى "سيرل" رأيه محددا مفهوم الفعل الكلامي من المقولة (القول هو العمل)، لأنّ القول سلوك اجتماعي يخضع لمعايير أربعة، تمثلّ السلوك الاجتماعي وهي: فعل القول، وفعل الإسناد، وفعل الإنشاء، وفعل التأثير. والفعل المباشر عند "سيرل" يقصد به إنجاز أربعة أفعال في الوقت نفسه، وهي:

"أ- فعل القول *act d énonciation*

ب- فعل الإسناد *act propositionnel*

ج - فعل الإنشاء *act performatif*

د- فعل التأثير *act perlocutif*"¹.

إنّ الفعل اللغوي (أ) هو التلفظ بألفاظ وتراكيب، والفعل (ب) يقصد به إسناد الفعل لمتين العلاقة بين المتكلم والمخاطب والإحالة لذلك، أمّا الفعل (ج) يتمثل في تحقيق القصد من إنشاء الفعل الكلامي، وأخيرا فعل التأثير الذي يتجسد في قوة التأثير. ففعل القول يكمن في التلفظ بألفاظ وتراكيب ذات طابع صرفي ونحوي، أمّا فعل الإسناد فهو الذي يقوم بربط الصلة بين المتكلم والمخاطب، أمّا فعل الإنشاء فهو المقصود من كلام المتكلم الذي يمكن أن يكون أمرا أو نهيا أو وعيدا أو تهديدا ووعيدا وغيرها من أغراض ناتجة عن الأقوال. أمّا الفعل التأثيري فهو سعي المتكلم التأثير في السامع، وهذا الأخير يسعى بدوره إلى إبداء التجاوب مع المقصد للوصول إلى مقصد المتكلم المطابق للمعنى. وأمثلة ذلك:

- أدعوكم لطلاء البيت بغية نظافة المكان.

- أخرجوا من البيت، لأنكم لوّثتم المكان.

¹ - الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص، ص، 25-26

- هل نظّفت البيت؟

- نَعَمْ مَنْ نظّف البيت !

هذه الأمثلة تتضمن قضية واحدة بين المتكلم (أنا)، والمخاطب (أنتم)، والإسناد هو تنظيف البيت، والإحالة تكون للشخص المقصود. هذه الأمثلة تفصح عن السلوك الاجتماعي لتحقيق الفعل الإنشائي. الأفعال المباشرة عند "سيرل" هي حصول تطابق بين المعنى (معنى الجملة) والقصد (معنى القول) وهو تمام قوتها الإنجازية وفق ما يردده المتكلم، فيتطابق كلياً بينهما في سياق يمثل معاني الجملة حتّى يستطيع السامع استجابة مبتغى المتكلم، وهي تطابق اللفظ مع معناه مباشرة. مثل:

- " أين عثرت على هذا الصيد؟

- " قال رئيس المؤسسة: أعلن رفع جلسة التسيير لهذا اليوم".

- " أَمَرَكَ بأن تسجّل المعلومات".

إنّها أفعال كلامية تُحيل إلى أفعال إنجازية، وهي "التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم"¹.

3-3-2- الأفعال الإنجازية غير المباشرة indirect verbs :

هي الأفعال التي تخالف فيها قوتها الإنجازية قصد المتكلم، حيث يقوم الفعل الإنجازي بتأدية أفعال غير مباشرة، وهي أفعال تخالف قوتها الإنجازية مقصد المتكلم، ويتعدّد الفعل الإنجازي حسب قوّته الإنجازية، وفي هذا الصدد يرى "سيرل" أنّ القضية الواحدة تتطلب قوّة إنجازية متعددة ينتقل فيها المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي، وتستدعي تأويلاً لتوضيح مقصد الفعل الإنجازي كالصور البيانية المختلفة، حيث يعدّ "سيرل" من أوائل علماء التداولية الذين اهتموا بالأفعال الكلامية غير المباشرة التي لاتوحي دلالتها إلى المعنى حسب صيغتها بل تدلّ على معنى غير صيغتها الأصلية.

¹ - محمد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص80

في هذا النوع يستخدم المتخاطبين تراكيب وألفاظ مجازية استعارية بعيدا عن المعاني الحقيقية دون أن يفصحوا مباشرة عما يبدونه، فهي " التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فالفعل الإنجازي يؤدي على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر¹، أي هو انعدام استخدام المعاني الحقيقية التي يدلي بها المتكلم، مما يجبر المتلقي على فهم المعنى المجازي فإذا قلنا:

- " هذا الشخص ذئب".

هذا الفعل الكلامي قد يحمل معنيين: مباشر وغير مباشر، فيعتقد المتلقي أن كلمة "ذئب" تجعل المستمع يُلغي المعنى الحقيقي، ويحتفظ بالمعنى المجازي والذي هو حُبث الشخص ودناءته، والفرق هنا جلي بين القول والقصد، حيث تحوّل اللفظ المنطوق من قول معدول إلى قول مقصود، وعلى هذا النحو يظهر في الأفعال الكلامية غير المباشرة ما يعدّ مطلقا بالنسبة لوضع أفعال الكلام، فالفعل الكلامي ليس ما يقال بل ما يستعمل في المنطوق.

الأفعال الكلامية غير المباشرة هي التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم، لأنّ الفعل الإنجازي يؤدي من خلال فعل إنجازي آخر، وقوّته الإنجازية الحرفية تخالف قوته الإنجازية غير الحرفية، ف "يفترض سيرل ما يلي: في حالة الأعمال اللغوية غير المباشرة يبلغ المتكلم إلى السامع معطيات أكثر ممّا يقوله فعليا باعتماده على معلومات تمثّل خلفية مشتركة بينهما وهي معلومات لغوية وغير لغوية معًا، ويعتمد كذلك على ما للسامع من قدرات عامة ذات صلة بالمعقولية والاستدلال"². ف "سيرل" يرى أنّ المتكلم الحذيق هو من يتواصل مع المتلقي وفق قواسم مشتركة تحكمها معطيات خارجية ومرجعية كالجانب الديني والنفسي والاجتماعي لتحقيق التواصل الملائم.

¹ - محمد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص81

² - جاك موشلار وأن روبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، إشراف عز الدين المجدوب، منشورات دار سيناترا، تونس، ط2010 ، ص220

درس "سيرل" الأفعال الإنجازية غير المباشرة، إذ يمكن أن يكون الإنجاز الحرفي استفهاماً، لكنّه يريد طلباً من المتكلم، وهذه الأفعال لها تركيب لغوي حرفي، يريد المتكلم معنى مراد، و" فيها ينتقل المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، فالقول الحقيقي ينصب وجوده متى كان هناك تطابق بين معنى الجملة والمعنى الذي يقصده المتكلم وما يفهمه المستمع"¹، فهي إذن ملفوظات تحقّق هدفها الإنجازي بلغة لها مؤشرات لا غموض فيها، وتشير إلى إفادة معنى غير الذي وُضعت له، ويحدّدها الموقف الاستعمالي ومحيط الكلام، وإنّ الجملة لا تؤدي مدلولها مكثفية بالصيغة النحوية، بل تحتاج إلى تأويل غير مباشر، مثل:

- "أستطيع منحي مبلغاً مالياً؟".

يظهر لنا أنّ الجملة ظاهرها استفهام، بيد أنّ دلالتها توجي إلى طلب محدّد؛ فالجملة في دلالتها الحرفية تختلف عن دلالتها الضمنية وهي التماس قرض مالي بأدب، وهذا الفعل سمّاه "سيرل" الاستلزام الحوارية. هذا المثال يبيّن الفرق بين القصد والقول، فيتحوّل القول من منطوق إلى فعل كلامي مقصود، ويتمّ ذلك بشروط أسّسها (سيرل).

هذه الأفعال تعتمد على مبدأ التعاون الذي وضعه غرايس إذ "يمكن أن تفهم لماذا يقول القائل شيئاً وهو يقصد ما يقول ولكنه يريد أن يقول أيضاً شيئاً آخر، وكيف يمكن للسامع أن يفهم العمل اللغوي غير المباشر في حين أن الجملة التي يسمعها تقول شيئاً آخر"²، من خلال إقتراض المال يتضح أنّ الأفعال الكلامية غير المباشرة لها وظيفة اجتماعية تثبت التفاعل الاجتماعي، حيث يبدي المستمع تحفظاً على الطلب، و ممكن جداً أن يتحاشى المحذور، ويتفادى طلب المتكلم دون مبرر إيجاد مخرج من أجل الرفض بسبب عامل خفيّ، وبالتالي لا يستطيع قرضه مالا. وجرّاء هذا التقديم وجدنا أنّ الباحثين اللغويين قد

¹ - الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، 29

² - آن روبول وباك موشلار، التداولية اليوم، ص 268

لاحظوا أنّ الأفعال غير المباشرة أكثر استعمال من الأفعال المباشرة؛ فالأولى يكثر التواصل بها، بينما الثانية تقتصر غالباً على الأفعال التي تستعملها المؤسسات التشريعية.

وفي خضم الحديث عن الأفعال الكلامية غير المباشرة راودت "سيرل" عدّة أسئلة حول الاستعارة وأشكالها المجازية، وكيفية استخدامها في الكلام العام، والمغزى من استخدامها، بدل المعاني الحقيقية الواقعية، فـ "كيف تشغل الأقوال الاستعارية، أي كيف يتمكن المتكلمون من مخاطبة مستمعهم باعتماد الاستعارة دون أن يجهرُوا بما يريدون الإدلاء به، وما الذي يجعل بعض الاستعارات ملائمة والبعض الآخر غير ملائم؟"¹. إنّ الاستعارة تنتقل من المعنى الدلالي إلى أغراض محدّدة ويتحقّق ذلك إذا توقّرت العلاقة الفعلية بشكل صائب بين المتخاطبين وتتمّ عملية الانتقال من ظاهرة الاستعارة إلى أصلها وواقعها.

ولدراسة الفعل الحقيقي (المعنى الحقيقي) والفعل غير المباشر (المعنى الاستعاري) وتوظيفهما في الكلام وضّح "سيرل" الفرق بينهما " أنّ القول الحقيقي ينتصب وجوده متى كان هناك تطابق بين معنى الجملة والمعنى الذي يقصده المتكلم يفهمه المستمع، أمّا الاستعارة فهي عكس ذلك إذ تحيّر المستمع على الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يسنده المتكلم إلى قوله "². إنّ الاستعارة نشاط لغوي ينقل الألفاظ والمعاني لتتجاوز المعنى الأصلي حسب ورودها في الخطاب، وتوضّح لنا العلاقة بين المشاركين في الخطاب لتحديد الفائدة المرجوة من الاستعارة وهي الإقناع والحجاج. لقد أكمل "سيرل" ما كان ناقصاً في نظرية الكلام عند أستاذه "أوستين" فطوّرها وأعاد النظر في التصنيف الثلاثي للفعل الكلامي.

¹ - الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص29

² - المرجع نفسه ، ص29

3-4- أقسام الفعل الكلامي:

3-4-1- فعل القول locutionary act

يقصد به النشاط اللغوي، الذي يدلّ على إنتاج قول ذي دلالة ضمن تركيب لفظي معيّن، أي هو التلفظ بتركييب لغوية خاضعة للغة سليمة، والذي يتكوّن من الفعل الصوتي والتركييب اللغوي، كما هو الحال عند "أوستين". وفعل القول هو فعل يضمّ مستويات التحليل اللساني؛ المستوى الصوتي المستوى التركيبي، والمستوى المعجمي، ويتحقّق الفعل بمجرد النطق بمجموعة من الأصوات المؤلّفة من كوكبة من الكلمات بشكل مرتّب، وفق نسق نحوي وتركيب سليم.

3-4-2- الفعل القضوي propositional act :

هو بمثابة الفعل الدلالي الذي وضعه "أوستين" في أبحاثه ضمن فعل القول، لكن "سيرل" فصله عن الأفعال وارتأى تقسيم "الفعل القضوي" إلى قسمين: الفعل الإحالي، والفعل الحملي (الفعل الخبري، والفعل المرجعي) يعنى به مقصود المتكلم بدءاً من الفعل المنطوق، أي أنّ يجسّد قضية بين طرفين: المتحدّث عنه (المرجع)، والمتحدّث به (الخبر). ويعتبر الفعل القضوي من الأفعال المتضمنة في القول، ولُقّب بهذا المصطلح نسبة إلى القضية والتي هي "قول يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب"¹. إنّ الأهمّ في (القضية) هو تمثيل العالم الخارجي، وهو ما اعتدّ به فلاسفة اللغة في أبحاثهم، لأنّ التراكيب الخبرية تُحيل إلى الواقع، ممّا يجعل (القضية) متزامنة مع (الفعل القضوي) من حيث الإحالة، ونقوم بفعل قضوي حين نحيل على شيء أو شخص أو حدث أو واقعة... ونحمل عليه عبارة ما"²، وتبياناً لذلك نورد هذه الأمثلة:

أ- قل كل ما يليق بك و بمقام مجلسنا.

ب- لو تقل خيراً.

ج- يا عبد الله تكلم بأدب.

¹ ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ص42

² أحمد المتوكّل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص109

د- هل ستنتطق بكلام مهذب؟

فكلما نطقنا بجملة من هذه الجمل حقّقنا إنجاز فعل قولي وفعل قضوي، حيث يتجسّد الفعل القضوي في "المرجع" و"الإحالة" إلى نفس الشخص بالإشارة إليه عن طريق ضمير مخاطب أو ضمير مستتر، أو بذكر اسمه (عبد الله)، أمّا (الحمل) الذي يفصح عن القضية الواحدة في هذه الجمل الأربعة فهي "التحدث بكلام محبوب"، وفي التمثيل نجد أنّ الفعل الإحالي والفعل الحلمي أنجزا قضية واحدة مشتركة في الأفعال الأربعة، وأنجزا أيضا أفعالا متعدّدة، كالأمر الذي دلّ على الإلزام (أ)، والتمني الذي دلّ على الالتماس برفق ولين (ب)، والنداء الذي آل إلى النصّح والتوجيه (ج)، والاستفهام الذي دلّ على التحذير (د).

نستنتج أنّ هذه الجمل كلّها تفيد أفعالا إنجازية متباينة، لكنّها تتضمن نفس "الإحالة" ونفس "الحمل" اللذان يستقلان عن الفعل الإنجازي، فبالفعل التلفظي نستطيع أن ننجز فعلا قضويا أو فعلا إنجازيا بمجموعة من الكلمات في سياقات متعدّدة، وبإمكان المتكلم أن ينطق بهذه الجمل المختلفة، لكنّها مشتركة في شيء واحد معبّر عنه وهي "الكلام المهذب".

إنّ كلّ جملة منها تعبّر عن مضمون قضوي وكلام مقبول، لكن طريقة إنشاء المضمون تتباين من تركيب لآخر، فعند النطق بهذه الجمل يتم إنجاز أنواع من الأفعال في آن واحد، حيث "تقع الأفعال الكلامية في عدّة أنواع، فبواسطة هذه النّقثات السمعية، أصدر حكما، أو أسأل سؤالا أو أصدر أمكرا، أو أطلب طلبا، أو أفسّر مشكلة علمية أو أتنبأ بحدث في المستقبل"¹. فهذه الأفعال الكلامية تهدف إلى صناعة أفعال وسلوكات اجتماعية مختلفة للتأثير في المتلقي ليقوم بفعل ما كما ذكر في القول من تقرير أو إصدار حكم أو تأكيد أو... وهذا ما يجعل الفعل الإنجازي أداة لتغيير العالم والتأثير في المتلقي.

¹ - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر،

الفعل الإحالي : *référence act*

هو فعل يربط العلاقة بين المتكلم والمخاطب، فالفعل الإحالي " يتمثل في الربط بين الكلمات ودلالاتها حسب ما تحيل إليه¹ ومثال ذلك أن قال مدير المؤسسة: "سنكرم التلاميذ المجتهدين في يوم العلم". أحال الفعل "سنكرم" إلى الضمير الجمعي المكوّن من شخص المدير والإداريين، و أحال الفعل "اجتهدوا" إلى الضمير الجمعي وهم التلاميذ، وكلا الفعلين أحوالا - عموما- إلى المحيط المدرسي وهو عالم خاص، وأحوالا معاً شخصاً معروفاً ومعينة.

- الفعل الحلي *predication act* :

وهي أن ننسب المحمول إلى الحامل، أي نسند نسبة المحمول أو الحمل إلى الموضوع المحال عليه ونحمل ما ألقناه عليه، مثل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدين المعاملة". نسبنا الحديث إلى الرسول وهو نبي الله ، فأحلنا القول له ، وهذا القول صادر من شخص معيّن يحمل كتاباً ربانياً، والفعل الإحالي والفعل الحلي وجهان لقضية واحدة وهي القول.

3-4-3 الفعل الإنجازي *illocutionary act* :

هو فعل يحدث عند ممارسة الفعل الإنجازي بين المتخاطبين، وهو أثر الفعل الإنجازي في السامع، ولا يعتبر "سيرل" هذا الفعل ذا أهمية لأنّ " الأفعال ليست كلّها ذات تأثير في المتلقي، وقد حافظ "سيرل" على الفعل الإنجازي الذي أقرّه "أوستين"، لأنّه فعل يتجسّد في الواقع بمجرد التّفوه به، ولا يتعارض الفعل الإنجازي مع الفعل القضوي الذي لا يستغني عن الفعل الإنجازي من خلال التّلفظ بجملة ما لتحقيق المقصد من العبارة، فقد حدّد مفهوم الفعل الإنجازي، فعده الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي². نجد الفعل الإنجازي عند "سيرل"

1- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر،

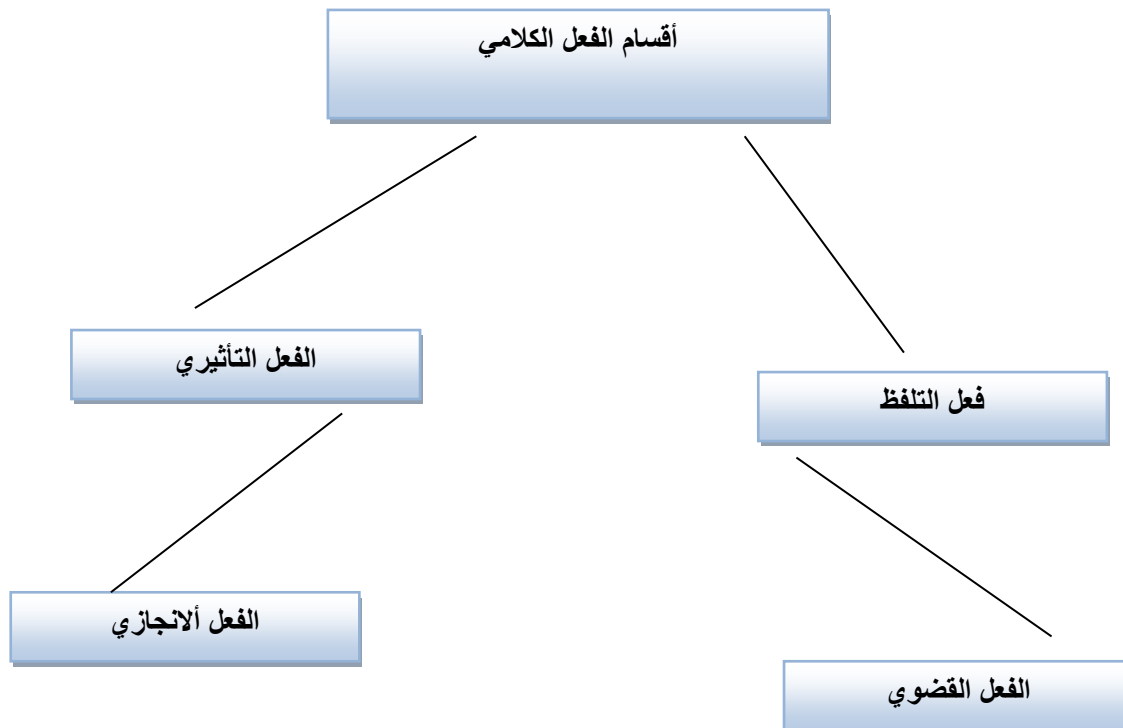
1983، ص24

2- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص104

هو الوحدة الصغرى، فمتتاليات الأفعال الصغرى يحكمها فعل أكبر وشامل، وهي أفعال يقصد بها المتكلم مراده وفق عمل ذهني رجاء تحقيق فعل مشترك وفق معتقدات خاصة.

3-4-4 الفعل التأثري perlocutionary act :

يعنى به قدرة المتكلم على إحداث تغيير نتيجة الفعل الإنشائي، وتتجسد "إحداثية الفعل الإنجازي في المتلقي بغية التأثير فيه وإقناعه تماشيا وأفكاره ومشاعره حسب الظروف النفسية من فرح، واشمئزاز، وخوف، وسعادة، وغيرها، كل ذلك وفق طبيعة الفعل الإنجازي وقوته"¹. إنَّ الفعل الإنجازي والفعل التأثري لدى "سيرل" هو نفسه عند "أوستين"، بيد أنَّ البون بينهما يتمثل في الفعل القضوي الذي اعتبره "سيرل" جانب قائم بذاته. وقد حصره "أوستين" في فرعين هما الفعل الصوتي والفعل التركيبي، بينما سيرل وضع قواعد تضبط إنجازية الأفعال الكلامية وهي:- كونها قواعد عرفية لا طبيعية (المثير والاستجابة) - كونها ذات طابع تواصلية. والمخطط التالي يلخص هذا التوضيح



¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ص 148

3-5- ضوابط الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة:

يُمكن التمييز بين الأفعال المباشرة وغير المباشرة من خلال ثلاث فروقات لتفادي اللبس الذي يحدث عند استخدام الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة وجب ضبط الفروق الأساسية:

- الأفعال المباشرة تواكبها القوة الإنجازية في مقامات عدّة.
- الأفعال غير المباشرة لها قوة يمكن الاستغناء عنها.
- الأفعال غير المباشرة لا تتحقّق إلا باستخدام العملية الذهنية، بيد أن الأفعال المباشرة تتحقّق بشكل مباشر.

ولعلّ أكثر الإضافات ذات أهمية لدى "سيرل" سعيه إلى التمييز بين الأفعال المتضمنة في القول والأفعال التأثيرية، فاجتهد لتدارك نقائص تصنيف أستاذه "أوستين"، ووضع أسسا ومقاييس وفق منهجية تتمّ بها هذه النظرية، وركّز اهتماماته على القوة الإنجازية للفعل الكلامي الذي ارتبط بمقاصد الباحث وما تُخفيه لغة التّخاطب من أعراف لغوية واجتماعية. لقد بنى "سيرل" نظرية أفعال الكلام على مقصدية المتكلم، فالتكلم يتلفظ بكلمات وعبارات في سياقات مختلفة لتحقيق التواصل، ورأى أنّ الأفعال الكلامية منها ما له مقصدية توافق المعنى الذي يريد المتكلم، ومنها ما يكون مقصد المتكلم مختلف عن المعنى المقصود، لذا ميّز بين الأفعال الإنجازية؛ أفعال إنجازية مباشرة، وأفعال إنجازية غير مباشرة.

تأثّر "سيرل" بمنهج التحليل اللغوي في أكسفورد، فدرس أفعال الكلام مهتمّا باللغة والإدراك، والقصدية، ورأى أنّ أفعال الكلام "أقلّ الوحدات في التواصل اللغوي أو أقلّ، إنّ الفعل الكلامي هو أقلّ وحدة في استعمال اللغة الفعلي"¹. حيث اهتم "ج. سيرل" بالفعل وبالمضامين والمقاصد التواصلية عكس ما كان معروفا عند علماء الدلالة، وبالذات علماء

¹ - صلاح إسماعيل، فلسفة العقل، دراسة في فلسفة جون سيرل، ص، ص، 41-42

البنوية، ف" لم يهتم سيرل إلا بالأعمال المتضمنة في القول... يتمثل إسهامه الرئيسي في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول في حد ذاته، وهو ما يسميه اسم القوة المتضمنة في القول وما يتصل بمضمون العمل وهو ما يسميه اسم المحتوى القضوي"¹. ومن هذا المنطلق أصرّ على إعطاء القيمة التداولية للتراكيب اللغوية، حيث نظر إلى قول المتكلم على أنّه عمل حقيقي يماثل عمل الجوارح، عكس ما كان سائدا في الرؤية القديمة للغة على أنّها وسيلة لتجسيد واقع معيّن والتعبير عنه منعزلا عن الكلام .

3-6- تصنيف "سيرل" للأفعال الكلامية:

تابع "سورل" أبحاثه بإعادة النظر في تصنيف "أوستين" للأفعال الكلامية، وتوصل إلى تصنيف آخر للأفعال الكلامية حيث أرجعها إلى خمسة أصناف منتقدا في ذلك تصنيف أستاذه "أوستين" ولهذا اقترح التصنيف التالي:

3-6-1- الأفعال التقريرية: constative acts:

هي أفعال تلزم التلفظ والتعبير عن قضية ما بصدق، وترمي إلى تعهّد الباث بواقعية الشئ وحقيقته، وتدعى أيضا أفعال الإثبات، وتدعى الإخبارية أو التمثيلية، فهي تصف واقعة معيّنة، وتحتل الصدق والكذب، مثل: مثل أفعال التقرير والاستنتاج، وتدعى أيضا أفعال الإثبات التي تهدف إلى تمكين المتكلم من زمام المسؤولية تجاه وضع معيّن، وتدعى الأفعال التصويرية أيضا، ولها أكثر من تسمية: الممثلات، الإخباريات، الإخبارات، الإثباتات، الجزميات، التأكيدات، ومهما اختلفت تسميات هذه الأفعال فهي تجعل المتكلم يتلفظ كلاما بكلّ مسؤولية معتقدا عمّا يعبر عنه تجاه الأمر المعبر عنه بإحالة إلى العالم، وتخضع لمعاري الصدق والكذب مطابقة للواقع من عدمه، و"هي أن تقدم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم، ومن أمثلتها: الأحكام التقريرية والتفسيرات"². والقصد الإنجازي منها هو نقل المتكلم لحادثة ما، فيتحمل المسؤولية لنقل الخبر بكلّ صدق ويلتزم

¹ - آن روبول، وباك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص24

² - جون سيرل، العقل واللغة، في اللسانيات التداولية، ص217

الأمانة في قضية الخبر المسرود والموصوف. لأنَّ الغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف كلها تحتل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم¹. لأنَّ أفعال هذا الصنف تحدد بمعيار الصدق والكذب، بمعنى أن تكون الكلمات التي وصف بها الخبر مطابقة للواقع أو العكس في ذلك، واتجاه المطابقة فيها يكون من الكلمات إلى العالم الخارجي بتقرير من المتكلم حول العالم الخارجي.

3-6-2- الأفعال التوجيهية (الإيقاعية): directives acts

هي أفعال يمثلها المتكلم يوجهها إلى المتلقي قصد القيام بعمل ما، تركز على أساس وهو المنحى التوجيهي للإنجاز حيث يأمر المتكلم السامع بغية الحصول على شيء يقوم بفعله السامع، " فهي تحمل المخاطب على فعل معين². وتدعى بالإيقاعات، مثل: الاقتراح الترغيب، الإغراء، النصح، اللين، الشدة... وتدعى التوجيهيات التي تنجز لما يقوم المتكلم بتوجيهه المخاطب إلى فعل معين. وباختصار أنَّها تقتصر على أفعال الطلب والسؤال، وهدفها الإنجازي هو قيام المتكلم بفعل كلامي للتأثير في السامع بغية إنجاز فعل معين في المستقبل، مثل: النصح، الرجاء، العفو، الالتماس وغيرها، فهي "تجعل تصرفه متلائماً مع المحتوى الخبري للتوجيه، وتتمثل في الأوامر والنواهي والطلبات³. الأفعال التوجيهية تقوم بتوجيه المتلقي على القيام بسلوك معين في المستقبل برغبة صادقة وتتجسد في الأساليب الطلبية، لكن هناك أساليب خبرية تخرج إلى التوجيه تُستقى من سياق الكلام.

أما غرضها الإنجازي فهو " محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائماً مع المحتوى الخبري للتوجيه، وتتوفر النماذج على التوجيهات في الأوامر والنواهي والطلبات، واتجاه الملاءمة فيها دائماً من العالم إلى الكلمة، وشرط الصدق النفسي المعبر

¹ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 78

² - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 99

³ - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص 217

عنه هو دائما الرغبة، فكل توجيه هو تعبير عن رغبة بأن يقوم المستمع بالفعل الموجه به، والتوجيهات هي من طراز الأوامر والطلبات، ولا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة...¹. فالأفعال التوجيهية تحمل بين طياتها أحوالا نفسية تعبر عن مقاصد المتكلم حسب تنوع المقام. ومثال ذلك: - أمرك بمغادرة المجلس. فهذا الفعل هو فعل إيقاعي متضمن في فعل القول وهو الخروج من المجلس لسوء الأدب بفعل إيقاعي "أمرك"، ومحتواه القضوي يعبر عن إنشاء المتكلم للفعل المتضمن في القول.

3-6-3 - الأفعال الإلزامية (الوعدية): (commissives acts):

فالأفعال الوعدية هي أفعال تلزم المتكلم القيام بأفعال مستقبلية، ترمي إلى إلزام المخاطب (بفتح الطاء) القيام بشيء ما في المستقبل. وتدعى الإلتزاميات لأنها "تلزم المتكلم بالأفعال المستقبلية"²، ففعلها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل كأفعال الوعد والوعد. وغاية هذه الأفعال هو إلزام المتكلم بإنجاز فعل محدد في المستقبل، وأن يكون للمتكلم قصد واضح ونية صادقة وإخلاص في ذلك لأن "الهدف منها الإلتزام بإنجاز عمل ما، إذ يجب أن يطابق العالم الكلمات وتكون الحالة النفسية هي صدق النية"³. واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، والمتكلم هو المسئول عن إحداث المطابقة، بحيث يكون المتكلم قادرا على الوفاء بالوعد لإنجاز الفعل بحلة نفسية معبرة عن القصد من هذه الأفعال، وغرضها الإنجازي هو "أن يلزم المتكلم نفسه بفعل في المستقبل"⁴. ووجهة الأفعال الإلزامية كونها "في الإلتزاميات هو دائما من العالم إلى الكلمة وشرط الصدق المعبر عنه دائما من العالم إلى الكلمة، وشرط الصدق المعبر عنه دائما هو القصد على سبيل المثال، كل وعد أو

¹ - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص218

² - المرجع نفسه، ص217

³ - فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص50

⁴ - كلاوس برينكو، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة

المختار القاهرة، ط1، 2005، ص177

تهديد هو تعبير عن قصد للقيام بشيء ما¹. والإلزاميات عند سيرل تستند إلى المتكلم الذي لا يبتغي التأثير السمع فحسب ، وإنما تحقيق التزام الباث بما يصدره من أفعال الزامية بغية أداء الأفعال بصدق.

3-6-4- الأفعال التعبيرية (البوحيات): expressives acts:

تُدعى التعبيرات لأنها تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم بمعنى أنّ فعلها الإنجازي يتجسد في التعبير عن الموقف النفسي بمعية الإخلاص كالاعتذار، والترحيب والشكر، وتهدف إلى التعبير عن الوضعية النفسية للباث مع مراعاة صدقه في السياق أو الخطاب، و"إنّ الأفعال التعبيرية تفيد التعبير عن القضايا والقوى المتضمنة في القول، أي التعبير عن المشاعر والانفعالات وهي تعبير عن حالة مع شروط صدقها"²، وغايتها الإنجازية تكمن في الإفصاح عن الجانب النفسي للشئ المُعبّر عنه تماشياً مع شرط الإخلاص، ولا تحتاج هذه الأفعال إلى مطابقة الكلمات للواقع، بل تترسم معالمها في صدقها للقضية، وتدل على حالة نفسية مرافقة للقضية، ومن هذه الأفعال: التعزية، الشكر، الاعتذار، التهئة، وغيرها. فغرضها الإنجازي هو "التعبير عن الحالة النفسية بشرط ثمة نيّة صادقة، وحيث لا توجد مطابقة الكون للكلمات، وحيث يسند المحتوى خاصة إمّا إلى المتكلم أو إلى المخاطب"³. فالأفعال التعبيرية تحمل دلالات نفسية وتتعدّى الواقع إلى ما يختلج في النفس من خلال صورة معبرة تهدف إلى توليد معاني وفق تموقع المتخاطبين.

3-6-5- الأفعال التصريحية: declaratives acts

تجعل هذه الأفعال الواقع يتطابق والخطاب، كأن تحدث تغييراً في الأحداث من أفعال الطرد وإعلان ناقوس الحرب، وتشمل الأفعال الدالة على الإعلام والإخبار والإعلان، وتدعى الإعلان وهي التي تحدث تغييراً في الواقع. واتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف

¹ جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، ص218

² خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص100

³ فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص66

"قد يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص"¹. تتمثل هذه الأفعال في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي "سمتها المميزة هي مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، كما أنها تحدث تغييرات في الوضع القائم"². وترمز إلى انجاز فعل يطابق الواقع بكلمات دالة تتضمن شرط الإخلاص، وهذه الأفعال التصريحية لا تصف الواقع ولا تهدف إلى التأثير على طرفي الحوار، لينجز أحدهما فعلا مستقبليا كما هو الحال في الأفعال التوجيهية والإلزامية، بل تسعى لتتماثل مع الواقع، من أمثلتها: أراهن، أعلن....إلخ.

¹ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص80

² - المرجع نفسه، ص50

الفصل الثالث

1. وصف المَدَوّنة (الإلياذة)
2. الأفعال الكلامية في الإلياذة
3. دراسة نموذجية لقصيدتين مختلفتي النمط من الإلياذة

1- وصف المدونة:

1-1- من حيث الشكل:

تحتوي "إلياذة الجزائر" لمفدي زكريا على ألف بيت وبيت (1001) مجزأة إلى مائة (100) قصيدة بالتساوي، وكل قصيدة تضم عشرة أبيات، ولكل منها مضمون خاص، حيث تصور تاريخ الجزائر وطبيعتها وتاريخ شعبها، وكل قصيدة مختومة بلازمة شعرية موحدة، تتكرر عند نهاية القصيدة الشعرية، وتكرارها هذا لتأكيد المعنى السابق.

1-2- من حيث المضمون:

تنقسم "الإلياذة" إلى ثلاثة أقسام رئيسة تنبثق عنها أجزاء فرعية، وهي كالتالي:

القسم الأول: ذكر فيه جمال طبيعة الجزائر التي تعد صورة خلاقة للمبدع الخلاق في مشاهد عدة حيث يصف الشاعر الأماكن والمظاهر الطبيعية وصفا خارجيا مشتملا على البطولات.

القسم الثاني: ورد فيه تاريخ الجزائر مقسم إلى ثلاثة أجزاء فرعية وهي:

- تاريخ الجزائر القديم، ونعني به تاريخ ما قبل الميلاد إلى الاحتلال الفرنسي.
- تاريخ الجزائر الوسيط، ونقصد به تاريخ المقاومة الشعبية إلى قيام الثورة الجزائرية.
- تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ويخص به الثورة الجزائرية من سن 1954 إلى 1962، ثم فترة الاستقلال التي تميزت بالبناء والتشييد.

القسم الثالث: تطرق فيه إلى مجموعة من القضايا:

- علاقة المجتمع الجزائري بدول الجوار.
- نظرتة إلى قضايا التحرر العالمية.

- علاقة أفراد المجتمع الجزائري ببغضهم بعضا، موضحا الجوانب المتدهورة والمتعلقة بالأخلاق، إلى جانب تبني بعض أفراد المجتمع أفكارا دخيلة هدامة، داعيا إلى الإصلاح الذي يعود بالنفع على الوطن وأبنائه.

ولقد ألفت "الإلياذة" نظما منقطع النظير، تطرق فيه الشاعر إلى تاريخ الجزائر في قالب شعري، بدأ من تاريخ ما قبل الميلاد إلى وقت نظمها، وحملت إلينا الإلياذة تاريخ الجزائر القديم والحديث ووصفت حروبها، طبيعتها، وعمرانها. فالإلياذة الجزائر بأكملها أفعال كلامية مباشرة وغير مباشرة تتحدث عن تاريخ وقصة الشعب الجزائري وكفاحه ضد المحتل، حيث اتّسمت بالوعظ والتوجيه وهي مجزأة إلى موضوعين أساسيين هما: جمال طبيعة الجزائر، وتمجيد نضال الجزائريين ويعتبر هذا التقسيم بمثابة تداولية كبرى، تنبثق عنها أفعال كلامية فرعية تدعى بالتداولية الصغرى والتي سنتطرق لها بالتحليل والشرح في هذا الفصل.

وفي هذه الأقسام نتناول مواضيع متعدّدة حسب كل قسم:

2- الأفعال الكلامية في المدونة بمنظور "سيرل":

2-1- الإخباريات (التقريريات assertive):

هي أفعال لها غايات إنجازية حيث ينقل المتكلم حادثة ما فيعبر عنها بأفعال تحمل الصدق أو الكذب من حيث مطابقة الواقعة أو عدمه تجاه العالم. ينقل المتكلم أحداث القضية لغرض إنجازي معبر عنه بفعل كلامي، فـ "أفعال هذا الصنف كلها تحتل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم"¹. فإذا تحققت الوقائع وفق الواقع وحملت محمل الصدق تحقق معيار الإخلاص ويكون إنجاز الفعل قد اتسم بالنجاح وأصبح ذا معنى لأن النقطة الإثباتية "هي أن نقدم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم...وشرط الصدق في الإثباتيات هو دائما الاعتقاد"²، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين

¹ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص49

² - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة ط1، 2006، ص217

للواقعة، والتعبير الصادق عنها، وإذا تحققت الأمانة في النقل فقد تحقق شرط الإخلاص، وإذا تحقق شرط الإخلاص أنجزت الأفعال إنجازا ناجحا وإلا أصبحت أخبارا لا معنى لها.

وهي أفعال تلزم التلفظ بالتعبير عن قضية ما بصدق، وترمي إلى تعهد الباث بواقعية الشئ وحقيقته. وتدعى أيضا الإخبارية أو التمثيلية، فهي تصف واقعة معينة، وتحتمل الصدق والكذب وتدعى أفعال الإثبات التي تهدف إلى تمكين المتكلم من زمام المسؤولية تجاه وضع معين.

مهما اختلفت تسميات هذه الأفعال فهي تجعل المتكلم يتلفظ كلاما بكل مسؤولية معتقدا عما يعبر عنه تجاه الأمر المعبر عنه بإحالة إلى العالم، وتخضع لمعيار الصدق والكذب ومطابقة للواقع من عدمه. و"هي أن تقدم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم، ومن أمثلتها: الأحكام التقريرية والتفسيرات"¹. والقصد الإنجازي منها هو نقل المتكلم لحادثة ما يتحمل فيها المسؤولية حين نقل الخبر بكل صدق ويلتزم الأمانة في قضية الخبر المسرود والموصوف، لأن أفعال هذا الصنف تتحدد بمعيار الصدق والكذب، بمعنى أن تكون الكلمات التي وصف بها الخبر مطابقة للواقع أو العكس في ذلك.

واتجاه المطابقة فيه يكون من الكلمات إلى العالم الخارجي بتقرير من المتكلم حول العالم الخارجي، لأن " الغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف كلها تحتل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم"². فللغرض الإنجازي دور التأثير في المخاطب، ويكون الحصيلة الدلالية من خارج العبارة كقرائن الحال التي تربط الإنجاز بالواقع وبالأعراف والتقاليد.

¹ - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، ص217

² - محمد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص78

جعل الشاعر من "الإلياذة" وسيلة للإخبار ووصف الأحداث وتقرير الحقائق لواقعية الإلياذة معبرا عن أحوال نفسية وهي "تمثيل الحالة كما يعقدها المتكلم"¹. فقد استعمل الشاعر في إلياذته الإخباريات بكثرة، والخبر فيها يعدّ الوظيفة الأساسية حيث ينسب إلى العالم الخارجي، وللخبر فيها قيم بلاغية وأخرى جمالية وتواصلية، والإخباريات تتمثل في التقرير والوصف، وقوتها الانجازية غير المباشرة مستلزمة مقاميا كالدعاء، التعظيم، الترهيب والترغيب والثناء، وغيرها من الأغراض البلاغية. هذا النمط من الأفعال الكلامية وارد بكثرة في إلياذة الجزائر لأنه يسرد أحداثا تاريخية تتعلّق بتاريخ الجزائر بصفة عامة، وفي هذا الجانب هناك مشاهد تاريخية كالتالي:

المشهد الثالث:

جزائر يا لحكاية حبّي ويا من حملت السّلام لقلبي
ويا من سكبت الجمال بروحي ويا من أشعت الضياء بدربي
فلولا جمالك ما صحّ ديني وما أن عرفت الطريق لربي
ولولا العقيدة تغمر قلبي لما كنت أومن إلا بشعبي
ومهما بعدت ومهما قربت غرامك فوق ظنوني ولبي².

تذوّق الشاعر جمال طبيعة الجزائر وهو متعلّق بسحرها، فيسرد حبّه الحقيقي المتوارى في فؤاد الجزائر، لأنّه شديد التعلّق بها، ثم يتحدّث عن العلاقة بين قدسية الدّين وقدسية أرض الجزائر في جوّ مفعم بالحماس والتعظيم. وحبّ طبيعة الجزائر هو الذي أوصل الشاعر إلى معرفة الله الكامل في إبداعه لأرض الجزائر وحسن تصويره لها.

¹ - جورج يول، التداولية، ص 89

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، دراسة وشرح الطاهر مريبعي، دار المختار للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2009، ص 8

وردت في الأبيات أفعال كلامية تقريرية حرفية مباشرة (حملت السلام لقلبي)، (سكبت الجمال بروحي)، (أشعت الضياء بدربي) متضمنة فعلا كلاميا في القول هو تعظيم الجزائر من خلال جمال طبيعتها، وتضمنت هذه الأفعال قوة إنجازية هي توضيح حبه للجزائر.

إنّ التعظيم معنى تولّد عن خبر تحقّق للشاعر لما عاشه من أحداث وطنية، لذا ف "الخبر هو ما يتحقّق مدلوله في الخارج"¹. إنّ الخبر يطابق الواقع إذا كان المُخبر معتقدا الخبر ملائما لوضع الخطاب، وإذا كان العكس انحسر التّطابق في الكلام لعدم وجود نسبة خارجية تمنع تطابق المجتمع مع الخبر.

ولتدعيم القوة الإنجازية استعان الشاعر بأسلوب النداء المكون من حرف النداء (يا) والمنادى الذي هو اسم موصول مشترك "يا مَنْ " العائد على الجزائر اسم شيء جسّده في ذات وجنس أنتوي لدلالة التعجب والانبهار بجمالها وصفاء روحها، وإعادة اسم الموصول إنّما هو لتقوية إنجازية الفعل الكلامي، وهو بحدّ ذاته عنصر إشاري زيادة في القوة الدلالية.

كما استعمل أسلوب الشرط (فلولا جمالك ما صح ديني...)، (ولولا العقيدة تغمر قلبي...) (ومهما بعدت ومهما قربت...) المعبّر عنه بأدوات الشرط (لولا، مهما) وجمل متلازمة من أجل توجيه قصده للمتلقّي والتأثير فيه لإثبات حقائق وعقيدة راسخة، وتكرار الشرط "على مستوى الرمز والدلالة بأنّ الشاعر يريد أن يؤكّد على بعض المعاني للإفهام"². فالشاعر ينشئ علاقة إثبات للخبر، فهو يثبت ما يريد قوله من خلال الخبر، ويصف الحدث المذكور للإخبار عنه، وبذلك يسعى ليفصح عن كفاءته اللغوية، ويصدر أحكاما مرتبة ومعاني يثبتها القصد الذي يشكّله العقل.

¹ - السيد احمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص55.

² - طه وادي، جماليات القصيدة المعاصرة، الشركة المصرية للنشر، لونغمان، مصر، ط 2000، ص116

كلّ ذلك ليحدث تأثيرا في المتلقي، " وإنه لما كانت هذه الرغبة في التأثير تمثّل نشاطا موجها إلى هدف، فقد حدّدت بشكل أدق بأنّها فعل لغوي"¹، لأنّ هذه الأفعال اتّخذت مقاما محوريا وهو هيام الشاعر بوطنه، والفعل الكلامي هنا هو بؤرة التواصل بينه وبين المتلقي من خلال هذا الحبّ الملهم للأفكار والملهب للمشاعر، ويدعوه لحب الوطن.

المشهد الرابع:

جزائرُ أنتِ عروسُ الدُّنَا ومنكِ استمدَّ الصُّباحُ السَّنَا
أنتِ الحنانُ وأنتِ السَّما حُ وأنتِ الطِّمَاحُ وأنتِ الهَنَّا
أنتِ السُّمُو وأنتِ الضِّمِي رُ الصَّريخُ الذي لم يَخُنْ عَهْدَنَا
صنعتِ البطولاتِ من صُلبِ شع بٍ سَخِي الدِّمَاءِ فَرَعَتِ الدُّنَا
وَمَنْ لَمْ يُوحِّدْ شَتَاتَ الصَّفْوِ فيعجَلْ به حَمَقُهُ لِلْفَنَّا²

يربط الشاعر طبيعة الجزائر بأبطالها عبر فجر التاريخ دون ذكر أسمائهم، وهذا تسلسل ينقله الشاعر إلى المتلقي ممزوجا ببطولات تمهّد لبطولات خاصة، أي أنّه ينتقل من الإجمال إلى التفصيل، ثم يمهدّ للمحمة الوطنية حيث يتحدّث عن بُناة الجزائر الذين نافحوا عن هذا الوطن وثبتوا على ذلك.

وردت هذه الأبيات في سياق خبري بأفعال كلامية (استمد الصباح السنا)، (لم يخن عهدنا)، (صنعت البطولات من صلب شعب) في سياق خطابي مباشر، والمقام الذي جاء فيه الخطاب هو مقام التعظيم، فالشاعر أنجز فعلا لغويا غير الذي هو موجود في الحقيقة حيث تولدت عن المعنى الأصلي في سياق مناسب ومقام معيّن بـ "قرائن الحال"³. فقرائن الحال غير منفصلة عن مناسبة المقام أحوال المخاطب أو عدم مناسبة، وبالتالي لا يكون الفعل الكلامي من إنتاج وضع اتصالي متعلّق بالعالم. تضمّنت الأفعال الكلامية قوة إنجازية

¹ - كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص132

² - مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص9

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص389

مستلزمة مقاميا متمثلة في التأكيد المكرر (أنت) في العبارات (أنت السماح)، (أنت الهنا) (أنت السمو) معتمدا على وظيفة حجاجية ذلك لتعزيز القوة الفعلية للخطاب. وهذا التكرار ينبئ عن ظاهرة لسانية وهي "التكرارات اللسانية التي تلبي حاجة نفسية وذهنية في حياة المتكلم، ولهذا يلجأ المتكلم إلى تكرار لفظة بعينها من الظواهر"¹. فالتكرار يجعل الفعل مثبتا وحقيقيا، لأنّ الشاعر يسعى الارتباط بالمتلقي مما يدفعه إلى التأثير بكلامه، ويعزّز العلاقة بين التراكيب اللغوية ومستعملها.

وتوظيف الشاعر للعنصر الإشاري المكاني (أنت) دلّ على الجزائر ليوضّح الفكرة من خلال السياق الموظف للشخص، لكن الشاعر لم يستعمل الإشارة للمكان "هنا" و"هناك" بغية تجسيد الخطاب وكأنه يخاطب امرأة ألهمته الحب والعطف، فباح بعشقه لها وهيامه بها فأبدل الإشارة المكانية الأصلية بإشارة تشخيصية و "تستعمل الإشارة إلى الأشخاص من خلال التأشير الشخصي "أنا"، "أنت"². إنّ الإشارة المكانية هنا أكسبت الفعل الكلامي حمولة تتضمن تعظيم الجزائر والإشادة بفضائلها لعلو شأنها.

وأتى الشاعر بتشبيهات بليغة منها (جزائر أنت عروس الدنا)، (أنت الحنان)، (أنت السماح) (أنت الهنا)، (أنت السمو) لتدعيم القوة الإنجازية غير المباشرة المسلمة مقاميا وهي التعجب من محاسن الجزائر المتمثلة في أرضها المعطاءة، التي تعيش في كنف الهنا وصراحة تحدياتها والمتزينة في هذا الوجود، كل ذلك لتقريب الفهم وتوضيح أشياء عظيمة تختص بها الجزائر لأنّ هذه التشبيهات جعلت المشبه يتعلّق بالمشبه به، "فإذا كان الشيء متعلقا بغيره مقيسا على ما سواه كان خيرا ما سيتعان به على تقريبه من الإفهام، وتقريره في النفوس أن يوضع له مثال يكشف عن وجهه، ويؤنس به ويكون زماما عليه يمسكه على

¹ - نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، ص39

² - جورج يول، التداولية، ص27

المتفهم والطالب علمه¹، فالشاعر وظّف التشبيه البليغ للتأثير في المخاطب وإقناعه بغية التواصل بينهما والتفاعل من أجل توضيح عظمة الجزائر وعظم تربتها.

المشهد الخامس:

ويحتار بلكور في أمرها فتضحك منه العيون الفواتر
وفي القصبة امتدّ ليل السهاري ونهر المجرة نشوان ساهر
وفي ساحة الشهداء تعالى مآذن تجلو عيون البصائر
وفي كل حي غوالي المنى وفي كل بيت نشيد الجزائر²

يذكر الشاعر بعض أحياء الجزائر العاصمة: القبة، بلكور، حيدرة، القصبة، وساحة الشهداء التي تعدّ أماكن لتلاحم الجزائريين فيها، وكل مكان منها يُخفي قصة، وعلى دمنتها دماء للشهداء.

في هذه الأبيات أفعال كلامية (يحتار بلكور في أمرها)، (وفي القصبة امتد ليل السهاري) (تعالى مآذن تجلو عيون البصائر) دلّت صيغتها الخبرية الحرفية على فعل كلامي مباشر. وتتضمن هذه الأفعال فعلا غير مباشر مستلزم مقاميا هو تعظيم الجزائر والإشادة بالبطولات التي خاضها أبطالها في أحيائها، وتولّد عن هذا الفعل فعلا آخر هو التّثبت على حبّ الجزائر، فإذا كان هذا هو فعل القول فإنّ الفعل التأثيري يظهر في التمسك بحب "القصبة" و"بلكور" و"ساحة الشهداء" والجزائر كلّها.

أعطى الشاعر معلومات عن جمال نهر المجرة، ورفع الأذان التي حدثت في أماكن بالعاصمة الجزائرية: القصبة ساحة الشهداء والبيوت بصفة عامة من أجل الإفادة، إذ "يجب على المخاطب تقديم المعلومات اللازمة والتي يمتلكها عن موضوع الخطاب، وغرضها إفادة

¹ - عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط5، بيروت، 2004، ص575

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص10

المخاطب"¹، والخبر هنا مرهون بمدى استفادة المخاطب من كلام الباث حتى يكون الكلام متضمنا في القول.

وبني الفعل الكلامي في هذه الأبيات على قوتين إنجازيتين: القوة الإنجازية الصريحة تمثلت في وصف الجزائر العاصمة، والقوة الإنجازية المستلزمة برزت في غرس قيمة الحُب في أبناء الجزائر، ولذا " فالأفعال الإنجازية المباشرة تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، أما الأفعال غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم"². هذا يدل على أنّ التداولية تبحث في المعاني المضمرّة التي هي قصد المتكلم، فليس الخبر هو القصد فحسب، بل هي المعاني التي تتوارى خلفه والمضمرّة في بنيته الحرفية.

المشهد السادس:

و تجثو الثلوج على قديم
هو الأطلس الأزلّي الذي قضى العمر يصنع أسد الشرى
وتسمو بأوراس أمجاده فتصدع في الكون هذا الورى
فيا من تردّد في وحدة بمغربنا وادعى وامترى
أما وحد الأطلس المغربي معاقلنا بوثيق العرى³

انتقل الشاعر من العاصمة الجزائرية إلى جبال الأطلس العملاق أرض البطولات و موطن النضال والكفاح، حيث مزج بين السياسة والطبيعة، وإنّ هذا الكون الذي أبدعه الخالق سبحانه ارتبط بالمجاهدين والثائرين، ممّا أثبت تلاحم سلسلة جبال الأطلس مع الثوار والتي وحدت المغرب العربي. هذا الوصف لجمال طبيعة الجزائر عبّر أمكنة متباينة جعلت الشاعر عاشقا للوطن، مستلهما وجوده من هذه الطبيعة الفاتنة والأبيّة.

في هذا الخطاب وردت أفعالا كلامية مباشرة (تجثو الثلوج على قدميه)، (تسمو بأوراس أمجاده) (ادعى وامترى)، (وحد الأطلس المغربي معاقلنا) التي تتضمّن فعلا كلاميا غير

¹ - osland ducrot,dire et ne pa dire,3eme Edition,pari,1972,hemann editeur,p204-

² - محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص81

³ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص11

مباشر وهو تعظيم سلسلة جبال الأطلس التي كانت عرينا للثوار وبوتقة وحّدت المغرب العربي، وهو فعل كلامي كلي، يندرج تحته فعل كلامي أصغر وهو تثبيت وحدة المغرب العربي رغم محاولات المحتل التّفريق والتّشتيت لوشائج الجزائريين والمغاربة.

استخدم الشاعر الاستعارة (تجثو الثلوج)، (قضى العمر يصنع أسدى)، (تسمو بأوراس أمجاده)، (تصدع في الكون هذا الوري)، (أما وحد الأطلس المغربي معاقلنا) والتي تعدّ عملية ذهنية يلتجئ إليها الشاعر حيث استعار أسماء لإثبات الوصف بصورة حجاجية، وفي هذا " يقول الجرجاني: فقد حصل من هذا الباب أنّ الاسم المستعار كلّما كان قدمه أثبت في مكانه كان موضعه من الكلام أضمن به، وأشدّ محاماة عليه، وأمنع لك من أن تتركه وترجع إلى الظاهر بالتنشبيه فأمر التّخيل فيه أقوى، ودعوى المتكلم له أظهر وأتم"¹. قام الشاعر بتقريب عنصرين مختلفين قصد المشابهة وهذه القوة الاستعارية تؤكد جمال جبال الأطلس والبطولات التي احتوت هذه الجبال فكانت سندا للثوار، وهذا يبين قوة الاستعارة الحجاجية خلافا للكلام العادي. وهذا المحتوى صادق في سياقه ولا يمكن تكذيب هذه البطولات لـ " أنّ الكذب ليس إلا خاصية متواترة وممكنة في الاستعارات وليست خاصية أساسية فيها"²، فالكذب ليس ضروري في الاستعارة وهذا عكس النظرية الكلاسيكية التي ترى أنّ الاستعارة تكون كاذبة حرفيا وصادقة في الاستعمال غير الحرفي.

المشهد التاسع:

سَجَا اللَّيْلُ فِي الْقَصْبَةِ الرَّابِضَةِ فَأَيْقَظُ أَسْرَارَهَا الْغَامِضَةَ
وَبَيْنَ الدُّرُوبِ وَبَيْنَ النَّثَايَا عَفَارِيْتُ مَائِجَةٍ رَاكِضَةَ
وَمَلَأُ سَرَادِيْبَهَا الْكَافِرَا تِ تَصَاغُ قَرَارَاتُنَا الرَّاْفِضَةَ
فِيحْتَارُ بِيَجَارُ فِي أَمْرِهَا وَيَحْسِبُهَا مَوْجَةً عَارِضَةَ

¹ - عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، علم الكتب للحديث، ط1، الأردن،

2014 ص 282

² - آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص 193

فيفجؤ بيجار إصرار شعب وتدمغ الحجة الناهضة¹.

يعظم الشاعر من شأن حي القصة بالجزائر العاصمة الذي أرق المستدمر الفرنسي وحير أعتى قادتها وهو "بيجار" الضابط الفرنسي الذي كان يقود عمليات قمع الجزائريين الذين صمدوا في وجه المحتل. فالأفعال الكلامية (سجا الليل في القصة الرابضة)، (أيقظ أسرارها)، (تصاغ قراراتها الرافضة)، (يحتار بيجار في أمرها)، (وتدمغ الحجة الناهضة) أفعال إخبارية وصفية لثورية حي القصة حيث تضمن فعلا كلاميا مباشرا هو الإخبار الوارد في سياق ظاهره خطاب للجنرال الفرنسي "بيجو" الذي ضيق الخناق على الثوار في حي القصة، والمقام الذي جاء في الخطاب هو مقام التعظيم والتحدي، وهذا الأخير هو ذاته فعل غير مباشر. ولتحقيق هذا الخبر استدلت بصفة المبالغة "السفاح" (بيجار) لتغيير المعتقد السائد وهو عدم الرضى بوجود المحتل، لأن الأفعال الكلامية "من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته أو وضعه السلوكي، وينجر على ذلك أن فهم قول معين يعني التعريف بمحتواه الإخباري، وتوجهه التداولي"². نلاحظ أن الفعل التأثري لها هو ما نتج عن قول الفعل تفاجؤ "بيجار" بالتحدي الجزائري، وعجزه عن إخماد الفداء والإباء في الحي. هذه القوة الإنجازية للفعل الكلامي هي التعظيم والتحدي حيث ارتكزت القوة الإنجازية على قوتين إنجازيتين: الأولى قوة إنجازية صريحة هي الإخبار والوصف، بينما القوة الإنجازية المستلزمة هي تعظيم الفداء من جهة و تعجيز المحتل من جهة أخرى.

أكثر الشاعر من التخيل في الأبيات كي يثير حقيقة تاريخية ويوضحها، لغطسة المحتل ومجابهة الثوار له بكل عزم وإصرار، وهذا المعنى أخذ خطابا غير حرفي وصف فيه الأحداث التي عبثت عنها الأفعال الكلامية غير المباشرة، وهي مستتبطة من الصيغة غير الحرفية ف"حين يجري الأمر نفسه- بعد تغيير ما يجب تغييره- في نص تخيلي يفهم على أنه وصف لأحداث واقعية، فإن الخطاب التخيلي غير الحرفي يمكن تأويله بكل بساطة كما

¹ - مفدي زكريا إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص14

² - cathrine.kerbrate.orécchioni, enonciation de la subjectivité dan langage. P 185 , Paris
1980,armand colin

لو كان خطابا حرفيا¹، وإنّ الخطاب التّخييلي يقوم على أساس فهم التفاعل السياقي المرفق بالمرجع والإحالة تبعا للمحيط الثقافي والاجتماعي اللذان يتقاسمهما أطراف الحديث فينطلقون من تفاعل خطابي.

المشهد العاشر:

وبلكور للمجد شقّ طريقه وخطّ معالمها في السّويقه
وعجلّ أقدار يوم الخلاص وكان يحاسبها بالدقيقه
فأيقن مأسو وكان تغابى وما عاد يجهل مأسو الحقيقه
وعاجل سالان صحو السكارى فبدّد أحلام مأسو الصفيقه
وسوستال بالرعب طار شعاعا فغصّ وما استطاع يبلغ ريقه
ورجّت حواجزهم بالغلا غريق يثد بذيل غريقه².

يصف الشاعر حي "بلكور" بالعاصمة الجزائرية الذي حيّر هو الآخر الضباط الفرنسيين في منحدر الفدائيين، ويدعى هذا المكان بالسويقة، فتطايرت أحلام الجلّادين واصطدمت بإصرار الفدائيين من أجل الخلاص. احتوت الأبيات على أفعال كلامية حرفية مباشرة (وبلكور للمجد شق طريقه)، (وعجل أقدار يوم الخلاص)، (فأيقن مأسو وكان تغابى)، (وعاجل سالان صحو السكارى)، (وسوستال بالرعب طار شعاعا) إخبارية خاصة بوصف حي بلكور الثوري، فتصف الرعب الذي ألحقه جنرالات فرنسا بالشعب الجزائري بشكل متتابع، وما تكبدوه من خسائر. هذه السياقات وردت من أجل تعظيم بلكور وفدائييه في مقام عجز المحتل لمواجهة الثوار. فالشاعر يخاطب المتلقي ويبث فيه قوة الثورة الجزائرية بأفعال كناية (شق طريقه) كناية عن صفة اتخاذ سبيل الكفاح (صحو السكارى) كناية عن صفة وهي إحياء ضمائر الثائرين نتيجة تعاقب الأذى من الجنرالات، وقد خرج عن مقتضى الظاهر " ليؤدي قيما بلاغية فتلك القيم تستمد عناصرها دائما من مطابقة الكلام لحال

¹ - آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص198

² - مفدي زكريا إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص15

المخاطبين"¹، فمقتضى الحال هنا يعود إلى الذات الفاعلة التي تنشئ المعنى والمقيدة بالوضع اللغوي الذي شكّل سلطة مرجعية لذات المتكلم ممّا يدفع به إلى إنجاز أغراض بلاغية تناسب مقتضى الحال.

وبنيت أفعال النص على قوتين انجازيتين: القوة الإنجازية الصريحة وهي الإخبار، أمّا القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا فقد احتوت على فعلين غير مباشرين: هو التعظيم والتحدي. كما تدعمت القوة الانجازية بفعل (رَج) لأنه يدلّ على يقين تزلزل أرض "بلكور" من تحت أقدام المستبد. ولتدعيم القوة الإنجازية وظّف الشاعر أسماء الأعلام لجنرالات التعذيب والبطش الخاصة بالمحتل الفرنسي (ماسو، سالان، سوستال) وهي شخصيات إحيائية، تصف عبارات النص جرمهم ونقضهم لحقوق الإنسان، "وأعني بالإحالة: العلاقة بين عبارات مثل الأوصاف المحدودة أو أسماء الأعلام من جهة، وبين ما تقوم تلك الأوصاف وتلك الأسماء بالإحالة عليه"²، فأسماء الأعلام تحمل صفات تُحيل إلى المحتوى الدلالي، وللبحث عن القصد وترتبط بمعان تقع في الخارج.

المشهد الحادي عشر:

وَحَمَامٌ مَلَوَانِ مَلَّ الْمُجُونَا وَأَنْهَى غَوَايَتَهُ وَالْفُتُونَا
وَفَضَّلَ خَوْضَ الْحِمَامِ بَدِيلًا عَنْ الْمُسْتَحِمَّاتِ وَالْعَائِمِينَ
وَقَدْ عَاشَ دَرْبًا لِحُلُولِ الْأَمَانِي فَأَصْبَحَ دَرْبًا يُلَاقِي الْمُنُونَا
وَعَاَصَتْ بِهِ ثَوْرَاتُ الْهَوَى فَفَجَّرَتْ الْعَزَمَ فِي النَّائِرِينَا
وَأَعْلَنَ تَوْبَتَهُ فِي الْجَبَا لِ فَكَانَ الرِّصَاصُ الضَّمِينَا³

وصف الشاعر عظمة "حمام ملوان" بمياهه المعدنية المتدفقة بين الجبال الممتدة إلى جبال الشريعة، حيث فضّل الموت على التمتع بمظاهره منشدا درب الشهادة، وقد قامت به معارك ضدّ المحتل الفرنسي، معتبرا توبته من ملذات الدنيا إلى المشاركة في الجهاد أمر لا مفرّ منه. فالأفعال الكلامية (وحمام ملوان مل المجونا)، (وفضل خوض الحمام)، (يلاقي مفرّ منه). فالأفعال الكلامية (وحمام ملوان مل المجونا)، (وفضل خوض الحمام)، (يلاقي

¹ - عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ط1/2006، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ص52

² -gon searl,sens et expression,Etudes de theorie de la langue,paris,minuit 1982, p35

³ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص16

المنونا) (غاصت به ثورات الهوى)، (وأعلن توبته في الجبال) أفعال إنجازية مباشرة إخبارية، والفعل المتضمن في القول هو التعظيم لأنّ حَمَام ملوان فضّل الحِمَام على الاستحمام بغية جلاء المحتل.

لقد أكثر الشاعر من الإيحاءات منها الاستعارة (أعلن توبته) التي حملت جانباً وصفياً، فالمتكلم يهتدي بالاستدلال إلى المعنى المقصود غير المصرح به في التركيب لأنّ منطقة "حمام ملوان" صارت عريناً للثوار، فهذه الصورة تعبّر عن مقصد الشاعر من حيث تمثيل الكلام المعنوي في شيء محسوس " فالنوع المقصود هو تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقّي"¹، وهذا الوصف حمل قوّتين: القوة الإنجازية الصريحة هي وصف حمام ملوان، والقوة الإنجازية المتضمنة في القول هي تعظيم ثوار هذا الحمام الجاثمين على قمم جباله.

و تدعّمت القوة الإنجازية من خلال تفضيل عيش المنون على عيش الدّعة بفعلين (مل، فضل) كما تدعّمت القوة الإنجازية بربط الشاعر معاني النص برابط تداولي هو حرف "الواو" ليجمع بين الكلمات وبين القضية الواحدة المترابطة بخيط توصيفي حيث " نرى أنّ رابطاً مثل الـ "و" قام بدور مهمّ في العمليات الاستدلالية، وهذا الدور ليس مرتبطاً بالبتّة بأيّ محتوى دلالي يكون متصلاً به (محتوى مفهومي)، وإنما يرتبط بمحتوياته الإجرائية"². فالرابط "الواو" ساعد على فهم الخطاب ووضّح القصد من الأفعال الكلامية واصفا الحدث وتزامنه مع الواقع، معبّراً عن نتيجة الأسباب، وساعد على تأويل الأفعال الكلامية.

المشهد الثاني عشر:

وَحَمَامٌ رِيغَةً بَيْنَ الرَّوَابِي تَرَنَحَ طَوَعُ الْهَوَى وَالتَّصَابِي
يُصْعِدُ فِي الْجَوِّ أَنْفَا سُهُ عَبِيرًا وَأَحْشَاؤُهُ فِي التَّهَابِ
يُحَاوِلُ كِتْمَانَ أَسَدٍ رَأَاهُ فَتَفْضَحُهُ خَائِنَاتُ الْحَبَابِ
وَتَخْتَالُ بَيْنَ يَدَيِ اخْضِرَارًا شَوَاهِقُ تُزْجِي رُكَابَ السَّحَابِ

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 495

² - آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص 172

وَأَنْفَاسُهُ تَغْمُرُ الصَّبَّ دَفْنًا فَيَنْسَى حَرَارَةَ يَوْمِ الْحِسَابِ¹

ثم انتقل إلى وصف "حمام ريغة" هو الآخر حمام معدني واقع في جبل "زكار" بين "مليانة" و"العفرون"، يمتّع زائريه بنسائمه التي تسبح في أجوائه. في هذا السياق يتوجّه الشاعر بخطاب إلى المتلقي ليمتّعه بصفات حمام ريغة وطبيعته الخلابة بأفعال كلامية مباشرة (ترنج طوع الهوى)، (يصعد في الجو أنفاسه عبيرا)، (تختال بين يديه اخضرارا شواهق)، (وأنفاسه تغمر الصب دفناً)، (أحشاؤه في التهاب) التي تتضمن قوّة إنجازية مستلزمة مقاميا متضمنة في القول هي الإعجاب والتعجب. هذه الجمل الخبرية تخضع لمعياري الصدق والكذب، فالمخاطب يصدر حكما وصفيا مراعاة لنسبة التطابق مع النسبة الخارجية؛ فقد يتردد المتلقي في تصديق الحكم، لذا يهتدي إلى العملية الذهنية للتأكد من الكلام الموجه إليه، حيث "الغرض الإنجازي لهذه الأفعال وصف المشهد وحكاية تفاصيله كما أرادها المبدع"²، فالشاعر مبلّغ للخبر وواقعي في وصفه للمكان، وهذه الواقعية اقترنت بالتدفق العاطفي.

ومن منطلق هذا الخطاب فإنّ الاستعمال الحرفي للأفعال غير موافق للاستعمال اللاحرفي، إذ يشتركان في التعبير عن الفكرة، لكن البون بينهما من حيث التركيب البنيوي وتأويل هذا التركيب ويتعاركان في الجملة، إذ "العلاقة بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي أشبه بنسخة مختصرة في داخل جملة واحدة من الدلالات المعقدة المتداخلة التي تسم العمل الأدبي"³، أي ثمة علاقة بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي ومنه الاستعارات الواردة في الأفعال أي بين ترابط دلالة الكلمة ودلالة الجملة (يصعد في الجو أنفاسه)، (يحاول كتمان أسرار) شبّه حمام ملوان بإنسان مرّة تتصاعد أنفاسه بقريّة (يصعد)، ومرّة أخرى شبّهه بإنسان يسعى لإخفاء أسرار بقريّة (يحاول).

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص17

² - نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص101

³ - بول ريكو، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي، ط 2008، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص84

وبناء على ذلك نجد الاستعارة وسيلة لغوية تواصلية من أجل التفاعل البشري وفق سياق ثقافي اجتماعي، حيث عالج "سيرل" الاستعارة لما يميز بين المعنى النحوي والمعنى التداولي ليجعله المتكلم قصداً له، فالاستعارة "هي تفسير الكيفية التي ينعزل فيها معنى المتكلم عن معنى الجملة أو الكلمة، أو بعبارة أخرى: كيف نقول شيئاً ونعني شيئاً آخر"¹. فالاستعارة هي وسيلة تنتمي في هيكل تراتيبي لترجمة المعنى الحرفي، وتُقاس بدرجة التأثير الذي تحدثه في نفس المتلقي، وإنّ استخدام الفعل الاستعاري يفرض مسبقاً تلاهماً في التّغيير بين المتكلم والمخاطب.

المشهد الثالث عشر:

شَرِيعَتُنَا كَجَلَالِ الشَّرِيعَةِ كَمَا لَاتُهَا رَاسِخَاتُ ضَلِيعِهِ
كَأَنَّ الَّذِي شَرَعَ الصَّالِحَاتِ أَقَامَ الدَّلِيلَ فَأَعْلَى الشَّرِيعَةِ
وَعَمَّرَ فِيهَا بَنِي صَالِحٍ فَزَكَّى الصَّلَاحُ جَمَالَ الطَّبِيعَةِ
وَتَاهُ الصَّنُوبَرُ كَبْرًا وَعَجَبًا عَلَى الْقِمَمِ الشَّامَخَاتِ الرَّفِيعَةِ
وَمَنْ تَكُ فِيهِ الْأَصَالَةُ طَبْعًا تُجْبَهُ الْجُدُوعُ الطُّوَالُ مُطِيعَةً²

يُعْظَمُ الشاعر من شأن جبال الشريعة جبال الصنوبر لعظمة أهلها بنو صالح أهل الصدق والكرم والبطولات، وأشجار جبال الشريعة شامخة لشموخ وعراقة سكانه. الأفعال الكلامية (أقام الدليل فأعلى الشريعة)، (عمر فيها بنو صالح)، (زكى الصلاح جمال الطبيعة)، (تاه الصنوبر كبرا وعجبا) هي أفعال مباشرة لها حمولة دلالية تعبّر عن فعل كلامي وهو القوة الانجازية الحرفية للمتكلم للإفصاح عن فعل غير مباشر هو تعظيم جبال الشريعة التي تعدّ مقام تعظيم وإعلاء. ودعّمه بقوة إنجازية وهي تشبيه جبال الشريعة بالشريعة الإسلامية في الرّسوخ والمكانة، وهذا ما يوضّح المقصد، فلقد استعان الشاعر بالتشبيه لتقوية الفعل الإنجازي (شريعتنا كجلال الشريعة)، (كان الذي شرع الصالحات أقام...) للوصول إلى مقصده من خلال الفعل غير المباشر وهو التعظيم، و لاحظنا أنّ

¹ - أحمد صبرة، التفكير الاستعاري في الدراسات الغربية، دار الصديقان للنشر والإعلان، الإسكندرية، 1998، ص 65

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 18

هذه النتيجة أعطت التشبيه بعداً تداولياً من خلال تشبيه الشريعة السّمة في عظمتها كجبال الشريعة حيث اتخذ من التشبيه حجة لتقوية الفعل الإنجازي للتقريب بين العنصرين، ف " قوة التشبيه تتأتى من قدرته على التقريب بين عنصرين من نظامين مختلفين " ¹، وهنا أقام الشاعر علاقة بين المشبه والمشبه به ليدعم صراحة ما يقول.

اهتمّ الخطاب بالتعبير الإستعاري (تاه الصنوبر) للحاجة إلى الفهم والإفهام من خلال ترجمة الاستعارة وإعطائها بعداً تداولياً، وانتقالها من اللغة الأصلية إلى اللغة التأثيرية مع مراعاة الضوابط الثقافية والاجتماعية من خلال السياق، وهي تخفي المعنى المقصود، وبذلك " تكون الاستعارة وسيلة رئيسة ومهمة من الوسائل المستخدمة في إنجاز الأفعال غير المباشرة " ²، فالاستعارة هي نوع آخر من الأفعال الكلامية غير المباشرة، ووجودها في عنصر السياق تحكّم في عنصر عملية التواصل بين المرسل والمتلقي، وإنّ تفسير الاستعارة يحفّز الذّهن ليستدلّ ويوضّح المعنى الاستعاري وغير المباشر لتأويل الكلام.

المشهد الخامس عشر:

أَمَانَا رُبُوعَ النَّدَى وَالْحَسْبِ أَمَانَا تَلْمَسَانِ مَعْنَى الْأَدَبِ
وَتَاهُ الْوَرِيْطُ بِشَلَالِهِ يُلْقِنُ زُرْيَابَ مَعْنَى الطَّرَبِ
وَأَغْرَى الْمُلُوكَ بِحَبِّ الْمُلُو كِ فَأَخْلَصَ فِيهَا كُلُّ صَبٍ
تَلْمَسَانُ أَنْتِ عَرُوسُ الدُّنَا وَحُلْمُ اللَّيَالِي وَسَلْوَى الْمُحِبِّ ³.

يُشيد الشاعر بمدينة تلمسان منهل اللغة والأدب، ولسان حالها مدينتي وهران وفاس، حيث قام بها جبل الوريط يعلم الموسيقى الأندلسي زرياب الغناء، واستهوته الملوك لتوقّر حبّ الملوك فيه، وهذا التّهافت والتّفضيل هو ما جعل تلمسان عروس المغرب والدنيا.

¹ - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث ط1 تونس، 2007، ص174

² - علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص150

³ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص20

تضمّن هذا السياق الإشادة بمدينة تلمسان بأفعال كلامية مباشرة (أمانا تلمسان معنى الأدب) (يلقن زرياب معنى الطرب)، (أغرى الملوك بحب الملوك)، (تلمسان أنت الدنا)، جاءت هذه الأفعال بصيغة خبرية، دالة على أفعال الكلامية غير مباشرة، تتضمن قوة إنجازية مستلزمة مقاميا في نسق متوالي: تعظيم مدينة تلمسان مهبط الأدب، والإعجاب بجبل لوريث الذي ألهم زرياب تعلم الموسيقى، وبعدها تعظيم تلمسان كأنّها عروس تُرَفّ في ليلتها فتستهويها الأنفس.

وظّف الشاعر التكرار لكلمة (أمانا) مرتين وخصّ به مدينة تلمسان ليتّرجم خواطره ويتواصل مع جمالها، ولهذا التكرار قوة متضمنة في القول ووظيفة تداولية لتأكيد الحجة بأنّ تلمسان تتمتع في نعيم الذي يكمن في التأثير في المتلقي من خلال هذا الوصف، وبالتالي يفضي بنا إلى الاقتناع بكلام المبدع، فـ " التكرار يراد منه تأكيد الحجّة على الأمور به"¹. فعندما نستعمل التكرار كوظيفة لغوية تداولية فإنّنا نهدف إلى تحقيق تأثير في المتلقي من تبليغ الخبر، وتجاوزه المقام يستلزم غاية تأثيرية وهذه الظاهرة مقصودة للتوضيح والتأكيد.

وضمّ الخطاب إلى جانب الأفعال الكلامية السابقة أفعالا مجازية ممثلة في الاستعارة (تاه الوريث بشلاله)، (يلقن زرياب معنى الطرب) تضمنت معنى القول هو الوصف والإعجاب، ومن هذا المنطلق اهتمّ "سيرل" بتفسير المنطوق الحرفي وتأويله، وعدّ الفعل الناتج عنه فعلا كلاميا غير مباشر، لذا فالاستعارة هي صورة بلاغية توضّح تعدّد المعنى حين استخدامه أثناء العملية التواصلية، و" تنتمي الاستعارة إلى اللعبة اللغوية "². وللاستعارة علاقة وطيدة باللعبة اللغوية، فالشاعر لم يستعمل معاني حقيقية، بل وظّف معاني استعارية للتخاطب مع المتلقين، فانتقل من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي حسب المعنى الذي يقصده الشاعر.

¹ - أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، مصر،

2004 ج1، ص114

² - بول ريكو، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ص86

كما تضمّن الخطاب أفعالا كلامية مجازية (تلمسان أنت عروس الدنا)، (حلم الليالي) ممثلة في التشبيه البليغ، فمرة شبّهها بعروس تعيش أيام سعادتها في زمن عرسها، ومرة هي كحلم الليالي لما فيه من سمر وهذوء وسكينة. والتشبيه هنا ترجم المعنى الحرفي إلى معنى غير مباشر وهو التّعجب والتّعجب، وهنا " يمكن هذا النسق على وجه التحديد من المقارنة بين هذه التمثيلات وتحديد درجة المشابهة بينها"¹، فالشاعر يشبّه مدينة تلمسان بالعروس، وهذا التماثل أعطى حياة لتلمسان ومنزلة وخاصة لما حذفت الأداة ووجه الشبه، فأمدّت الكلام بلاغة وتأكيدا لواقع منظر تلمسان، لذلك فإنّ الأفكار والأقوال تشترك فيما بينها لتعبر عن القضية من خلال السياق المُعبّر عن القضية.

المشهد السادس عشر:

وسَبَّحَ اللهُ مَا فِي السَّمَاءِ وَاتِ الْأَرْضِ مِلْءُ شَفَائِفِ شَفَا
كَأَنَّكَ تَصْغَى بِهَا لِلْخَلِيلِ لِي وَمُوسَى الْكَلِيمُ يُرْتَلُّ صُحُفَا
كَأَنَّ مَشَارِفَهَا الْحَالِمَا تِ الضَّوَاهِكِ أَلْفُ يُغَازِلُ أَلْفَا
كَأَنَّ الْبُلَيْدَةَ لِلرُّودِ تُشْفِي حَدِيثَ الْغَرَامِ فَيَزْدَادُ لَهَا².

في الخطاب أفعال كلامية ذات قوّة حرفية (سَبَّحَ اللهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...)، (شفا كأنها تصغى بها للخليل)، (كأن البلدية للورود تشفي حديث الغرام) دلّت صيغتها الخبرية على فعل كلامي مباشر متضمن في القول هو الإعجاب و الوصف في مقام التعظيم لـ"وادي الشّفة" ومدينة "الورود". كما احتوى سياق الأبيات الشعرية على معنيين: المعنى الصريح وهو الإخبار والمعنى الضمني هو الهيام والعشق بمفاتيح مدينة البلدية كـ" أن نستعمل كلمة مجازية لكي ندخل السرور أو الفتنة في قلوب المستمعين إلينا"³، أي ينبغي أن نبسط دلالة الألفاظ المختارة متجاوزين الاستعمال اليومي للغة العادية- أحيانا- بغية التأثير في المتلقي أيما تأثير.

¹ - آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص 187

² - مفدي زكريا، إياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 21

³ - بول ريكو، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ص 87

وتدعمت القوة الإنجازية بتكرار أدوات التشبيه: (كأنّ) ثلاثة مرات والمتكوّن من كاف التشبيه والمماثلة، وأداة التوكيد للإلحاح على هذا الجمال الذي حباه الله لهذه البلدة، وبما أنّ التكرار هو تأكيد لكلام المتكلم، فإنّ " تكرار للوحدة المعجمية نفسها تلبية لغرض معيّن من أغراض الكلام"¹، فالوحدة المعجمية المكررة ظاهرة لغوية تؤكد معنى السياق بواسطة الأفعال الكلامية، والتكرار يثير القصد من هذا التشبيه ممّا يساعد على إيفاء المعنى.

المشهد الثامن عشر:

أَلَا مَا لِهَذَا الْحَسَابِ، وَمَالِي؟ وَصَحْرَاؤُنَا نَبُعُ هَذَا الْجَمَالِ
هُنَا مَهْبِطُ الْوَحْيِ لِلْكَائِنَا تِ حِيَالِ النَّخِيلِ وَبَيْنَ الرِّمَالِ
وَمَهْدُ الرِّسَالَاتِ لِلْعَالَمِ ن وَنُورُ الْهُدَى وَمَصَبُ الْكَمَالِ
هُنَا الْعَبْقَرِيَّاتُ وَالْمُعْجَزَاتُ تْ وَصَرُخُ الشُّمُوحِ وَعَرْشُ الْجَلَالِ
تُبَادِلُنَا الشَّمْسُ إِشْعَاعَهَا وَيُلْهِمُنَا الصَّفْوُ نُورَ الْهَلَالِ.²

ثم يُعلي الشاعر من شأن الصحراء الجزائرية التي تزخر بالنخيل وشمسها الدافئة، وأنّها مهبط وحي الجهاد حيث أنجبت عباقرة شيدوا صرح هذه الأمة. إنّ تراكيب الأبيات (هنا مهبط الوحي)، (مهد الرسالات)، (مصّب الكمال)، (هنا العبقريات والمعجزات) ذات فعل كلامي إنجازي بصيغتها الحرفية الظاهرة حيث تضمن سياق الأبيات فعلا صريحا وهو الإخبار، أمّا الفعل المتضمن في القول هو الافتتان بجمال الصحراء الجزائرية. ولتدعيم القوة الإنجازية وظّف أسماء المكان (نبع، مهبط، مهد، مصب، صرح) للدلالة على قدسية أرض الجزائر وبخاصة الصحراء الملهمة للشاعر، والملهبة للقلوب. كما عبّر عن جمالها بصفات ذهبية (الجمال، الهدى، الكمال، العبقريات، الشموخ، الجلال الصفو) كلّها صفات أكّدت أهمية صحراء الجزائر وتُبلّ أهلها، ممّا أضفى على جمالها حُبّا وإبداعا. وأكّد ذلك بمشير لغوي (هنا) مرتين بشكل صريح ظاهر، ومرتين بشكل مضمّر بعد العطف، وهذا لتبديد أي شكوك عن أهمية هذه الصحراء وجمالها. كما اعتمد الشاعر على عنصر الإشارة

¹ - نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص38

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص23

(هنا مهبط الوحي)، (هنا العبقریات والمعجزات) للتّعيين والتأكيد لأنّه "من الواضح أنّ التأشير هو واحد من صيغ التأشير المرتبطة بسياق المتكلم، مع الأخذ بنظر الاعتبار الفرق الأساس بين التّعابير التأشيرية التي تعبّر عن قُرب المتكلم وبعيدا عن المتكلم"¹. والإشارة المكانية "هنا" تعدّ فعلا كلاميا تتضمّن معنى غير مباشر وهو تعظيم صحراء الجزائر لأنها أنجبت العباقرة الذين صنعوا المعجزات، والإشارة عنصر إحالي تشير إلى مكان معيّن حيث "يعتمد استعمالها وتفسيرها على مكان المتكلم وقت التكلم"². فيتحدّد تفسير استعمال الإشارات المكانية على معرفة الظروف المحيطة بسياق التلفظ، وقد استعمل الشاعر الإشارة المكانية من أجل غرضٍ وهو التّجليل والتّعظيم، فأضافت الإشارة بعدًا تبجيليا.

كما أكثر الشاعر من الاستعارات المكنية منها: (تبادلنا الشمس)، (يلهمنا الصفو) ففي الاستعارة الأولى شبه الشمس بإنسان، والثانية شبه الصفو بإنسان وأصبغ عليهما صفة الإنسانية التي تقارب بين المعنيين: المعنى المجازي، والمعنى المقصود لإضفاء جمالية ماديّة ومعنوية على الصّحراء، وهذه الاستعارات أضاءت فكرة الشاعر للتواصل مع المتلقين. كما أضاف صورة مقصودة لبيئها في ذهن المخاطب حيث الدور الذي تقوم به الاستعارة هو "اختزال هذه الفجوة - بين الفكرتين المتناقضتين - أو المسافة تلعب المشابهة الدور المنوط بها"³. ولذا فإنّ الاستعارة تجمع بين شيئين مختلفين، حيث تظهر تقاربا بين المعنيين، وتوضّح العلاقة المعنوية الحاصلة بينهما، وتُحيل إلى تصوّر بلاغي تشخيصي بواسطة فعل كلامي مُعيّن.

¹ - جورج بول، التداولية، ترجمة قصي العتابي، ص28

² - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص21

³ - بول ريكو، نظرية التلقي والتأويل، الخطاب وفائض المعنى، ص92

المشهد الثاني والعشرون:

صُمُودُ الْأَمَازِغِ عَبْرَ الْقُرُوفِ غَزَا النَّيِّرَاتِ وَرَاعَ النُّجُومَا
فَكَمْ أَزْعَجُوا نَائِبَاتِ اللَّيَالِي وَكَمْ دَوَّخُوا الْمُسْتَبَدَّ الظُّلُومَا.¹

يعتزّ الشاعر ببطولات الأمازيغ ضدّ كل ظالم منذ عهد الإمبراطورية الرومانية، حيث انهزمت جيوش هؤلاء أمام صمود الأحرار، وشاركت كل الطّاقات الحيّة للأمة لبناء تاريخ الجزائر. جاءت الأفعال الكلامية (غزا النيرات)، (راع النجوم)، (أزعجوا نائبات الليالي)، (دوخوا المستبد) في سياق خبري مباشر، وتضمّنت هذه الأفعال قوّة إنجازية غير مباشرة الاعتزاز ببطولات الأمازيغ في صدّ هجومات الإمبراطورية الرومانية. فالشاعر يريد تحقيق غرض تداولي مع المتلقي، و " إنّما تحقيق الأفعال مسيرة تدفق مجموعة من القواعد من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته أو وصفه السلوكي وينجر عن ذلك أن فهم قول معيّن، يعني التعريف بمحتواه الإخباري"². وأنّ الفعل لا معنى له إذا لم يكن له قصد وشروط؛ قصد الفهم والإفهام، وشروط متعلّقة بالسياق المتلفظ به كاستعداد المتلقي ورغبته وقدرته، فهذه العوامل تساعد السياق في الكشف عن المعرفة التي يمتلكها المتخاطبين من خلال رغباتهم وعلاقاتهم الاجتماعية والثقافية.

ولتدعيم القوّة الإنجازية وظّف الشاعر الإخبار واستعمل التوكيد ب (كم) مرتين الدّالة على الكثرة، و الوظيفة التداولية هي كثرة دهاء الأمازيغ لصمودهم في وجه كل دخيل، فغيّروا من حالهم رغم قلّتهم، وهذا المؤشر اللغوي أبان ب " أنّ اللغة ليست أداة وسيلة للتّخاطب والتّفاهم والتّواصل فحسب، وإنّما اللّغة وسيلة للتأثير في العالم، وتغيير السلوك الإنساني"³، فاللّغة تستعمل للتواصل وتصف ما يستحسن فعله بأسلوب مباشر يعبر عن المقصد مراعي الظروف المحيطة للتأثير في السلوكيات التّواصلية التبادلية.

¹ - مفدي زكريا إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 27

² - c.k.orécohioni la subjectivité dans la langue.armand colin.paris 1980.p185-

³ - جون لانجو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص6

المشهد الخامس والعشرون:

وَهَبْنَا الْعُرُوبَةَ جَنَسًا وَدِيَا وَأَنَا بِمَا قَدْ وَهَبْنَا رَضِيْنَا
إِذَا كَانَ هَذَا يُؤَخِّدُ صَفًّا وَيَجْمَعُ شَمَلًا رَفَعْنَا جَبِينَا
وَإِنْ كَانَ يَعْرَبُ يَرْضَى الْهَوَا نَّ وَيَلْبَسُ عَارًا أَسَانَا الظُّنُونَا
فَأَهْلًا وَسَهْلًا بِأَبْنَاءِ عَمِّ نَزَلْتُمْ جَزَائِرْنَا فَاتَحِينَا
وَمَرَحَى لِعَقْبَةٍ فِي أَرْضِنَا يُنِيرُ الْحَجَى وَيُشِيعُ الْيَقِينَا.¹

قَدِمَ الفاتحون العرب لبلادنا حاملين معهم البشرى، والرسالة المحمدية التي أمتدت جذورها إلى بلاد الأحرار روحيا وفكريا، فأثرت وغيّرت العقلية الجزائرية بالإسلام، وهذه بداية للتاريخ الحديث. الشاعر يُبَلِّغُ رسالة للعرب وغير العرب من هذا الرِّبْعِ بأفعال كلامية حرفية مباشرة بصيغة الإخبار (وهبنا العروبة جنسا ودينا)، (رفعنا جبيننا)، (أهلا وسهلا)، (ومرحى لعقبى) وهي أفعال إنجازية صريحة تتضمن أفعالا كلامية ضمنية هي الافتخار والاعتزاز بالفاتحين المسلمين والترحيب بالقائد الفاتح "عقبة بن نافع".

هذه النبرة السردية تثير موقفا حجاجيا لتعزيز موقف الشاعر من العروبة والإسلام، والموقف الحجاجي تمثّل في القرائن اللغوية (وهبنا، يجمع)، (أهلا وسهلا، نزلتم، مرحى) التي أدّت وظيفة حجاجية وهي إجماع الجزائريين على أنّ العروبة والإسلام هبة من الله، والترحيب والاعتزاز بهما هو اقتناع الجزائريين بهذا الفضل. وهذا الانتماء هو القصد من الحجاج، لأنّ " المقاصد الخاصة في النصوص السردية تتجلى في آليات الحجاج والإقناع"²، فالوظيفة الحجاجية تعطي للفعل الكلامي فاعلية الإقناع، وتكشف مقصد الشاعر من خلال تقرير حقيقة العروبة والإسلام.

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص30

² - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردى، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، ط1، 2012، عالم الكتب،

ولتعديل القوة الإنجازية وظف الشاعر الضمير الجمعي (نا) الذي هو ضمير شخصي وعنصر إحالي يعتمد اعتمادا كاملا على السياق المستعمل فيه الضمير (نا) الذي حدّد المرجعية الدالة على العلاقة الموجودة بين الجزائريين والعروبة، " فالإشارة تعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه ولا يستطيع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه"¹، والإشارة هنا ليست مجرد علاقة بين كلمة ومعنى، بل بين مقاصد الأشخاص والعالم، فهي تعبّر عن حدث اجتماعي وأعراف وتفسّر قصدية المتكلم.

المشهد السادس والعشرون:

وَهَالِ ابْنِ رُسْتَمِ أَنْ لَا نَسُودَا	وَنَبْنِي كِيَانًا لَنَا مُسْتَقِيلًا
فَقَامَ بَتَاهَرْتِ يُعَلِّي اللِّوَا	ءَ وَيُرْسِي نِظَامًا وَيَنْشُرُ فَضْلًا
يُوجِّهُ حُكْمَ الْبِلَادِ الشَّرَا	ةَ بُوْحِي الشَّرِيعَةَ حَقًّا وَعَدْلًا
وَيَجْعَلُ أَمْرَ الْجَمَاعَةِ شُورَى	وَحَقَّ انْتِخَابِ الْإِمَامَةِ فَصْلًا
فَدَوَّخَ بَغْدَادَ فِي أَوْجِهَا	فَكَانَتْ لِتَاهَرْتِ بَغْدَادَ ظِلًّا
وَفَاضَ بِهَا الْعِلْمُ يَجْلُو الْعَقْوَا	لَ وَيَغْمُرُ أَرْضَ الْجَزَائِرِ نُبْلًا ²

لقد أقام عبدالرحمن بن رستم دولة، ورسم العدل في بلاد الجزائر، وبثّ نظام شوري، وبسياسته جعل "تيهert" تضاهي بغداد في الجانب السياسي، كما نشر بها العلم. ضمّ الخطاب أفعالا كلامية مباشرة (فقام بتيهert يعلي اللواء)، (يرسي النظام)، (ينشر فضلا) (يوجه حكم البلاد)، (يجعل أمر الجماعة شوري)، (دوخ بغداد في أوجها)، (فاض بها العلم يجلو العقول) وردت في سياقات خبرية يقصد بها تعظيم عبدالرحمن بن رستم الذي أسّس دولة ب"تيهert" أساسها الحكم الراشد ونشر العلم. وهذه الأفعال الكلامية أدّت وظيفة إنجازية بواسطة بنيتها الحرفية وهي تمجيد هذا العلامة، وكان لها تأثير في المتلقي. ومضمون الفعل الكلامي هو "أنّ كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري وفضلا عن ذلك يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية، لتحقيق أغراض إنجازية، وغايات تأثيرية تخصّ

¹ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص16

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص31

ردود فعل المتلقي¹. هذه الأفعال هي أفعال جزئية اندرجت تحت فعل كلي وهو (هال ابن رستم) لتحقيق الغرض الكلي وهو الاعتزاز بما أقدم عليه "عبدالرحمن بن رستم" الذي يُحيل إلى انجازات تاريخية عظيمة، " فالظاهر أنّ الاسماء تُحيل إلى مسمياتها وفق علاقة دلالية تطابقية بين خصائص المُحيل والمُحال إليه"². إنّ العلاقة بين الأسماء والمسميات تقتضي تطابق بين العنصر المُحيل والعنصر المُحال، والعنصر المُحيل لا يكفي بمعناه للتأويل الكلام، بل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعنصر الخارجي ومقام الحدث.

ولتدعيم القوة الإنجازية استعان الشاعر بالمزاوجة بين الأفعال الماضية والأفعال المضارعة (قام، دوخ، فاض)، (يوجه، يجعل، يغمر،)؛ فالأولى تقرّر حقائق تاريخية عن حكم "ابن رستم"، والثانية توضّح سيرورة هذا الانجاز التاريخي واستمراريته لعقود متتالية، فكلّها تتضمن فعلاً كلامياً يشير إلى مقام التغيير والتحول من وضع إلى أحسن منه.

المشهد السابع والعشرون:

وَعِنْدَ مَسِيلَةِ عِلْمِ الْيَقِـ يَنْ بَمَنْ حَقَّقُوا وَحْدَةَ الْمَغْرِبِ
يَرَى الْفَاطِمِيُّونَ شِعْرَ ابْنِ هَانِـ يَ كَمَا يَتَخَلَّقُ اللَّحْنُ لِلْمَطْرِبِ
وَأَبْدَعَ حَتَّى تَنْبَأَ مِثْلِي وَلَمْ يَتَقَوَّلْ وَلَمْ أَكْـذِبْ.³

يُعظّم الشاعر مدينة "مسيلة" عاصمة "المعز بن باديس الفاطمي"، التي نشأ في حضنها ابن هانيء الجزائري، الذي كان يلقب بمتنبي المغرب العربي. تضمّن الخطاب أفعال كلامية مباشرة (حققوا وحدة المغرب)، (يرى الفاطميون شعر ابن هانيء) (وأبدع حتى تنبأ مثلي) جاءت في سياق خبري تضمّن فعلاً كلامياً غير مباشر مستلزم مقامياً وهو الاعتزاز والفخر وتعظيم الفاطميين، فلقد أبدع الشاعر "ابن هانيء" في الشعر وخاصة في الوصف الخلاق

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص40

² - نعمان بوقرة، مدخل على التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص46

³ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص32

دون أن تكون صورته الشعرية كاذبة حسب قول الشاعر. هذه الأفعال أحوالت إلى إنجازات الفاطميين في الأدب والفن، ف"الإحالة تعبر عن العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم"¹. والإحالة سواء كانت بالضمائر أو أسماء الإشارة والموصولية فإنه يقصد بها الإحالة الخارجية وفق العلاقة بين المخاطب والمتلقي في العالم الخارجي، وتُسهم في خلق تواصل اجتماعي.

ولتدعيم القوة الإنجازية استعمل التركيب "وحدة المغرب" التي كانت من اهتمامات الفاطميين لاستقرار حكمهم، ثم دَعَمَهَا بجملة حجاجية "أبدع" للدلالة على امتلاك ابن هاني ناصية الشعر. فقد أبدع الشاعر في التّوحيه بـ"المعزّ الفاطمي" بلغة واصفة لشخصه، معبرا عن فكرة بدت له معظما لعلمه وتوحيده المغرب، حيث أقام الشاعر علاقة بين لغة النّظم وأفكاره، فـ " هذه المقاربة للعلاقة بين اللغة والفكر تتحقّق إذن من خلال علاقة تعبير عن فكر القائل بواسطة القول أو من خلال علاقة تمثيل فكرة الغير بفكرة القائل"². فاللغة هي عبارة المتكلم التي تعبر عن مقصود وفكرة تحرّ في نفس المتكلم، فاللغة تمثّل عند الاستعمال أداة للتعبير والتغيير عن أغراض فكرية مرتبطة بالمجتمع بغية الإفادة من الكلام.

المشهد التاسع والعشرون:

بُولُوغِينَ يَا مَنْ صَنَعْتَ الْبَقَا سَنَحْفَظُ عَهْدَكَ وَالْمَوْتَقَا

فِيرْمُوسَ أَمْ أَنْتَ مِنْ شَادَهَا؟ فَحِيرَتَ الْغَرْبَ وَالْمَشْرِقَا

بَنَيْتَ الْجَزَائِرَ فَوْقَ السَّمَاءِ كِ فَكَانَتْ لِمِعْرَاجِنَا الْمُرْتَقَى³.

حوى النّص أفعالا كلامية مباشرة تقريرية واصفة (بولوغين يا من صنعت البقا)، (حيرت الغرب والمشرق)، (بنيت الجزائر) هو إخبار عن بطولات "بولوغين" الذي شيّد الجزائر العاصمة، فاحتار الغرب والمشرق العربي من هذا الصنيع، وهو بذلك يريد تحقيق فعل إنجازي غير مباشر وهو الإشادة بعمل بولوغين وتعظيمه، لأنّه ساهم في ارتقاء هذا

¹ - نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص45

² - آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص187

³ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص34

الوطن حتى سما في العالمين. وهذا المقصد يعد من المكونات التي تسهم في تحقيق الأفعال الكلامية حيث يرى فان ديك van dijk أن " أغراضنا ومقاصدنا من هذه الأفعال إنما يتأسس من ناحية أخرى على مجموعة من المعلومات، وضروب المعرفة والاعتقادات"¹. فالمتكلم وهو الشاعر يعبر عن فعل اجتماعي وانفعالات نفسية على وجه التعظيم، و الفعل الكلامي يعبر عن جانب ارتياحي وهو التعلق الشديد بالوطن.

وكان لتوظيف الاسمين (معراج، المرتقى) مزية لتقوية إنجاز الفعل الكلامي للدلالة على سمو الجزائر ورفعتها وعلو شأنها، وهذا تخصيص لها. كما استعمل أيضا ترادفا أورده لتأكيد هذا الغرض ليثبت علو منزلة "بولوغين"، وأكد ذلك أيضا بتكرار ضمير المخاطب المتصل العائد على بولوغين (التاء) و كاف الخطاب، والضمير المنفصل (أنت) وذلك لتقوية المعنى، ولأن التكرار " يحقق الوظيفة الإقناعية في مقامات معينة التي تفيد تثبيت الفكرة في مقامها"²، والتكرار له وظيفة تداولية تتمثل في إقناع المتلقي بالفكرة، فالتكرار يفضي بالمعنى الحرفي إلى معنى تأكيدي له.

المشهد الثاني والثلاثون:

وَتُنَجَّبُ نَدْرُومَةُ الْخَالِدِ يَنْ فَتْعِلِي الْجَزَائِرُ مَنَّا الْجَبِينِ
وَيَصْنَعُ وَحْدَتَنَا ابْنُ عَلِيٍّ فَيَرْفَعُ رَايَتَهَا بِالْيَمِينِ
وَتَحْدُو مَرَاكِشُ أَقْدَارِهَا فَتَنْفِضُ عَنْهَا غِبَارَ السِّنِينَ
وَيَنْبِضُ قَلْبٌ بِأَرْضِ الْجَزَا نَرِ، تُمَسِّكُ تُونِسَ مِنْهُ الْوَتِينَ
وَتَنْصَبُّ أُنْدُلُسَ عِنْدَنَا وَتَرْتَاخُ لِلْعَرَبِ النَّازِحِينَ³.

أنجبت "ندرومة" عبدالمؤمن بن علي أمير الموحدين فوحد بين الجزائر والمغرب وتونس بعد القضاء على المرابطين، واطمأنت الأندلس لهذه السياسة المتبعة لاستتباب الأوضاع السائدة آنذاك. في هذه الأبيات ورد السياق مثمنا لأفعال كلامية مباشرة حرفية

¹ - فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص263

² - نعمان بوقرة، مدخل على التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص105

³ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ امة وقصة شعب، ص37

إخبارية (تتجب ندرومة) (يصنع وحدتها ابن علي)، (يرفع رايتها باليمين)، (وتحدو مراكش أقدارها)، (ينبض قلب بأرض الجزائر)، (تمسك تونس منه الوتين)، (تتصب الأندلس عندنا) التي دلت على أفعال غير مباشرة هي: المدح وتعظيم لـ "ابن علي" الذي وحد هو الآخر المغرب العربي، وانتصر للنازحين الأندلسيين من مذابح الصليبيين. وهذه غاية تداولية تبديها الأفعال الكلامية لإفادة المخاطب بمعلومات، حيث يقصد بها "حصول الفائدة لدى المخاطب من الخطاب ووصول الرسالة الإبلاغية إليه على الوجه الذي يغلب على الظن أن يكون مراد المتكلم وقصده هي الثمرة التي يجنيها المخاطب من الخطاب"¹. فالتفاعل بين المرسل والمتلقي حين استعمال اللغة يهدف إلى إقناع المتلقي واستمالته قصد تغيير ما هو موجود في الخارج.

ولتقوية الأفعال الكلامية وتوضيح معناها وظّف الشاعر الاستعارة المكنية (تتجب ندرومة)، (تحدو مراكش)، (ينبض قلب الجزائر)، (تمسك تونس)، (تتصب الأندلس)، إذ نرى تباينا بين الألفاظ في الاستعارة أي بين التأويلين: أحدهما حرفي والآخر مجازي يخلق معنى جديدا نابعا من داخل الجملة يُحيل إلى ابتكار دلالي، لأنها قائمة على المشابهة، حيث تحدث استجابة لدى المتلقي وتمدّه بفائدة بفعل العملية الذهنية. فلقد شبه مدينة "ندرومة" بامرأة" تتجب مولودا يصنع حدثا في المغرب العربي، وهذا من باب التشخيص قصد التوضيح والتبيين لتسهيل الفهم، لأنّ الاستعارة "هي صورة توفّر فيها المشابهة سببا لإحلال كلمة مجازية محل كلمة حرفية غائبة أو مغيبة"². إنّ المتكلم يكون واعيا لإيصال مفهوم الفعل الاستعاري، وإذا عجز المتلقي فهم سياق الاستعارة الواردة في المضمون، فإنّه يضطر إلى إعادة المعلومات من المتكلم ليكتشف المتلقي القصد من استعمال الاستعارة.

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهر الأفعال الكلامية في تراث اللسان العربي

ص186

² - بول ريكو، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ص88

كما قام الشاعر بتوظيف مؤشر لغوي وهو نوع من الروابط الـ "واو" لتأدية دور مهم في العملية الاستدلالية وتيسير عملية التأويل وفق ما تقتضيه إجراءات الروابط التي "تساهم بصورة أساسية في توجه العمليات التأويلية"¹. وفي هذا يرى سبربر وولسن أنّ "المخاطب المؤول لقول استعاري سيحصل عددا من الاستلزمات الصادقة"²، لأنّ تأويل الاستعارة ينبجس من خلال التفاعل بين المتكلم المؤول، وهذا التأويل تفرضه طبيعة السياق والأدوات اللغوية، ولا ينطبق تأويل المتلقي وكلام المتكلم إلا إذا اتفقا في الانتماء البيئي والثقافي. وتأكيدا لذلك فإنّ هذه العبارات الإنجازية لها فعل إنجازي استعاري غير ظاهر على مستوى البنية السطحية، لكنّها تحمل صدقا في الواقع إذ "أنّ الاستعارة كاذبة من الوجهة الحرفية ولكنها صادقة من الوجهة غير الحرفية"³، فهذا الحكم عام عن الاستعارة في سياق الكلام، وهناك تقابل بين المعنى الحرفي والمعنى الضمني لأنّ الاستعارة ليست دائما كاذبة، فالتأويل وفق الواقع يجعلها صادقة بغية الإقناع.

المشهد الثالث والثلاثون:

تلمسان مَهْمَا أَطَلْنَا الطَّوْافَا إِلَيْكَ تَلْمَسَانُ نُنْهِي الْمَطَافَا
يَغْمَرَسَنَ الشَّهْمُ ضَاقَ اصْطَبَارًا وَغَالَبَ خَمْسِينَ عَامًا عِجَافَا
وَأَصْلَى بَنِي حَفْصٍ حَرَبًا عَوَانَا وَمَا اسْطَاعَ بَابَن مَرِينِ اعْتِرَافَا
فَكَانَتْ تَلْمَسَانُ دَارَ سَلَامٍ وَأَمْرُ الْجَزَائِرِ فِيهَا ائْتِلَافَا.⁴

يُعَظَّم الشاعر مدينة "تلمسان"، مدينة الزّيانيين التي أسسها "يغمراسن" 733هـ التي انفصلت عن دولة الموحدّين بـ"مراكش" مدّة خمسين سنة، حيث انتشر فيها السلام والأمن وتوحّد سكانها. تضمّن هذا المشهد جملا هي أفعال كلامية مباشرة ذات قوة إنجازية حرفية صريحة (أطلنا الطوفا)، (ضاق اصطبارا)، (أصلى بني حفص)، (كانت تلمسان دار سلام)

¹ - آن رويول، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص172

² - المرجع نفسه، ص192

³ - المرجع نفسه، ص193

⁴ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص38

تمثّلت في الإخبار عن صنيع رجالها في تحقيق الانتصارات من جهة، وتحقيق الأمن من جهة أخرى حيث اشتملت على قوة إنجازية مستلزمة مقاميا هي تقرير حقيقة تاريخية الممثلة في تعظيم القائد الزياني وجنده و التّئويه ببطولاته. وهذه الأفعال الوصفية الغرض الإنجازي منها هو " نقل الواقع نقلا آمينا، فإذا تحققت الأمانة في النقل فقد تحقّق شرط الإخلاص، وإذا تحقّق شرط الإخلاص أنجزت الأفعال إنجازا ناجحا"¹. إنّ الاخباريات تنقل الأحداث أو الواقعة بصدق وأمانة كي يتحقّق الفعل الانجازي وهذا شرط أساس في وجودية الأفعال الانجازية من قبل المتكلم والمتلقي.

توالت الأفعال الكلامية الصغرى بين الصبر الذي لا يطاق من خلال الفعل الكلامي (ضاق) ثم تحقيق الانتصار بأشدّ العذاب بالفعل الكلامي (أصلى)، وبعده تحقيق السّلم وتوحيد البلاد تحت راية الزيانيين، وهذا الخطاب بُني كلّه أيضا على فعل غير مبشر وهو تعظيم "يغمراسن" الشّهم الذي حقّق مكانة لتلمسان حيث الوحدات الصغرى منسجمة فيما بينها لتأدية وحدة كلامية كبرى لها مقصد موحّد، لذا فـ" إنّ الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي أشار لها سيرل تتضمن عناصر أو خصائص صوتية ونحوية ومعجمية متكاملة تتعاون كلّها في التّعبير عن الفعل الإنجازي الذي يعبّر به المتكلم في اتّصاله بالسامع عن موقف اتصالي معين"². إنّ الوحدة الصغرى التي اعتدّ بها سيرل تتضمن خصائص صوتية وحرفية ومعجمية تتعالق للتعبير عن الفعل الانجازي الصادر عن المتكلم لبيّته للسامع في موقف تواصلية محدّد.

والقوة الإنجازية المؤكّدة لمضمون الخطاب هي هذه الأفعال (اصطبارا، عجافا) التي تدلّ على الالتفاف حول انتصارات هذا القائد. كما وظّف أسلوب النّفي (ما استطاع) الذي فيه تهكّم وسخرية لجبن الخصم أمام قوة المقاومة ليعبّر عن فكرة، لذا " يرى سبربر وولسن

¹ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص103

² - علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، 51

أن جميع الأقوال الحرفية وغير الحرفية هي تعبير عن فكرة ما لدى القائل"¹، الذي يرسل أفعالا كلامية وفق إرادته حيث تقتضي رصد معنى وهدف للإفهام والفهم ليتأسس بين القائل والمتلقي تواصل وحجاج بمنطوق حرفي يُحيل إلى قول غير حرفي يكون هادفا لأنّ ينهض بمقتضيات التواصل المتعلقة بالسياق.

المشهد الرابع والثلاثون:

وَأَوْغَرَ قَلْبَ الصَّلِيبِ الْحَقُودِ عَلَانًا وَأَمَعَنَ فِيهَا الْحَسُودِ
وَطَافَتْ بُوْهْرَانُ جِيطَانُ غَدْرًا وَزِيَانُ مَا اسْطَاعَ حَشَدَ الْجُنُودِ
وَلَعَلَّ فِي بَرْبُوسَ نَدَاهَا فَتَّارَ وَأَقْسَمَ أَنْ لَا يُغُودِ
وَلِلدِّينِ خَيْرٌ يَصُونُ حِمَاهُ وَأُسْطُونَا فِي الْبَحَارِ يَسُودِ
قِرَاصِنُهُ الْبَحْرِ عَاثُوا فَسَادًا فَأَدَّبَ لَيْثُ الْبَحَارِ الْقُرُودِ.²

ازداد الصليبيون حقدا على الإسلام، فكانت هناك حملة صليبية على "وهران" من قبل الإسبانين والبرتغاليين والفرنسيين، فأنقذ الموقف "بربروس" وثار على هؤلاء القراصنة الذين عاثوا فسادا في عُباب البحر. تضمّنت هذه الأبيات أفعالا كلامية مباشرة (أوغر قلب الصليب الحقود)، (وطافت بوهران جيطان غدرا)، (قراصنة البحر عاثوا فسادا)، (ثار وأقسم)، (وللدين خير يصون حماها) فعلا في القول هو وجود حقيقة تاريخية في سلسلة التاريخ الجزائري وهو استجداد الجزائريين بالقائدين التركيين الأخوين "بربروس" و"خير الدين" للتخلص من القراصنة الصليبيين.

وتولّد عن هذا الفعل أفعالا كلامية غير مباشرة في الأفعال الثلاثة الأولى حيث يخبر الشاعر عن الحقد الصليبي، وفي الأفعال التالية يخبر عن صد الأخوين لهذا الهجوم بكلّ شجاعة وإقدام. وعموما الفعل المتضمن في القول هو الإشادة بشجاعة الأخوين من جهة، وذم الغزاة من جهة أخرى في شكل تقابلي. والشاعر رغم صدقه في هذا الوصف، إلا أنّ "معيّار الصدق والكذب هنا ليس بالقياس إلى القيمة الإبلاغية التي تحملها الرسالة، وإنّما

¹ - آن روبل، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص 187

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 36

من زاوية الالتزام بالواقع الموصوف¹، فالصدق والالتزام بالواقع مرهون في نقل القول الذي يتعلّق بالجانب التبليغي في الخطاب والجانب التهذيبي، وأنّ الكلام المنقول يدعو إلى النفع والفائدة بأفعال كلامية تتضمّن ذلك.

ولتدعيم القوة الإنجازية لهذين الفعلين وظّف الشاعر صفات تنمّ عن الحقد الصليبي الدّفين للإسلام وللشعب الجزائري بالألفاظ (أوغر، الحقود، غدرا، فساد، القروذ)، ومن جانب آخر أثبت صفات نادرة للأخوين الدّالة على شجاعتهم بالألفاظ الوصفة (لعلع، ثار، يصون، يسود، ليث)، هذه المواصفات تؤكّد حقيقة الصراع التاريخي ضد الغزاة.

الخامس والثلاثون:

وَجَاعَتِ فرنسا فكنّا كرامًا وكنا الألى يطعمون الطّعما
فأبطرهم قمحنا الذهبى وكم تبطر الصدقات اللئاما
وباعت فرنسا ضمير اليهود فباع ضمير اليهود الدّاما
وما كان بوشناق إلا ابن آوى وما كان بؤخرىص إلا طّعما
وخرّب شارل المريض فرنسا فثار بها الشعب يغلي انتقاما
وضاق الفرنسيين بالعاطلين وما ذاق شارل المريض المناما
وأوحى له قمحنا غزونا فأطلق هذي القُموح سهامًا²

أصاب فرنسا مجاعة فاستطعت الجزائر، وشبعت من قمحها، لكنّ الفرنسيين بطروا لأنّهم لئام بتواطؤهم مع اليهود، فقام العميلان اليهوديان: "بوشناق" و"خريص" الحقيرين بتمويل فرنسا بالقمح الجزائري، كما دمر "شارل" حاكم فرنسا بسياسته الفاشلة بلاده فنتج عن ذلك كثرة العاطلين، فاتخذ من حادثة المروحة سبيلا لاحتلال الجزائر.

جاء هذا الخطاب حافلا بالأفعال الكلامية المباشرة الدّالة على الإخبار وهي أفعال صغرى للنص (جاعت فرنسا)، (أبطرهم قمحنا)، (كنا الأولى يطعمون الطّعما)، (كم تبطر الصدقات اللئاما)، (باعت فرنسا ضمير اليهود)، (وما كان بوشناق إلا ابن آوى)، (خرّب

¹ - الطاهر بومزير، التواصل اللساني والشعرية، مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة ط1، 2007، ص35

² - مفدي زكريا، إياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص40

شارل المريض فرنسا)، (وأوحى له قمحنا غزونا) والفعل الكلي لهذه الأفعال هو التّعجب من حُمو فرنسا التي عصّت اليد التي أطعمتها، فالأفعال الكلامية الصغرى لها متضمنات في القول على التوالي: الاحتياج، النّظاھر بالقوة فالتّعدي، الاعتزاز بكرم الجزائريين، التّأمر الفرنسي مع اليهود، تحقير الخونة، إلحاق الضرر بالجزائريين. وجزء هذا الترتيب يمكن القول " إنّ متواليات أفعال الكلام الإنجازية- المكوّنة من أفعال إنجازية ذات بنية صغيرة ومحددة- مثلها مثل الأفعال المجردة تستدعي وضع تخطيط وتأويلا، أعني أن بعض المتواليات الخاصة بأفعال الكلام الإنجازية تنوي قصدا وتخطيطا، وتقهم كما لو كانت فعلا إنجازيا واحدا"¹، فكلّ فعل كلامي يُسهم في تتمة الفعل الذي قبله لإنجاز فعل كلامي معيّن ضمن متواليات كلية التي تحتكم إلى العلاقات بينها بالتفسير والتحليل.

ولتعديل القوة الإنجازية كرّر الشاعر فعل (ما كان) التي أفادت جحود بوشناق وبوخريص لجود وكرم الجزائريين وعيشهم معهم آمنين، ثم تأمرهم مع المحتل، وهذا التكرار يُحيل إلى فضل الجزائر على فرنسا حيث أطعمتها بالقمح الجزائري، فقابلت المنح بالحرب. أمّا النّفي بالحرف (ما) الوارد في الخطاب هو مؤشر تداولي في الأفعال الإنجازية، يحمل دلالة بلاغية، إذ "هو شطر الكلام كلّ"²، فتمّة دور مهمّ للحروف في الفهم والإفهام، فهي الأخرى لها قوّة انجازية دالة على معاني مختلفة حسب السياق، وصالحة للمقام التواصلية المهيم لتحقق القصد بين المتكلم والمتلقي.

ووظف أيضا صفات دنيئة للفرنسيين واليهود لكونهما ملة واحدة (باعث، ابن آوى، طغاما سهاماً) التي تدلّ على مكروهم وحقارتهم، فاستعملوا هذه الحيلة لأنّ الجزائر طلبت استرداد ديونها حينها لم تستغ فرنسا مطلبة الجزائر باسترداد ديونها من فرنسا في صفقات بيع القمح.

¹ - النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، ص316

² - الزركشي بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، (دت)، 377

وهذا المشهد يوضح سلوكيات انتهجها المحتلّ من خلال بنية الأفعال التداولية (أبطرهم، باعت خرب) التي تضمنت فعلا اجتماعيا تواصليا، يصف واقعا معيّنا انطلاقا من الفعل اللغوي الواصف لتبيين الخداع الماكر لأنّنا نجد " في داخل الفعل الاجتماعي يعزى للفعل التواصلي أهمية خاصة"¹، وهذه الأهميّة مساعدة الجزائر لفرنسا بالغذاء للتواصل في الجانب الاجتماعي والسياسي، لكن مكرهم أفسد هذا التعاون.

المشهد السادس والثلاثون:

غَزَا "لاموريسير" أحمدَ باشا فَقُمْنَا بِسِيرَتَا نَصُونُ الحِمَى
وثرْنَا نُقاوْمُ بيْتًا فبيْتًا وشَبْرًا فشَبْرًا ونُسْبِي الدُمَى
ولولا تخاذلُ بعض الكسالى الرعا ديدُ لم نفلتِ المجرمًا.²

احتلّ "لاموريسير" مدينة قسنطينة سنة 1838م، فقامت المقاومة الجزائرية ببعدين أساسيين هما: البعد السياسي الرّسمي، والبعد الشّعبي، وكانت هناك نهاية للمقاومة الرسمية، لكن المقاومة الشعبية بقيت متواصلة، حيّا فحيّا، ودارا فدارا، ودام الحصار سبع سنين كاملة. في هذه الأبيات سلسلة من الأفعال الكلامية المباشرة تتضمن الإخبار (غزا لاموريسير أحمد باشا) (قمنا بسيرتا نصوصون الحمى)، (ثرنا نقاوم)، (لولا تخاذل بعض الكسالى) تولّدت عنها أفعال كلامية متضمّنة في القول وهي: ظلم المحتلّ للجزائريين إثر الغزو، يقابله تضحية أبناء قسنطينة، فعتاب ولوم للخونة. وهذه الأفعال المستعملة وردت لتبليغ فكرة الإخبار عن الاحتلال الفرنسي مستعملا الفعل الكلامي (غزا) على ابتداء المحتل غزو أرض الجزائر، فأعقبه بالفعلين الكلاميين (قمنا، ثرنا) اللذان يدلّان على فعل كلامي غير مباشر وهو الشجاعة والإقدام لمقاومة المحتل رغم قلّة العدد والعتاد، ثم عطفها بالفعل الكلامي (تخاذل) الذي يدلّ على فعل غير مباشر وهو الخيانة والجبن التي اتخذها بعض أذئاب المحتل. إنّ حمولة هذه الأفعال معرفية يبتغيها الشاعر، ومن خلالها يستطيع المتلقي تحديد الأغراض والمقاصد، لأنّ هذه الأفعال لا تتضمن وظيفتها إلا في مرجعيتها وفق هذا السياق،

¹ - كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ص 132

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 41

و لأنّ القصد "يعدّ محورا أساسيا في المجال التداولي، وفي المجال التخاطبي كذلك، وإذا كان المجال يتناول الأقوال والمعارف والمعتقدات المشتركة المتعلقة بالمتكلم والمخاطب، فإنّ المجال التخاطبي يتضمن هذه العناصر التداولية باعتبار المتكلم والمخاطب يستحضران بعض هذه الأقوال والمعارف والمعتقدات المشتركة في زمن الخطاب"¹. والتعويل على القصد يبيّن تفاوت المقصود من القول ومضمونه، فيحتاج المخاطب إلى تحمّل مسؤولية المراد من القول كما يتحمّله المتكلم في قصده سواء بطريق التلميح أو التصريح.

ولتعديل القوة الانجازية استعمل الشاعر حرف الشرط (لولا) الذي دلّ على انعدام النصر الكلّي لوجود الخونة الذين نكسوا على أعقابهم وتخلّفوا عن وطنيتهم، لأنّ الحروف هي الأخرى " تؤدي إنجاز فعل مباشر من خلال معانيها الحرفية الأصلية"²، فهي تؤدي فائدة في السياق ولها معان عدّة تبعاً لمقتضى الحال والجانب العرفي مثلها مثل الأفعال الكلامية، وفائدتها تعود على السامع، فالتداولية توظف استعمال الحروف لاهتمامها بمقاصد المتكلم لما يستعمل الحروف ضمن السياق.

المشهد السابع والثلاثون:

أيا عبدالقادر كنتَ القديرًا وكان النضالَ طويلاً عسيرًا
شرّعتَ الجهادا فلباك شعبٌ وناجاك ربّ فكان النصيرًا
ونظمتَ جيشًا وسُستَ بلادًا فكنتَ الأميرَ الخبيرَ الخطيرًا
وألهبتَ في القابعين الحنايا وأيقظتَ في الخانعين الضميرًا
وحملتَ "ماريان" مالا تطيق وجرعتَ "بيجو" العذاب المريرا.³

يُثني الشاعر على "الأمير عبدالقادر" الذي فتح باب الجهاد وبايعه الشعب 1830م في مدينة معسكر، حيث أسس جيشا لمقاومة المحتل، وتقاعس الخونة وذوي القلوب الضعيفة المندسة في صفوف المقاومة، لكن الجهاد أشرب فرنسا بقيادة "بيجو" مرارة لن تنساها.

¹ - أحمد كروم، مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015 ص161

² - علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص108

³ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص42

احتوى الخطاب على فعل كلامي كلي (أيا عبدالقادر كنت القديرا) الذي دلّ على تعظيم الشاعر لقائد الثورة الجزائرية، وانطوت في ظلّه أفعال كلامية المباشرة صريحة (شرعت الجهاد)، (لباك شعب)، (ناجاك رب)، (كان النصيرا)، (نظمت جيشا) (ألهمت في القابعين الحنايا)، (أيقظت في الخانعين الضميرا)، (جرعت بيجو العذاب المريرا) والتي هي أفعال كلامية صغرى غير مباشرة وردت بشكل متتالي وهي: تعظيم إعلان الجهاد، الاعتزاز بروح الجهاد لدى الجزائريين، نصره الله للقائد والشعب معا، تحريك نفوس الضعفاء والمترددين للجهاد، ثم إذلال "بيجو" وانهزامه. هذا الخطاب هو وحدة تداولية كبرى تقرّعت عنه هذه الأفعال التداولية التي بينت العلاقة القائمة بين الكلام والسياق، فـ " نفهم من التداولية الكبرى دراسة التنظيم الشامل للفعل المشترك الإنجاز، أعني متوالية أفعال الكلام والسياق وعلاقتهما ببنية الخطاب"¹. وإنّ متواليات الخطاب الممثلة في الجمل والعبارات والسياق تترابط فيما بينها، فالجملة السابقة والجملة اللاحقة يحملان قصدا معيّنا من أجل جعل إمكانية الأفعال الكلامية تعبّر عن المقصود.

ولتعديل القوة الإنجازية استعمل الشاعر في سياقات الخطاب قوة انجازية تمثلت في الفعلين المباشرين: (لَبَّاك، نَجاك) لتأكيد تلبية الشعب لنداء الجهاد ومباركة الله لهذا لجهاد، وهذا بدوره يتضمن فعلا غير مباشر وهو الطاعة والإخلاص. كما جاء السياق موضحا لاستراتيجية الخطاب من خلال الأفعال الكلامية المعبرة بشكل صريح عن مكونات شخصية الأمير عبدالقادر قتالا وأخلاقا وسياسية الموافقة لقوانين الخطاب من إخبار، وشمول، وصدق وإفادة حيث " يرتبط قانون الشمول بقانون الإخبارية، لأنّ الشمول يكون عند الإخبار، وهما يخضعان لقانون الفائدة، وهذه القوانين تتحرك في نسق، ويجب إعطاء الخبر على ما يحتويه من معلومات ولكن في حدود الإفادة"².

¹ - فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص 309

² - عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 111

نلمس في هذه الأفعال الكلامية (شرعت الجهاد)، (أيقظت في الخانعين الضميرا) تواصلًا عُرْفيا حيث قام الأمير عبد القادر في التواصل مع الشعب وتحريضه على مقاومة المحتل حيث أنجز أفعالا بمشاركتهم وقد تحققت شروط التواصل، لأنّ (الأفعال اللغوية ليست قصدية فحسب، بل عرفية أيضا"¹، فالأمير عبد القادر كان له مقصد وهو دحر الغاصب من أرضنا بشكل عرفي واعتقادي، وتوفّر شرط الإخلاص هو الذي مَكّن من تحقق القصد المعبر عنه عرفيا من خلال الفعل الكلامي الموجّه إليهم.

كما وظّف الشاعر قرينة لغوية وهو تكرار ضمير المخاطب (أنت) الذي يُحيل بشكل مباشر إلى الأمير للدلالة على التّعيين، فوظيفة اللغة "إنّما هي التّعيين والإحالة"²، وهذا العنصر اللغوي (أنت) المكرّر يشير إلى معيّن اختزالا للكلام وتجنبًا للتكرار حين الإحالة إلى ملفوظ يحتوي ألفاظا تعبر عن حدث.

المشهد الثامن والثلاثون:

تَلَقَّفَ رَايْتَكْ ابْنَ الْجَزَائِرِ وَعِنْدَ ابْنِ زِيَانِ تُبْلَى السَّرَائِرِ
وَهَبَّ الزَّعَاطِشَةُ الثَّائِرُونَ نَ فَهَبَ لِنُصْرَتِهِمْ كُلُّ ثَائِرِ
تَحَدَّى ابْنُ زِيَانِ سُخْفَ اللَّيَامِ فَمَاتَ الشَّهِيدُ فِدَاءَ الْجَزَائِرِ.³

حمل القائد "عبد الرحمن بن زيان" راية الجهاد بعد الأمير عبد القادر في واحة الزعاطشة قرب مدينة بسكرة سنة 1846م ودامت ثورته سبع سنوات ولقي حينها حتفه واستشهد هذا البطل بعد إبادته لجيوش فرنسية. يخبر الشاعر عن مشهد من مشاهد الثورات الشعبية بأفعال كلامية حرفية مباشرة (تلقف رايتك ابن الجزائر)، (وعند ابن زيان تبلى السرائر)، (هب الزعاطشة الثائرون)، (مات الشهيد فداء الجزائر)، التي تضمنت فعلا كلاميا غير مباشر هو تعظيم بطولات الزعيم "عبد الرحمن بن زيان" وتلبية الشعب لنداء الجهاد، والذي تكشف عنه أفعال أخرى غير مباشرة، (تلقف) الذي يدل على إقبال الشعب على الجهاد بكل عفوية

¹ - كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ص125

² - آن روبول، جاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ص159

³ - مفدي زكريا، إياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص43

واطمئنان، و(تبلى) يقصد بالفعل التضحية بالنفس والنفيس، أمّا الفعلين (تحدى، مات) فكلاهما يدلان على فعل متضمن في القول وهو الإصرار على الشهادة. هذه الأفعال الكلامية تُحيل إلى تعظيم القائد وتعظيم الثوار، وهذه وظيفة تعبيرية يبلّغها الخطاب بحكم "أنّ المتكلم هو الذي يحيل باستعماله التعبير المناسب؛ أي أنّه يحمل وظيفة إحالية عند قيامه بعملية إحالة"¹، فالمتكلم يتلفظ بعناصر إحالية تسهم في الترابط اللغوي، ودليل إلى المقصود من خلال السياق.

ولتدعيم القوة الانجازية قام بتكرار الفعل الكلامي (هَبّ) المتضمن في القول وهو التحام الثوار والقائد، فالتكرار هنا "يكتسب أبعاد جديدة تستطيع القيام بوظيفة وصفية تأكيدية"²، والتكرار لفظ لغوي يستحضر القيم الفاضلة ويعدّها ويحيل إلى إلى القوة والشجاعة والبسالة في القتال حين النجدة والاستغاثة.

إنّ الأفعال الكلامية (هَبّ الزعاطشة)، (تحدّى ابن زيان) أدّت وظيفة تواصلية ترجمها النص المذكور، لأنّ "وظيفة النص تحدد كيفية التواصل في النص، أي نوع الاحتكاك التواصلية الذي عبر عنه الباث تجاه المتلقي"³، حيث أبدى النص قصدا واضحا وحقيقي، لأنّ الهبة والتّحدي لا تكون إلا من واقع المشاركة بين الثائر والثوار من الشعب، وقد تأثر هؤلاء بالفعل التأثيري نسبة إلى أفعال لغوية إنجازية وضحا النص.

المشهد الأربعون:

بُو سِيدِي الشَّيْخ قَادُوا النِّضَالَ فَهَزُّوا الثَّرَى وَأَذَابُوا الْجِبَالَ
سُلَيْمَانُ حَمَزَةُ آلَى يَمِينًا فَبَرَّ وَأَصْلَى الْمُغِيرِ الْوَبَالَ
سَلُّوا "بُوبريت" الْعَقِيدَ الْمُسْجَى وَحَمَزَةُ يَغْرُسُ فِيهِ النَّبَالَ

¹ - جون براون، وحوون يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، جامعة الملك سعود، السعودية،

ط1997 ص36

² - قاسم المقرن، هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي، دار السؤال، دمشق، سوريا، 1984، ص148

³ - كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل على المفاهيم الأساسية والمناهج، ص138

ويستل من صدره روحه¹ بينماه يبكي عليه الثكالي¹.

قام "الباشاغا سليمان بن حمزة بن بوبكر" بثورة ضد الفرنسيين والتفّ حوله أولاد سيد الشيخ سنة 1864م وهزموا العدو، ثم قاوم جيشا آخر بقيادة الكولونيل "بوبريت" ودامت المعركة طويلا وهزم جيش الاحتلال، وكانت نهاية الكولونيل على يد البطل سليمان بن حمزة.

في سياق هذه الأبيات أفعال كلامية مباشرة مستعملة للإخبار والوصف (بنو سيدي الشيخ قادوا النضالا)، (هزوا الثرى)، (أذابوا الجبالا) عبّرت عن هذا الموقف التاريخي حيث أخبر الشاعر عن قيام الباشاغا سليمان بإدارة المعارك ضد الجيوش الفرنسية وألحق بها هزائم نكراء، وتشير هذه الأفعال إلى فعل إنجازي غير مباشر وهو الشجاعة والبسالة، وتوحيد الصفوف، بينما الأفعال الكلامية المباشرة الحرفية (آلى يمينا)، (أصلى المغيرا الوبالا) تضمنت أفعالا متضمنة في القول وهو الإصرار والإلحاح على دكّ العدو دكا، والأفعال الكلامية المباشرة (حمزة يغرس فيه النبالا) (يستل من صدره روحه)، (يبكي عليه الثكالي) تحقق أفعالا بشكل ضمني وهو الحقد الشديد لحمزة على قائد الكفر لتشديد الخناق عليه. وإنّ ما قصده الشاعر من هذا الخطاب لدليل على تعظيمه للبطولات الملحمية، إذ "لا توجد أفعال دون مقاصد تتجه إليها"²، فالمقاصد من الأفعال في السياق لا تركز إلى المكونات الداخلية، بل إلى تفسير الوضع للمتلقى.

ولتعديل القوة الإنجازية اختار الشاعر أفعالا تقتضي مقام الشجاعة والتضحية بـ (أصلى) الذي جمع الأفعال في فعل كلامي غير مبشر وهي تصلية المحتل نار الثورة وإذاقته طعم الجحيم.

إنّ النص يوضّح أنّه لولا التواصل والاحتكاك بالثوار لما استطاعت الشخصية الثورية الواردة في الخطاب إلحاق الهزائم بالمحتل المغير، وفي هذا النص لعبت البنيات اللغوية دورا

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص45

² - جون سيرل، القصديّة، بحث في فلسفة العقل، تر: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2009،

أساسيا خارج النص وداخله؛ فداخل النص اتّضح القصد من النص من خلال الأفعال الكلامية (قادوا يغرس، يبكي) وهي أفعال وصفية لحال المحتل وما تضمنه من خسران في مواقع عدّة، والقائم بهذه الأفعال هو الشخصية التي أثرت في الشعب الثائر، أم خارج النص فبنيات النص أفصحت عن مرجعية الثوار المتمثلة في الجهاد (النضال) الذي دفع بالشعب إلى هبة ثورية، وهذه الأبنية اللغوية هي التي عبّرت عن التواصل فهي " صيغ وأبنية لغوية يعبر بها الإثبات بشكل صريح عن نوع الاحتكاك التواصلية المقصود حيال المتلقي"¹. إن الصيغ والأبنية اللغوية تغيّر من حال التّخاطب فتقوم بالفعل الانجازي التأثير على المتلقي بالتشارك الاجتماعي والاعتقادي، فهي تتموقع في وضعية وسيلة للإفصاح عن القيم والاعتقاد.

ولتحقيق الأفعال الإنجازية غير المباشرة وظف الشاعر كنايةات مكرّرة (هزوا الثرى)، (أذابوا الجبال)، (أصلى المغير الوبال) لغرض حجاجي ودلّت على فعل غير مباشر مقاميا وهو الإباء والتّحدي، ولم يصرح بهذا بل كنى عنه لتثيب المعنى في ذهن السامع أو المتلقي وذلك أبلغ في الخطاب من حيث التأثير في المخاطب، لأنّ الباث هنا أثبت صفة التّحدي بالدليل (هزوا، أذابوا، أصلى) والمقصود بهذا الكلام " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكر اللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود"²، فالتكلم يثبت معنى من أجل التّواصل والتّوازن النفسي واندماج الفرد في المجتمع والانتماء الثقافي، فيقوم الفرد بسلوكات تؤدّي إلى التواصل الذي غايته ربط علاقات إنسانية ممّا ينتجه الإنسان عبر لغته.

المشهد الثامن والأربعون:

ولم نَسْ في أربعين وخمسِ ضحايًا المذابحِ في يومِ نحسِ
طربنا مع الحلفاءِ اغترارًا وقمنا نصقُّ في غيرِ عرسِ
فكأنوا مع الغدرِ عونًا علينا ودرسًا لقادتنا أيّ درسِ

¹ - كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص143

² - عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص54

وكانت مجازهم بسطيف وقالمة للشعب دقات جرس¹.

يذكر الشاعر بجرائم المحتل لما ارتكب مجازر 8 ماي 1945م في سطيف وقالمة وخراطة وكانت وعود المحتل كلها كاذبة، وذلك عادة المستبد. تتضمن الأبيات مجموعة من الأفعال الكلامية المباشرة (لم ننس في أربعين وخمس ضحايا المذابح)، (طربنا مع الحلفاء اغترارا) (كانوا مع الغدر عونا علينا) وظيفتها المباشرة الإخبار والسرود لحقيقة تاريخية وهي مجازر 8 ماي 1945، وينقل السياق معاني هذه الأفعال إلى معاني ضمنية يراد بها على التوالي: انخداع الجزائريين بوعود المحتل، تحالف الحلفاء ضد الجرائر، استحالة نسيان هذه المجازر. فالشاعر من خلال هذه الأفعال غير المباشرة هو تبليغ هذا الخبر إلى العالم، وتذكيرهم به لتوضيح فضاغة هذه الجرائم، ولذا فإن " القصد هو التعبير عن هدف النص الذي يغدو وسيلة متاحة في لحظة معينة بغية الوصول إلى هدف محدد². هناك ارتباط بين الفعل الكلامي والحالة القصدية من حيث الصلة الموجودة بين الحالة القصدية وتحقيق الرغبة حينما يرتبط الفعل الكلامي بالأشياء الخارجية، فتتحقق الرغبة لتحقيق القصد نتيجة القيام بفعل معين، فلا توجد أفعال بدون قصد، ولا قصد بدون تأثير خارجي.

إنّ الشاعر قد حقق القصد من الفعل الكلامي وهو تذكّر هذه الجرائم وأخذ العبر منها، والقصد هو معيار يصرّ عليه "سيرل" وسماه بالغرض الانجازي وركّز عليه في تصنيفه للأفعال الكلامية " لأنّ قصدية اللغة تعتمد أصلا على قصدية العقل"³، وقصدية اللغة تتمثل قوة الأفعال الكلامية على تمثيل الأشياء في العالم بواسطة حالات عقلية، وأنّ القصد جوهر العملية التواصلية، وعامل أساس في توظيف اللغة وتأويلها.

ولتعديل القوة الانجازية استعان الشاعر بمؤشرات لغوية من خلال النّفي (لم ننس) لترسيخ هذه الأحداث في الذاكرة الجماعية، مع تأكيد شناعة تلك المجازر التي تعدّ جريمة لا تغتفر. والقوة الإنجازي للأفعال الكلامية عبّرت عن بشاعة المجازر في ذلك اليوم بالعبارة

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجرائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 53

² - نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص 32

³ - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص 136

(يوم نحس)، وذلك لتأكيد هول هذا اليوم ألا وهو انخداع الجزائريين بالوعود الكاذبة للمحتل، وتصديقهم لذلك بالفعلين (طربنا، نصق).¹

المشهد الرابع والخمسون:

سَكِيكْدَةُ النَّائِرِينَ أَعْيَدِي عَلَيْنَا فَضَائِحَ بَاغٍ حَقُودِ
أَغْطَسُ عَشْرُونَ لَمْ يَنْسَهَا وَيَذْكُرْهَا أَلْفُ أَلْفِ شَهِيدِ
وَحَمْسٌ وَخَمْسُونَ فِي الذِّكْرِيَّاتِ جَلَالُ يُهْدِدُ صَدْرَ الْوُجُودِ
وَعَطْرٌ لِلْمَذَابِحِ فِي سَاحِهَا نَوَافِجُ ثَلْهُمْ سِفَرِ الْخُلُودِ
وَتَحْكِي لِهَذَا الْوَرَى قِصَّةً مُضَرَّجَةً عَنِ جِهَادِ الْأُسُودِ.¹

ارتكب جيش المحتل الفرنسي مجازر وحشية في 20 أوت 1955م في مدينة سكيكدة، قذّرت بألف شهيد، حيث تظاهر الجزائريون متضامنين مع الشعب المغربي لمّا اختطف الملك الراحل محمد الخامس. في الأبيات الشعرية أفعال كلامية مباشرة (أغسطس عشرون لم ينسها)، (يهدد صدر الوجود) (تلهم سفر الخلود)، تحكي لهذا الوري قصة) دلّت على الإخبار والوصف لهذه الحادثة الذي يُراد به تحقيق فعل إنجازي متضمن في القول وهو تهويل الفاجعة، وخلودها في الأذهان.

والخطاب الوارد في الفعلين الكلاميين (لم ينسها، يذكرها) موجّه للجزائريين بأن يواصلوا تقديس الكفاح رغم التضحيات. هذا الفعل الكلامي الوارد في سياق الأبيات له بيئة الإخبار الذي يتضمن الكراهية للمحتل، وتخليد الجهاد، وتقرير حقيقة بشكل مادي في الواقع، وبهذا فالشاعر يصوّر هذه الأحداث من خلال الأفعال الكلامية، فـ "يتمثّل الغرض الإنجازي لهذه الأفعال في نقلها وتصويرها للأحداث المادية في الواقع"²، والغرض الإنجازي المنشود هو نيل فعل المراد وحصول النتيجة النهائية مع الغرض نتيجة التأويلات للفعل الإنجازي.

والقوة الإنجازية اتّضحت في الوسيلة اللغوية (مضرجة) التي تتضمن ملحمة الجهاد في أرض الكفاح لكثرة الدماء التي غطّت أرض الجزائر. ولتوضيح الفعل الإنجازي للأفعال

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص59

² - نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية، منشورات جامعة باجي مختار، غنابة، ط2006، ص204

الكلامية وظّف الشاعر الاستعارة (تلهم سفر الوجود) حيث شبّه المذابح التي استنطقت العالم بإنسان يبعث حياة الجهاد والتضحيات في وجود ثورة الجزائر، كما يتّضح المعنى غير المباشر في القرينة اللغوية (تلهم) والتي تعدّ "سُكيكة" مصدر الجهاد حيث اتّضح ذلك في مجازر ماي 1945، ف " الاستعارة لا توجد في ذاتها، بل في التأويل"¹، فهي تواتر حاصل بين تأويل متعارض بين المعنى الحرفي والمعنى الضمني الذي يجعلها تأثيرية في المتلقي فتكشف عن المغزى من المعنى الحرفي.

المشهد الواحد والستون:

وكم جحدوا فضلنا الجميلاً فكان الحسابُ عسيراً طويلاً
وكم ألحقوا بالمُهَاجِرِ ذُلًّا فذاقَ العذابَ الأليمَ الوبيلاً
فيا عامَ ستين قُصَّ علينا فضائحَ جيشٍ يذوبُ غليلاً.²

مضمون الخطاب أنّه لما قامت جاليتا في المهجر بتظاهرات في باريس رجالا ونساء وأطفالا يوم 11 ديسمبر 1961م، متضامنين مع كفاح شعبهم القائم على أرض الجزائر، ألقت الشرطة الفرنسية القبض على الكثير منهم، ورمت بهم في نهر "السين" وماتوا غرقى. الأفعال الكلامية الواردة في المشهد (كم جحدوا فضلنا)، (كم ألحقوا بالمُهَاجِرِ ذُلًّا)، (قص علينا فضائح جيش يذوب غليلاً) وردت مباشرة تتمثل في الإخبار، لأنه يخبرنا عن جريمة بشعة جرت أحداثها في فرنسا، وتولّد هذه الأفعال الكلامية فعلا متضمنا في القول هو الذم والتحقير. ولتقوية إنجازية هذه الأفعال استعمل السياق كلمة (فضائح) التي تدل على كثرة جرائم المحتل التي ارتكبها المحتل في حق الجزائريين. كما استعمل ظاهرة لغوية لتأكيد جرائم المحتل وجعلها واقعة محققة بلفظ توكيدي (كم) الدال على الكثرة، وذلك لارتباط الشاعر بالمخاطب تبعا للسياق وللتأكيد مقصد لما أورده الاستزبازي (ت 686هـ)، ف " الغرض الذي وضع له التأكيد أحد ثلاثة أشياء، أحدهما: أن يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع عنه، وثانيهما: أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط... والغرض الثالث: أن يدفع المتكلم عن نفسه ظن

¹ - بول ريكو، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ص 90

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 66

السامع به تجوزاً¹. كما يحمل هذا النص خطاباً ذا مقصد غير مباشر وهو (التحقير) وقد ارتبط هذا القصد بمعاني مضمرة لها دلالات سياسية وهي خداع المحتل للجزائريين وحقده الدفين رغم وجود الجزائريين في فرنسا في وضع اجتماعي قاس، فلغة هذا النص "تزخر بمجموعة من الدلالات السياقية والتداولية"²، لأنّ هذه الدلالات عبّرت عن مخططات إرهابية فرنسية للقضاء على الشعب الجزائري وثورته بهذه المجازر المتعدّدة عبر ربوع الوطن. فهذه الأفعال الكلامية التي أبدّاها الشعر تُظهر تواصلاً وتفاعلاً عن طريق تراكيب الخطاب وتأثره بما اجترحته يد المحتل من تكتيل وتقتيل، ليجعل المتلقي يتأثر بفضاعة هذا الجرم، و"إنّما يتأتى ذلك عن طريق إنجازات كلامية أكبر وأشمل في الخطاب"³، حيث استعمل الشاعر لغة تواصلية للإفادة والإفهام كي ينجز أفعالا كلامية في خطابه توضح المقصود، فهو لم ينقل معلومات ولم يجعل اللغة مجرد وسيلة لنقل المعلومات، بل سعى ليثبت كلامه وإقناع المتلقي.

المشهد الثاني والستون:

وَحَامَرَ دَوْبِرِي صُدَاعَ السُّكَارَى وَزَلَزْلَهُ عَزْمُنَا فَتَوَارَى
وَحَاوَلَ تَنْصِيرَ أَطْفَالِنَا بِأَرْضِ فَرَنْسَا فَبَاءَ خَسَارَا
فَخَمَسُ وَعِشْرُونَ أَلْفًا تَحَدَّى بِإِيمَانِهَا الْوَاهِمِينَ الْخِيَارَى
وَأَخْلَصَ إِسْلَامَ أَكْبَادِنَا بِأَرْضِ فَرَنْسَا فَكَانَ الْجِدَارَا
وَأَمَّنَ أَشْبَانَنَا بِالْجَهَا دِ فَعَاوُوا الْخُنُوعَ وَخَاضُوا الْغِمَارَا
وَفَجَّرَ أَصْلَابُنَا فِي حِمَاهَا بِرَاكِينٍ تَنْصَبُ حِقْدًا وَنَارَا⁴

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص49

² - جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، (د ت)، ص11

³ - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، الدار العربية للعلوم، ص55

⁴ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص67

قامت الجالية الجزائرية في إطار الحركة الوطنية والكفاح المسلح بدور فدائي تمثل في تخريب المؤسسات الفرنسية الإستراتيجية واغتيال الخونة الجزائريين خلال الكفاح المسلح (1954-1962) ونقل هذا الكفاح إلى عقر فرنسا بصنيع الشباب الجزائري المسلم الذي أخلص نيته للإسلام والجهاد. حيث وردت أفعال الخطاب حرفية مباشرة تسرد سياسة المحتل الفرنسي في محاولة طمس الهوية الوطنية بأفعال كلامية (حاول تنصير أطفالنا بأرض فرنسا)، (تحدي بإيماننا الواهمين الحيارى) (وأخلص إسلام أكبادنا بأرض فرنسا)، (آمن أشبالنا بالجهاد)، (وفجر أصلابنا في حماها براكين)، فالشاعر يخبر أن القائد الفرنسي "دوبري" سعى إلى تنصير الجزائريين بفرنسا، فجاء الخطاب موجّه إلى صنفين من الناس: الصنف الأول وهو القائد والقوة السياسية بفرنسا التّبشيرية حيث الأفعال الكلامية المتضمنة في القول هي: الحقّد الدّفين الذي يجسّده المحتل بإهانة الشّباب الجزائري من خلال التّنصير، ثمّ الصّنف الثاني المقابل وهو الشّباب الجزائري الرّافض لسياسة التّنصير من خلال الأفعال الكلامية المباشرة الحرفية المتضمنة في القول للأفعال غير المباشرة الواردة في السياق وهي متعدّدة: من خلال فطنة الشباب الجزائري، وإخلاصه لدينه ووطنه، والثّبات على الدّين الحنيف، والإباء بغية رفض المساومات التي تمسّ شخصية الشباب، إلى جانب الإصرار على تحدّي الظالم، إنّها تحدّيات شباب أبيّ ورث ذلك عن أجداده. ولقد اتّسم السياق بإفصاحه عن أساليب المحتلّ من أجل تنصير الجزائريين فأدى هذا السياق وظيفة وصفية توضيحية غايتها " تفكيك الشفرة اللغوية بعد تسنيها من قبل المرسل، والهدف من السنن هو وصف الرسالة لغويا وتأويلها"¹، فالمتكلم هو فاعل الكلام ليؤثّر في السامع، ويجسّد ذاته من أجل التّعبير عن مقصد معيّن، واعتماد استراتيجية لتحليل السياق، والاستعداد لتوظيف الكفاءة التواصلية لنجاح التواصل ونقل الأفكار.

ولتقوية إنجازية هذه الأفعال وظّف الشاعر في سياق الكلام اسم الفاعل (الواهمين) الذي يدلّ على كذب و مزاعم المحتلّ وانحسار أفكاره الهدامة أمام عظمة هذا الشعب الأبّي،

¹ - جميل حمداوي، التداولية وتحليل الخطاب، ص12

والاسم (الجار) الذي يرمي إلى تحصن الشعب الجزائري بدينه الإسلامي، فكان حصنا منيعا تصدى للحملة التبشيرية وأنّى للفرنسيين ذلك؟

المشهد الرابع وستون:

أتى أمرنا صارخا فأنطلقنا ولذنا بوحدتنا فأنعتقنا
وفاوضنا القوم في أمرنا وأمر سيادتنا فرفضنا
وقالوا سنجري عليها اقتراعا بلا ونعم خدعة فاعترضنا
فرنسا تناسيت ما ليس ينسى أما في نوفمبر كنا اقترعنا.¹

دعت فرنسا الجزائريين إلى الاستفتاء السخيف الذي أرادت به مخادعة الشعب بالاستقلال الداخلي والتبعية لفرنسا، لكن الشعب الجزائري كان قد بادر بالانتخاب على الاستفتاء في غرة نوفمبر. حيث احتوى هذا السياق على أكثر من فعل كلامي مباشر في تتابع حسب نوع المقام، لذا اقتضى المقام إيراد الخبر وإنجاز فعل كلامي مباشر وهو الإخبار ليخبر عن خدعة أخرى وهي الاستفتاء وليجعل الجزائر مقاطعة فرنسية بأفعال كلامية (أتى أمر الله صارخا)، (لذنا بوحدتنا)، (فاوضنا القوم في أمرنا)، (قالوا سنجري عليه اقتراعا)، إذ يتضمن هذا الخبر فعلا كلاميا متضمنا في القول هو الرّفص والإباء لما يخطط له العدو، والقصد من ذلك هو إفشال المطامع الفرنسية في الجزائر وخارجها، وهذا ما سعت إليه السلطات العليا في البلاد، مما يتلاءم مع مطالب الشعب الجزائري وما يقصده، وما يقبله العقل ويتمشى والواقع، لأنّ القصد " من السمات البارزة للعقل أنّه يربطنا عن طريق القصديّة بالعالم الواقعي، وهذه هي ماهية القصديّة، فهي الطريقة الخاصة التي يمتلكها العقل ليربطنا بالعالم"². فالقصد يخاطب العقل للإعلام والتّوجيه، فالمرسل يبعث برسالة إلى المتلقي ليدرك إرادة المتكلم ويفهم القصد منها، وبالتالي يكون للقصد دور فيما يُثبت المتكلم من ألفاظ صادقة أم غير صادقة للحكم على قصد الفعل اللغوي.

¹ - مفدي زكريا، إيالة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 69

² - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، ص 154

فمن خلال تتبعنا للأفعال الكلامية وجدنا أنّ الشاعر دعمّ القوة الإنجازية بأسماء تقرر آذان المستعمر (صارخا، وحدتنا، سيادتنا) والمقصود بها أنّها خط أحمر يرفض الجزائري المساومة فيه لأنّ هذا الشّباب متعلّق بدينه ووطنه. وقد تدعّم فعل القول أيضا بأسلوب حجاجي من خلال أفعال الإباء (لذنا، انعتقنا، رفضنا، اعترضنا) التي تبين مدى امتلاك الجزائريين لمنطق التّحدي ولغة الإباء والرّفص، " فاللغة هي المجال الذي تنكشف فيه القصيدة المقرونة بالتواصل بأعلى مظاهرها، وما دامت الحجة لا تفارق اللغة فإنّها تتطوي على أقوى مظاهر القصيدة"¹، فاللغة تقوم بدور التّأثير لما يقوم الفعل الكلامي بحكمة وتلطّف، عندها يستجيب المتلقي ويقبل بالرسالة الموجهة إليه في صورة مؤثرة مستجابة لتفاهم بين أفكار المتكلم واللغة.

المشهد الخامس والستون:

وَلَاخَ الْخِلَاصُ بِحُلْمِ اللَّيَالِي تُرْفَرُ أَعْلَامُهَا اللَّامِعُ
وَدَوَى نَشِيدُ الْجَزَائِرِ يَغْزُو الدُّنَا قَسَمًا بِالْذِّمَاءِ النَّاصِعِ
وَجَلَجَلَ صَوْتُ نَشِيدِ اللَّوَاءِ فَتَعْنُو الرُّؤُوسُ لَهُ خَاشِعِ
وَجَيْشٌ يَرِدُّ: هَذَا دِمَانَا الْغَوَالِي دَوَاقِفُهَا دَافِعُهُ.²

انتزعت الجزائر حريّتها من المحتل الغاشم بفضل الكفاح المسلّح، وصدّح الشعب بالنشيد الجزائري مدويّا في القطر الجزائري وفي الدنيا برمتها. والأفعال الكلامية لهذا المشهد هي أفعال واصفة للواقع الجزائري حين الاستقلال، وينقل الشاعر هذه الحقيقة بأمانة " فإذا تحقّقت الأمانة في النّقل أو الوصف فقد أنجزت الأفعال إنجازا تاما أو ناجحا"³، فالشاعر هنا صادق في هذا الوصف، حيث تضمّن هذا الخبر أفعالا إخبارية مباشرة (لاح الخلاص)، (ترفرف أعلامه)، (يغزو الدنيا)، (جلجل صوت النشيد) (جيش يردد)، التي تقتضي مقام الإخبار والوصف، بينما أفعالها غير المباشرة وردت لتأدية سلسلة من الأفعال الإنجازية

¹ - طه عبدالرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص259

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص70

³ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص103

متضمنة في القول هي: تحقق السيادة الوطنية، التّسلية والانتشاء بالنصر والاستقلال وإجلال النّشيد الوطني، وهذه الأفعال غير المباشرة بينت أنّ الأفعال التقريرية هي " الأفعال التي تصف وقائع وأحداثا في العالم الخارجي"¹، وهذه الأفعال تصف حالا وهو سعادة الجزائريين بالاستقلال، وهذا الفعل له نسبة خارجية أثبتته من خلال الواقع.

ولأنّ الشّعر همّه الوحيد التأثير في المتلقي فقد دُعّم النصّ بالقوّة الإنجازية لهذه الأفعال باستعانه بالأسماء المعبّرة عن حدث الاستقلال (الخلاص، ترفرف، جلجل) كلّها لتؤدي وظيفة إبلاغية وهي تقرير حقيقة وإسماع صوت استقلال الجزائر في الملاء. ولتقوية الفعل الإنجازي أيضا استعان بالقسم (قسما بالذّما الناصعة) ليؤكد السّبب والمسبب؛ فالذّماء كانت سببا في حصول المُسبّب وهو الاستقلال بكلّ وضوح بعيدا عن أي تشكيك في هذا المكسب.

كما استعمل الشاعر التأشير الشخصي للمكان "هذي دمانا الغوالي" إشارة إلى الجزائر، وهو تأشير للقريب لتعلقه بوطنه، وتتضمن فعلا غير مباشر وهو الإشادة بالتّضحيات الجسام المخضبة بالدماء، و" تسمى التعابير التي تشير إلى مكانة عليا بالمبجالات"². فهذا المظهر اللغوي الإشاري بجّل وعظّم تضحيات المجاهدين كمرجعية للثورة والتي تحيل إلى المتلقي بصنيع لا يعظمه إلا العظماء.

المشهد التاسع والستون:

وطالَعنا بالبشائرِ يُونيُو فَأَنعَشَ كالعَارِضِ المُرْجَحَنِ
فَقُمْنَا نُشِيدُ اقْتِصَادَ البَلَا دِ وَنُعْلِي المَصَانِعَ فِيهَا وَنَبْنِي
وَرُحْنَا نُوفِرُ لِلْكَادِحِينَ الرِّغِيفَ الشَّرِيفَ بَعْلَمٍ وَفَنِ
وَيَزْرَعُ فَلأَحْنَا أَرْضَهُ بِذُوبِ الشَّرَائِينَ لَا بِالنَّمْنِي.³

¹ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص103

² - جورج يول، التداولية، ص28

³ - مفدي زكريا، إياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص74

إنّ بشارة شهر يونيو حفّزت الجزائريين على بناء وطنهم وإقامة اقتصاد وطني، وبناء المصانع، كما شمّر الفلاحون عن سواعدهم لخدمة أرضهم المسترجعة. وفي هذا المشهد ارتبطت الأفعال الكلامية (طالعنا بالبشائر يونيو)، (قمنا بنشيد اقتصاد البلاد)، (نعلي المصانع)، (نبني)، (نوفر للكادحين الرغيف)، (يزرع فلاحنا أرضه) بمقصدية الشاعر التي تضمنت فعلا كلاميا غير مباشر هو الاعتزاز بسواعد أبناء الوطن لإقامة صناعة جزائرية لا تحتل الإذلال والتبعية. هذه الحالات واردة في قاموس الثورة الجزائرية وبها تحقّق النصر، وشرع الشعب في بناء اقتصاد وطني بسواعد جزائرية، وبعقول تمثل هذا الواقع، " لأنّ القصدية هي تلك السمة العقلية التي يمثّل بها العقل داخليا الموضوعات والحالات في العالم"¹، فالمتكلم يدرك العالم بما يقصده، وبعقله يبعث برسائل إلى المتلقي ذات أبعاد خطابية، وهذا الأخير هو استدلال من الباث حتى يفصح بعقله عن قصدية الكلام ويؤكد وجود ذلك.

كما استعان الشاعر بالوظيفة الحجاجية ليدعم القوة الإنجازية ممثلة في (نعلي المصانع، نوفر للكادحين يزرع فلاحنا) وحجّة ذلك على أنّ الصناعة الوطنية وُلدت من رحم الاستقلال لبناء اقتصاد البلاد وتطوّره قصد التأثير في المشكّكين وأتباعهم، والخطاب هنا أدّى وظيفته حجاجية " التي تزيد من قوته الإنجازية التي أرادها له "أوستين" و"سيرل" ولا سيما تلك المرتبطة بوظيفتي التأثير والإقناع"²، وهذه الأفعال الكلامية تقدّم فعلا كلاميا غير مباشر قصده الاعتزاز بأبناء الوطن والإعلاء من شأنهم.

المشهد الخامس والسبعون:

ذَكَرْنَا بِسَرْتَا نَفُوسًا أَبْيَه ذَكَرْنَا بِهَا الْأَعْصَرَ الذَّهْبِيَه
مَعَاهِدَ تَزَخَّرُ عِلْمًا وَفَضْلًا وَتُلْهِمُ رُودَهْتَ الْعَبْقَرِيَه
يَصُوغُ ابْنُ فَكُونٍ فِيهَا الشَّوَادِي بِوَحْيِ خَمِيلَاتِهَا السُّنْدُوسِيَه
وَتَزْهُو قَسَنْطِينَةُ بَابِنِهَا مُحَمَّدٌ مِّنْ شَرَفِ الْعَرَبِيَه

¹ - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص157

² - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص65

قوافيه تسري بأنفاسها سرتا فتخل منها الورود النديّة
وخلد سرتا البجاوي الضليغ وواصل حمدان صنع البقيّة¹

في حِسن الاستقلال تذكر أبناء الشعب مدينة "قسنطينة" التي أنجبت الشاعر "ابن الفكون" وانتشرت بها العلوم، كما أنجبت العلامة الشيخ "عبدالقادر البجاوي" الذي تخرّجت على يده أجيال كان لها الفضل أيضا في بناء صرح العلم بقسنطينة. نلاحظ أنّ هذه الأبيات قد عرضت هذه الأبيات خطابا أفعاله الكلامية وردت مباشرة بقوة حرفية (ذكرنا بها الأعصر الذهبية)، (معاهد تزخر علما وفضلا)، (تزهو قسنطينة بأبنائها محمد)، (قوافيه تسري بأنفاسها سرتا)، (وخلد سرتا البجاوي الضليغ) فهذه البنية الحرفية الخبرية ذات قوة إنجازية متضمنة في القول فعلا غير مباشر وهو الإشادة والتّعظيم بالعلم والعلماء، وتطوّر العلوم بقسنطينة مسامرة لما قام به العالم "ابن الفكون" في نشر العلم بقسنطينة، مطابقا لمقام الإشادة والتّنويه، وهذا انطلاقا من مقصد الشاعر المعظم لأبناء الجزائر، وهو مراده من فعل الكلام المتوراى خلف البنية الحرفية. والشاعر في هذا الخطاب يستعمل لغة تأثيرية من خلال قصده لأنّه يفرض واقعا لا مرأى فيه تجسّد فيه العلم لطول باع العلماء، ف "يمكن للمتكم أن يستعمل القصديّة التقليديّة للكلمات والجمل في اللغة لتأدية فعل كلامي، وحين يؤدي المتكم فعلا كلاميا فإنّه يفرض قصديته على هذه الرموز"². وإنّ اللغة تُحيل إلى تحديد معنى الخطاب وتعبّر عن مقصد المرسل، لأنّه يريد أن يبلغ مراده بهذا المقصود.

كما أكثر الشاعر من الأفعال المضارعة (تزخر، تلهم، يصوغ، تزهو، تسري، تخلج) للدلالة على الاستمرارية في طلب العلم وحركيّة المتواصلة في سيرتا وتخليدها بالعلوم، وتخليد الأدب في الأعصر العلمية والأدبية الزاهية. وفي هذا الخطاب "تكاد تغلب الأفعال

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص80

² - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص208

المضارعة في هذه الأبيات فالأفعال كلّها في زمن الحضور الذي يدلّ استمرارية المشهد، انطلاقاً من الزمن الحاضر للمتكمّل¹، والأفعال المضارعة تدلّ على استمرارية المشهد، وهو توالي ظهور العلماء بقسنطينة ونشر العلم، انطلاقاً من زمن الحاضر للمتكمّل.

كما دعم الشاعر القوة الإنجازية بتوظيفه لبعض الظواهر اللغوية منها الوصف (أبية، الذهبية، السندسية، الندية) فهذه البلدة كلّها نقاء وصفاء بالعلم وورثة الأنبياء، كما توضّح هذه الأفعال تأثير ابن فكون في أهالي المنطقة بعلومه النافعة، والتي كانوا يقبلون عليها بحبّ وشغف كحبّهم لهذه الأوصاف المستنبطة من الطبيعة ممّا يجعل التناغم بينها وبين العلم منسجماً لاشتراكهما في نفس الأوصاف المحبّذة إلى النفوس المتطلعة لفضائل العلم وأهله.

المشهد السابع والسبعون:

طُقَيْشُ سُقْيَاكَ قُطِبَ الْأَيْمَهُ وَمَنْ عَاشَ بِالْفَكْرِ يَصْنَعُ أُمَّةً
وَمَنْ شَقَّ الْعِلْمَ دَرَبَ الْحَيَاةِ وَصَانَ لِنَيْلِ الرِّسَالَةِ حُرْمَةً
وَأَنْصَفَ مَنْ خَالَفُوهُ اجْتِهَادًا وَصَانَ عَنِ الْجَدَلِيَّاتِ عِلْمَهُ
وَكَمْ قَامَ يَعْصِفُ بِالظَّالِمِينَ وَيَنْصَبُ فَوْقَ الْمُغِيرِينَ نَقْمَهُ
فَلَمْ تُثْنِهِ ظُلُمَاتُ السُّجُونِ وَلَا الدَّسُّ وَالْكِدُّ أَوْ هُنَّ عَزِمَهُ²

يذكر الشاعر الشيخ العالم الجزائري "طفيش محمد بن يوسف" وهو من مواليد "وادي ميزاب" الذي ألف في شتّى صنوف العلوم من شريعة، وفقه، وتاريخ وجغرافيا وغيرهما، وحافظ بعلمه على بقاء الأمة الجزائرية، ووقف موقفاً مشرفاً من أجل الثورة لجلاء المحتل الفرنسي. والخطاب موجّه للأجيال السابقة والحاضرة من أبناء الجزائر، حيث ضمّ الخطاب مجموعة من الأفعال الكلامية المباشرة التي تحمل قوّة إنجازية إخبارية (عاش بالفكر يصنع أمة)، (صان عن الجدليات علمه) (قام يعصف بالظالمين) (لم تثنه ظلمات السجون) و اقتضى المقام شقّين من الفعل غير المباشر: تعظيم العلماء والإشادة بدورهم التربوي والديني

¹ - فوزي عيسى، النص الشعري وآليات القراءة، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، دط، دت، ص430

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص82

من جهة، وتحدي العلماء للمحتل بالعلم رغم الرّج بهم في السجون، ممّا يجلو الغبار على إدعاءات أعداء الوطن بأنّ علماء الدّين لم يواكبوا حركة التّحرر في البلاد. هذه الأفعال غير المباشرة هي أفعال إنجازية تستقطب المتلقي، ف " قد لا يتمّ فهم الفعل الإنجازي إلا في ضوء الوعي بالمتلقي الذي وجّه الفعل الكلامي إليه، فعلى المتكلم مراعاة الحالة الاجتماعية والعقلية والنفسية للمتلقي لضمان تحقّق الإفهام"¹. إنّ خطاب المرسل يهدف إلى إشراك المخاطب أو الجماعة وفق انطباع فكري اجتماعي، ووفق مقتضيات الحال بقصد الإقناع والتعبير أو الوصف.

ولتقوية الغرض الانجازي استعمل أفعالا كنائية (من شق العلم درب الحياة)، (ولا الدس والكيد أوهن عزمه) المتضمنة في القول على التوالي: كناية عن صفة وهي الإصرار على نشر العلم، والثانية هي كناية عن صفة وهي تحديّه لكل المكائد، فقد توارت خلف البنية الأصلية هاتين الصفتين ألفاظ الكناية هنا تحرّك دائرة التّفكير لدى المتلقي ليستفيد منها قصد الوصول إلى غاية من خلال صورة كنائية، " وهي أن تريد إثبات معنى فتترك اللفظ الموضوع له، وتأتي بتاليه وجودا لتوميء إليه وتجعله شاهدا له، ودليلا عليه"². أي أنّ الكناية تعبّر عن المعنى الثاني بالطريقة التي تعبّر بها عن المعنى الأول، فهي تنأى عن المعنى الحرفي إلى المعنى المقصود المضمّر وهو القصد، ولها غايات تأثيرية في المتغيرات الاجتماعية.

ولتعديل القوة الإنجازية للفعل الكلامي اعتمد الشاعر على صفة شاملة دامغة لهذا العلّامة وهي (قطب الأئمة) التي تعتبر دليلا على تصدّر هذا العالم الصّحوة الفكرية والعلمية لمجابهة الاستبداد ونشر العلم، بعدما كان الجهل ضاربا بظلامه على الجزائريين إبان الاحتلال، فساهم في الإشعاع الفكري والديني. وانطوى تحت هذه الصفة الشاملة

¹ - علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة. ، ص132

² - الزملكاني، عبدالواحد بن عبدالكريم، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، بغداد العراق، وزارة الثقافة، ط1، 1974، ص105

صفات مرجعية تنبئ عنها الأفعال، تتعلّق بـ "طفيش" (يصنع، صان، يفري، يلهب، يعصف) فهذه الصفات تحيل إلى شخصيته الراضية للظلم والملهمه للمشاعر والملهبة للحنايا والحناجر.

المشهد الثامن والسبعون:

أَمَانًا مِنَ الْخَطَرِ الدَّاهِمِ وَمِنْ مَعُولٍ قَاصِفٍ هَادِمِ
غَزَا الْمَذْهَبِيُّونَ عَقْلَ الشُّبَا بِ بِمُسْتَوْدٍ آفَنِ آثِمِ
وَزَاغُوا بِهِمْ دُونَ إِسْلَامِهِمْ إِلَى مَذْهَبٍ لَيْسَ بِالسَّالِمِ
وَدَسُّوا شُيُوعِيَّةً كَالْوَبَاءِ كَمَا يُصْرِفُ السُّمُّ لِلطَّاعِمِ
وَقَالُوا: الرَّجُوعُ إِلَى الدِّينِ رَجْعِيٌّ وَأَنَّ الْحَيَاةَ مَعَ الْقَائِمِ¹

ينتقد الشاعر واقعا معاشا تأثر به الشباب الجزائري، حيث أثر أهل المذاهب فيه لما بثّوه من زيغ وتضليل في عقول الشباب، قصد تفتيت الوطن بأيديولوجيات مستوردة، وإبعاد الشباب عن إسلامه ومثال ذلك التّوجه الشيوعي الاشتراكي الماركسي. جاءت الأفعال الكلامية المباشرة الحرفية واصفة للخبر (أمانا من الخطر الداهم)، (غزا المذهبون عقل الشباب)، (زاغوا بهم دون إسلامهم)، (دسوا شيوعية)، (قالوا: الرجوع إلى الدين رجعي) معبرة عن معاني الخطر الداهم، وهو التيار الشيوعي، والفعل المتضمن في القول هو التحذير من هذا الخطر المحيط بهم، والدعوة إلى التمسك بالدين و بمقومات الأمة الجزائرية. وإن الصيغة الحرفية الإخبارية هي التي دلّت على هذه الأفعال المتتالية غير المباشرة؛ هي التحذير الموجّه في الخطاب لأبناء الجزائر قصد رفض هذا التيار، والاحتقار الموجّه لدعاة هذا التيار المشرفين عليه، والذين هم دعاة على أبواب الكفر لتكفير بعض أبناء الإسلام الذين تذرّوا من دينهم الإسلام واتّهموه بالرجعية، وهذه أفعال متوالية في الخطاب أدّت إلى معاني متكاملة، ولذا فـ " إنَّ الخطاب يمثّل في تصور فان ديك بنية إنجازية كبرى تشتمل على وحدات متوالية من الأفعال تؤدّي في كل واحدة منها دورا مكّلا لغيرها لتشكّل

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص83

في النهاية فعلا إنجازيا غير مباشر من البنية الكبرى¹. فالخطاب عند "فانديك" هو فعل خطابي كلي تترجمه مجموعة من الأفعال الكلامية المتسلسلة، وهذه الأفعال توضح فعلا واحداً لتعطي معنى إجمالي.

ولتعديل القوة الانجازية للأفعال الكلامية غير المباشرة استعان الشاعر بمؤشرات واردة في السياق بأسماء الفاعلين التي ينعت بها أهل هذا الفكر الهدام ومكائدهم التي لا تكاد تتقضي (داهم، هادم قاصف، آفن) لأن هذه الأسماء تدلّ على ثبات الشر في المحتل الفاعل لهذه الجرائم، والتي لا تفارقه.

المشهد الثمانون:

وَمُسْتَهْتِرُونَ أَضَاعُوا الثَّنَايَا وَشَاعَ تَنَكَّرُهُمُ لِلْسَّجَايَا
وَقَالُوا: التَّقَدُّمُ خَلْعُ الْعَذَا وَهَتَكَ الْعَقَافِ وَنَشَرُ الْخَطَايَا
وَجَدَلُ الشُّعُورِ وَلِبْسُ الْحَلِيِّ وَحَمَلُ الْقَلَائِدِ مِثْلُ الصَّبَايَا
وَيَفْتَخِرُونَ بِشَرْبِ الْخَمُو وَفِي الْكَأْسِ تَرْسُبُ كُلُّ الْبَلَايَا
فَهُمْ يَرْقِصُونَ كَطِيرٍ ذَبِيحٍ وَلَا يَحْفَلُونَ بِرَكْبِ الْمَنَايَا.²

يتجهّم الشاعر على الشباب الذي استهتر بالدين، وأضاع سبيل الرشد، وتتكّر للأخلاق الفاضلة، وانغمس في الخبائث، وتناول الخمر، وتبرأ من العقّة، ولبس الحليّ والقلائد مثل الفتيات بداعي التقدّم والحرية. إنّ الخطاب الموجه للشباب الجزائري تضمن أفعالا كلامية مباشرة بالصيغة الحرفية الخبرية (أضاعوا الثنايا)، (شاع تنكرهم للسجايا)، (قالوا: التقدم خلع العذراء...)، (يفتخرون بشرب الخمر)، (حمل القلائد مثل الصبايا)، (يرقصون كطير ذبيح) التي تعبّر عن معاني ضمنية مستتبطة من سياقات النص، وهي تحقير لفئة من الشباب الجزائري الذي تجرّد من الأخلاق الفاضلة فتعرّت المرأة، ورمّت بعفافها للحيارى، وتشبّه بها شبيه الذكر بلبس الحليّ، واعتزّ بتناول الخمر، وتشاركاً في الرقص والمجون، كلّ ذلك بداعي التّقدم. وفي هذا الصّدّد تجلّى البعد التداولي في سياق النص، لأنّ الشاعر يحتقر هذا النوع

¹ - علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 142

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 85

من الشباب الذي تسبب في التجرد من دينه وتقليده الغرب في التشبه بالنساء. والشاعر هنا لا يحتقر الشباب لذاته، بل لانحلال أخلاقه وفساده، بمعنى أن الصيغة الخبرية حملت دلالة لغوية غير مباشرة ذات قوة إنجازية مستلزمة مقاميا وهي التحقير، فقد عبر الشاعر عن هذا الفساد الأخلاقي بلغة واضحة ذات وظيفة تداولية حيث يلحق الضرر بالمجتمع، وتكون عواقبه سلبية على العرف وتقاليد المجتمع، فـ "من المعروف في اللغة المستعملة في هذه المواقف التداولية أو الاتصالية الاجتماعية أنها تخضع لمجموعة من الأعراف والقيود وقواعد الاستعمال"¹، لذا فإن اللغة المستعملة تتجاوز نقل المضمون إلى جاني إيحائي قد سبق أن تصوّرت في ذهن المتلقي فتعلّقت بالعواطف والمشاعر والأعراف، ورسمت تطلعات ورغبات، وبنّت نظرة شمولية للعالم. واستعان الشاعر أيضا بمؤشرات الفعل الكلامي وهي أوصاف الاحتقار في العبارات (لبس الحلي، حمل القلائد، يرقص، شرب الخمر) هذه موبقات تقلدها طوعية بداعي التقدم تثبت تضييعه لجادة الصواب.

المشهد الرابع والثمانون:

وَمُسْتَشْرِقُونَ أَحْبَبُوا الْجَلَالَ وَمُسْتَشْرِقُونَ أَشَاعُوا الضَّلَالَ
وَمَنْ أَلْبَسُوا الْحَقَّ حَقْدًا دَفِينًا وَأَلْقَى الصَّلِيبُ عَلَيْهِمْ ظِلَالًا
وَكَانُوا طَوَابِيرَ مُسْتَعْمَرِينَا وَكَانُوا مَخَاضَ اللَّيَالِي الْخُبَالَى
دَعَوْنَا هُمُوَ لِلْجِدَالِ النَّزِيهِ وَقَلْنَا لَهُمْ لَا نَهَابَ الْجِدَالِ.²

يتحدّث الشاعر عن المستشرقين الأوروبيين الذين اهتموا بدراسة أدب الشرق وحضارته ودسّوا فيه السم، حيث أضلّوا بعضاً من المثقفين العرب متلبسين بالصليبية، وخدموا فكر المحتلّ بكل أصنافه، وزرعوا الفوضى والجدل العقيم. ويقدم الشاعر في خطابه آفة أخرى تمسّ كيان المجتمع الجزائري وهي الفكر الاستشراقي الذي أسهم في التشكيك في الدين الإسلامي، وكان استعماراً فكرياً من خلال الأفعال الكلامية المباشرة الحرفية (ومستشرقون أشاعوا الضلالا)، (ألبسوا الحق حقدا)، (ألقي الصليب عليهم ظلالا) (دعونا همو للجدال

¹ - علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 108

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 89

النزیه)، في صيغة إخبار التي تدلّ على قوة متضمنة في القول وهي التحذير من فكر الاستشراق، لأنّه تيّار مشكّك في دين الأمة والمُكثّر للجدل العقيم، بعيدا عن النقاش البناء. وإنّ هذا الخطاب " يسعى لتحقيق الجانب التفاعلي من خلال الفعل الكلامي و من خلال معنى السياق وما يتلفظه المتكلم من كلام ويتحوّل إلى أفعال ذات امتداد اجتماعي وتعتبر في الوقت نفسه حملا للمخاطب على القيام بفعل معيّن¹. إنّ المعنى يتطلّب تفسير السياقات المتوالية التي تربطها علاقات معنوية ذات أبعاد اجتماعية وتعبّر عن محيط معيّن لتحقيق التفاعل الاجتماعي.

ولتعديل القوة الانجازية للفعل الكلامي غير المباشر نجد الفعل الكلامي قد خرج إلى التحذير الذي "يُهيّب المتكلم بنفسه أو بغيره أن يجنب تحقيق الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب"²، فقد استعمل الشاعر الأسماء المحذرة من سمّ المستشرقين الذين سعوا لهدم القيم، والمساس بالدين الإسلامي بهذه الكلمات (الضلال، الصليب، مستعمر، الجدل) قصد تجنب هذا الفكر الدّخيل، الذي يتضمن الحقد الدّفين الصادر من هؤلاء اتجاه الأمة، مستعملين معاول الهدم والتّدمير.

المشهد السادس وثمانون:

وبعض تزوّج بالأجنبيّه وقال : مثقّفه حَضْرِيّه

تراقصني وتراقص هذا وذاك ويعبث عن حسن نيّه

وتختال بالميني جُوب دلالاً وتستعرض المغريات الخفيّه

وتَقْضِي اللَّيالي خارج بيتي وذاك من نِعَم المَدْنِيّه

¹ - عمر بلخير، مقالات في التداوليات والخطاب، ص89

² - أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدر العربية للعلوم ناشرون، الرباط، المغرب، ط1، 2020، ص57

وإنْ وَلَدْتُ لَسْتُ أُدْرِى لِمَنْ؟ كَفَى أَنَّهُ مِنْ بَنِي الْبَشَرِيَّةِ¹.

يُنْكِرُ الشاعر تزوّج بعض الشباب الجزائري بالفرنسيات، مدعياً أنهنّ مثقفات، واللواتي لا حياة لهنّ، إذ يراقصن بقية الشباب دون خجل، ويغرين الرجال، ويسهرن الليالي خارج البيت. إنّ سياق الخطاب أبان عمّا أحدثه بعض الشباب الجزائري من انحلال خلقي تمثل في الزواج بالأجنبيات اللواتي هتكن عرض الشرف في هذا المجتمع، وورد ذلك بصيغة الإخبار بأفعال كلامية مباشرة حرفية (وبعض تزوج بالأجنبيات)، (تراقصني وتراقص هذا)، (تستعرض المغريات الخفية)، (تقضي الليالي خارج بيتي)، (كفى أنه من بني البشرية)، ووراء هذا الخبر قوّة انجازية ضمنية وهي السخرية والتهكم والتحقير لما أقدم عليه هذا الشباب من التّزوج بالأجنبيات، وهذا الخطاب جمع أفعالا غير مباشرة في فعل واحد وهو تهويل الخطب الذي ابتلي به هؤلاء الشباب، وهذا الوضع غير المرغوب فيه جعل الشاعر يلتزم بالواقعية والموضوعية " فهو يؤدي موقفا وينفعل مع آخر ويسخر من ذاك كلّ من أجل انتقاد الشخصيات وتعرية الواقع وفضح المسكوت عنه"²، فالشاعر اتخذ موقفا وتبنّى ما يقول من نقد للواقع، فخلق مقارنة واضحة وهي السخرية، فهو يغزو الشباب الفاسد بالتحقير لعدم تأييده لهذا التّموضع الأخلاقي فهو يشير إلى شيء غير ملائم لمجتمعنا.

ولتعديل القوة الانجازية لهذا الفعل استعمل الشاعر ضمير إشاري للبعيد (ذاك من نعم المدنية) إشارة إلى الزواج بالأجنبيات، والذي يعدّ أصلا خروج عن الدّين والعرف، فهو دخيل على مجتمعنا، فهنّ يبدين دلالة، ويتّخذن أخذانا في حضن الحياة الزوجية بحكم التحضّر والتقدّم.

كما استعان أيضا بأسلوب التّكرار لإنجازية الفعل الكلامي المباشر (تراقص) مرتين ليوضّح غرضاً معيّناً، بأنّ انحلال الشباب سببه التّعلق وجدانيا وجسدياً بالأجنبيات، فد "

¹ - مفدي زكريا إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 91

² - جميل حمداوي، مكون الوصف في الرواية العربية الوافي الروائي في ضوء المقاربة البنوية السردية، منشورات المعارف ط 2013، المغرب، ص 57

تكرار الوحدة المعجمية نفسها تلبية لغرض معيّن من أغراض الكلام¹. إنّ تكرار وحدة معجمية لغوية لا يغيّر من قيمتها الدلالية، فنفس الكلمة تؤكد التكاثر اللغوي فالثانية أولى من الأولى، وهنا تكمن قوة الفعل الكلامي في التكرار.

المشهد الثامن والثمانون:

وَمِنْهُمْ كَالْعُزْرِ بَادِي الرَّذِيلِهُ يُدَلِّلَنَّ بِالْعَارِ بَيْنَ الْقَبِيلِهِ
يُشْمَرَنَّ ذِيلاً عَنِ الْعُورِ تِ يَثْرَنَ فَضُولَ الْنُفُوسِ الدَّخِيلِهِ
وَيَسْلُكَنَّ غَيْرَ الطَّرِيقِ السَّوِيَّ كَخَابِطٍ لَيْلٍ أَضَاعَ دَلِيلِهِ
خَنَافُسُ يَكْشِفَنَّ سَاقًا كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَامَتْ لَوَادِ الْفَضِيلِهِ²

يكشف الشاعر عن تبرج وتفسخ بعض بنات الجزائر لاستحلالهن الفحشاء، كاشفات عن عوراتهن، يغرين الذكور الذين تمكّن منهم حبّ النساء والرذيلة، وبهذه التصرفات فقد أضعن طريق الفضيلة. إنّ الأفعال الكلامية المباشرة الحرفية (يدللن بالعار)، (يشمرن ذيلاً عن العورات)، (يسلكن غير طريق السوي)، (خنافس يكشفن ساقاً)، تخبرنا عن بعض بنات الجزائر بعد الاستقلال بالصيغة الخبرية الواردة في السياق الخبري الذي دلّ على إفادة المعنى غير مباشر المتضمن في القول وهو الذمّ والتحقير لهذا الصنف من البنات، وهذا الخطاب موجّه إليهن وإلى الأسر أولاً، ثمّ يتوجّه بالخطاب إلى أولي الإصلاح في البلاد، والغاية من ذلك الغيرة على بنات الجزائر، والإصلاح من شأنهن. ويشمل هذا السياق التنبيه بحذر لهذه الظاهرة المتفشية في المجتمع الجزائري، وهذا هو القصد الحقيقي، لأنّ القصد " هو الحافز الإقصائي، الاختزالي الذي يسري في أوصال حياتنا الثقافية"³، فالقصد يحفّز

¹ - نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص38

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقص شعب، ص93

³ - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص134

عندما تكون منفعة عائدة على المرسل إليه، وموضّحا للاستراتيجية التوجيهية حتى تتمّ الثقة بين المرسل والمرسل إليه.

ولتدعيم القوة الإنجازية وظّف الشاعر مُعينات لغوية تؤكد ذاك التّفَسّخ والتّبرج والعري بأسماء واصفة (العريّ، العار، ذيل، خنافس) للدلالة على الامتعاض من هذا الانحلال الخلقي الفاضح. وهذه الصفات أدّت وظيفة تداولية وهي تقبيح هذا الصّنف من النّساء "وذلك لتشويه الموصوف وتقرّيعه والنفور منه تعرية وانتقادا"¹، وذلك ليس لشخص الفتيات وإنّما لتصرفاتهن بغية أن يكون هذا الانتقاد سبيلا لخروجهن من مستنقع الرذيلة.

المشهد التاسع والثمانون:

وَحْشَاكِ حَاشَاكِ بِنْتَ الْأَصَالَةِ وَمَنْ شَرَّفَتْ جِنْسَهَا وَرَجَالَهُ

سَلَكْتَ الطَّرِيقَ الْقَوِيمَ الْمُبِيدَ نَ فَجَنَّبَكَ الْعَقْلُ سُبُلَ الضَّلَالَةِ

وَأَضْفَى عَلَيْكَ جَلَالَ الْحَيَاءِ جَمَالَ الْحَيَاةِ فَصُنْتَ جَلَالَهُ

وَنَادَاكِ شَعْبُكَ يَوْمَ النَّتَا دِي فَشَرَّفَتْ ثَوْرَتَهُ وَنَضَالَهُ.²

يَسْتَنَثِي الشاعر هنا الفتيات الشّريفات، العفيفات اللّواتي حافظن على الأصالة والشّرف، لأنّهن اتّبعن وسلكن سبيل الدّين والحقّ، ممّا أضفى عليهن الهمة والعظمة. فينتقل الخطاب إلى التّقيّض من صنف المتبرّجات إلى صنف من بنات الجزائر اللّواتي تمسّكن بالفضيلة والحشمة في سياق تفرّد بأفعال كلامية مباشرة بصيغ خبرية متتابعة (حشاكِ بنت الأصالة)، (شرفت جنسها ورجالها)، (صنت عرضك بين الحثالي)، (سلكت الطريق القويم) وأضفى عليك جلال الحياء جمال الحياة)، (شرفت ثورته ونضاله)، والفعل المتضمن في القول لهذا الخطاب هو سلسلة من الأفعال غير المباشرة هي: التعظيم، التقدير، والاعتزاز بالبنات

¹ - جميل حمداوي، مكون الوصف في الرواية العربية، ص53

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص94

الشريفة المناضلة، والمعنى الضمني لها أيضا هو تقرير حقيقة تتلج الصدر وهي الإشادة بهن. لقد استعان الشاعر بجملة من المقويات اللغوية ممثلة في أسماء دعمت هذا السلوك هي (الطريق القويم)، (جلال الحياء) ففي العبارتين اعتزاز بسلوكهن الطريق السوي، ثم أضاف لها صفة الحياء الذي هو حليّ تتزيّن به في حياتها.

ولتدعيم القوة الإنجازية كرّر الشاعر كلمة الشرف ليثبت تمسك بنات الجزائر بالشرف الذي حفظ لهنّ مكانتها في المجتمع، وكذلك تكرار كلمة (شرفت) مرتين وكلمة (حشاك) مرتين لتدلّ على اعتصام الفتاة الجزائرية بالصفات الفاضلة التي صانته من الزّيع والانحلال، لأنّ " التكرار من الظواهر اللسانية التي تلبي حاجة نفسية وذهنية في حياة المتكلم، لذا يلجأ المخاطب إلى تكرار لفظة بعينها"¹، فالتكرار يعبر عن حالة نفسية التي تسكن في المتكلم ويتوقف ذلك عندما ينجز المتكلم تعابير قضي إلى توضيح الوضعيات في نطاق تبليغ الخبر للتأثير في المتلقي من خلال التأكيد والإفهام وبالتالي تحقيق التغيير.

المشهد التسعون:

وَأَجَلَى الشَّبَابِ غِلَاءَ الْمُهْوَرِ فَلَاذَ عَلَى حَبِّهِ بِالْأَنْفُورِ
وَفَضْلَ مَتَّارِي عَلَى مَرِيَمَ وَرَيْتَا عَلَى زَيْنَبَ وَالزُّهُورِ
كَأَنَّ الْبَنَاتِ بَضَاعَةُ سَوْقٍ تُبَاعُ وَتُشْرَى فَتَقْضَى الْأُمُورُ
وَتُحْلَبُ فِي الْحَيِّ كَالْبَقَرَا تِ فَإِنْ غَاضَ مِنْهَا الْحَلِيبُ تَبُورُ.²

يقرّ الشاعر بحقيقة، وهي عزوف الشباب عن الزواج لغلاء المهور، فاستبدل ذلك باتخاذ الشباب الأخدان من الفرنسيات، وصارت البنات عندهم كأنها سلعة من المعروضات. في هذا السياق يتوجّه بنا الخطاب إلى ظاهرة اجتماعية أفستت الشباب، وهي غلاء المهور في جوّ مفعم بالانحطاط، والتّهافت تجاه الرذيلة بأفعال كلامية خبرية مباشرة (وأجلّى الشباب غلاء المهور)، (لاذ على حبه بالنفور)، (فضل ماري على مريم)، (كأن البنات

¹ - نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص39

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص95

بضاعة سوق تباع وتشتري)، (تحلب في الحي كالبقرات) التي جاءت لتوضيح هذه الظاهرة ، وفعلها المتضمن في القول هو إعراض الشّباب عن الزواج، فهو في مقام تحقير وتهكّم؛ فالخطاب موجّه إلى قسمين من الناس: قسم هو الشباب المُعرض عن الزواج، والقسم الثاني بعض بنات الجزائر اللواتي أصبحن سلعة يُستمتع بها ثم تُرمى، فلا حاجة له بها. كما استعمل الشاعر أسلوب التحقير والتهكّم، وهي استراتيجية تداولية غير مباشرة تستلزم قصد الشاعر الذي يخفيه المعنى الحرفي، وجاء هذا المعنى في علم المعاني الذي " هو إخراج الكلام على ضدّ مقتضى الحال استهزاء بالمخاطب"¹، وهذا الإقتضاء هو شرط أساسي لاستعمال الكلام فكلّ جملة يكون لها اقتضاؤها صادقاً فهي تركيب له معنى على صدقه، والاقتضاء هنا ما يجب قبوله كي يتم التواصل بين المتكلم والمتلقي بغية التفهم.

ووردت أسماء السياق لتدعيم القوّة الإنجازية للدلالة على مشكل غلاء المهور (النفور، ماري ريتا بضاعة، البقرات)، التي ترمي إلى دناءة تصرّف الشباب، وحقارة اللواتي رضخن للقلوب الضعيفة وتناسين شرفهن. كما استند الشاعر إلى العناصر الإشارية التي تربط بين الجانبين الدلالي والتداولي، فضمير الغائب المستتر (هو) الذي يعود على الشباب الذي عزف عن الزواج وبناء أسرة تُسهم في بناء الأمة، فهذا الاستدلال يحقّق تواسلاً كلامياً لمساعدة الشّباب والأخذ بيده، لأنّ هذه الإشارة الخاصة لا معنى لها إلا في سياق " إذ لا معنى لها إلا في ضوء هذا الانتماء"²، لأنّ الإشارة لفظ يؤدي معنى، ويشكّل مرجعية في فهم الخطاب، وإلا تعذّر المرجع الذي يحال إليه بالإشارة إلى المتلقي وهي التي تساعد على معرفة سياق الفعل الكلامي.

المشهد الواحد وتسعون:

وأفْلَتَ مِنْ قَفْصِ الْإِتِّهَامِ شَبَابٌ أَصِيلٌ وَفِي الدِّمَامِ
شَبَابٌ تَطَهَّرَ فِيهِ الضَّمِيرُ فَأَعْرَضَ عَنْ شُبُهَاتِ الطَّغَامِ

¹ - يحيى بن حمزة العلوي، كتاب الطراز، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1995، ص476

² - بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص90

وأشرب من نبع إسلامه وفلسفة الدين روح النظام
ولم يتنكر لأجداده وأجداده الخالدين العظام
شباب عليه مناظ الرجاء فمنكم ومني عليكم السلام.¹

لقد نجا بعض الشباب من الرذيلة وأعرض عن المحرمات، لأنه احتفى بإسلامه، ومجد أجداده العظام، لذا يستثني الخطاب شباب لم يستطع الزواج، فابتعد عن كل شبهة محافظا على دينه وتقاليده وأصاله أجداده، فكان هذا الإعراض مكسبا له. وهذا السياق الملفت تضمن أفعالا كلامية مباشرة بالصيغة الحرفية (افلت من قفص الاتهام شباب أصيل)، (شباب تطهر فيه الضمير) (أشرب من نبع إسلامه)، (لم يتنكر لأجداده)، (فمنكم ومني عليه السلام) جعلت الخطاب ذا فائدة من خلال أفعال متضمنة في القول وهي التخصيص، التعظيم، والترغيب، فقد خص هذا النوع من الشباب بالتعظيم لأنه حافظ على دينه وأصالته، لذا يرغب الشباب الآخر فيما سلكه أترابه من الحفاظ على الأخلاق لتربية النفوس الراغبة في الطهر. ولتدعيم القوة الانجازية استعان الشاعر بأسلوب النفي (لم يتنكر لأجداده) لبيّن أصالة هذا النشء المقتفي أثر أصالته والتمسك بالفضائل لاعتزازه بدينه حتى لا يكون في قفص الاتهام.

2-2- التوجيهيات (الطلبات) directives:

في هذا العنصر سأتناول الفعل الكلامي التوجيهي الذي يدعى أيضا الأمرات، التي " يستعملها المتكلمون لجعلوا شخصا آخر يقوم بشيء " ²، والتي لها غاية إنجازية وهي حمل المخاطب على فعل شيء ما للتأثير فيه، أما اتجاه المطابقة في هذه الأفعال فهو تطابق العالم مع الملفوظات ويكون من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يكون في إرادة المتكلم في تحقيق شيء ما، والرغبة الصادقة، والشرط المعدّ هو الذي يمثل قدرة المخاطب على أداء المطلوب منه. ولذا ف "غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل

¹ - مفدي زكريا، إياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص96

² - جورج يول، التداولية، ص90

شيء معيّن، ويدخل في هذا الصّنف صيغ الاستفهام، والأمر والنّهي، والدّعوة، والتّشجيع والنّصح والاستعطاف¹، كلّها أغراض يوظّفها المتكلم رغبة في تحقيق قوّتها الانجازية التي تدفع بالمعنى الحرفي إلى معنى غير مباشر توجيهي بأنماط ذات تأثير في المتلقي.

وللأفعال التوجيهية سمات تتّصف بها هي: إفصاح المتكلم عن قصده، لإزالة اللبس الذي قد يتوهّمه المتلقي، وذلك لتحقيق استجابة مضمونة، كما يتّسم الفعل التوجيهي بأنّه لا يحتمل أكثر من قصد أثناء تأدية الخطاب، حيث يقيد المتلقي بمقصد واحد غير قابل لتفسير ثان، وشرط تحقيقه هو "شرط الصّدق النفسي المعبر عنه هو دائماً الرغبة"². وفي هذا الصّد لا يعتبر الفعل التوجيهي عمل لغوي فحسب، بل هو وظيفة تواصلية للغة؛ أي أنّ اللغة لا تؤدّي الوظيفة التواصلية إلا إذا تحقّقت غايات التواصل، ف "أهداف التّواصل هي الغاية القصوى من العملية التواصلية"³، فالمتكلم ينطلق من أمر معلوم مشترك وهو ما يسمّى بالإفترض المسبق، لتأدية الفعل الكلامي وإنجاح عملية التّواصل التبليغية.

المشهد الخامس:

أفي رؤية الله فكرك حائر وتذهل عن وجهه في الجزائر؟
سل البحر والزورق المستها م كأن مجاديفه قلب شاعر
وسل قبة الحور نم بها منار على حورها يتآمر
سل الورد يحمل أنفاسها لحيدر مثل الحظوظ البواكر.⁴

يدعو الشاعر إلى التأمّل في زُرقة البحر، و التّعجب من آيات الله في مناطق الجزائر، من بحر والقبة التي بها منارة يغمرها نور، ومنطقة "حيدرة" التي تعجّ بالورود.

1 - محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص49

2 - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص218

3 - الطاهر بن حسين بومزير، التواصل اللساني والشعرية، مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2007، ص31

4 - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص10

ابتدأ الخطاب بفعل كلامي مباشر صريح (أفي رؤية الله فكرك حائر...؟) بين المتكلم وهو الشاعر والمتلقي، فالفعل الكلامي المباشر يتضمن فعلا غير مباشر مستلزم مقاميا وهو التعجب والتعجب، لأنّ المقام هو مقام تعجب لرؤية جمال الجزائر ممّا يدلّ على قدرة المبدع، والاستفهام "مضمونه حملك المخاطب على الإقرار بأمر قد استقرّ عنده"¹. هذا المعنى قد اختفى وراء ملفوظ الشاعر و فهم من سياق الكلام ، فيتعدّر فهم البنية اللغوية إلا في إطار السياق وهو ما تبحث فيه التداولية.

ثم ينتقل إلى الأمر من خلال الفعل الكلامي المباشر المكرّر (سل البحر والزورق)، (سل قبة الحوار)، (سل الورد) الذي يعبر عن فعل كلامي غير مباشر هو الوصف والإعجاب، والذي تفرّع عنه فعل كلامي آخر غير مباشر وهو تقرير حقيقة لعظمة طبيعة الجزائر الدالة على عظمة الخالق، وهذان المنطوقان أسهما في تعديل القوة الانجازية في الفعل الإنجازي (تذهل) التي ترسم ملامح طبيعة الجزائر الخلابة، وما يُمتع الناظر من انبهار لمفاتها الطبيعية لتدلّ على التعظيم.

وللأمر في هذه الأبيات بُعد تداولي جليّ في قصد الشاعر لإحداث تغيير في المتلقي ودعوته إلى تأمل روعة خلق الجزائر إن كان لذلك جاهلا. والفعل الكلامي في الأبيات لا يدلّ على قصد الشاعر من خلال التلّفظ فحسب ، بل عمّا يعبر عنه، وما يقصده في شكله اللغوي المطابق لمعنى الخطاب، حيث يرى سيرل أنّ " الذي يأمر ويطلب أو يرجو يعبر عن رغبة في أن ينجز السامع الفعل لموقف نفسي"². فالأمر يتمثّل في طلب الحصول على فعل توجيهي، وحمل المخاطب على إتيان المأمور به والمعنى المؤلّد عن الموقف الحرفي وهو التعجب من جمال طبيعة الجزائر.

¹ - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،

ط1972 ص516

² - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص76

كما استعان الشاعر بقرينة لغوية وهي تكرار الفعل (سَل) لفائدة التوكيد، والتكرار له وظيفة اتصالية إقناعية تأثيرية، ف" تكرار اللفظة ذاتها في أكثر من موضع يعد أفانين القول الرافد للحجاج المدعّمة للطاقة الحجاجية في الدليل والبرهان لما له من وقع في القلوب"¹. وتكرار اللفظة والإلحاح عليها إنّما هو توظيف للحجاج حتى يشدّ انتباه المتلقي والإفصاح عن نفسية المتكلم ليستطيع المتلقي بناء استراتيجية لفهم مقصود المتكلم، فيبدي هو الآخر موقفا من خلال السياق الذي يساعد على تحليل المعنى وتوضيحه.

المشهد السادس:

سَلِ الْأَطْلَسَ الْفَرْدَ عَنْ جَرَجْرَا تَعَالَى يَشْدُ السَّمَاءَ بِالْثَرَى
فِيخْتَالُ كِبَرًا تَنَافُسُهُ تَقْعُدَا فَلَا يَرْجِعُ الْقَهْقَرَى
تَلَوْنَ وَجْهَ السَّمَاءِ بِهِ فَأَصْبَحَ أَرْقَاهَا أَخْضَرَا
أَمَّا وَحَدَّ الْأَطْلَسُ الْمَغْرِبِي مَعَاقِلْنَا بِوَيْثِقِ الْعُرَى؟²

يدعو الشاعر إلى التأمل في جبال الأطلس وجبال جرجرة الأبية التي تعانق السماء، فقد لامس لون السماء الأزرق لون الأرض المنتشي باللون الأخضر، حيث استهل الشاعر المشهد بفعل كلامي مباشر وهو الأمر (سَلِ الأطلس) الذي يراد به تعظيم جبال جرجرة الساحرة ووصف محاسنها، ففي الأمر يتّضح التأثير " بمجرد نطق المتكلم بصيغة الأمر يكون قد أفضى على نفسه مرتبة الأمر فيضع الآخر في مرتبة المأمور"³. فالشاعر هو الأمر الذي يقوم بالفعل الكلامي الممثل في التعظيم، ويرجو تحقيق رغبته وهي أن ينجز السامع نفس الفعل حيث يكون الفعل متلازما لموقف نصّي اجتماعي.

ثم انتقل إلى الفعل الكلامي الاستفهامي (أما وحد الأطلس...؟) المتضمن لفعل القول وهو تقرير حقيقة توحيد المغرب لارتباط السلسلة الجبلية ببعضها طبيعيا وثوريا. وإنّ القصد من الاستفهام في العبارة هو ما تضمنته القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا لتقرير حقيقة الدور

¹ - الدريدي سامية الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2007، ص186

² - مفدي زكريا، إلياذة الجرائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص10

³ - عمر بلخير، مقالات في التداوليات والخطاب، ص48

الذي لعبته سلسلة الأطلس في توحيد المغرب العربي، فالشاعر يحدّد هدفاً، و هذا الهدف يعتبر "محوراً أساسياً في المجال التداولي، وفي المجال التخاطبي كذلك، فإذا كان المجال التداولي يتناول الأقوال والمعارف، والمعتقدات المشتركة المتعلقة بالمتكلم والمخاطب، فإنّ المجال التخاطبي يتضمّن هذه العناصر التداولية باعتبار المتكلم والمخاطب يستحضران بعض الأقوال والمعارف والمعتقدات المشتركة في زمن الخطاب"¹. وهذا النمط الاستفهامي هو لتوضيح الشعور، وتدقّق العاطفة المرجوة والمترجمة، وهذا باستخدام أدوات وأحرف استفهامية ذات قوّة انجازية وفق معارف ومعتقدات مشتركة.

ولتدعيم القوة الانجازية لهذا الفعل وظّف الشاعر مُعينات لغوية (أصبح أزرقها أخضرا) لدلالة الإفادة بأنّ هذين اللونين الأزرق في السماء والأخضر على الأرض ليبهر المتأمل في امتزاج اللونين، وتبادلتهما دور التّميّيق من أجل طبيعة الجزائر.

ولتقوية الفعل الإنجازي استعمل أيضا الاستعارة (يختال كبرا)، (لا يرجع القهقري) لإقامة حجة استعارية لإثبات دلالة الفعل غير المباشر، فالاستعارة هي التي "تجبر المتلقي على الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يسند المتكلم إلى قوله"²، وذلك لتحقيق الغرض الإنجازي من الأمر والاستفهام، والتأثير في السامع ليعظّم هو الآخر هذا الجبل وثورته، فغاية الشاعر التعبير عن القوة الانجازية المسلزمة مقاميا، وعُدّ فعلا توجيهيا مؤثرا في المخاطب.

المشهد الثاني عشر:

وَحَمَامٌ رِيغَةً بَيْنَ الرَّوَابِي تَرَنِّحَ طَوْعَ الْهَوَى وَالتَّصَابِي

أَيَخْفَى هَوَاهُ وَفِي رَاحَتِيهِ تَمَوْجُ الْمَحَاسِنُ مِلءُ الرَّحَابِ؟³

يذكر الشاعر استفهاما، وبه يستفهم عن حمّام "ريغة" الذي يتموقع بين المرتفعات، و جعله الله متزينا بمحاسن قد حباه الله بها، وهذا الفعل الكلامي المباشر استفهامي في

1 - أحمد كروم، مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، ط1، عمان، الأردن، 2015، آفاق عربية، ص153

2 - بشرى البشتاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، 49

3 - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص17

الخطاب (أيخفى هواه؟) اعتمد على قرينة استفهامية هي (الهمزة)، والفعل الكلامي المباشر هو ما دلّت عليه الصيغة الحرفية للاستفهام وهي الهمزة، بينما الفعل الكلامي غير المباشر هو ما دلّت قوّته الإنجازية المستلزمة مقاميا هو الوصف والإعجاب. والمعنى الإنجازي للفعل الكلامي لا ينحصر على الصيغة المعجمية للاستفهام، بل يتعدّاه إلى فعل كلامي غير مباشر وهو تحبيب هذا المعلم السّياحي في نفوس الزائرين والعاشقين للحمامات للاستجمام والتّزّه بلغة محبّبة للنفس، ومن هذا المنطلق يُمكن " اعتبار اللغة فعلا تواصليا لا يمكن إدراكه إلا كسلوك إنساني شامل في إطار وضعيات تفاعلية"¹. وهذا الذي سعى إليه الشاعر لتجسيد حقيقة ما يهدف إليه وهي تحبيب مناظر الحمام ومحيطه لدى الناس. والشاعر هنا لا يطلب جوابا، بل يدعو للتأمل والتعجب والانبهار، لأنّ " الاستفهام من الآليات التوجيهية، بوصفه توجيه المرسل إليه إلى ضرورة الإجابة عنها، فيستعملها المرسل للسيطرة على مجريات الأحداث، والسيطرة على ذهن المرسل إليه"². فالاستفهام آلة توجيهية للقيام بفعل ما واستجابة لما يطلبه المتكلم، وغرضه جعل المتلقي يفسّر الفعل الكلامي الاستفهامي الذي آل إلى الإعجاب بحمام ريغة.

ولتقوية إنجازية الفعل الكلامي غير المباشر وظّف الشاعر عبارة مجازية تصوّر (تموج المحاسن) التي جعلت من الطبيعة الخلابة وتنوع مناظرها بمثابة أمواج البحر التي لا تتوقف عن الحركة والجمال، فكلاهما مشهود لهما بالحسن لا القبح.

المشهد التاسع عشر:

فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذِي بِلَادِي وَمَعْبُدُ حَبِّي وَخُلْمُ فَوَادِي
وَإِيْمَانُ قَلْبِي وَخَالِصُ دِينِي وَمِبْنَاهُ فِي مَلَّتِي وَاعْتِقَادِي
فَأَقْسَمَ هَذَا الزَّمَانُ يَمِينًا وَقَالَ الْجَزَائِرُ دُونَ عَنَادٍ³

¹ - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 57

² - بوقرومة حكيم، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقارنة تداولية، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزيزو، العدد 3، ط، 2008، ص 14.

³ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 24

ينادي جميع الناس بأنّ الجزائر حبّه وحلمه، ويتساءل هل قوم نوح و "إِرمَ" ذات العماد أعظم شأنًا من الجزائر؟ فرد عليه الزمان - من باب المجاز - حالفا: الجزائر دون منازع. إنّ الخطاب موجّه إلى الناس جميعا، وقد تضمّن الخطاب أفعالا كلامية مباشرة وهو النداء بشكل صريح (يا أيها الناس هذي بلادي) ليُلفت به انتباه هؤلاء الناس، فتلاه بعطف على النداء (ومعبد حبي) و(حلم فؤادي)، الذي هو "طلب استحضار يراد منه إقبال المدعو على الداعي ليتمكّن من توجيهه ما يريده"¹. والنداء هنا هو فعل توجيهي يحفّز المتلقي للردّ على فعل المتكلم، وهو فعل كلامي يقوم به المخاطب لتحديد مقصده وهو هيامه بوطنه، والخطاب مرتبط بمقام التلقي، حيث تحقّق آلية النداء غرض الحبّ الصادق لوطنهن وهذا تخصيص لذاته ومشاعره.

ولتقوية هذه المنطوقات اعتمد السياق على وسائل لغوية انفعالية (حبي، فؤادي) فالحبّ نابع أصلا من القلب، والقلب موطن هذا السر، وكلاهما يعبران عن فعل غير مباشر وهو عشق الوطن والهيام به، وهذا أسلوب من أساليب الإقناع، وأكدّه ذلك بقسم (أقسم) الدال على شهادة الناس له بحبه للجزائر. فالتوكيد بالقسم غاية وهي " تثبت الشيء في النفس وتقوية أمره والغرض منه إزالة ما علق في نفس المخاطب من شكوك"². والتوكيد بالقسم هنا يستعمل لبنية الخطاب، وهو وسيلة لتقوية الإخبار ولتوضيح أنّ مقصود المتكلم هو ذاته.

المشهد السابع والعشرون:

وإنّ تسألوا عن بني الأغلب سلّوا الزّاب عن جاره الأقرب

وطبنة هل تذكر ابن الحسد ين التّميمي وتاريخه الفُطُبي؟³

يطرح الشاعر سؤالاً للذين يكثرّون التساؤل عن "بني الأغلب"، فالأجدر أن تسألوا عن "الميزاب" وجارته "المهدية" بتونس، واسألوا أيضا عن المفكّر والمؤرّخ "محمد بن الحسين" في

¹ - بوقرومة حكيمة، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقارنة تداولية، مجلة الخطاب، ص13.

² - مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية، ط1، 1964، ص234

³ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص32

العهد الأموي. يظهر من خلال الفعل الكلامي الصريح (سلوا الزاب) أمر صريح يتضمن فعلا كلاميا غير مباشر هو تعظيم أهل منطقة "الزّاب" لمن كان يجهلهم، فقد "ورد الأمر في الفعل الكلامي صريحا يعتمد الإنجازات الصريحة على الإبانة، والمقصود بالإبانة هنا اشتغال الملفوظ على فعل دال بذاته على الأمر"¹. والأمر متعلّق بالفعل الكلامي، فهو يعمل الذهن عند المرسل إليه حيث يوجّه الشاعر المتلقي إلى قصده وهو النّظر في تعظيم هذه المنطقة.

والشيء الذي نستنبطه من الاستفهام المباشر في قوله (هل تذكر ابن الحسين التميمي...؟) أنّه معنى صريح، لكنّ القول المتضمن في الفعل هو الإشادة بمؤرخ قرطبة وهو "محمد بن الحسين"، وهو علّم من أعلام الفكر الإسلامي. ولا يقصد بالاستفهام المعنى الحرفي، وإنّما ليوجّه المخاطب إلى أهمية هذا المؤرخ للتعظيم والإعلاء من شأنه، فالاستفهام هو أن "تعبّر عن توجه المرسل على أن ينفذ المرسل إليه بعض الأفعال في المستقبل"²، لذا يدعو الشاعر إلى إتباع نهج هذا العالم لعلمه الغزير و(طبنة) خير شاهد على ذلك.

ولتدعيم القوة الانجازية للفعل الكلامي استعمل الإضافة وإلحاق تاريخ الأندلس به وبسيرته الحسنة في لفظ (تاريخه) ليبين عظمة هذا الفقيه بالحجّة الدامغة، لأنّ "انسجام المقال مع المقام شرط حجاجي جوهري"³، فانسجام المقال مع المقام الخارجي يعزّز وجود المرجعية من خلال التلفظ، وهي مجسّدة في المتكلم والمخاطب والبنية الزمانية والمكانية ومرجعية المقال بألفاظ تُحيل إلى موجودات تتموضع في سياق محدّد.

المشهد الثلاثون:

أيا ومضةً من جلال الشريعة ويا هبةً من هبات الطّبيعة

¹ - عيد بليغ، التداولية، البعد الثالث في سيميولوجيا مورييس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، دار النشر، مصر، ط1 2009، ص238

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص485

³ - محمد سالم محمد، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1 2008، ص116.

أَشَاعَ فِيكَ ابْنُ يَوْسُفَ الصَّلَا حَ وَوَشَّى الْجَمَالَ رَبَاكَ الْبَدِيعَه؟
 أَزْكَارُ أَمْ أَنْتَ عَشُّ الْعُقَا ب؟ أَمْ الصَّقْرُ مِنْكَ اسْتَمَدَّ ضُلُوعَه؟
 أَمْ الْعَاشِقُ الْمُسْتَهَامُ الْمَعْنَى بَنِيْعِ الْعَنَاصِرِ أَجْرَى دُمُوعَه؟¹

يطرح الشاعر أسئلة تخصّ جبل "زكار" الذي يطلّ على مدينة "مليانة"، لما له من عظمة وطبيعة خلابة التي اشتهر فيها الوليّ الصّالح ابن يوسف، حيث ابتدأ الشاعر الخطاب بفعل كلامي مباشر بقرينة النداء وهي (أيا) في قوله (أيا ومضة من جلال الشريعة)، ثم عطفها بفعل النداء (يا هبة من هبات الطبيعة) بقرينة لفظية هي (يا) والفعل المتضمن في القول هو التعظيم والإجلال، إذ يعظّم جبال الشريعة على أنّها عطاء من الله للجزائريين دون مقابل، ويتضمن هذا السياق فعلا آخر غير مباشر هو الإعجاب والدهشة لجمال طبيعة جبال الشريعة وما حباها الله من مناظر خلابة.

كما تضمّن هذا الخطاب فعلا كلاميا آخر مباشرا وهو الاستفهام المكرر (أشاع فيك ابن يوسف الصلاح...؟)، (أزكار أم أنت عش العقاب؟)، (أم العاشق المستهام...؟) الاستفهام غالبا ما ينحصر في معنى ذا دلالة ، لكن الاستفهام في هذه الأبيات اجتمع فيه التعظيم، والتوكيد، التعظيم لتوضيح عظمة المكان، والتوكيد أورده لإثبات تلك العظمة الموهوبة من الله، وهو ما يستلزم وجود دلالة أخرى نتجت عن صيغة الاستفهام الحرفي والأصلية، وبهذا يكون الاستفهام بلاغيا " ذلك أن الاستفهام الذي لا يراد به إجابة ما، وإنّما يراد به التعبير عن نفس القائل تعبيرا مؤثرا فصيحاً عن أغراض معينة كالنفي أو التقرير أو التعظيم"²، فالاستفهام معنى قائم بالنفس يحصل في أمور مجهولة كالتعجب والتعظيم وغيرهما.

والقوة الإنجازية الحرفية لصيغة النداء توضّح لفت الانتباه لهذا الجمال الطبيعي النادر في الوجود، وخلف هذه القوة الإنجازية الحرفية قوّة انجازية مستلزمة مقاميا هي الوصف والإعجاب لهذا المعلم الطبيعي. و لتدعيم القوة الإنجازية استعمل الشاعر كلمة (هبة) التي تدلّ على غرض آخر وهو السعادة بهذا العطاء الممنوح من الله إلى أهالي هذا البلد.

¹ - مفدي زكريا إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص35

² - أحمد الماهر البكري، أساليب النفي في القرآن، دار المعرفة، الاسكندرية، مصر، ط2، 1984، ص295

المشهد واحد وثلاثون:

سَلِ ابنَ علّاسِ عن ذِكْرِنَا وقلعةَ حمّادٍ عَن مجدِنَا
يُجيبُكَ ابنَ حمديسٍ فِي الخالدِ ين ويصنَعُ قوافيه من وَحيِنَا
وتنبُّكَ عائِشةُ كيف كانتِ ترقُّ وتقسُو على بعضِنَا
وتذكرُ بجايةَ أحلافِنَا وأسطولِنَا الضَّخْمُ يغزو الدُّنَا.¹

يتابع الشاعر سرده للأحداث التاريخية عن الملك الناصر "ابن علناس" عظيم ملوك عصره لرعايته العلماء، وشاعر بجاية "ابن حمديس" الذي أشاد بانتصارت ابن علناس، وكذا قلعة بني حماد، و"عائشة العمارية" التي هي من شاعرات بني حماد لشعرها الرقيق، وهجائها اللاذع.

وردّ في بداية الخطاب فعلا كلاميا مباشرا حرفيا هو الأمر (سل ابن علناس...؟) الذي يتضمن فعلا كلاميا غير مباشر هو تعظيم شأن الأمة الجزائرية من خلال ملوكها وعلمائها والعلوم الموثقة في ربوع الوطن، والتي صنعت مجد الأمة، والشاعر لا ينتظر إجابة وإنما يُحيل المشكّكين إلى ورثة الأنبياء، والمجد الذي صنعه سواء في الأدب واللغة أو في شتى أصناف العلوم.

كما نتج عن هذا الفعل الكلامي المباشر فعل غير مباشر آخر وهو إثبات أحقية المجد الذي صنعه العلماء أنفسهم، وهو ما أكدته القوة الإنجازية بالفعلين الكلاميين (يجبك، ينبئك) فأعمال هؤلاء الأعلام تغني بالإجابة عن كل من أنكر، وهذا توجيه للمشكّكين كي يجدوا اليقين، إنّه فعل توجيهي "يستخدمه المتكلم لكي يجعل المستمع يعمل شيئا ما أو لا يعمله"². والأمر فعل توجيهي يتحقّق في العالم تباعا لدلالته في الخطاب، إذ يوجّه الشاعر قصده إلى المتلقي للقيام بعمل فكري يجعله يتثبت من شأن هؤلاء الملوك والعلماء.

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص36

² - جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي، مناهجه ونظرياته وقضاياها، المناهج والنظريات ج1، الاسكندرية، مصر، (د.ت)

إنّ فعل التعظيم يبنى على شروط الملاءمة عند سيرل: نجد شرط المحتوى هنا البحث عن عظمة رجال العلم في الجزائر ليعرفوا قيمة البلاد في ظل العلوم، ويبنى ذلك تبعا للشرط التمهيدي وهو التأكد من ذلك بالسؤال، فالشاعر على يقين وما على المخاطبين سوى التأكد من صحة ذلك، ويحصل ذلك بشرط الإخلاص الذي أنبأته الصيغة الحرفية، أمّا الشرط الأساسي فيتحقّق في قدرة الشاعر التأثير في المتلقين ليكتشفوا عظمة سبق الجزائر في تطور العلوم آنذاك ليجعل من المتلقين قادرين على إحداث تغيير.

المشهد الثاني والأربعون:

سَلُوا سَاحَةَ الشُّهَدَاءِ أَمَّا بِهَا قَرَّرَ الْبَدَوِي الْمِئَالُ؟¹

يواصل الشاعر توجيهه للذين تتكروا لبطولات الجزائريين، بأن يسألوا عن "محمد البدوي" أحد رجال العاصمة الذي أعلن عن استقلال الجزائر ومن معه في ساحة الشهداء، فزج به الفرنسيون في السجن.

تضمّن البيت الشعري فعلا كلاميا مباشرا تمثّل في الأمر (سلوا ساحة الشهداء) وهو في مقام التعبير عن فعل كلامي هو تقرير حقيقة ليربطها ببطولة محمد البدوي، والفعل المتضمن في القول الإشادة بالبطولات التي شهدتها ساحة الشهداء في ظلّ وجود المحتل الفرنسي بشجاعة البدوي. ولتقوية هذا الفعل الكلامي استعمل منطوقا (قَرَّرَ) ليؤكد دلالة الأمر غير المباشرة وهو العزم على مجابهة المحتل، ولتقدير هذا المجهود المشهود له في سجل تاريخ الثورة الجزائرية.

هذا الخطاب موجّه لتأكيد تفاعل رجال الثورة في وسط اجتماعي مع قادتها نتيجة الظلم والقهر والتّشريد والتّعذيب وغيرها من الأساليب القمعية التي جعلت الفعل الكلامي ينجز وفق متطلبات الثورة والسياق معًا، فتحول هذا الأمر إلى فعل اجتماعي معبر عمّا عاشه الشعب، فيتأثّر الخلف بالذي صنعه السّلف في الجهاد والفداء، فهم امتداد لمن سبقهم ، وهذا بعد تاريخي واجتماعي، " فما يتلفظ به المتكلم من كلام يتحول إلى أفعال ذات امتداد

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص47

اجتماعي وتعتبر في الوقت نفسه حملاً للمخاطب على القيام بفعل معين¹، فالفعل الكلامي يعبر عن بعد اجتماعي يسعى الشاعر من خلاله التأثير على المتلقي باعتماد رسالة تأثيرية في عواطف صادقة لإقناعه واستمالته، أو جعله يقوم بشيء ما له علاقة وطيدة بسلوكات شجاعة.

وأُتبع فعل الأمر باستفهام توجيهي (أما بها قرر البدوي المنال؟)، فالشاعر يمهّد لفعل توجيهي، والمراد من الاستفهام هو ما تضمنته القوة الإنجازية المستلزمة مقامياً والمتمثلة في بث اليقين في المترددين والمشكّكين، وهذه الدلالة الخفية هي "إخراج الكلام في صورة مخصوصة دون أخرى وعدول الكلام من صورة إلى صورة أخرى تطابق مقتضى الحال أو الاعتبار المناسب"²، ومقتضى الحال يجب أن يكون الكلام مطابقاً للحال والمقام والظروف الخارجية المرتبطة بمحيط الخطاب.

المشهد السابع والأربعون:

وما الانتصارُ دخولَ انتخابٍ وضربُ الموائدِ ضرباً شديداً

ولا كلماتٌ على جُدرانٍ هل الحبرُ في الحربِ كان مفيداً؟³

يتساءل الشاعر عن عدم جدوى نفع السياسة والعمل بنهج الأحزاب السياسية، حيث يُعلي من شأن السلاح والكفاح بدلاً من السياسة. وفي البيت الثاني خطاب فعله الكلامي مباشر (هل الحبر في الحرب كان مفيداً؟) الذي يتضمن فعلاً في القول وهو الإنكار، لأن السياسة فقدت مصداقيتها، إذ لم تُجد نفعا في جلاء المحتلّ، فالشاعر سعى إلى إفهام المتلقي مقصد الكلام بحكم التواصل والاستدلال، وأنجز ذلك في سياق مناسب للتأويل، حيث نجد "العبارات اللغوية إذا روعي ارتباط معناها بسياقات انجازها، لا تتحدّ فقط في ما تدلّ عليه صيغتها الصورية، لذا يجب إيجاد تأويل آخر ملائم يحتمّ الانتقال من المعنى الصريح

¹ - عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، ص 189

² - نور الدين أجييط، الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعادها الحجاجية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1،

2016 ص 164

³ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص 52

إلى المعنى المستلزم¹. ومعنى ذلك أنّ الألفاظ في جملها يُدرك معناها ذهنياً لتوضيح القصد من فعل المتكلم، والجملة المستعملة هي وسيط بين المتخاطبين، وهي الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى الذهني، وقد استدلّ على ذلك بقرينة لغوية هو الحرف (هل) الذي لا ينحصر في مقام الاستفهام فحسب بل يتعدّاه إلى إنجاز فعل توجيهي للدلالة على تعظيم اللجوء إلى الكفاح المسلح.

وإنّ فعل الإنكار ارتكز على شروط الملاءمة عند (سيرل): شرط المحتوى القضوي هو إبعاد الحسابات السياسية التي أطالت من عمر الغاصب ويرتكز ذلك على الشرط التمهيدي، حيث الثوار هم من أحلّوا الكفاح المسلح بديلاً عن السياسة وتحقّق ذلك بشرط الإخلاص، ثم الشرط الأساسي المتمثل في قدرة الشاعر التأثير في المتلقي بأنّ الثوار والفدائيين هم من حملوا السلاح لإنجاز الفعل، وهنا تحققت المطابقة بين العالم والقول والمخاطب (بفتح الخاء)، لأنّ هذا الجهاد واقع شاهده العدو قبل الصديق.

ولتدعيم القوة الإنجازية اعتمد الشاعر في سياق الكلام على وسيلة لغوية وهي النفي (وما الانتصار دخول انتخاب)، (ولا كلمات على جدران) فالشاعر قد نفى أفعالا وأحداثا هي من المُعيقات للانتصار، ف" للنفي دلالة تداولية إنجازية تنفي فعلا ما أو خبرا ما"². ونلاحظ أنّ للنفي دلالة وحمولة الإنكار الذي يستخدمه الشاعر لما يتردّد في أذهان المغرضين، وبالنفي عبّر عن نفسيته الأبيّة، فمن الضروري أن يبعث برسالة النفي مطابقا لما يلاحظه.

المشهد التاسع والأربعون:

فيا أربعين وخمسا أعيدي فضائح جندي غبيّ بليد
وآثام أحلاس جيش عميلٍ عديم الحيا كضمير اليهود
ويا ذكريات الدماء الغوالي أفيضي جلاك ملء نشيدي

¹ - العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2011، ص7

² - علي محمود حجي الصرف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص111

ويا لعناتِ السَّمَاءِ انزلي صواعقَ فوقَ الظُّلومِ الحَقودِ¹

ينادي الشاعر لافتا انتباه الناس والشباب الجزائري لمجازر 08 ماي 1945 التي ارتكبتها المحتل الفرنسي في حقّ الجزائريين، حيث ذاق الشعب الجزائري الويلات من جرّائها، فهذا المحتل البليد اعتقد أنّ هذه المجازر ستنتهي الشعب الجزائري عن صموده وكفاحه، لأنّ هذه الذكرى الدّموية تعظم في عين الشاعر، لذا يدعو بالشر على المستعمر الغاصب.

تضمّن الخطاب أفعالا كلامية مباشرة حرفية صريحة امتزج فيها النداء بالأمر (يا أربعين وخمس، أعيدي...)، (يا ذكريات الدماء الغوالي، أفيضي...)، (يا لعنات السماء، انزلي...) صيغته النداء بحرف النداء (يا) جاء لمقتضى التعلّق بالوطن، والنداء هنا ورد لغرض التنبية وتوجيه ما يقصده الشاعر، أملا تحقيق تأثيرها في أبناء الجزائر بما لحق آباءهم وأجدادهم من مجازر تقشعر لها الأبدان، وتشمئز لها النفوس، وتعافها الأنفس الأبية. والشاعر يريد من خلال النداء طلب إقبال هذا الجيل عليه، كي يأخذ العبر من هذه الأحداث، لأنّ المقام لا يقتضي الذكرى فحسب، بل أخذ العبر والدروس ممّا نتج عن هذا الإجرام المنظّم، وذلك بغرض التهديد لأنّ النداء وظّفه الشاعر وعدّه من " أدوات الحجاج اعتماد التهديد والترهيب كأسلوب للإقناع الخطابي"². والنداء في القول هو بمثابة مدخل للأفعال الكلامية التالية والتي يحضر بعدها مباشرة المقصود، والهدف وهو تحقير المحتل ثم التعظيم من شأن الجزائر، وبهذا فالنداء يدلّ على طلب استحضار ما يريده المتكلم من المتلقي.

وجاء النداء مرافقا للفعل الكلامي المباشر الصريح آخر وهو الأمر (أعيدي فضائح...) لفعل متضمن في القول وهو الالتماس والتمني بأنّ تحدثهم مرة أخرى عمّا أجرمه المستبدّ في حقّ الجزائريين والفعل الكلامي المباشر الصريح (أفيضي جلالك) استعمله في مقام التحبّب والسّعادة بنشوة الشهادة، لأنّ عظمة النداء تكمن في السعادة بالشهادة من أجل إقرار الحق،

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص54

² - نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص107

ثم جاء الفعل الكلامي المباشر (انزلي صواعق...) متضمن لفعل القول وهو الدعاء بالشّرّ على المحتل الفرنسي لتسليط اللعنات والمصائب على من تسبب في إراقة هذه الدماء دون عفو وصفح عن جرائمه، بل المطالبة بخسرانه وهلاكه أبد الدهر، لأنّ المقام يستدعي تثبيت الأبناء على نهج الآباء.

ولتدعيم القوّة الإنجازية وظّف الشاعر وسائل لغوية كالتكرار بحرف النداء (يا) لتثبيت عقول الشباب بهذا الحدث، كما وظّف صفات دنيئة تخصّ العدو بأفعال متتالية (غبي، بليد، الظلوم الحقود) متضمنة في القول وهي احتقار المحتل. ولتدعيم القوة الإنجازية أيضا استعان الشاعر بمجموعة من المؤشرات اللغوية: تخصيص الاسم للخطاب (أربعين وخمسا) لتوجيه الأذهان تجاه هذا الحدث التاريخي العظيم الذي يُحيل إلى أحداث وقعت في زمن معيّن، ودلّت عليه (فضائح جند غبي بليد)، لذا فـ "العنصر الإحالي لا يملك في اللغة دلالة مستقلة به، وما يتضمنها منه خلال عودته إلى عنصر مذكور في الخطاب"¹. إنّ العنصر الإحالي عنصر مهم داخل النص، ويقصد به إرجاع اللفظ للفظ الذي قبله أو بعده داخل النص، وتؤدي الإحالة النصية وظيفتها الدلالية الصحيحة.

المشهد الثامن والخمسون:

ويا وادي سوف العرين الأمين ومَعْقِلِ أبطالنا الثَّائرين
أُيْنَسَى ابن شهرة أحرارنا تَلَقَّفُ رايتهُ باليمين؟²

ينادي الشاعر "واد سوف" معقل المجاهدين بقيادة المجاهد والقائد "ابن شهرة" الذي هزم الجيش الفرنسي ممّا جعل الجنرال "سوستال" يذرف الدّموع على أشلاء جنده الفرنسيين.

يوجّه الشاعر خطابه إلى المتلقي بأفعال كلامية مباشرة ابتدأها بالنداء (يا وادي سوف العرين الأمين...) غرضها المجازي جعل المتلقي يذكر هذه البطولات والتأثير فيه، والشاعر يخاطب بشكل مجازي وادي سوف في صيغته الحرفية يقصد به أبطال البلدة الثائرين،

¹ - نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري ص46

² - مفدي زكريا، إياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص63

والفعل الكلامي المتضمن في القول هو الإشادة والتعظيم. وفي هذا السياق استعمل الشاعر طريقة التلميح لتجسيد الأفعال الكلامية باستعارة إذ شبه "واد سوف" المكان بإنسان أمين وهي استراتيجية غير مباشرة لا تعبر إلا على القصد المتورى خلف البنية الحرفية، وهذه الإستراتيجية "يعبر بها المتكلم عن القصد بما يغير المعنى الحرفي لينجز بها أكثر ممّا يقوله مستثما في ذلك عناصر السياق، أمّا البنية اللغوية فهي مجرد ممر"¹، وبهذا تكون الاستعارة وسيلة لانجاز الفعل إذا تحقق التعاون والصدق ووضوح الكلام بعيدا عن الغموض ممّا يسمح تحقيق القصد وانجاز الفعل.

ومقتضى ذلك أنّ الثوار أذاقوا المحتل معارك أفحمتهم تبعا لشروط الملاءمة عند سيرل: فشرط المحتوى القضوي هو الاعتزاز بتلك البطولات، والشرط التمهيدي أنّ الشاعر المتكلم على يقين من قدرة الأجيال على إنجاز فعل الاعتزاز لما سبقهم به آباءهم الثوار والشهداء، والشرط الأساسي هو قدرة المتكلم التأثير فيهم إحداث المطابقة. وهذه الشروط التي ذكرها "سيرل" هي "بمثابة المنهج الذي سار وفقه لتجديد فعل أنموذجي ناجح"²، التي لها دور في تحقيق نجاح الفعل الكلامي. ولتقوية الفعل الكلامي التعظيم، استعان الشاعر بصفات الفحولة التي يمتلكها الجزائريون هي (العرين، أبطال، ثائرين، أحرار) لدلالة قدرتهم على مجابهة الغاصب مهما كانت قوته.

المشهد الواحد والستون:

فِيَا عَامَ سَتَيْنَ قُصَّ عَلَيْنَا فُضَائِحَ جَيْشٍ يَذُوبُ غَلِيلاً
وَيَا زَارِعَ الْمَوْتِ فِي أَرْضِهِمْ هُمُ زَرَعُوا فَأَقَمْنَا الدَّلِيلَا
سَلِ السَّيْنِ كَمْ قَذَفُوا مِنْ ضَحَايَا؟ وَكَمْ صَنَعُوا الْمَذْهَلَ الْمُسْتَحْيَا
وَسَلْ فِي الْمَنَاجِمِ كَمْ مِنْ قَتِيلٍ أَهَالُوا عَلَيْهِ التَّرَابَ الثَّقِيلَا.³

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 371

² - نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية، منشورات جامعة باجي المختار، عنابة، 2006، ص 197

³ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 66

يشيد الشاعر بالجزائريين الذين تظاهروا في باريس يوم 11 ديسمبر 1961 تضامنا مع كفاح شعبهم، حيث ألفت الشرطة الفرنسية بالكثير منهم في نهر "السين" وماتوا غرقا. الخطاب موجّه مجازا لعام ستين لعظم الجرم الذي ارتكبه المحتل بإلقاء الجزائريين في نهر السين، حيث استهل خطابه بأفعال كلامية مباشرة حرفية هي النداء (يا عام ستين)، (يا زارع الموت) بقرينة (يا) حيث مفترض القوة المتضمنة في القول هو تبين الحقيقة المزيفة للمحتل. ويُمكن مراعاة بنية الفعل الكلامي النداء إلى قسمين: فعل كلامي مباشر هو (النداء) في الصيغة الحرفية (يا عام ستين) التي لها قوة انجازية حرفية مدركة مكوّنة من قرائن هي: حرف النداء + المنادى ثم الفعل الكلامي غير المباشر هو التخصيص الذي يعرف من سياق مقامي تدل عليه ضمنا بنية التركيب.

ثم تلت ذلك أفعال توجيهية طلبية كالأمر (قص علينا)، (سل السين)، (سل في المناجم)، التي تتضمن فعلا كلاميا غير مباشر وهو فضح جرائم المحتل، الذي له معنى متضمن في القول مستلزم مقاميا، يقصد به مبالغة المحتل في كثرة تقتيل الجزائريين والتكثيف بهم، وذلك بغية تحقيق تأثير هذه الأفعال في المستمع. والغرض الإنجازي هنا هو إحداث تأثير في المتلقي " وإنه لما كانت هذه الرغبة في التأثير تمثل نشاطا موجها إلى هدف، فقد حدّدت بشكل أدق بأنّها فعل لغوي"¹، لأنّ الفعل الكلامي أعطى بعدا تداوليا وإحداث تغيير في العالم الخارجي بشكل جليّ ممّا يؤدي إلى انجاز فعل كلام وقت إيقاع الكلام.

فالأفعال الكلامية المباشرة بصيغة الأمر (سل السين...)، (سل في المناجم كم من قتل) الواردة في الخطاب موجّهة للمؤمنين بالقضية الجزائرية، يطلب منهم أن يسألوا نهر "السين" وجرائم المحتل الغادر، فمقام السياق يتضمن معنى في القول وهو التحقير والازدراء من هذا الفعل الإجرامي، ويقتضي المقام التعبير عن دناءة المحتل وأساليبه القمعية، لهذا بني الفعل الكلامي إلى قسمين: القسم الأول وهو الأمر فعل كلامي مباشر (سل) المركب

¹ - كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 2010، ص132

من فعل لازم + فاعل مستتر، وهو تأكيد للنداء، والفعل غير المباشر هو هول الجرائم وضررها. وجاء النداء توطئة للأفعال الكلامية الموالية، ذلك للفت الانتباه، والتوجيه لما يريده المتكلم لاحقاً، ولذا فقد اجتمع في الخطاب النداء والأمر للتأثير في النفوس.

وفي هذا السياق استعمل الشاعر إستراتيجية تلميحية لأفعال الكلامية (يا زارع الموت)، (سل السين) لتحقيق إنجازيتها من التكنية؛ الأولى كناية عن موصوف وهو المحتل، والثانية كناية عن صفة وهي كثرة التقتيل، إنها إستراتيجية غير مباشرة، يعبر بها الشاعر بالبنية الحرفية المرافقة للمعنى المضمر، حيث "يعبر بها عن القصد بما يغير المعنى الحرفي لينجز بها أكثر مما يقوله مستثماً في ذلك عناصر السياق"¹. فالشاعر اهتم في سياق الخطاب بالدافع الاجتماعي وهو تشبع الشعب الجزائري بروح التحدي وهو اعتقاد يسري في عروقه ويتأثر بمجريات الأحداث وبكل ظلم يسلط على أي مظلوم لأنه مكوم. والغرض من الفعل الإنجازي هو إحداث تغيير في سلوكات الجزائريين تجاه ثورتهم قصد الاستجابة لحب الوطن والتأثير في الأجيال.

والقوة الانجازية للفعل الكلامي متمثلة في صيغة (كم) الدالة على كثرة التقتيل، كما يعدّ الفعل الكنائي (يذوب غليلاً) فعلاً غير مباشر يدلّ على حقد المحتل وغلطته، فمثل هذه الأفعال "أنها تعبر عن معنى بصورة غير مباشرة، مما يرشحها لتكون إحدى الوسائل الفعالة لإنجاز الأفعال غير المباشرة"². وقد استخدم أيضاً الاسم المزيد (المستحيل) الدال على تقنن المحتل في ابتكار أساليب التعذيب والتتكيل بالجزائريين يوماً بعد يوم.

المشهد الثالث والستون:

إِذِ الشَّعْرُ خَلَدَ أَسَدَ الرَّهَانِ أَيْنَسَى مَغَامِرَةَ الْحَيَوَانِ؟
أَيْنَسَى الْبَغَالَ؟ أَيْنَسَى الْحَمِيرَ وَهَلْ بَبَطُولَاتِهَا يُسْتَهَانُ؟
سَلَامٌ عَلَى الْبَغْلِ يَعْلُو الْجِبَالَ ثَقِيلاً يَكْبُرُهُ الثَّقَلَانُ

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 371

² - علي محمود الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 152

وعاش الحمار يُقِلُّ السِّلَاحَ وَيَغْشَى المَعَامِعَ ثَبَّتَ الجَنَانُ.¹

كما ينبغي ألا ننسى دور البغال والحمير التي كانت تزود الثوار بالسلاح و المؤونة، ممّا جعل الجن والإنس يُعلي من أهمية البغل والحمار. فقد جاء الخطاب مشكّلا من أفعال كلامية توجيهية هي الاستفهام بشكل متتابع (أينسى مغامرة الحيوان؟)، (أينسى البغال؟)، (هل يستهان ببطولاتهما؟)، والفعل المتضمن في القول هو تقرير حقيقة، حيث تفرّع عن هذا القصد معاني هي: الإعجاب بدور الحمير والبغال في مساندة الثورة بحمل الأسلحة والغذاء والأدوية، والإشادة والإعجاب بالدعم اللوجستيكي الذي حملته على عاتقها هي الأخرى، وكذلك الدعاء لها بالخير، إلى جانب تحديها الصّعب. إنّها أفعال كلامية فرعية غير مباشرة باركها الشاعر في البيتين المواليين مثبتا تجاهل من أنكر دور الحمير والبغال في دعم الثورة لوجيستيكيًا، لأنّ هذا الرّد من الشاعر هو توضيح للاستفهام المستعمل للحاجة إلى الشرح والتوضيح، وجاء الاستفهام للإقناع والتأكيد بحكم أنّ المقام يقتضي تفصيل هذا الدور وهذا ما أدّى بالشاعر إلى تكرار الاستفهام ثلاث مرات في البيتين الأولين.

وإنّ العبارات التي ورد فيها الاستفهام انتقلت من القوة الانجازية الحرفية إلى القوة الانجازية المستلزمة مقاميا، و" إنّ القوة الانجازية التي يُمكن أن تواكب العبارات اللغوية قوتان: الأولى قوة إنجازية حرفية، والثانية قوة إنجازية مستلزمة، وتظلّ القوة الانجازية الحرفية ملازمة للعبارة، أمّا القوة الانجازية المستلزمة فهي مربوطة مقاميا، بحيث لا يتمّ تولّدّها إلا في طبقات مقامية معيّنة والقوة المستلزمة يتوصّل إليها عبر عمليات ذهنية استدلالية"²، بمعنى أنّ الجملة الاستفهامية يريد الشاعر من وراء ذلك التعبير عن دور الحيوان، وظلّت القوة الحرفية مرافقة للجملة، وهذا التعبير بالاستفهام أكّد الإشادة بهذا الدور.

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 68

² - أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ص 21

ولتدعيم القوة الإنجازية لهذه الأفعال الكلامية استعان بمؤشرات لغوية (سلام، يكبره، عاش يغشى) هي ألفاظ أسهمت في تعظيم الحيوان المشارك في الثورة، حيث أشاد بذلك كل من الإنسان والجن، فهذه أعظم شهادة على دور هذه الحيوان في دعم الثورة.

المشهد الثامن والستون:

أليس امتزاجُ دمانا الغو إلي شهيداً على وَحدةِ الغنصر؟
أليست جراحاتنا الدامياتُ وآماننا فلكَ المحور؟
متى كان بينَ الأشقاءِ سدٌّ يُقامُ على الزورِ والمنكر؟¹

يستفهم الشاعر عن قيمة الدماء التي سالت من شهداء المغرب العربي على يد المحتل الفرنسي والتي وُحِّدت المغرب العربي، متخطية الحواجز التي أوجدها المحتل والمتمثلة في غلق الحدود جغرافيا وسياسيا.

توالت الأفعال الكلامية في هذا الخطاب ممثلة في أسلوب الاستفهام في البيتين الأول (أليس امتزاج دمانا...؟) والثاني (أليست جراحاتنا الداميات...؟) مقترنا بنفي وبصيغته الحرفية الأصلية وقد استعمل الاستفهام في غير معناه الأصلي، أي ورد في معنى مجازي كنائي ممثلة في (دمانا الغوالي) كناية عن صفة الاشتراك جميعا في قتال المحتل، ومقتضى الحال تضمن استفهاما غير حقيقي غرضه إنكار ما قام به المحتل من تفريق بين الشعب الجزائري و المغربي والتونسي، والاستفهام المقترن بالنفي (أليس...؟) فقد أورده الشاعر لإفهام المتلقي أنّ التفريق بين هذه الشعوب هو ضرب من المستحيل، وهو شيء مُمتنع، وأنّ المحتل يحاول التفريق عبثا. ثم أردفه بأسلوب استفهام آخر (متى كان بين الأشقاء سد...؟) وهو فعل كلامي مباشر تضمّن معنى في القول وهو إنكار وجود شقاق بين الأشقاء لغرض استحالة التفريق بين الأشقاء مهما كان خداع المحتل. ولتقوية الفعل الإنجازي تكرر الاستفهام (أليس...؟) فالهمزة اقترنت بالنفي لتعبّر عن متضمن في القول للتصديق والإثبات لأنّ الإجابة تكون بحرف جواب: بلى، لتصديق امتزاج الدماء والاكتواء بآلام المحتل معا، "

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص73

فالتصديق هو ما يكون الجواب عنه بالإثبات أو بالنفي¹، وإن اقتران همزة الاستفهام بالنفي طلب للجواب بحرف (بلى) والذي هو فعل كلامي دال على التصديق والموافقة، وذلك لإثبات الوحدة بين الإخوة.

طرح الشاعر استفهاما بشكل مكرّر بغية تحقيق هدف، وهو الاستجابة الفعلية لهذه الاستفهامات، التي وردت كفعل توجيهي لإبلاغ المتلقي أهميّة تلاحم الشعب الجزائري والتونسي والمغربي، حيث أنجز الشاعر فعلين ؛ الأول دلت عليه القوة الإنجازية الحرفية والثاني عبّرت عنه القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا وهي تكذيب إدّعاءات التفرقة بين الشعبين، وهذا المعنى من " المعاني المفهومة الضمنية هي المعاني التي تتجاوز حرفية الجملة، ويلعب السياق دورا في تحديدها"². فالفعل الكلامي المباشر يقتضي الربط بين التراكيب والوظيفة، ولما يتحقّق هذا الربط يصير فعل الكلام غير مباشر للتعبير عن فكرة يشترك فيها الباحث والمتلقي.

والاستفهام له وظيفة حاجية يضر فيه القصد وفقا لمتطلبات السياق، وهذه الوظيفة للفعل الكلامي " تزيد من قوّته الانجازية التي أرادها له "أوستين" و"سيرل" ولا سيما التي المرتبطة بوظيفتي التأثير والإقناع"³. وللاستفهام وظيفة وهي تأدية فعل توجيهي، وهو ما تضمنته القوة الانجازية المستلزمة مقاميا لغرض وهو وحدة المغرب العربي.

ولتنقية القوة الانجازية استعمل الشاعر قرائن لغوية (شهاد، وحدة، آمالنا، الأشقاء) مؤكدة للتماسك و العلاقة بين هذه الشعوب وتمازج دماهم.

المشهد الرابع والتسعون:

وازعج قومًا أذانَ الصَّلَاةِ يُجَلِّلُ فِي الْقِمَمِ الصَّارِعَاتِ
أُطْرِبُكُمْ فِي الْحَيِّ نَاعِقُ وَتَسْتَكْرُونَ أَذَانَ الصَّلَاةِ؟

¹ - عاطف فاضل : مبادئ البلاغة العربية، دار الرازي عمان، الأردن، 2006، ط1، ص211

² - فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص114

³ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص65

وفوق المئاذن صوت الإله يقود الشراع لشاطئ النجاة.¹

إنّ بعض الجزائريين أقلقهم الأذان الذي يدعو إلى النجاة من النار والعذاب، بينما لا يزعجهم نقر الدفّ والطبل في الأعراس بمكبرات الصوت.

احتوى هذا الخطاب على فعل كلامي مباشر بصيغة الاستفهام (أيبطركم في الحي...؟) التي أفادت قوته الإنجازية الحرفية معنى السؤال، أمّا الفعل المتضمن في القول هو الإنكار لأنّ بعض أبناء هذه الأمة يتباهون بالغناء وينبذون الأذان، كما تفرّع عن هذا الفعل الكلامي أفعالا إنجازية أخرى وهي: التحقير، التقرير، والإرشاد. وأكّد إنجازية الفعل المؤشرات اللغوية (صوت الإله)، (شاطئ النجاة) إشارة إلى أنّ الأذان فعل كلامي إلزامي يدعو لواجب الانقياد لا الإنكار، بحكم أنّ هذا الأذان هو الداعي إلى تحصن الجزائريين من التّيه والفساد والابتعاد عن عبادة الله، وإنّ الفعل التأثيري هو إرشاد هؤلاء المنكرين إلى تقبل الأذان بإيمان صادق دون تفضيل الغناء عليه.

هذه الإستراتيجية التّوضيحية بين الشاعر والمتلقين الرافضين لسماع الأذان أثبتتها السياق بدعوته إلى ترك العناد والإصرار على الباطل والتأثر بالغرب، وهذا الفعل الكلامي هو فعل وصفي إنجازي، يعبر عن ارتباط ديني واجتماعي بمجرد النطق به، فالشاعر يدعو المتلقين إلى تقبل سماع الأذان، لأنّها حقيقة دينية لأنّ يكونوا مؤمنين بذلك، بحكم عيشهم في وضع اجتماعي سمته التّدين الذي كشف عنه مقام الإنكار والتحقير، لأنّ " القصد بمقامات الكلام لكونه يمثل المعنى الذي تقتضيه هذه المقامات، كما يؤدّي دورا أساسا في الملاءمة بين نوع الحديث وملابساته ونوع اللفظ"²، فالشاعر يُقحم القارئ في نصّه بقيمة تأثيرية من خلال أفعال كلامية ضمن مشاهد حسّية تنطلق من السياق لتحديد التفاعل بين الشاعر والقارئ تبعاً لمقام معيّن وفق ما يرمي إليه.

ولتدعيم القوة الإنجازية لهذه الأفعال وظّف الشاعر حرف النداء الهمزة (أ) الذي يدلّ على المعنى القريب، وهو يقصد من ذلك أبناء وطنه، حيث عبّر عنهم بكلمة (قوما) التي وردت نكرة لأنّهم ما لم يحترموا صوت الإله فهم نكرة بحكم أنهم دعاة للخذلان والعصيان.

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 99

² - أحمد كروم، مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، ص 161

المشهد السادس والتسعون:

فيا ربّ قد أغرقتني ذنوبي وأنت العليم بما في الغيوب
أثوب إليك بإلياذتي عساها تُكفّر كلّ ذنوبي
فيا ربّ ما حيلتي في الهوى وفيك؟ إذا لم تُكفّر ذنوبي.¹

ينادي الشاعر ربّه داعيا بأن يغفر له ذنوبه، لذا يتقرب منه زُلْفى بهذه الإلياذة كي يتوب عليه، لأنّه عبد مذنّب يرجو عفو وصفح ربّه. ففي هذه الأبيات يتوجّه الشاعر ب خطاب إلى ربّه بفعل كلامي مباشر حرفي (فيا رب قد أغرقتني ذنوبي...)، (فيا ربي ما حيلتي...) بقرينة النداء (يا) المقترن بلفظ الجلالة، وتضمن النداء فعلا إنجازيا غير مباشر وهو الدعاء والتضرع لله عز وجل، والمتكلم ليس له سلطة في هذا المقام، بل يريد إنجاز الفعل مستقبلا، فيه منفعة يجنيها من غفران الله. فالعبارة (أغرقتني ذنوبي) لها معنى صريح هو الذنوب التي أثقلت كاهله، أمّا المعنى الضمني هو ارتكابه للذنوب التي تقتضي الدعاء للتكفير عن الذنب وهو المعنى المقصود على سبيل الفعل الاستعاري، الذي له دلالة بلاغية وهي تجسيد الفعل الكلامي، ف" تكون الاستعارة وسيلة رئيسية ومهمة من الوسائل المستخدمة في إنجاز الأفعال غير المباشرة"². فاللفظ الاستعاري يُشير إلى معنى محدّد، حيث قصد بالاستعارة هو إثبات معنى مستلزم مقاميا، وهذه الاستعارة كثيرا ما تستعمل في اللغة العادية للتعريف بالشيء المستعار له بالمحسوس بعد تقريب المعنى. ولقد اقترن النداء بالاستفهام ليحمل قوة حرفية (ما حيلتي في الهوى وفيك؟) والذي تتضمن معنى في القول هو دعاءه الله كي ينقذه من هوى النفس، ويفضّل الملجأ إلى الله حتى يكون ثمة منجى من النفس بفعل توفيق الله.

ولتعديل القوة الأنجازية للفعل الكلامي استعان في السياق بمعينات لغوية (قد) للتأكد من كثرة ذنوبه، و(أنت) يخاطب ربّه مباشرة دون واسطة لتعظيم الله الذي وحده هو أهل للنداء

¹ - مفدي زكريا، إياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص101

² - علي محمود الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص150

وطلب الغفران، فالخطاب هنا يبلّغ دون واسطة، و(إليك) التي تدل على التخصيص، و(عسى) التي عبّرت على اليقين والرجاء بأنّ الله يغفر له ذنوبه.

المشهد الثامن وتسعون:

وَقَالُوا قَصِيدُكَ شِعْرٌ قَدِيمٌ يُكَبِّلُهُ بِالتَّفَاعِيلِ غِلٌّ
وما حيلتي إن يكن شِعْرُهُمْ دَخِيلًا وَشِعْرِي يُزَكِّيهِ أَصْلٌ؟¹

استهزأ بعض المثقفين بشعر مفدي زكريا واستهجنوه بأنّه شعر لا جدّة فيه من حيث أوزانه وبذلك هو قديم، فردّ مستفهما بأنّ شعره أصيل أصالة اللغة العربية، وليس بمستورد ولا دخيل. تضمّن الخطاب فعلا مباشرا بصيغته الحرفية وهو الاستفهام (وما حيلتي إن يكن شعرهم...؟) الذي حمل مقابل ذلك معنى في القول هو تمجيد شعره، وهذا الفعل الغرضي تقرّع عنه فعل كلامي هو تحقير الشعراء والنقاد الحاقدين ومناوئيه لشعره في السياق المذكور (شعر قديم)، لكنّ ردّه كان بفعل كلامي غير مباشر وهو الإنكار (شعرهم دخيل). وقد عدل الاستفهام عن أصله وجمع بين التحقير والإنكار ضمن سياق محدّد، ولذا فـ " إنّ السياق يعدّ العامل الأبرز الموجّه لدلالة الأفعال غير المباشرة، والعامل الأكبر في قضية الفهم والإفهام"². فالسياق عامل أساسي موجّه لدلالة الأفعال لأنّه يقف على طبيعة العلاقات التي تُسهم في إنتاج الخطاب، والمتحكمة في بنية الأفعال، وما تُحدثه التّغييرات الكامنة في جمل الخطاب.

ولتقوية الفعل الانجازي استعان بعبارة حجاجية (يزكيه أصل) فأصل شعره من أصالة لغته الأزلية و الواجب المحافظة على أصالة الشعر ولغته، وتجنّبها اللّحن واللّكنة، وكلّ ما هو دخيل على الشعر الذي قد يُخلّ ببلاغته وفصاحته. والشاعر يسعى بهذه الحجّة إلى استمالة النفوس بغرض الإقناع بوسيلة بلاغية وهي ما " توفّره للقول من جمالية قادرة على

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص103

² - علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص128

تحريك وجدان المتلقي، والفعل فيه¹. فالشاعر يسعى إلى إقناع الآخر بما يقوله ثم التأثير في سلوكاته، وهذا التأثير وعملية الإقناع لا يتأتى إلا بتوظيف رسائل إقناعية التي استعان بها الشاعر المُقنع إلى دلالة خارجية.

2-3-التعبيريات (البوحيات) expressives:

تُعَدّ التعبيريات نوع من الأفعال الكلامية التي يعبر بها المتكلم عما يشعر به، ولها غرض إنجازي مفاده التعبير عن حالة نفسية تجاه القضية المقصودة، يرافقها الإخلاص أثناء التعبير. وتضمّ هذه الأفعال أشكالاً نفسية مختلفة حسب الواقع كالفرح، والسعادة، والحزن، والتعزية، والشكر، والتهنئة، وهذه الأفعال تعبر عن انفعالات صادرة من الشخص وذلك لتقريب القضايا من الناس كي يتفاعلوا مع المعاني النفسية المرتبطة بالواقع الاجتماعي الذي يشارك فيه كل من الباحث والمتلقي، فالفعل التعبيري هو " تعبير عن شعور المتكلم بالنسبة لشيء ما، وهو يتضمن الشكر والاعتذار والتعازي والتهنئة"²، فالتعبيريات تميل إلى التعبير عن عواطف بمكوناتها بُغية ربط التفاعل بين المرسل والمتلقي لإفهام الأخير بمقولاته وتفسيرها لغويا ومرجعيا.

إنّ التعبيريات أفعال إخبارية لها فعل متضمن في القول، وهي أفعال قلبية تصدر عن الأقوال، لا تعتمد على شروط الملاءمة، بحيث لا تقتضي شرط المحتوى القضوي لأنّ فعلها لا يعبر عن المستقبل، ولا يطلب من المتكلم فعل شيء ما، فتفتقد إلى الشرط التمهيدي، كما تتجرّد من شرط الإخلاص، وعنصر التأثير فيها غير وارد، لأنّها تعبر عن مكونات باطنية مجرّدة من هذه الشروط، وليس لها اتجاه المطابقة، " لأن المتكلم في هذا الصنف لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، وكما

¹ - عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن،

2014 ص282

² - جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي، مناهجه ونظرياته وقضاياها، المناهج والنظريات ج1، مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، (د ط)، (د ت)، ص180.

هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية¹. ولذا فالتعبيريات تتأثر بالعالم الخارجي ويتم الحصول عليها وفق تحقيق المحتوى القضوي نتيجة الموقف المؤثر بين المتكلم المعبر عن الحالة النفسية أو الاجتماعية.

ومن هذا المنطلق فإنّ الأفعال التعبيرية تهدف إلى التعبير عن الشعور النفسي تجاه القضية المعبر عنها وفق انفعالات فرحة أو حزينة حسب إفصاح المتكلم، لذا هدفها " التعبير عن حالة نفسية محدّدة بشرط عقد النية، والصدق في محتوى الخطاب عن تلك الأمور المحددة"². فالمتكلم يسعى في إنجاز الأفعال التعبيرية للتعبير عن الحالة النفسية مقتزنة بالصدق والنزاهة للتعبير عن الأشياء وفق المحتوى القضوي المخصص.

والخطاب الشعري في الإلياذة يعبر عن حالات نفسية مختلفة من جوانب عدة، كالجانب السياسي والثوري والاجتماعي والديني، لأنّ الإلياذة يغلب عليها طابع التعظيم والإصلاح، فالشاعر يعبر وينقّس عن مشاعره، ومواقفه، ومكنوناته النفسية بكل صدق، وهذه الأفعال سماها أوستين بالأفعال السلوكية behabitives لأنها أفعال تعبر عن ضروب الكلام التي صدرت من الناس أو ما سيصدر عنهم من سلوكات.

المشهد الأول:

جزائر يا مطلع المعجزات	ويا حُجّة الله في الكائنات
ويا بسمّة الربّ في أرضه	ويا وجهه الضّاحك القسّمات
ويا تربة تاه فيها الجلال	فتاهت بها القمم الشّامخات
وألقى النّهاية فيها الجمال	فهمنا بأسرارها الفاتنات
وأهوى على قدميها الزّمان	فأهوى على قدميها الطّغاة. ³

¹ - نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 80

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 185

³ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 9

يعبر الشاعر عن جمال طبيعة الجزائر عبر ربوع الوطن، واصفا مناظرها الخلابة بروعة من اخضرار الطبيعة وجبالها الشامخات، وجمال صحرائها الشاسعة، وإن جمالها جعل الزمان يخز لها ذاعنا، حيث ألهم الطغاة حبها والافتتان بجمالها، حتى كثر الطامعين فيها. وورد في هذا السياق وصف لجمال طبيعة الجزائر بأفعال كلامية مباشرة (يا حجة الله في الكائنات)، (يا بسمة الرب في أرضه)، (تاهت بها القمم الشامخات)، (همنا بأسرارها الفاتنات) (أهوى على قدميها الطغاة) مخاطبا المتلقي بها الوصف وما له من عظمة، وهذا ما جعل فرنسا الفرنسية تطمع باحتلال الجزائر، فاعتمد الشاعر الخطاب في مقام التعظيم، مركزا على سياق وصفي مناسب (وجهه الضاحك).

كما وظّف الشاعر مجموعة من الكنايات المعبرة عن أفعال كلامية غير مباشرة منها (مطلع المعجزات)، (حجة الله في الكائنات)، (همنا بأسرارها الفاتنات) الدالة على جمالها الفاتن الملفت للانتباه، لأنّ هذا التعبير مرتبط ارتباطا وثيقا بالجانب الاجتماعي في تفاعل الناس مع الطبيعة، ومعنى هذا أنّ الكناية "خاضعة لعرف لغوي في بيئة محددة"¹، وقوتها الانجازية ممثلة في الفعل الكلامي هو التعظيم الذي يمتلك غرض إنجازي يكون له تأثير حسب قوة حبه للجزائر وطبيعتها " فالقوة الإنجازية إذن هي الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يعرض بأحدهما غرض إنجازي واحد"². فالقوة الإنجازية متعلقة بالوعد والأمر والنهي والتعجب والإخبار، وهي قوة إنجازية تعطي الفعل قوة متضمنة في الفعل الكلامي.

المشهد الثاني:

جزائر يا بدعة الفاطر ويا روعة الصانع القادر
ويا بابل السحر من وحيها تلقب هاروت بالساحر
ويا جنة غار منها الجنان وأشغله الغيب بالحاضر
ويا لجة يستحم الجما ل ويسبح في موجها الكافر
ويا وحدة صهرتها الخطو ب فقامت على دمها الفائر

¹ - عيد رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط2، ص423

² - محمد العبد، تعديل القوة الانجازية، مجلة فصول، عدد 65، 2004، ص138

سلامٌ على مهرجانِ الخلودِ سلامٌ على عيدكِ العاشر.¹

ففي هذا المشهد يُعبّر الشاعر عن جمال أرض الجزائر التي تفوح رائحة عطرها، وهذا العطر فيه قدسية الجزائر بأنّها من صنع الخالق، حيث نافست جنّات أخرى، وهذا المشهد هو مقدمة يهيّء المتلقي إلى ما هو جديد فيما يخص المشاهد الطبيعية.

فالأفعال الكلامية الواردة في الأبيات (جزائر يا بدعة الفاطر)، (يا جنة غار منها الجنان)، (يا لجة...)، (يا وحدة صهرتها الخطوب) جاءت على صيغة أفعال كلامية مباشرة حرفياً، لها معنى ظاهر هو النداء، تضمّن فعلاً كلامياً مستلزماً متضمناً في القول وهو تعظيم الجزائر وطبيعتها. وبهذا النداء يبيّن الشاعر مقاصده المتمثلة في دعوة المخاطب للحضور إلى أرض الجزائر، والتّمّتع بما حباها الله من جمال، وبهاء، وانبهار بهذه الماديات المشار إليها (بابل، جنة، لجة) للتواصل عن كثب مع طبيعة الجزائر، وللشاعر غاية في ذلك تجاه المخاطب، ف " للفعل الدلالي غاية أساسية هي استدعاء المخاطب وإبلاغه شيئاً ما"². وتساهم أداة النداء في بيان المسافة المكانية والزمانية والنفسية بين المتخاطبين.

ولتدعيم القوة الإنجازية استعان الشاعر بألفاظ دلّت على صفات خلّاقة (السحر، غار، يستحم) ليبين أنّ لعظمة الجزائر دلالة على عظمة خالقها القادر. كما وظّف أفعالا وصفية (تلقب أشغله يسبح، قامت) ليوضّح بأنّ الجزائر مهبط المُعجبين بها حتى الهُيام، وكيف لا تكون كذلك، وهي التي وحدت طبيعتها المجاهدين حول مصير مشترك. ولقد عبّر عن جمال الجزائر بكثرة حيث توالي النداء ليلفت انتباه الناس لجمال طبيعة الجزائر، ويستدعيهم للتّمّتع بجمالها عن كثب، و " ظاهر أنّ النداء لا يفهم إلا إذا اتّضح المرجع الذي يشير إليه"³.

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص7

² - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، ط2000، ص23

³ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص19

المشهد السابع:

وفي بابٍ واديكٍ أعمقُ ذكرى أعيشُ بأحلامي الزرق دهرًا
بها ذاب قلبي كذوب الرّصا ص فأوقد قلبي وشعبي جمرا
وثورة قلبي كثورة شعبي هُما ألهماني فأبدعتُ شعرا.¹

أمّا في هذا المشهد فالشاعر يتغنّى بأجمل الذكريات الثورية التي عاشها بـ"باب الواد"، فتأثّر بها قلبه، والتحم مع الثورة الجزائرية التي ألهمته شعرا، فأبدع في حبّها، فكان شعره مواكبا لها.

يبدي الشاعر في هذا الخطاب سعادته حين استرجاع ذكرياته بباب الواد، حيث عبّر عن ذلك بفعل كلامي مباشر (ذاب قلبي) وهو فعل كنائي عن صفة الحب والسعادة، ثم ذكر فعلا آخر مباشرا (ثورة قلبي كثورة شعبي) حيث شبّه ثوران قلبه في وجه المحتل بثورة شعبه، فجاد بالشعر الثوري الملهم من عاملين أساسيين هما: قلبه وشعبه، وبهذا التعبير أفصح - بصراحة - عن فعل متضمن في القول وهو تقرير حقيقة هي الحبّ المفعم بالشجاعة والثوران ضد كل باغ وظائم. وهذا فعل تعبيرى يعبر عنه نتيجة انفعال نفسي يعبر عن سلوك معين، ف "تتّكس آثاره النفسية والشعورية على المتكلم"²، لأنّ التعبير النفسي لدى الشاعر يقوم على نزعات نفسية ثابتة لديه، وكذا استجابة المتلقي للواقع بفضل المعاني التي تعبّر عن سلوكات.

ولتعدّل القوة الانجازية وظّف الشاعر مؤشّر لغوي هو اسم التفضيل (أعمق) للتعبير عن أفضل ذكرى في حياته، و الفعل (أوقد) للدلالة على أنّ قلبه بركان ثائر لن تهدأ ثورته إلا أن يكتوي المحتلّ بجَمَمِه، و(ألهمني) هي دلالة على أنّ هذا الحبّ نابع من مصدر وهو الشعب، و من وحي القلب المخلص.

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص12

² - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص104

كما اتخذ نموذجاً إشارياً يحدّد اسماً علماً (في باب واديك أعرق ذكرى) للتعريف به ويقصد به التذكير بالدماء التي امتزجت بالمكان وهو حيّ (باب الواد) بالجزائر العاصمة الذي جمعه بنوّه وأحبابه وجيرانه، إذ يتّضح " وجود ترابط تداولي بين أسماء العلم والأشياء التي سترتبط عرفياً بهذه الأسماء ضمن مجتمع معرف ثقافياً واجتماعياً"¹. إنّ هذه العلاقة بين اسم العلم والأشياء هي علاقة إحصائية لدى التداوليين، فالأسماء تُحيل إلى الأشياء، وتحدّد مرجعيتها بواسطة العلاقة، وهذا شيء بديهي بخلاف أسماء الأعلام التي تدلّ على جنس يتّصف بصفات، وتعبّر عن هويّة صاحبها وفق معطيات معيّنة.

المشهد الثامن:

عَرَجْنَا نَنَافِحُ بَايْنَامِ ضُحَا كَأَنَّ اغْتَصَبْنَا لِهَامَانَ صَرْحًا
نُسَائِلُ أَشْجَارَهُ الْفَارْعَا تِ حَدِيثُ النُّجُومِ فُتْبَدُعُ شَرْحَا
وَيَلْتَفُ سَاقُ بَسَاقٍ فَنَصْبُو فَيَغْمُرُنَا مُلْتَقَى الْفِكْرِ نُصْحَا
كَأَنَّ الْإِلَهَ الْجَمِيلَ تَجَلَّى فَأَغْرَقَ بَايْنَامَ حَسَنًا وَأَوْحَى
يَتِيَهُ بِهِ النُّجْمُ بَيْنَ النُّجُومِ مِ دَلَالًا فَيُطْلَعُ فِي اللَّيْلِ صَبْحًا²

يتغنّى الشاعر بغابة "باينام"، وهي أجمل مناخ جبلي في الجزائر العاصمة، ممّا يدلّ على عظمة الغابة وكأنّها صرّح سلب من "هامان"، وبدت أجمل بأشجارها الأيكة المتلفّة والتي تدلّ على عظمة الإله.

وردت في الخطاب أفعال كلامية مباشرة بصيغة الخبر (عرجنا ننافح باينام ضحى)، (نسائل أشجاره)، (يلتف ساق بساق)، وخلف هذا النمط التعبيري قوة إنجازية متضمنة في القول هي الوصف والإعجاب بالمناظر الطبيعية لغابة "باينام"، وهو تعبير يفصح عن مزاج الشاعر وتعجّبه بشكل عفوي دون تصنّع بهذا الإعجاب، وهذه التعبيرات " تمثل أساساً مزاج المتكلم أو موافقه أو رغبته، وهي على ما هو مفترض، تمثل التعبير العفوي عنها"³.

¹ - جورج يول، ترجمة قصي العتّابي، ص44

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص13.

³ - آن ريبول، جاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ص55

والشاعر قد أفصح عن قصده من فحوى الكلام إذ لا يمكن التواصل معه إلا بمعرفة السياق الذي ذكر في الكلام، وإعمال القدرة الاستنتاجية لذلك المنظر. ولتدعيم القوة الانجازية عبّر الشاعر بصدق عن هذا الإعجاب بحجة دامغة (كأن الإله الجميل تجلى...) فقدرة الله تجلّت في جمال الكون وإبداعه لهذه الغابة الخلابة، وقد أوحى الله لها أن تكون، فكانت تعبيراً عن قدرته في الخلق والإبداع.

كما يتضمن الخطاب جملة من الأفعال، حيث ابتدأ المشهد بأفعال ماضية التي مفادها تقرير حقيقة عن جمال غابة باينام، فأعقبها بأفعال مضارعة دالة على الاستمرارية في تناغم أجزاء الغابة والمعبرة عن فعل كلامي هو التعجب والتعجب، ويقصد به "حمل المخاطب على التعجب، إذ أنّ فعل التعجب فيه مصروف إلى المخاطب"¹. فهذا الوصف الوارد في الخطاب هو استعظام لجمال الغابة المبلّغ إلى المخاطب ليتعلّق بها، وبمفاتيحها وروعته الدالة على روعة خالقها، والمقام يقتضي الدعوة إلى الإعجاب بسحرها الطبيعي، إذ نجد هذه الأفعال كلّها قد دلت على الحركة حيث أنتجت هذه الأفعال قوّة فاعلة المتمثلة في إحداث تأثير نفسي.

المشهد الثاني والأربعون:

جزائر أبدعها ذو الجلالِ وصوّر طينتها من نضالِ
بلاد تمازج عشاقها وتمنّع عنهم لذيق الوصالِ
فما انكفأت ثورة في السهو ل ولا انطفأت ثورة في الجبال².

يتغنّى الشاعر بحبه للجزائر لتمازج طبيعتها بنضال ثوارها، وبقيت هذه الثورة متقدّة في سهولها وجبالها، خالدة في الأذهان.

يبدأ كلامه بفعل كلامي مباشر بالصيغة الخبرية (جزائر أبدعها ذو الجلال) ، (بلاد تمازج عشاقها) الذي عبّر فيه عن جمال أرض الجزائر وطبيعتها وثورتها، فكلاهما ألهم المعجبين بها ولّهانا وعشقا منقطع النظير، والفعل المتضمن في القول هو الوصف

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 162

² - مفدي زكريا، غلياذة الجزائر، ص 47

والإعجاب الممزوج بالامتنان لله على ما حباها من نعم تستحق الشكر والاعتراف. وفي هذا التعبير وصف نفسي وخارجي يترجمه القول، " فأبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا"¹، وذلك من أجل تحقيق العملية التواصلية حيث يستعمل الذات الواصفة للتأثير في المتلقي. ولتدعيم القوة الإنجازية استخدم في سياق الأبيات التعبير عن عظمة طبيعة الجزائر وعظمة ثورتها بمؤشرات لغوية (أبداع، صور) للدلالة على تفرّد الجزائر بهذا الوصف، و(تمازج عشاقها) وهذه الأفعال تدل على هيام الناس بها على اختلاف أجناسهم ومشاربهم؛ جزائر العشق، عشق للثورة وعشق للرجولة، وعشق للطبيعة الساحرة. كما وظّف أسلوب النقي (فما انكفأت)، (ولا انطفأت) الذي يعبر عن تواصل الثورة سواء في السهول أو الجبال مع الثوار، ونفت هذه الثورة عن نفسها الهوان والانكسار والاستسلام فهي أبية ، وعصية بإصرارها.

المشهد السابع والأربعون:

وَتَأْبَى الزَّعَامَاتُ كَبْحَ الطُّمُوحِ فَتَصْنَعُ لِلْخَلْفِ شَكْلًا جَدِيدًا

وَتُغْرِى الكِرَاسِي ضِعَافَ الْعُقُولِ كَنَارٍ جَهَنَّمَ تَرْجُو الْمَزِيدَ

وَتَغْزُو السِّيَاسَةَ فِكْرَ الزَّعِيمِ فَيَصْبِحُ فِكْرَ الزَّعِيمِ بَلِيدًا

كَأَنَّ الزَّعَامَةَ إِعْصَارُ جَانٍ وَلَمْ أَرِ لِلْجَانِ عَقْلًا رَشِيدًا.²

إنّ اختلاف الآراء قسّم حزب الشعب، لكنّه يبقى واحدا، وهذا الاختلاف يصنع الطموح، رغم أنّ الكراسي ينخدع بها ذوي الحجي الضعيفة، والذي يعدّ نفسه زعيما فهو بليد الفكر، لأنّ الزّعامه هي التي أفسدته، كما أفسد الشيطان مكانته عند الله.

وردت هذه الأبيات في سياق الإخبار (تأبى الزعامات كبح الطموح)، (تغري الكراسي ضعاف العقول)، (يصبح فكر الزعيم بليدا)، (لم أر للجنان عقلا رشيدا) فكلّها أفعال مباشرة

¹ - أبو علي الحسنين رشيق القيرواني، العمدة، تصحيح سيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1907، ص296

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص52

يعبر بها الشاعر عن السياسة وحبّ الزعامة، والغرض الإنجازي من هذا الفعل التعبيري هو التعبير عن حالة اجتماعية سياسية انطلاقاً من موقف إنساني رافض لتسيّد الرّيع الذين يتشرّفون بالسياسة. والفعل المتضمن في القول هو التعجب من تكالب الرّيع على السيادة والزعامة، ويتفرّع عن هذا الفعل الكلامي أفعال كلامية غير مباشرة هي: الحيرة، التّحقير والسّخرية، وتقدير الحقيقة.

فالقصد من الفعل المستلزم مقامياً يُفصح عن وجود فعل تأثيري في المتلقي لأنّ " القصدية تقتض دأماً وجود قصد أولي لدى المرسل، ويكون ظاهراً في النص، وقصد ثانوي يكون مضمناً فيه؛ حيث يحاول المتلقي القراءة لفهم قصد المرسل الكامن"¹. فالمتلقي يستنتج المعنى والإحالة للمنطوق المقصود بذلك، فيعبّر عنه وتحدث له رغبة الاستيعاب والفهم، وبذلك يتمكّن المتكلم والسامع التعبير والإحالة عن معنى معيّن.

ولتقوية الفعل الكلامي استعان الشاعر بقرائن لغوية تقتضي مقام الحقيقة والواقع وهي (تأبى...) الذي هو فعل إنجازي غير حقيقي مجازي حيث جعل الزعامة إنساناً يرفض الطموح المَهْلِك، أمّا صفة (بليد) فتعبّر عن دناءة وحقارة الزعيم المتكالب على المناصب والمنساق وراء أهوائه التي لا تهتدي سبيلاً إلى إلجام مطامعه الهدّامة، وهذا التعبير الاجتماعي منطلق من وجدان الشاعر، وما أفصح عنه من خلال التعبير الحرفي وما نتج عنه من أفعال غير مباشرة.

المشهد التاسع والخمسون

تَبَارَكَ شَعْبٌ تَحْدَى الْعِنَادَا فَصَامَ وَأَضْرَبَ سَبْعًا شَدَادَا

وَأَنفَ أَنْ يَسْتَسِيغَ الْحَيَاةَ تُجَرِّعُهُ ذِلَّةً وَاضْطِهَادَا

وَأَقْسَمَ أَنْ لَا يَعِيشَ النَّهَا رَ عَمِيلاً يُؤَفِّرُ لِلْيَوْمِ زَادَا.²

¹ - يعقوب خان، البراجماتية، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط2، 1998، ص131

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص64

يتغنّى الشاعر بعظمة الشعب الجزائري وبيبارك جهاده مدّة سبع سنوات، حيث أبى الدّل والهوان والظيم، رافضا الولاء والانصياع والانقياد لفرنسا.

فمن خلال الفعل القضوي الإنجازي (فصام واضرب سبعا شداد) الذي هو له قوة انجازية حرفية تعبّر عن مقصدية غير مباشرة دلّت على فعل تعبيري هو إعجابه بالثورة الجزائرية وحبّه لهذا الشعب العظيم، لأنّ هذه الثورة امتنعت عن الخوض في الخرافات وعقدت العزم على الجهاد لمدة سبع سنوات. وهذا التعبير النفسي ينمّ عن وظيفة انفعالية لها بعد نفسي به " تدفع صاحبها نحو الشعور بانفعالات معيّنة وإلى الإتيان بأنواع معينة من السلوك نحو شخص معيّن، أو نحو موضوع ما"¹. وهذا النمط اللغوي يحمل انفعالات تعبّر عن إدراك فردي يهدف إلى تحقيق إدراك جمعي، ويقوم المتلقي باستتطاق الفعل الكلامي لتأويله والوقوف على مقصد المتكلم، أي القصد النفسي.

يُعبّر الشاعر عن صفات الشعب الجزائري من خلال صموده رغم المساومات الدنيئة التي انتهجها المحتل في مقام يدور فيه الخطاب لإنجاز أفعال كلامية مباشرة حرفية (تبارك شعب) (تحدى العنادا)، (تجرعه ذلة واضطهادا)، (أن لا يعيش النهار عميلا) والفعل المتضمن في القول هو تعظيم هذا الشعب والإعلاء من شأنه، و الذي لا يبالي بالحياة ما دام الجهاد قائما.

ولتدعيم القوة الانجازية لهذا الفعل أستهلّ الشاعر الخطاب بدعاء خيرٍ لهذا الشعب (تبارك شعب)، وغرض الشاعر من هذا الانجاز التعبيري هو الإفصاح عن حالة نفسية للواقع الذي عاشه الشعب على مرّ السنين، ليعبّر عن مشاعر خاصة به تعكس صفات وخصال هذا الشعب الأبوي، وفي هذا الصدد نلمس مطابقة في الفعل التعبيري ألا وهو التعظيم .

المشهد الثامن والستون:

¹ - عبدالرحمن عسيوي، دراسات في السلوك الإنساني، منشأة دار المعارف، الإسكندرية، مصر، دط، دت، ص137

سَلَامٌ عَلَى الْمَغْرِبِ الْأَكْبَرِ عَلَى طَبْعِهِ النَّاصِعِ الْأَطْهَرِ
أَحْيِي الْأَلَى آزُرُوا حَرْبَنَا إِلَى النَّصْرِ فِي رِيحِهَا الصَّرَصْرِ
وَمَا بَخُلُوا بِالْدَمِ الْمَغْرِبِيِّ عَلَى دَمِنَا الْفَائِرِ الْأَحْمَرِ
وَكَانُوا مَلَاذًا لِأَحْرَارِنَا وَعَوْنًا عَلَى الْهَدَفِ الْأَكْبَرِ.¹

يُحْيِي الشاعر وحدة المغرب العربي الذي ساند الثورة الجزائرية مادياً ومعنوياً لما اشتد وطيسها على العدو، فكانت ريحا شديدة البرودة هبّت عليه، فعاقبته، وكان المغاربة قد امتزجت دماؤهم بدماء الجزائريين، وكانت أرضهم ملاذا آمنا لثوارنا.

يُعَبِّرُ الشاعر عن حقيقة تاريخية مُدركة مقاميا من خلال أفعال كلامية مباشرة بصيغة حرفية (سلام على المغرب)، (آزروا حربنا)، (وما بخلوا بالدم المغربي)، (كانوا ملاذا لأحرارنا) والتي فعلها المتضمن في القول هو الاعتراف بفضل أهالي تونس والمغرب لمازرتهم الثورة الجزائرية حيث عبّر الشاعر عن حالة نفسية عميقة وهي ضرورة اتحاد المغرب بأفعال تعبيرية (آزروا، ما بخلوا) دون أن تكون هناك مطابقة للواقع، فـ " ليس لهذا النوع اتجاه المطابقة، إذ يغني عنه شرط الإخلاص، فإذا تحقق أنجز الفعل إنجازا ناجحا"². فالفعل الانجازي المعبر عنه والمتضمن لمدلول نفسي يُفْضِي إلى توجيه المخاطب بكل صدق لتعلقه بالحالة النفسية للمتكلم الذي يسعى إلى أن ينفّس عن القدرة النفسية التعبيرية نتيجة ضغوطات داخلية حتّى يشعر بالراحة النفسية نتيجة استجابة داخلية. وقد تفرّع عن هذا الفعل غير المباشر أفعال كلامية غير مباشرة هي الشكر، والامتنان، والتعظيم وفي أفعال تعبيرية تكوّنت حمولتها من قوة إنجازية مستلزمة مجسّدة في الشكر والامتنان، حيث شعر بالسعادة نتيجة مساندة المغاربة للثورة الجزائرية، والبنية القسوية للفعل تثير انفعالات نفسية مختزنة في مشاعر الشاعر.

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص73

² - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص104

ولتدعيم القوة الإنجازية استعمل الشاعر لظاهرة لغوية، وهي التكرار اللفظي المعرّف ب(ال)، (الدم، دمنا) لتأكيد امتازج دماء الشعبين، والذي لا ينكره المحتلّ، وهذا التأكيد يستخدمه الشاعر " لتثبيت الشيء في نفس المخاطب وإزالة ما علق بها من شكوك وإحاطة ما خالجها من شبهات"¹. فالتوكيد إذا كرّر فإنّه تقرير المؤكّد فيعلّق في ذهن السامع ويتمكّن من قلبه، والتوكيد له قاعدة هي تمكين المعنى في نفس المخاطب.

المشهد السبعون:

اتَّخَذْنَا الْعَدَالَهَ نَهْجًا صَرِيحًا وَانصَافَنَا فِي عِلَاجِ الْقَضَايَا

وَرَأْيِي الْجَمَاعَةَ فِيمَا نَرَاهُ فَجَنَّبْنَا الرُّشْدَ كُلَّ الْبَلَايَا

وَقُمْنَا نُوزِّعُ مَا أَوْثَرَ اللَّهُ لَهُ لِلصَّالِحِينَ زَوَايَا زَوَايَا.²

يُعبر الشاعر عن مرحلة الاستقلال حين أقيم العدل لحلّ المشاكل الداخلية، وأتخذ التّشاور كحلّ لتجنب البلاد مصائب متعدّدة، كما اتّخذت الاشتراكية نهجا سياسيا لتوزيع خيرات البلاد على الشعب.

يتضمن هذا الخطاب أفعالا كلامية مباشرة بصيغة الماضي وفق بنية حرفية (اتخذنا العدالة نهجا)، (قمنا نوزع ما أورثه الله)، (جنبنا الرشد كل البلايا)، وفعلها المتضمن في القول هو الاعتزاز ببناء الوطن، فالشاعر يعبر عن مكونات موضوعية، لذا ف" إنّ التعبير يجب أن يكون مرتبطا بالحالة النفسية التي يعبر عنها"³، والاعتزاز فعل كلامي غير مباشر دلّت عليه صفات ذُكرت، وهذا ما يقوّي انجاز الفعل الكلامي لأنّه يعبر عن سلوك نفسي قويّ لا يحتمل الكذب.

¹ - مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص234

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص75

³ - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، مقارنة سيميائية في فلسفة العلامات، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2005،

إنّ القوة الإنجازية الحرفية للصيغة الخبرية تبين الاهتمام بدواليب الحكم المتمثلة في إقامة العدل، وتقسيم خيرات البلاد على هذا الشعب، وهذا بحكمة لتجنيب البلاد مشاكل بعد الاستقلال، والاعتزاز بذلك. ولتقوية الفعل الانجازي استعان الشاعر بقرائن لغوية (العدالة، الرشد) ليبين النهج السليم والقويم الذي اتبعه حكام البلاد لرعاية الشعب ومعالجة قضاياها. كما وظف الشاعر أسلوب التكرار (زوايا) مرتين، لأنّ الشاعر في هذا السياق يلحّ ويؤكد، أنّه " لكل لفظة دلالة خاصة، وحينما نستعمل لفظة دون أخرى نحملها دلالة دون غيرها، نعلم أنّها قادرة على إيصال مقاصدنا"¹. والتكرار أسلوب تعبيرى يصوّر انفعالات النفس، واللفظ المكرّر هو الإشارة، فحينما يتخذ التكرار فإنّه يبعث برسالة تؤكد المعنى، فلقد استطاع الشاعر أن يوطّنه في نصّه لتحقيق غايته لتوضيح المعنى وتوكيده.

المشهد واحد وسبعون:

شَرِبْتُ الْعَقِيدَةَ حَتَّى الثَّمَالَةِ فَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِرَبِّ الْجَلَالَةِ
وَلَوْلَا الْوَفَاءُ لِإِسْلَامِنَا لَمَّا قَرَّرَ الشَّعْبُ يَوْمًا مِئَالَهُ
وَلَوْلَا اسْتِقَامَةُ أَخْلَاقِنَا لَمَّا أَخْلَصَ الشَّعْبُ يَوْمًا نِضَالَهُ
وَلَوْلَا تَحَالُفُ شَعْبٍ وَرَبٍّ لَمَّا حَقَّقَ الرَّبُّ يَوْمًا سُؤَالَهِ.²

يُشيد الشاعر بتمسك الشعب الجزائري بإسلامه من خلال الوفاء لله ثم الوطن، والتمسك بالفضائل التي مكّنت الشعب من افتكاك النصر، وتحقيق يوم الخلاص.

استهل الشاعر الخطاب بالحديث عن العقيدة الإسلامية بأفعال كلامية مباشرة حرفية (شربت العقيدة)، (أسلمت وجهي لرب الجلالة)، (لولا الوفاء لإسلامنا...)، (لولا استقامة أخلاقنا) التي تتضمن فعلا كلاميا لغرض الإفصاح عن حبه العميق للعقيدة الإسلامية، فهو

¹ - سحالية عبد الحكيم، التداولية النشأة والتطور، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، بسكرة، عدد5، ص209

² - مفدي زكريا إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص76

يعبر عن حالة نفسية وعمّا يختلج في جوانحه من حبّ لا يضاهيه حبّ سواها، ولهذا الفعل الكلامي قوة انجازية حرفية مباشرة خفي وراءها الاعتراف بهذا الحب الأمثل.

لا يتوجّه الشاعر إلى المخاطب بفعل من الأفعال الطلبية، بل يعبر عن حالة نفسية ويريد انجاز فعل حب الدين والأخلاق في أوساط هذا الشعب بمشاعر داخلية، وهو فعل تعبيرية لأنّ الأفعال التعبيرية " هدفها التعبير عن حالة نفسية محددة بشرط عقد النية، والصدق في محتوى الخطاب"¹، فالشاعر عاقد للنية الداعية لحب الدين والأخلاق، وصادق فيما يذكره من أفعال في الخطاب، ومن هنا يتحدّد الغرض الإنجازي للمتكلّم بالتعبير عن حالة نفسية تتسم بنشوة السعادة في ظل الدين والأخلاق. وأكّد صدقه في ذلك بأفعال الشرط، لأنّ الفعل قد تحقّق وهو تمسك الشعب بدينه وبالفضائل التي ترعى هذا الشعب. وهذه القضية المطروحة تخلو من الكذب، ولا تناقض بين المعنى الحرفي والمعنى غير الحرفي، وبالتالي هناك التزام بالقضية المعبر عنها أنّها ممكنة في السياق وفي العالم، وصيغة الأقوال في السياق منطقية، وتأويلها سهل ويسير على المتلقي.

ولتدعيم القوة الانجازية استعان بمؤشرات لغوية (حتى الثمالة) للدلالة على حب العقيدة حبّ النشوان، كما كرّر حرف (لولا) الذي هو حرف امتناع لوجود والنفي ب (ما) الذي أكّد به وجود الدين الإسلامي في أرض الجزائر، مع تمسك الشعب الجزائري بالوفاء لدينه، واستقامة أخلاقه و الدعوة إلى التحالف والنضال من أجل يوم الخلاص. وإنّ هذا " التكرار يسلط الضوء على نقطة حسّاسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلّم"². وبهذا فإنّ تكرار أسلوب الشرط في السياق له دلالة حجاجية ممثلة في التأثير المؤدّي إلى الإقناع الذي يبيده الشاعر ليضفي عليه حيوية ونشاطا. كما قام بتدعيم الفعل الإنجازي بأسلوب حجاجي يمثله الرابط الحجاجي وهو (حتى) التي " يكمن دورها في ترتيب عناصر القول، ويفهم معناها

¹ - ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص185

² - نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، مطبعة دار التضامن، بغداد، ط2، 1965، ص242

الوظيفي من السياق الذي ترد فيه"¹، والتي ربطت تمسكه الشديد بالعقيدة الإسلامية حتى صار يهذي بها.

المشهد السابع وتسعون:

بِلَادِي وَقَفْتُ لِذِكْرَاكِ شِعْرِي فَخَلَّدَ مَجْدَكَ فِي الْكَوْنِ ذِكْرِي
وَأَلْهَمْتَنِي فَصَدَعْتُ الدُّنَا بِالْيَاذَتِي قِي اعْتَزَّازٍ وَفَخْرٍ
فَخَلَّدَ قُدْسُ اللَّهَيْبِ بَيَانِي وَأَذَكَّى لَهَيْبَ الْجَزَائِرِ فِكْرِي.²

يتغنّى الشاعر بشعره الذي سخره للجزائر، إذ خلّدها شعره في العالمين، وكانت إلياذته خير مُنافح عن الجزائر، حيث أخذت الجزائر كلّها فكره وعمره.

وردت هذه الأبيات بشكل خبري وبأفعال حرفية مباشرة (وقفت لذكراك شعري)، (ألهمتني) (صدعت الدنيا بإلياذتي)، (أذكى لهيب الجزائر فكري) وهذه الصيغة التعبيرية في الخطاب تضمنت فعلا متضمنا في القول وهو الاعتزاز بشعره وبيانه، لأنّه سخر شعره للجزائر، خاصة في إلياذته، فكانت بيانا لفصاحته نكاية في مناوئيه وحسّاده، وهذا من أجل " التعبير عن الحالة النفسية التي يخصصها شرط النزاهة"³، فالاعتزاز مرتبط بالحالة النفسية للشاعر الذي يمتاز بالاعتزاز على مستوى أقواله وأفعاله.

ولتدعيم القوة الإنجازية للفعل الكلامي (الإعتزاز) استعان بقرائن لغوية للتعبير عن مشاعر الحب للوطن، والتعبير عن الإلهام الذي تلقفه من الجزائر فكانت إلياذته لائقة لمنزلة الجزائر للإفصاح عن تاريخها بهذه الإلياذة (بلادي، خلد، ألهم، فخر، أذكى).

¹ - خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، د.ت، 75

² - مفدي زكريا إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص102

³ - آن روبول، جاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ص76.

2-4- الوعديات (الالتزاميات) commissives:

الأفعال الوعدية هي أفعال كلامية " غايتها الكلامية تكمن في التزام المتكلم بفعل شيء ما"¹، و إنّ فعل الوعيد ليلتزم به المتكلم طواعية كونه متّجه به نحو المتكلم. وهي أفعال تتطلّب الإخلاص في القصد من قبل المتكلم ويلزم نفسه بالوعد و " شرط الإخلاص فيها يكمن في القصد، أي القيام بفعل في المستقبل للمتكلم وقدرته على أداء ما يلزم به نفسه"²، حيث يلتزم المتكلم بفعل شيء ما تجاه المتلقي. ومن أمثلتها أفعال الوعد والوعيد والإنذار، كما تتضمن آليات غير مباشرة يوجّهها المتكلم للمخاطب كأوامر ونواهي مشفوعة بالعاقبة المتوقعة، أمّا اتجاه المطابقة في هذه الأفعال يكون من العالم إلى الكلمات تبعاً للمسؤولية الملقاة على الباث من أفعال الوعد كالقسم والتعهد، وشرط الإخلاص فيها هو القصد لما يلتزم به المتكلم.

تتبعنا أفعال الوعيد في "الإلياذة" فألفيناها بصورة واحدة وهي الوعيد، ولهذا الفعل الكلامي بُعد تواصلية يتضمّن تنفيذ ما وعد به المتكلم على وجه الإلزام، إذ ينبغي أن يتحقّق في المستقبل، والوعيد في "الإلياذة" يضمّ أصنافاً من الأفعال الكلامية غير المباشرة هي التحدي، والتحذير، والتهديد، والإصرار الذي يبديه الشاعر منتظراً التغيير الذي يقوم به المتلقي في المستقبل.

المشهد السابع والأربعون:

ولا بالهتافاتِ عاشَ وَيَحْيِ فَمَا حَرَّرَ القولُ يوماً عبداً

¹ - بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجرائر ط1، ص2009، ص99

² - سيد هشام الطبطبائي سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ط1994، ص31.

ولن يغسل العارَ إلا الدِّمَا وعاشَ الحديدُ يُقْلُ حديدًا.¹

إنَّ الهتافات والأقوال لا تُخَلِّص الشعب من العبودية، و لن يتخلص هذا الشعب من الظلم إلا بكسر قيود الاستبداد، واستعمال القوة لفكِّ أغلاله.

في هذا الخطاب يتوعد الشاعر المحتل الفرنسي بفعل كلامي مباشر (ولن يغسل العار إلا الدما) الذي يتضمن معنى القول وهو الوعيد، لأنَّ رفع الشعارات خدمت المحتلَّ وأطالت من عمره في الجزائر، وهو فعل غير مباشر فيه تحريض الجزائريين بالثورة على المحتل بالسلاح بدلا من الهتافات لتخليص هذا الشعب من العبودية. فالشاعر يتوعد ويعبر عن مقصدية الإنجاز، " لأنه حين يعطي شخص ما وعدا، يمكن له أن يعطي الوعد لأسباب مختلفة، وبدرجات متفاوتة من القوة"²، فهو يلزم المتلقي بالقيام بالفعل في المستقبل والذي بدوره يكون نافعا له، شريطة أن يتقيد المخاطب بإرادة المتكلم، وهذا ما تدعو إليه التداولية حيث " تختص بتقصي كيفية تفاعل البنى والمكونات اللغوية مع عوامل السياق لغرض تفسير اللفظ ومساعدة السامع على ردم الهوة التي تحصل أحيانا بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الذي قصده المتكلم"³. وبهذا الوعيد يدعو الشاعر المتلقين إلى الإصلاح وإيقاظ العقول، ومقاصده المتجسدة في التأثير في المتلقي، وردود أفعاله التي تخضع للأوامر والنواهي. والمحتوى القضوي فيها هو أن يفعل المتكلم شيئا في المستقبل، لذا حشد الشاعر كلامه بالنفي ب (لا ما، لن)، وتتابع النفي عُدَّ توكيدا لما يُثبتته الشاعر، قصد تحقيق الغرض الإنجازي وهو القصاص من العدو بالسلاح دون هوادة.

المشهد الواحد والستون:

وكم في سجونِ فرنسا برّيء من الداءِ والغدرِ عاشَ غليلاً

هو الحقدُ طَيَّرَ صَبَرَ الرِّصا صِ فَأَلْهَبَ مِنْهُ الْقِصَاصُ الْفَتِيلَا

وَأَغْضَبَ عَيْسَى وَرَاعَ الصَّليبَ فَنَاشَدْنَا أَنْ نَرُدَّ الْمِثْلَا

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص52

² - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص216

³ - جورج يول، التداولية، ص13

صَرخْنَا فلم يَعْبُؤُوا بِالصُّرَا خ فلم يكُ غيرَ القصاصِ سبيلًا¹

حين اقتصّ الجزائريون من فرنسا بتصعيد الثورة في عقر دارها، كَشَّرت فرنسا عن حقدِها بأن رمت بمئات الجزائريين في نهر "السين" بفرنسا يوم 11 ديسمبر 1961 فغرقوا جميعا، وهذا التّصرف والفعل لا يقبله النصارى وليس من فعل المسيح.

ورد في الخطاب فعلا كلاميا حرفيا مباشرا (فلم يك غير القصاص سبيلا) بصيغة خبرية وبقرينة النفي (لم) الذي كان نتيجة حقد المحتل الذي اتّصف بالتّقتيل والتّعذيب والتّكيل، فتوعّده الشاعر بفعل غير مباشر وهو الوعيد والتّهويل بالقصاص الأنسب، لأنّ هذا الوعد هو بمثابة إجابة عن تصرفاته الحاقدة، حيث تمثلت قوّة الفعل الإنجازي في توعّد المحتل بانتقام أشدّ. ويحمل هذا الفعل الانجازي قوة انجازية مستلزية هي تهديد المحتل، وهي قوة انجازية مدركة مقاميا مستلزمة من التركيب المذكور.

ولقد تضمنت الأبيات شروط الأفعال الكلامية التي اقترحها "سيرل" فشرط المحتوى القضوي هو مضمون كلام الشاعر وهو طلب أخذ القصاص من فرنسا، والشرط التمهيدي هو ما يستوعبه الثائرون من قدرتهم على ذلك حيث توفر شرط الصدق في استجابة النداء، والشرط الجوهرى تمثّل في مقصد من خلال الإخبار عن الجهاد المقدّس في الجزائر، ف"قائل الوعد سواء أكان صادقا أم غير صادق، يعبر بقوله عن قصد القيام بعمل"². وفعل الوعد يتحقّق نتيجة فعل المتكلم والنّية الصادقة، وبالتالي تكون للمتكلم نزاهة الوعد والوفاء به لتحقيق مقصده من خلال المواصفة التي تحدّد قصد المتكلم والكيفية التي ينفّذ بها المقصد الممثّلة في أسلوب الترغيب أو التهيب.

ولتعديل القوة الإنجازية استعمل قرائن لغوية ممثلة في صفات (الحقد، ألهب، صرخنا) التي عيّنت نوع الانفعال الذي أبداه الشعب الجزائري تجاه الحقد الصليبي، إذ " يتّخذ الوصف

¹ - مفدي زكريا، إياذة الجزائر، تالايخ أمة وقصة شعب، ص66

² - آن ريبول، - جاك موشلر، القاموس الموسوعي للتداولية، ص72

عندئذ سلسلة من الأفعال أو برنامج قابل للتعيين سيقطع درجات متفاوتة من الاستيعاب والشمول¹. فالوصف هنا فعل كلامي يستدعي أمرا واقعا في القصيدة، بحيث يسمح هذا الفعل بإحداث انفعال وتأثير نفسي متعلق بالواقع، ويخرج إلى تعيين التحقير والذم.

المشهد الثاني والستون:

وَأَمِنْ أَشْبَانَنَا بِالْجَهَا دِ فَعَاْفُوا الْخُنُوعَ وَخَاصُوا الْغِمَارَا

وَفَجَّرَ أَصْلَابُنَا فِي حِمَاهَا بَرَائِكِينَ تَنْصَبُ حِقْدًا وَنَارًا²

تَشَبَّعَ الشباب الجزائري أثناء الاحتلال بالجهاد، ورفض الرضوخ للمحتل، وأشعل نيران الثورة لدفع الحقد الصليبي.

وجّه الشاعر الخطاب إلى الشباب الجزائري بأفعال كلامية حرفية مباشرة (آمن أشبالنا بالجهاد) (عافوا الخنوع)، (خاضوا الغمارا)، (فجر أصلابنا أصلابنا في حماها براكين)، ذات قوة انجازية مستلزمة مقاميا هي الوعيد، فالفعل المتضمن في القول التهديد والوعيد؛ فالتهديد ورد في الفعل الكلامي (عافوا الخنوع) يهددهم بصحوة هذا الشباب وعزمه على جلاء المحتل والوعيد في إحاطته بنار تحرقه وحرب تتكّل به، لأنّ كل " وعد أو تهديد هو تعبير عن قصد للقيام بشيء ما"³. والوعيد إلزام المتكلم نفسه بأمر ما يقتضي منه الوصول إلى غاية تجعل المتلقي يستجيب للأمر أو النهي. ولتعديل القوة الإنجازية وظّف أفعالا ماضية (عاف، فجر) للدلالة على حقيقة إشعال نار الثورة التي توعد به، وشدة الكراهية للمحتل في إشارة إلى ثبات الشعب الجزائري على موقفه من المحتل.

¹ - فيليب هامون، في الوصف، تر: سعاد التركي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، ط1، د.ت،

ص33

² - مفدي زكريا، إياذة الجزائر، ص67

³ - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص218

المشهد الواحد والسبعون:

هُوَ الدِّينُ يَغْمُرُ أرواحَنَا بنور اليقين ويُرسي عداله

إذا الشعبُ أخلفَ عهدَ الإلهِ وخَانَ العقيدةَ فارقبْ زواله.¹

إنّ الدين الإسلامي متجذّر في الشعب الجزائري بفضل نور الله، لإقامة العدالة الإلهية في هذا الكون، وإذا لم يتمسك هذا الشباب بالعقيدة الإسلامية فلا وجود له ولا مستقبل له كائن.

خَصَّ الشاعر بخطابه الشعب الجزائري المتمسك بدينه الإسلامي بفعل كلامي صريح مباشر (هو الدين يغمر أرواحنا) وله قوة متضمنة في القول وهي تعظيم الشعب لعظمة دينه، والفعل التأثيري هو حث الجزائريين على أن يعطوا بالنواجز عليه، فهو السفينة التي ترسو بهم في بر الأمان. ثم أردفه بفعل كلامي ثان وهو القوة الإنجازية الحرفية المباشرة (إذا الشعب اخلف عهد الإله...) الذي تضمن كذلك قوة متضمنة في القول وهي الوعيد، والشعب المسلم إذا تجرد من دينه حكم عليه بالزوال. فالشاعر يكشف عن مقصد الكلام ف "يهدف بكلامه إلى غرض ينحو في كلامه نحو مقصديا، فإنّ كلامه يحمل غرضه ومقصده في ثناياه ويصبح الدور الأساسي للمتلقى هنا أن يقوم بعملية في اتجاه معاكس خائضا في نص الكلام ليصل إلى مراد المتكلم"². وبهذا فالوعيد فعل تعبيرى يعبر عن مقصد يلتزم به المتكلم لإقناع المتلقى بمعنى معيّن.

وظّف الشاعر أسلوب الشرط لتأكيد ابتعاد الشباب الجزائري عن الدين الإسلامي، فلا محالة هم هالكون، وجواب الشرط هنا ورد مجازا وهي كناية عن موصوف هو الدين

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص76

² - خالد عبدالرؤوف الجبر، معالجة المعنى في التراث الفكري العربي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت، العدد 90، 2000، ص114

الإسلامي، حيث استلزم التغيير والانتقام من قبل الله إذا أخلف هذا الشباب وعد الله، وهذا ما يجعل الخطاب موجّها إلى العالم ملائم للكلمات بفعل غير مباشر هو التحذير والوعيد. وقد أشار الخطاب أنّ الشاعر التزم شرط النزاهة والصدق بحكم " أنّ هذا الشرط إذا لم يحترم فهو يستلزم أنّ الوعد ليس صادقا، ولكنّه لا يستلزم أنّه غير موجود"¹. فاللباقة بُعد تداولي يقتضي أن يلتزم المتكلم والمتلقي تعاونا لتحقيق المقصود من مبدأ التعاون، حيث لا يفرض المتكلم نفسه على المتلقي، وأن يترك للأخير اتّخاذ أفعاله وقراراته بنفسه.

ولتعديل القوة الإنجازية وظّف الشاعر صفة (زواله) التي تدل على عدم نهوضه من جديد إذا هو خان دينه وابتعد عن نهج ربّه. كما وظّف فعلين ماضيين (أخلف، خان) اللذان هما سببان حقيقيان في التقهقر والانحطاط والضعف، وهاتان الصفتان يتّسم بهما كل جبان و مستهتر.

المشهد الثاني والسبعون:

وأرضُ الجزائرِ أرضُ الفُحُو لِ فأينَ الشهامة؟ أين الرّجولة؟

ومنْ لم يصُنْ حرُماتِ البلادِ ويذرْ النّفاياتِ قد خانَ جيْلَه.²

في الجزائر رجال أبوا التّجرد من صفات الرّجولة وتمسّكوا بها لأنّها عنوان شخصيتهم ، إلا أنّ الذي يتحلّى بالرزائل ويتمسك بالشّدوذ والموبقات فهو خائن للوطن، متجرّد من الرّجولة والشهامة التي يتّسم بها الجزائري الفحل.

واصل الشاعر خطابه في هذا المشهد معتمدا على فعل كلامي مباشر إخباري بصيغة الحرفية مستعملا أسلوب الشرط، فعّله (ومن لم يصن حرّمات البلاد...) وجواب شرطه (قد خان جيّله) وفعله متضمن في القول التحذير والوعيد، حيث جاء المحتوى القضوي نابعا من

¹ - آن روبول، جاك موشلار القاموس الموسوعي للتداولية، ص72

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص77

استحقاق العقاب لأبناء الجزائر إذ لم يصونوا هذا الوطن ويحموا حماه، وهذا الكلام إلزامي، ف " كل إلزامي هو تعهد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل الممثل في المحتوى الخبري"¹، فالفعل الكلامي هذا يعبر عن الحدث وفق معايير اجتماعية واعتقادات ومقاصد مشتركة.

ولتعديل القوة الانجازية لهذا الفعل اعتمد على قرائن لغوية (قد خان)، ف الحرف(قد) للتحقيق والتأكيد لوعيده، و أردفه بفعل ماض(خان) الذي له دلالة مستقبلية وخيمة النتائج وهذا التأكيد هو القوة الإنجازية المدعّمة للفعل الانجازي التحذير والوعيد.

المشهد الرابع والسبعون:

وَنَحْنُ الْأَلَى غَسَلُوا الْعَارَ بِالنَّارِ يَسْتَرْهَبُونَ الرَّدَى بِالرَّدَى

وَيَسْتَبْدِلُونَ بِالشَّعَارَاتِ الْفِعْلَ فَاسْتَوْجِبُوا الْعِزَّ وَالسُّؤْدَا.²

قابل الشعب الجزائري عار الاحتلال بالرفض، وألزمه القصاص فقابل الموت بالموت، وأحلّ الكفاح المسلّح بعزّ السلاح لا ذلّ الشّعارات.

استهل الشاعر خطابه بفعل كلامي حرفي مباشر (نحن الألى غسلوا العار بالنار) الذي تضمّن قوة متضمنة في القول وهي الاعتزاز بالرجولة والشهامة، حيث أجّلوا الغبار عن ذواتهم بمقارعة المحتل، وقابلوه بالنّدية دون هوادة في الأمر أو الخشية من غطرسته، ثم أتبعه بفعل كلامي مباشر ثان(يسترهبون الردى بالردى) ذا بنية لغوية تتضمن معنى في القول هو التهديد والوعيد بقتال العدو مثلما قاتلنا دون تراخي في ذلك، لأنّ عار الاحتلال لا تُطهره إلا النّار والحرب، والشاعر يتعهّد بذلك ويلتزم به وفي هذا يرى أوستين: "إن النقطة الأساسية في التّعهد هي أن يلتزم المتكلم من خلال الفعل الذي ينطقه بتصرف أو نشاط معين"³، وإنّ الفعل الانجازي الوعيد جاء من حيث البنية اللغوية غير مباشر فأضمر هذا

¹ - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص218

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص79

³ - محمد حسن عبدالعزيز، كيف تتجز الأشياء بالكلمات، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عدد 19

الفعل الكلامي في عبارة (يسترهبون الردى بالردى) لأنّ الوعديات لها مرجعية وهو المتكلم، إذ يقصد بالفعل الكلامي القصاص للتأثير في المتلقي، و أوجب عليه ذلك وهو مدعاة لبقاء وجوده عزيزا لا ذليلا، بعكس الأفعال التوجيهية. وفعل التأثير ممثّل في إباء الشعب الجزائري، وحقّ لهم أن يكونوا أباة بهذا التّصور، وعليه فالشاعر يدعو أبناء جلدته أن يستنهضوا الهمم بالتّحدي والصمود، وتوعّد كل من سوّلت له نفسه بانتهاك جِمي الجزائر.

ولتدعيم القوة الإنجازية وظف الشاعر ظاهرة لغوية هي التّكرار باللفظ نفسه (الردى بالردى) ليقرع بها سمع المحتل فيرديه كما أردى الشهداء و غرضه الإنجازي القصاص وهنا "التكرار للتوكيد"¹ ، فالتأكيد هو الوسيلة البلاغية قصد تحقيق الحجة وتأكيد الكلام.

المشهد الثامن والسبعون:

وَبَتْ أَسَاتِذَةُ فِي الشَّبَابِ بِ رَوَاسِبِ مُسْتَعْمَرٍ غَاشِمُ

وَقِيلَ دَكَاةٌ عَالَمُونَ فَوَيْلٌ لِمُسْتَهْتَرِ عَالَمٍ².

يذمّ الشاعر أشباه الدّكاترة و لا هم أشباه، لأنّهم زرعوا مذهب الكفر، وهو الشيوعية في أرواح الشباب الجزائري، فهم مثقفون تأثروا بنهج الاشتراكية للحفاظ على تفكيرهم الساذج، يخدمون المحتلّ بعد الاستقلال، فهؤلاء الدكاترة استهزؤوا بمصير الأمة ومصير البلاد فتباً لهم.

تضمّن الخطاب فعلا كلاميا مباشرا (فويل لمستهتر عالم) حيث أخبرنا الشاعر عن أشباه الدكاترة والغرض الإنجازي هو ما تضمن قوة متضمنة في القول وهو الوعيد بصيغته الظاهرة لكلّ دكتور جامعي متعلّم يبتّ سمّ الشيوعية والخلاعة في وسط الشباب فهو مستهتر بالدين والعادات والتقاليد ، فهذا الإتياع هو ابتداع ليس من أصالتنا أبدا، فاستحقّ الويل والوعيد في

¹ - أبوهلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة،

ط2004، ج1 ص114

² - مفدي زكريا، إياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص83

الدنيا والآخرة، لأنّ الأمة بحاجة إلى شباب سليم يأخذ بيدها نحو التطور والخروج من تبعية المحتل، وإنّ " الذي يعد أو يتوعد يعبر عن مقصدية الإنجاز"¹، فالشاعر يتوعد وهو صادق في قوله ملتزم بما سيفعله، وهذا الفعل الانجازي الصادق يسعى به إلى تحقيق صدقه وعده والقيام بهذا التوعد.

ولتحقيق الفعل الكلامي (الوعد) يتحدّد وجود ظروف ملائمة وهي شروط اللباقة التي تسهم في انجاز الفعل أو عدم إنجازها فالفعل الكلامي (ويل لمستهتر عالم) يحمل محتوى لفظ الوعد دال على حدث مستقبلي، ولكن هذا الشرط لا يتحقق إلا إذا أنجزه المتكلم. والشرط التمهيدي ممثّل في وقوع فعل الوعد، حصول الفائدة من ذلك، أما شرط الصدق والذي مفاده أن الشاعر له نية صادقة للقيام بفعل الوعد مستقبلا، أو العكس فلا يكون له تأثير في العالم. وأخيرا الشرط الأساس هو تنفيذ ما وعد به المتكلم وهذه الشروط تثبت أنّه " يتعيّن توافر ظروف متوقعة أو مناسبة، تعرف تقنيا بشروط اللباقة لكي ينجز الفعل الكلامي كما قصد له أن يكون"². والشرط الاستراتيجي بين المتكلم والمخاطب تمثل بأن يكون كلاهما مهذبًا في أفعاله الكلامية من حيث ترك الحريّة للمخاطب للردّ على المتكلم، وأن تكون المعاملة متبادلة.

ولتدعيم القوة الإنجازية وظف صفتين متنافيتين (مستهتر، عالم) فالعالم لا يتجرّد من الخير فعلمه في ذلك دليله، وإلا عدّ مستهترا تخلّص من علمه وثقافته وأدبه، ووعيده الهلاك والفشل في مساعيه حيثما وجد. إلى جانب ذلك أورد الفعل (قيل) الذي يدل على عدم تأهيلهم لهذا المستوى العلمي مادام أنّهم ينشرون الرذيلة والانحلال الخلقي.

¹ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 76

² - جورج يول، التداولية، ص 85

المشهد التاسع والسبعون:

هُوَ الْخَطَرُ الْجَارِفُ الْمُسْتَطِيرُ فَإِنْ تُهْمَلُوهُ الْوَدَاعُ الْوَدَاعَا.¹

إنّ نَقَسَخ الشبَاب الجزائري خطر على الأمة، حيث وجبت رعايته، لأنّه مُعَرَّض للخطر، فالحذر، الحذر من إهماله والغفلة عنه من حيث التّوجيه والحرص عليه.

في هذا السياق فعل كلامي حرفي مباشر (هو الخطر الجارف) فالقوة الإنجازية في فعل القول أدّت إلى وجود فعل كلامي غير مباشر تضمّن قوة متضمنة في القول تمثلت في التحذير والوعيد، وبذلك فهو يتوعّد لما قد ينجر عن إهمال الشباب. ثم أردفه بفعل كلامي مباشر ثان تضمن جملة شرطية (فإن تهملوه الوداع الوداع) التي توضّح الخطر الداهم، والقوة المتضمنة في القول هي التحذير والوعيد لما أحدثه المتعلمون وأذيال فرنسا من بثّ الفساد في وسط الشباب و دعوته إلى التمسك بأفكار دخيلة عن ديننا وعاداتنا، فهذا هو الخطر المشبّه بالطوفان الجارف للأمة وأبنائها، والذي يؤدي إلى زوالها ووقوعها في مفترق الطرق، وعليه فالشاعر " يبلّغ المخاطّب أنه يستتكر أن تتحقّق الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب"². فالشاعر قد استعمل أسلوب الاستنكار وهو استراتيجية غير مباشرة تستدعي قصدا يخالف العرف الحرفي وذلك لإخراج الكلام إلى ضد مقتضى الحال. ووراء هذا الخبر قوة إنجازية ضمنية وهي وتهويل المصيبة، لأنّ عدم الاهتمام بالشباب هو أمر فظيع حيث عبّر عنه بقوة إنجازية لا تحتاج إلى التّسويق والتّريث.

الفعل الكلامي الوارد في البيت عدل عن الإخبار إلى غرض إنجازي وهو التحذير والوعيد لما يحدث إذا أهمل الشباب، فالفعل الإنجازي مرتبط بالغرض الإنجازي، لأن قصد الشاعر متمثل في خطورة الغفلة عن الشباب، كما توفر شرط الصدق الذي أبداه الشاعر في التّقطن لمصير الشباب، وقد يتحقّق الشرط الجوهرى وهو الغرض التواصلى من أجل تحقيق

¹ - مفدي زكريا، إيالة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص84

² - أحمد المتوكّل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ص67

رغبة الشاعر في ذلك واتجاه المطابقة بُني من العالم إلى الكلمات. ولتعديل القوة الإنجازية وظف الشاعر قرائن لغوية تمثلت في أسماء (الخطر، الجارف) التي نعتت خطورة الشباب في حال الزيغ والانحراف.

المشهد الثاني والثمانون:

كَمِ اَنْدَسَ بَيْنَ الْمُتَقَفِّ حَرَكِي فَأَبْدَلَ فِيهِ الْيَقِينُ بِشَكِّ

هُمُو فِي الْبِلَادِ شَهَادَةُ زُورٍ فَوَيْلُ الْجَزَائِرِ مِنْ كَيْدِ حَرَكِي¹.

يحدّر الشاعر من عميل فرنسا الملقّب بـ"الحركي"، الذي ساهم في ضرب الثورة الجزائرية، وبعد الاستقلال اندسّ في صفوف المثقفين، وزرع التشكيك في أفكار الجزائريين، لأنّهم خونة و أهل كيد ومكر.

في الخطاب فعل كلامي مباشر بصيغة الخبر (فويل الجزائر من كيد حركي) يخبر عن خطورة الحركي في الجزائر، والقوة المتضمنة في القول هو الفعل الكلامي غير المباشر الذي يضمّر الوعيد والخطر على الجزائر وشعبها من بقاء الحركي في تسيير شؤون الأمة، لأنّهم اندسوا في صفوف أبناء الشعب بحكم أنّهم بصفة عملاء فرنسا، واستعملوا لبثّ الشكوك في وجود الأمة وتاريخها وأصالتها. ويقوّي إنجازية الفعل الكلامي كثرة الحركي المندسين في صفوف الطبقة المثقفة (كم اندسّ بين المثقف حركي) وذلك للتأكيد على كثرتهم بالأداة (كم)، حيث " الحروف والأدوات والألفاظ التي قد تؤدي إلى انجاز فعل غير مباشر من خلال سياق محدد"²، والحروف لها أيضا معاني تؤدّيها وتقوّي إنجازية الفعل، وتهدف إلى تقوية العمل الانجازي مراعاة لحال المخاطب.

كما استعمل الضمير "همو" للتعيين إشارة إلى "الحركي"، وكرّر كلمة (حركي) لتأكيد خطرهم على الأمة من أجل إضعافها، وفي هذا دعوة إلى التّقطن من كيد المثقف الحركي،

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص 87

² - علي محمود حجي الصرف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 141

واتجاه المطابقة في هذين البيتين من العالم إلى الكلمات، والشرط التمهيدي متمثل في قدرة المخاطبين على الالتزام ما في الخطاب.

المشهد السابع والثمانون:

وتفاحةً أخرجت آدمًا من الخلدِ مذ لعنَّه السَّما
ولكن حواءنا بلغتْها وبالعِلاجِ أبدلتِ المُسلما
ولم ترضَ بالفحلِ من قومِها فهامتِ بمن ما رمى إذ رمى
ويا قادةَ الشَّعبِ إنَّ دامَ هذا أقيموا على شعبكم مأتما.¹

جاء حديث الشاعر عن بعض الجزائريات اللواتي اتَّسمن بالفسوق والمروق عن الدين، حتى وصل بهن الأمر إلى الزَّواج بالفرنسيين، فهذا انحلال ما بعده انحلال.

في الخطاب فعل كلامي حرفي مباشر بصيغة الأمر (أقيموا على شعبكم مأتما) الذي يدعو إلى إنقاذ بنات الجزائر من مستنقع الرذيلة، والقوذة المتضمنة في القول هي الوعيد نتيجة تزوّج بعض الجزائريات بالفرنسيين، ففي هذه الحالة هي أتان بتعبير "رضا حوجو"، وخسران للأمة الجزائرية نتيجة ضياع جيلها، حيث صرن يلهثن وراء الأجانب بداعي التّقدم، وهو توجيه مباشر تضمن فعلا كلاميا هو الوعيد والتّحذير شديد القوة بكلمة (مأتما) التي تدلّ على القوة الانجازية لفعل الوعيد، والمأتم ورد في السياق لتوضيح أنّ الخروج عن الدّين والعرف هو موت الأمة. وما يوضّح ذلك وجود الشرط في الفعل الكلامي الذي يتوجّه به إلى أولي الأمر لتدارك هذا الخطر، وإنقاذ فتياتنا من براثن الأجانب.

في البيتين وعد ووعيد حيث اتجاه المطابقة "من العالم كالوعد والهجاء"²، لما سينجرّ عن غفلة الشباب، حيث يبلغ أولي الأمر إلى تحمّل كامل المسؤولية في ذلك محققا مبدأ

¹ - مفدي زكريا، إياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص92

² - محمود أحمد نحلة، في البحث اللغوي المعاصر، 76

الإفادة في هذا الخطاب بُغية تثبيت الفائدة التواصلية بين الشاعر والمخاطبين. كما تحقّق شرط الصدق في الوعد، لأنّ الشاعر حريص على الشباب الجزائري، والشرط الجوهرى هو حتّ المخاطبين على مرافقة الشباب، والشرط التمهيدى هو التزامه بحماية وصون الشباب، وورد اتجاه المطابقة في الأبيات من العالم إلى الكلمات.

ولتعديل القوة الانجازية وظّف الشاعر وسيلة إقناع (لكنّ) لاستدراك الكلام، ف "لكن هو رابط حجاجي يربط بين قولين متفاوتين في القوة، وهو يفيد الاستدراك" ¹، حيث استعمل الشاعر هذا الرابط ليزيل ما يتوهّمه الأعداء والمتربصين بأنّ الفتاة الجزائرية أصبحت سلعة رخيصة بأيديهم، واستعمال (لكنّ) ورد من أجل إزالة وهّم الأعداء وتصحيح الاعتقاد.

المشهد التسعون:

فَوَيْلُ الْجَزَائِرِ جَيْلاً فَجِيلاً إِذَا لَمْ تَحْطَمْ غِلَاءَ الْمُهْوَرِ

وَتَعَسَ شَبَابٌ عَدِيمٌ النَّهْيَ عَلَى رَجَسِ عَادَاتِهِ لَا يَثْوُرُ ².

نجد في هذا الخطاب فعلا كلاميا حرفيا مباشرا (فويل للجزائر... غلاء المهور) الذي يتحدّث عن غلاء المهور وما تولّدت عنه العنوسة والفساد الأخلاقي، ونتج عن هذا الفعل قوّة إنجازية متضمنة في القول وهي الوعيد والهلاك، وما ينتظر الجزائر جرّاء عزوف الشباب عن الزواج، ممّا جعله متّخذا للأخدان، مُنساقا وراء المحرّمات. ثم يذكر فعلا كلاميا آخر (تعس شباب عديم النهى) الذي انبثق عنه فعلا كلاميا متضمنا في القول غير مباشر وهو الذم والتحقير، حيث ذمّ الشباب الذي انساق خلف شهواته، وافتقد لعقله الذي من المفروض أن يهتدي لما هو فيه سعادته وراحته. إنّ فعلا الوعيد والتحقير مرتبطان باللغة والعُرف الاجتماعي من خلال مقصدية الشاعر، وفي هذا الصّد " رأى سيرل أنّ الفعل الكلامي

¹ - خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، ص74

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص95

أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضا بالعرف اللغوي والاجتماعي¹. فالفعل الكلامي يخلق واقعية عرفية اجتماعية معينة. ولتقوية الفعل الإنجازي لهذين الفعلين اعتمد على مؤشرات لغوية أشد قوة (تعس، لايتور) هذه القوة دلت على شقاء الشباب وجبنه إذا لم يغير من سلوكاته، لسلامة وجوده والمحافظة على نسله والإكثار منه.

وخلاصة هذه الدراسة التطبيقية أنّ الأفعال اللغوية في الإلياذة قامت على مقاصد الشاعر وتمخض عنها تأثير في المتلقين حسب الحالات السياقية، فوظف اللغة للتعبير عن الحقائق وتحليلها وفق معنى تداولي وهو في ذلك يعبر عن ذاته الناطقة بالحقائق والناقدة للأحوال. ومن خلال مشاهد الإلياذة وجدنا إمكانية تحليل هذا الخطاب وفق نمط تداولي تماشيا والإبداع اللغوي والفكري الذي خلقه الشاعر من خلال الأحقاب التي ذكرتها الإلياذة معبرا عن حياة هذا الشعب. وقد نجح الشاعر في إيصال ما يريده من معاصريه والأجيال اللاحقة لتوفر شروط إنجاح الفعل الكلامي للإفادة بالوقائع، حيث جعل الشاعر من شعر دعامة أساسية لا يستغنى عنه المجتمع لتخليت التراث الوطني .

¹ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص73

3- دراسة نموذجية لقصيدتين مختلفتي النمط:

3-1- الأفعال التقريرية في قصيدة "تأذن ربك..." - نموذج تطبيقي تداولي:

يعتمد المنهج التداولي على إستراتيجية فعّالة لتحليل النص الشعري الهادف إلى " الجمع بين المنهج البنائي الوصفي والمنهج التفسيري، لأننا نحتاج إلى تفسير الظواهر المختلفة أكثر من وصفها، وأنّ الوصف وحده يعزل الأثر الأدبي عن المجتمع والتاريخ"¹، فالجنس الأدبي الذي نحن بصدد دراسته كبقية الأجناس الأدبية، لا تتحقّق فاعليته إلا بمبدأ التواصل بين الشاعر والمتلقي، وهما طرفا في العملية التخاطبية، لأنّ " الباث والمستقبل والجمهور والنسق وشكل الخطاب والمقام والقناة والموضوع والغرض"²، هي عناصر أساسية ومهمة في التداولية حيث تُسهم في تحقيق الفعل التواصل.

نبحث في هذه الدراسة عن ربط الملفوظات الشعرية بمقاصد الشاعر من خلال أعمال الفيلسوف "سيرل" J. Searle الذي أتمّ مسار أستاذه "أوستين" الذي تنسب إليه نظرية الأفعال الكلامية، و الذي عنى باللغة وما يحيط بها من عناصر التواصل؛ فالتداولية تهتمّ بالمتكلم ومقاصده ووضعية المخاطب والظروف الخارجية التي لها علاقة بعملية التواصل بغية تحقيق الهدف التواصل. وتهتم التداولية بدراسة اللغة وأسرارها التي يخفيها النص الشعري، ولهذا السبب ارتأينا أن ندرس قصيدة مفدي زكريا بعنوان: (تأذن ربك) دراسة تداولية مستتبطين استعمال اللغة، وعملية التواصل، والبحث عن الفعل الكلامي الإنجازي في عبارات النص بغية تأويل العبارات، لأنّ شعر مفدي زكريا خصب في هذه الدراسة، والأفعال الكلامية لديه هي أفعال لها معان ملازمة للعمل لا للإخبار فحسب. فالشاعر عاصر الثورة الجزائرية واكتوى بالآلامها، لأجل ذلك حاولنا إبراز معاني تلك المعاناة الوطنية في هذه القصيدة من خلال مشهد صوّره الثورة الجزائرية لنضال الشعب الجزائري الأبّي.

¹ - أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص96

² - آن روبول جاك، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص 52.

اخترنا القصيدة كنموذج للتعبير عن حدث تاريخي وهو غرة الثورة الجزائرية، ألا وهو الفاتح من نوفمبر، لإعطاء مساحة تقريرية عن بطولاته التي جعلت هذه الثورة لا يهدأ لها جفن، وذلك في عمل فني، حيث جعل الشاعر غرة نوفمبر صوتاً مدوياً للثورة، متغنياً ببطولاتها، واتخذ في ذلك أسلوباً حماسياً يخاطب به العالم لما تتضمنه الأفعال الإخبارية من حماس وثبات. نسعى إلى تحليل قصيدة (تأذن ربك ليلة قدر) للكشف الأفعال الإنجازية في النص وتأويلها ومعرفة مقاصدها والعلاقة بين الأفعال الكلامية الصغرى، مع تحديد الروابط التداولية المساهمة في بناء القصيدة، و الوقوف عند السياق التواصل في القصيدة الذي رسمه الشاعر الغيور على وطنه والشعب الجزائري الملتف حول قضيته مخاطباً العدو الفرنسي بنبرة عدائية.

نجد في هذه القصيدة أفعالاً كلامية تقريرية شكّلت مجازاً واصفاً لأحداث أول نوفمبر، وحركت أفعالاً كلامية غير مباشرة، كما حرّكت روح الانتقام من المحتل بأغراض إنجازية تحدّدت في سعي الشاعر إلى وصف القتال والانتقام، فأخبر عن اندلاع الثورة، ثم انتقل السياق الشعري إلى الوصف الملحمي، وتابع الشاعر عرض الأحداث المتمثلة في إباء الأسلحة المختلفة ورفضها للوجود الفرنسي على أرض الجزائر، والآن نعرض الأفعال الكلامية في القصيدة انطلاقاً من سياقاتها لوصفها وتأويلها.

- دراسة القصيدة:

تَأْذَن رُبُّكَ لَيْلَةً قَاسِدَةً	وَأَلْقَى السِّتَارَ عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ
وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: أَمْرُكَ رَبِّي	وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: أَمْرُكَ أَمْرِي
وَدَانَ الْقِصَاصُ فَرَنَسَا الْعَجُوزُ	بِمَا اجْتَرَحْتُ مِنْ خَدَاعٍ وَمَكْرِ
وَلَعَلَّ صَوْتَ الرَّصَاصِ يُدَوِّي	فَعَافَ الْيَرَاغُ خُرَافَاتِ حَبْرِ
وَتَأَبَّى الْمَدَافِعُ صَوْعَ الْكَلَا	مِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ شَوَاطِئِ وَجْمَرِ
وَتَأَبَّى الْقَنَابِلُ طَبَعَ الْخُرُ	فِ إِذَا لَمْ تَكُنْ مِنْ سِبَائِكِ حُمْرِ
وَتَأَبَّى الصَّفَائِحُ نَشْرَ الصَّحَاءِ	فِ مَا لَمْ تَكُنْ بِالْقَرَارَاتِ تَسْرِي
وَيَأْبَى الْحَدِيدُ اسْتِمَاعَ الْحَدِيدِ	ثِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ رَوَائِعِ شِعْرِي
نُوفَمْبَرٍ غَيْرَتِ مَجْرَى الْحَيَا	ة وَكُنْتُ نُوفَمْبَرٍ مَطْلَعِ فَجْرِ
وَذَكَّرْتَنَا فِي الْجَزَائِرِ بَدْرًا	فَقَمْنَا نُضَاهِي صَحَابَةِ بَدْرِ

شغلنا الوري وملأنا الدنيا

بشعر نُرتِّله كالصلاة

تسايخه من حنايا الجزائر.¹

في هذه الدراسة نسعى إلى الكشف عن إستراتيجية الخطاب وقوانينه المتمثلة في الإخبار والشمول للأحداث والصدق والإفادة؛ فالأخبار تخضع لكل الملفوظات الواردة في القصيدة من قبل الشاعر ليعلم المخاطب ما يجهله، والشمول هو أن يُدلي الشاعر بحقائق ذات فائدة دون تستر عن الحقيقة، والصدق فيها يتجسد فيما يقوله من حقيقة، أمّا الفائدة فإنه يصف الملفوظات بأهمية الوصف للحقائق.

كما نركز كذلك على متتاليات الأفعال الكلامية لما لها من علاقات تواصلية بين تراكيبها وجملها التي تعدّ أفعالا كبيرة وتتمثل هذه العلاقة في التأويل والتفسير، ويرى (فان

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص56.

ديك) أنّ "هذه الأفعال الكلامية الكبيرة مشتقة من متتاليات أفعال بواسطة قواعد كبيرة"¹، وإنّ المتتاليات الكبرى تتفرّع عنها متتاليات صغرى بشكل مرتّب تحكمها علاقات، وهذه العلاقات لها ارتباط بالتعليل والتفسير. ويقابل "فان ديك" البنية الكبرى بالبنية الصغرى " وفي هذا إشارة إلى مفهوم البنية الكبرى الشاملة للنص"²، فالمعلومات تعتمد على بُنى تداولية كبرى، فحينما نتكلّم بمنطوق ما يكون مأخوذ كلّه، والبنية الكبرى في النص هي الشاملة في الخطاب أساسها معاني جزئية للتراكيب.

استهل الشاعر قصيدته بإعلان وإذن من الله - عز وجل - للثوار بالجهاد:

تَأْذَن رُبُّكَ لَيْلَةَ قَدَرٍ وَأَلْقَى السِّتَارَ عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ

استخدم الشاعر الفعل الكلامي المباشر الإخباري (تأذن ربك ليلة قدر)، الذي يبتغي من ورائه تحقيق فعل إنجازي متضمن في القول وهو تقرير حقيقة الجهاد، لأنّه إذن من الله، فلقد تضمنت هذه الجملة إثباتا تقريريا، تثبت واقعا جليّا في أرض الجزائر، وقد تفرّع عن هذا الفعل الإنجازي فعلا آخر متضمنا في القول وهو الترغيب في الجهاد، لأنّ يكون الثوار على استعداد لخوض بدايات الثورة التي مثّلها بليلة القدر في عظمتها وبلوغها العالم، هذا ما مكّن من تحقيق فعل التأثير بالقول (ناتج القول) وهو قيام المجاهدين بالثورة المسلحة ممّا يجعل المتلقي يتأثر بثورة الجزائر بمجرد الإذن الإلهي وذلك حسب المعتقد الديني والاجتماعي للشاعر من أجل تحريك دواليب الثورة وامتداد أمدّها وصداها للعالم، وهذا التأثير الذي أحدثته الثورة الجزائرية قد تمكّن من نفوس المتلقين.

وما يدلّ على التّرجيب تشبيه ليلة أول نوفمبر بليلة القدر لعظمتها، وقد أدّى هذا التشبيه إلى المبالغة في الوصف للتأثير في المتلقين وزرع الحماس في النفوس، والتشبيه هنا يُحيل إلى حمولة الفعل الكلامي التي أضمرها الشاعر، إنّها قوة إنجازية تكشف عن قصد الشاعر من الفعل الإنجازي الحرفي.

¹ - بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص 107

² - المرجع نفسه، ص 108

إنّ الفعل القضيّ لهذه الجملة تضمن فعلا إيحاليا يتركّب من المتكلم وهو الشاعر الذي أبلغ بالإذن الإلهي لانطلاق الثورة في غُرْتها، و المتلقي والمقصود في زمانه، ويقصد به كلّ متلقّي عاش أحداث نوفمبر عن قرب أو عن بعد يسمع صداها، والذي قادنا إلى هذا المتلقي هو السياق، ولذا فإنّ المعنى القضيّ اقتضى " التعبير عن قضية هو التحقيق لعمل قضيّ، وبموجب ذلك تحقيق عمل متضمن في القول"¹، الذي ينتج عن سياق الخطاب انطلاقا من العوامل الاجتماعية والنفسية التي تُراعي أفعال الكلام الصادرة عن المتكلم وفق العمل المسبق والرغبات والسياقات المتوالية، التي تساعد على نجاح الفعل النّصي. والمقام هنا هو مقام تحدّ الثورة للمستعمر، لأنّ الفعل الكلامي (تأذّن) هو وسيلة لغوية حرفية ملائمة لمقام الثورة لما يحمله من تجليات ثورية واصفة لحقائق تخلو من الزيف والدجل.

ولتعديل القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي استعان الشاعر بمؤشرات لغوية (تأذّن) فعل ماضٍ مزيد بحرفين التي تدلّ على المطاوعة بمجرد إعلان الجهاد، وهذا المقام هو مقام الجهاد، حيث قصد الشاعر مطابقة الحال للوضع في سياق تداولي اعتقادي. وعبرة (ليلة قدر) هي للتعظيم من شأن ليلة أول نوفمبر، و(ألف شهر) التي تدلّ على أفضلية نوفمبر عن بقية الشهور والسنين السابقة كأفضلية ليلة القدر على باقي الشهور.

وقال له الشعب:أمرك ربّي وقال له الرّب:أمرك أمري

إنّ الأفعال الكلامية (قال له الشعب)، (قال له الرّب) أفعال إخبارية بصيغة حرفية مباشرة تشير إلى فعل إنجازي غير مباشر هو تعظيم الشعب لنداء الله والانصياع لأمره، وابتهاج الإله باستجابة الشعب وتلبية أمر الرّب للجهاد، وإنّ فعل التعظيم يتأسس وفق شروط الملاءمة عند "سيرل": شرط المحتوى القضيّ وهو دعوة للجهاد وقتال الكفار بكلّ إيمان وإخلاص، لأنّ الفعل الماضي خرج إلى هذه الدلالة، والشرط التمهيدي هو قدرة الشعب على

¹ - آن روبول - جاك موشلار القاموس الموسوعي التداولي، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف عز الدين

المجدوب دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2010، ص68.

الجهاد تحت ظل الوازع الدّيني، وشرط الإخلاص تأكّد المتلقين بإنجاز هذا الواجب الدّيني ألا وهو الجهاد، والشرط الأساسي القدرة المطلقة للإله في التأثير في المجاهدين والمخاطبين وبالتالي تحقيق إنجازية الفعل، وحدثت المطابقة بين العالم والمخاطبين، وبهذا تمّ التواصل الإبلاغي بتراكيب لغوية متداولة بين الرّب وعباده، وتمّ حصول السلطة الإخبارية المُلزّمة بكل انصياح وانقياد. ولتقوية الفعل الكلامي استعان الشاعر بلفظ (أمرك ربي) للدلالة على الطاعة والتّصديق دون مرء، و(أمرك أمري) للدلالة على مباركة صنيع الطاعة والقيام بواجب الجهاد الذي يجله الرّب.

إنّ فعل القول الإنجازي (قال) تضمن فعلا قضويا ترّكب من فعل الإحالة وفعل الإسناد؛ ففعل الإحالة هو الجهاد ضدّ الشرّ وروافده، لأنّ مُعتقد هذا الشعب امتداد لروح الإسلام الذي عظمّ الجهاد لدحر الدّخيل والظالم، كما تواصلت الإحالة في الشطر الثاني (قال) أبدى الشاعر إحالة هادفة للمخاطب في زمن الشاعر المعني بالخطاب وهي مباركة الله لاستجابة نداء الجهاد، وهذا هو القصد من فعل القول، حيث نجد هذا الخطاب التداولي " يتعلّق بمختلف الشروط الإستراتيجية التي يقصد إليها المتكلم في عملية تخاطبية مع المؤلّ القارئ، والهدف منها هو مساعدة هذا الأخير وتوجيهه التوجيه الصحيح لفهم دلالة النص أو تأويله تأويلا يلائم سياقه التخاطبي"¹. ففعل الإسناد (قال) أسند إلى الشعب مرة، وأخرى إلى الرّب ليبين مدى إلزامية الجهاد مهما كانت الظروف والأحوال، أمّا الفعل الإنجازي المتضمن في القول فهو تقرير حقيقة ربانية وهي اصطفاء الله عز وجل لهذا الشعب لأنّه رأى فيه رغبة جامحة في تقبّل الجهاد والقيام به، بحكم أنّ العمل المتضمن في القول يوافق بالضرورة جملة تامة"².

ودان القصاصُ فرنسا العجوزُ بما اجتاحت من خداعٍ ومكرٍ

تضمن الخطاب أفعالا كلامية مباشرة بالصيغة الحرفية (دان القصاص فرنسا)، (اجتاحت من خداع) التي تسرد وتثبت جزاء العمل من جنسه، فالثورة الجزائرية كانت جزاء

¹ - بوشعيب شذاق، مقصدية العمل الأدبي بين التقيد والانفتاح، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية،

الجزء 54 المجلد 14، ديسمبر 2004، ص 449

² - آن روبيول، جاك موشلار القاموس الموسوعي التداولي، ص 68

لفرنسا المستبدة بالشعب الجزائري، فأزقتها هذه الثورة جزاء لجرائمها وخداعها وتلاعبها بهذا الشعب. ولهذه الأفعال قوّة متضمنة في القول هي الوعد والوعيد، فكان جزاؤها تجرّعها الألم الذي آلمت به الشعب الجزائري. كما تولّد عن هذا الفعل فعل كلامي حرفي آخر (فرنسا العجوز) المتضمن في فعل القول وهو التحقير من شأنها، لأنها وجدت نفسها في مفترق الطرق تبحث عن الخلاص لما أكرمت، ثم الذمّ لما اتصفت به من خداع ومكر، فمقام الخطاب هو مقام تعظيم للثورة الجزائرية، مقابل استصغار المحتلّ وذمّه، فنتج عن القول المتضمن في القول تأثير في المتلقين والدّارسين للتاريخ الجزائري و المؤرّخين والعالم كلّه، والمدافعين عن القضية الجزائرية. كما تدعّمت القوة الانجازية بمؤشرات لغوية كاسم الموصول المشترك (ما) الذي يعبر عن اتّصاف المحتل بصفة الجبن والخداع، وأثبت ذلك بحرف الجر (الباء) للدلالة على الإلصاق والنسبة بهذه الصفة، كما ساهم في تعديل القوة الإنجازية في تنكير الكلمتين (خداع مكر) على الإطلاق دون فتور أو تقصير منه فيما أقدم عليه.

فعل القول في البيت كلّ فعل قضوي يتركب من الفعل الإحالي وعناصره المكونة له؛ المتكلم هو الشاعر، لأنّ سياق القول يخبرنا بذلك، فـ " هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب لأنّه هو الذي يتلفّظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة"¹، والمخاطب هو العالم، لكن ظاهر القول لا يشير إليه، بل يحيلنا الشاعر لذلك بحكم الواقع، فالخطاب موجّه إلى العرب وغير العرب "ولهذا فالقصد بوصفه المعنى هو المحور الرئيس الذي يتجلّى في الإستراتيجية التلميحية"²، حيث ميّز "سيرل" بين الأفعال المباشرة التي تطابق قوّتها إنجازية مقصود المتكلم، وبين الأفعال غير المباشرة التي تتطلّب ضرب المجاز والتأويل والتلميح.

أمّا فعل الإسناد نقصد به المحمول وهو "فرنسا العجوز" وهو مُسند، والقصاص مسند إليه، والجملة تعمل فعلا كلاميا صريحا يتضمن فعلا في القول وهو العقاب، الذي يُنبئ عن

¹ - عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية، ص45

² - المرجع نفسه، ص198

تقرير حقيقة ارتكاب فرنسا جرائم في حق الجزائريين. وهنا تتم العملية التواصلية بين الشاعر والمخاطب بفعل التأثير عندما قصد معينا، فيقبل المتلقي على الخطاب بدرجات متفاوتة، لأنّ " النص لا يصبح محققا إلا إذا قُرىء في ظلّ شروط التّحقق التي يقدّمها النصّ لقارئه الضمني"¹. ولقراءة النصّ يُقحم الشاعر القارئ في نصّه فينجز فعلا تأثيريا ضمن سياق الغرض، ويحدث هذا التأثير في القارئ كي يضمن الشاعر انجازا معيّنًا لا يكون بمعزل عن النص، لأنّ القصيدة وحدة متكاملة ذات أفعال كلامية تستقطب أفعالا أخرى تثبت التأثير في المتلقي.

ولعلّ صوت الرّصاص يدويّ فعاف اليراع خرافات حبر

الأفعال الكلامية المباشرة (لعلّ صوت الرصاص)، (عاف اليراع) في صيغتها الحرفية أفعال كلامية مبشرة دلّت على فعل متضمن في القول وهو تعظيم اندلاع الثورة الجزائرية ليلة أول نوفمبر، والإخبار عن دويّ الرصاص في ربوع الوطن الذي أفحم وأخرس المحتل لانتهاجه سبل النّقتيل مع السياسة وإنشاء الأحزاب والجمعيات لإعراض الشعب عن قضيته. ولمّا كان القلم ناطقا بلسان حال الشعب عجز القلم والحبر عن الخلاص، فكان اللّجوء إلى الرصاص وهو الحل الأمثل والجزاء المناسب.

وظّف الشاعر الاستعارة، ف "الاستعارة أدعى من الحقيقة لتحريك همة المستمع إلى الاقتناع بها والالتزام بقيمها"²، وضمّنها الأفعال الكلامية التي تحمل دلالة بلاغية وهي تجسيد الإصرار والإلحاح على الكفاح من أجل الثورة المباركة، فلغة الشاعر تنقل هذه الرسالة عبر الخطاب السّردي لتحضّر مضمون النص في تركيب تخيليّ مكوّن من ملفوظات تُحيل إلى موجودات، ممّا يدفع الباث إلى إنجاز فعل تعبيرى. ومقصد الشاعر في البيت يختلف بين الفعل المباشر الإخباري الحرفي والفعل غير المباشر المتضمن في القول بحكم أنّ " الأفعال الإنجازية المباشرة تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم أمّا الأفعال غير المباشرة فيه التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم"³. فللخطاب معنى مباشر بقوة

¹ - علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص 105

² - طه عبدالرحمن، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ص 312

³ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 81

إنجازية حرفية دالة عليه ألفاظه، لكن السياق قد يعطي للخطاب قصدا غير مباشر ولا يكون المعنى الحرفي هو القصد الأساس، إذ يتوارى خلفه قصد آخر يتحكم فيه الباث من استراتيجية تلميحية. ولتدعيم القوة الإنجازية استعان الشاعر بحرف العطف (الفاء) الذي أفاد التعقيب، حيث لم يستسغ الثوار توظيف القلم لجلاء المحتل، فمجّوا ذلك، وارتضوا بالكفاح المسلح بديلا.

وتأبى المدافع صوغ الكلام م إذا لم يكن من شواظٍ وجمرٍ

وتأبى القنابل طبع الحروف ف إذا لم تكن من سبائكٍ حميرٍ

وتأبى الصفائح نشر الصحائف ف ما لم تكن بالقرارات تسري

ويأبى الحديد استماع الحديث ث إذا لم يكن من روائع شعري

ينتقل الشاعر في خطابه إلى أفعال كلامية مباشرة أخرى بأفعال إنجازية حرفية للإخبار (تأبى المدافع صوغ الكلام)، (تأبى القنابل طبع الحروف)، (تأبى الصفائح نشر الصحائف)، (يأبى الحديد استماع الحديث) حيث عبّرت عن رفض المدافع الكلام إلا إذا لم يكن الكلام قذائف ذات شواظ، وأبت القنابل الكتابة إلا إذا لم تكن قطعاً تنثر أجساد الأعداء، والمطابع لا تطبع إلا إذا كانت إعلاناً للحرب بقرارات تنفيذية، والسلاح يرفض استماع الحديث إلا إذا كان شعراً ثورياً حماسياً بكل صدق وإخلاص. كما وظّف الشاعر أسلوب الشرط المكرّر (تأبى...إذا لم تكن...) ليثبت الجهاد وصدق الثورة، " فعندما نستعمل الشرط فإننا نثبت إلى حدّ ما وجود علاقة بين الشرط وجوابه لا يمكن أن تكون الجملة الشرطية صادقة إلا إذا كان الشرط وجوابه كلاهما صادقا أو كاذباً¹. فالجمل الشرطية صادقة في اللغة العادية، وهذا استلزام مادي لأنّ الشاعر يثبت قضية قيام الثورة في ليلة أول نوفمبر، وهو استدلال قوي. وتضمّنت هذه الأفعال التقريرية فعلا كلاميا متضمنا في القول وهو إباء الثوار ورفضهم لكل ضيم و ضائم، وهو فعل كلامي غير مباشر مستلزم مقاميا حيث خرج الخبر إلى غرض ضمني، وقصد الشاعر من ذلك ترك العمل السياسي وقيام الثورة النوفمبرية بغية جلاء

¹ - آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص125

المحتلّ، وبهذا انتقل الشاعر من القوة الانجازية الحرفية مقاليا إلى القوة الإنجازية المسلمة مقاميا .

وركّز الشاعر على ضمير الغائب الذي هو تعبير إحالي له علاقة بالفعل الكلامي، ليوضّحه حيث تقوم عباراته بربط العلاقة بين الشاعر والقارئ، لأنّ " وظيفة الإحالة إذن هي الإشارة لما سبق من ناحية والتعويض عنه بالضمير من ناحية أخرى"¹. هذه الإحالة داخلية قبلية تُحيل إلى داخل النص، فهي إحالة إلى المجاهدين والثوار.

لقد استطاع الشاعر أن يُبث الحياة في المادّيات لتحسيس النفوس بواسطة عملية ظاهرة التّخييل بالاستعارة المتوالية في الأبيات (تأبى المدافع، تأبى القنابل، تأبى الصفائح، تأبى الحديد) وذلك لتوضيح المعنى وربط العلاقة بين الفعل الكلامي والاستعارة التي "يُدرّك بها عادة معنى مقصودا يقع وراء البنية المنجزة الحرفية"²، حيث استعمل الشاعر الاستعارة وسيلة لتوضيح الخبر وإعطائه تمثيلا في الواقع كما هو الحال للأفعال الكلامية المقصود منها تمثيل التواصل بين المتخاطبين.

ونستنتج من هذا أنّ الشاعر أراد استعمال الإستراتيجية التّلميحية لتحقيق الأفعال الكلامية من خلال استعمال الاستعارة المكنية بطريقة غير مباشرة بغية أن "يعبّر بها المتكلم عن القصد بما يغيّر المعنى الحرفي لينجز بها أكثر مما يقوله"³، كي يعبّر عن واقع سياسي اجتماعي ثوري مُلماً بعرف الجزائريين وهو رفض الاحتلال للعيش في مجتمع حرّ، مسلم ثائر في وجه كل ظالم مستبد.

وكرّر الفعل الكلامي (تأبى) أربعة مرات متوالية الذي هو فعل إنجازي مجازي شكّل أحداث القصيدة وساهم في انسجام النص وتماسك معانيه حيث "يرى دومنيك منقينو

¹ - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، ط1،

2000 ص38

² - علي محمود الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص150

³ - عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص371

d. maingneno أن سيرورة النص وتقدمه في عرض المعلومات يخضعان إلى ظاهرتين هامتين هما: التكرار والتدرج¹. فالتكرار لما يستعمل كوظيفة لغوية تداولية فإنه يهدف إلى تحقيق التأثير في المتلقي من تبليغ الخبر وتجاوزه المقام ليستلزم غاية تأثيرية.

ونكرتنا في الجزائر بدرًا فقمنا نضاهي صحابة بدر

الأفعال اللغوية (ذكرتنا في الجزائر)، (قمنا نضاهي) حدد الشاعر فيها مقصدية وعرفا، لأنها تحققت في وسط جماعة الجزائريين الثائرين الذين اشتركوا بلغة الإباء والرفض لتحقيق التواصل الاجتماعي الثوري، ولذا " فالأفعال اللغوية ليست قصدية فحسب، بل عرفية أيضا"². فالشاعر هنا يتواصل مع العالم الخارجي بصدق وإخلاص وفق حقيقة تشابه الثورة الجزائرية بغزوة بدر والمجاهدين بالصحابة الكرام من حيث فعل الجهاد والتضحية والشهادة، فالشاعر هو باث مُقَيّد بهذه الأفعال الكلامية المستعملة بصورة عرفية، فهو شريك المتلقي في هذا الخطاب، وحتما أنه يعظم هذه الثورة مما يجعل المتلقي يُقبل على فهم الرسالة واستيعابها.

يتضح أن الأفعال الكلامية لهذه القصيدة مكونة من جزئين؛ الجزء الأول إنجازي من حيث القيام والإعداد للثورة وإذكاء شعلتها، والجزء الثاني هو الفعل القضوي الذي يحتوي على مضمون الفعل اللغوي وهو القتال والاستماتة دون النكوص على الأعقاب. وفي حقيقة الأمر نجد الفعل (قمنا) يتفرع إلى فعل تعبيرية، وإلى فعل قضوي، ثم فعل تأثيري في صيغة بنية ثابتة، وقد تحوّل المعنى لدى المتلقي بلغة تواصلية تأثيرية.

وإن تنوع الأفعال الكلامية في القصيدة بين الأفعال الماضية والأفعال المضارعة لدليل على الحركة والحيوية في التفاعل مع أحداث الثورة، ف"تبدو أزمنة الأفعال بمثابة العناصر المعدلة للأفعال، إذ تمكّن من معرفة ما إذا كان الحدث الموصوف منقضيًا، أو غير منقض أو بصدد الوقوع أو ماضيًا... إلخ"³، حيث وردت الأفعال الماضية والمضارعة موظفة في

¹ - كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص125

² - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص83

³ - آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص174

النص مناصفة؛ فالأفعال الماضية دلّت على التقرير، فقد وردت في صيغ مختلفة (تأذن، قال، ألقى دان، لعل، ذكرتنا قمنا) للدلالة على الحركية والحيوية و تقريرية أحداث الثورة، وهي القوة متضمنة في القول. أمّا الأفعال المضارعة أفادت الحالية والسيرورة للأحداث، والألفاظ كلّها كانت لها قوّة تعبيرية مؤثّرة، إذ وردت أربع مرات في صورة واحدة (تأبى) ، وثلاثة مرات في صورة واحدة (يكن) وهذه الأفعال أفادت الاستمرارية والاستقبال، لأنّ الأفعال القضائية المضارعة تعبّر عن حركية تبديها الثورة في حركية مستمرة للرصاص والمدافع والقنابل وصفائح الحديد المختلفة، ردّا على الظلم المسلّط على الشعب الجزائري.

إنّ الأفعال الكلامية في هذا النصّ هي أفعال متوالية لتحقيق أفعال كلامية كبرى، حيث تنامت ممّا ساعد على التأويل والتفسير، وتلاحق وفق بنيات كبرى تنطوي تحتها أفعال كلامية صغرى تُسهم في تنامي النص وتحقيقه، وقد حدث بينها تعالق تواصل حيث "يقوم النص على أفعال كلامية مركّبة وأفعال كلامية بسيطة ، فالأفعال الكلامية المركبة ما تركبت وتوالت فيها مجموعة من الأفعال البسيطة، ذات القصد الكلّي الواحد؛ والفعل الإنجازي البسيط هو ما أنتج وحقق أثرا واحدا لحال إنجاز واحدة"¹. وإنّ الأفعال المركبة البسيطة لها قصدية كامنة في تبني الشاعر قصد التوجّه إلى المتلقي بقوة الإرادة التي ترمي إلى تحقيق القصد.

هذه الأفعال هي أفعال إخبارية تقرّر حقائق ووقائع، ووصف أحوال، حيث وظّف الشاعر هذه الأفعال ليبين صدق أفكاره، واستعملها من أجل توصيل هذه المعلومات وتبليغ أفكاره ومعانها لغاية نفسية وأخلاقية واجتماعية تسهم في تغيير الواقع ما أمكن ذلك.

¹ - فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي، ص239

3-2-الأفعال التوجيهية في قصيدة: "تفسخ هذا الشباب..." نموذج تطبيقي تداولي:

تهتم التداولية بدراسة اللغة وما يحيط بها من عناصر التواصل؛ كما تهتم بالمتكلم ومقاصده ووضعية المخاطب، والظروف الخارجية التي لها علاقة بعملية التواصل بغية تحقيق الهدف التواصلية بملفوظات واضحة. ولهذه اللغة أسرار يخفيها النص الشعري، مما يجعلنا ندرس قصيدة "تفسخ هذا الشباب..." لمفدي زكريا دراسة تداولية مستنبطين استعمال اللغة فيها، وعملية التواصل، والبحث عن الفعل الكلامي الإنجازي في عبارات اللغة وتأويلها، لأنّ شعر مفدي زكريا خصب تداوليا، والأفعال الكلامية لديه هي أفعال لها مقصدية ملازمة للتوجيه لا الإخبار فحسب.

موضوع هذه الدراسة يهتم بالجانب التطبيقي لتحليل هذا النص الشعري، فقننا باصطفاء هذه القصيدة من إلياذته لدراسة هذا الأثر دراسة تداولية معاصرة، بحكم أنّ الشاعر عاصر الثورة الجزائرية واكتوى بآلام وظلم المحتل، لأجل ذلك نحاول إبراز معاني تلك المعاناة الوطنية من خلال هذه القصيدة في مشهد صوره الشاعر أحسن تصوير، مكتفين بالبحث عن الأفعال الواردة في النص ودراسة أغراضها، مشيرين لعدة تساؤلات: من المتكلم؟ ومن يخاطب؟ وما الحدث الذي يبديه؟ وما زمن ومكان الخطاب؟ وما الغاية المرجوة من الخطاب؟ ودراستنا تقتصر على الأفعال الاستفهامية لأنّ الموضوع الذي يعالجه الشاعر يلقي صدى في المجتمع وخاصة لدى القراء، لأنّ الاستفهام أضاف للقصيدة انسجاما داخليا وخارجيا، حيث وظّف خياله الخلاق للتعبير بصدق عن هذه الظاهرة، فأبدع في الإيحاءات المتوالية في القصيدة.

- دراسة القصيدة:

وتفسّخ هذا الشَّبَابُ وماعاً	وخرَّبَ أخلاقه وتداعى
فويلُ الجزائرِ والمسلمين	إذا دنَّسَ النشءُ هذي الطِّباعاً
وكيف يسُوسُ البلادَ غبيٌّ	يُذُّ أضاعَ الضَّميرَ فضاءاً؟؟
ومَن يطمئنُّ لأقدارِ شعبٍ	إذا استخلفَ الشَّعبُ فيها الضِّباعاً
وكيف يقومُ بنيانُهُ	تقويمُ أخلاقه ما استطاعاً؟؟
وكيف يصونُ الأصالةَ نشءٌ	قد ساوموه عليها فباعاً؟
وكيف ينيرُ الطريقَ شَبَابٌ	قد طمسَ الرِّجسُ فيه الشُّعاعاً
وكيف يداوي المريضُ صحيحاً	في قلبه مرضُ السُّلِّ شاعاً؟
وكيف يصارعُ موجَ الحياة	ما استطاعَ في أصغريه الصِّراعاً
هو الخطرُ الجارفُ المستطيرُ	فإن تهملوه الوداعَ، الوداعاً

شغلنا الورى وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر 1

نلاحظ في هذه القصيدة أنَّ الشاعر اعتمد على نمط تعبيرى واحد هو الاستفهام: (كيف يسوس البلاد غبي...؟) (من يطمئن لأقدار شعب...؟)، (كيف يقوم بنيانه...؟)، (كيف يصون الأصالة...؟) (كيف ينير الطريق...؟)، (كيف يداوي المريض...؟)، (وكيف يصارع موج الحياة...؟). كما وظَّف الشاعر الإحالة الإشارية المكوّنة من الضمير (هو) ويعني به الشباب، وضمير المتلقين (أنتم) ويقصد أصحاب القرار السياسى في الجزائر بغية تفعيل لغة الإصلاح في المجتمع الجزائري. لقد ابتدأ الشاعر القصيدة بفعل كلامى أكبر وهو فعل (تفسخ) الذي يعدُّ بؤرة القصد لإنجاز الأفعال الكلامية في هذا النص، ثم انتقل إلى الوعيد

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، ص84

محدّراً من التّغاضي عن هذا الانحلال، بعدها وجّه أفعالا كلامية توجيهية تتعلّق بمصير الشّباب، وكلّها أفعال كلامية صغرى، وختمها ببيت شعري يضمّ فعلا كلاميا أصغر ليؤكد الفعل القضوي وهو الدّعوة لإنقاذ الشباب من وحل الرذيلة، حيث أسهمت الأفعال الكلامية الصغرى في خدمة الفعل الكلامي الكبير للقصيدة.

ثم انتقل الشاعر من النص إلى الواقع ليبين صدق المحتوى القضوي بحلّة نفسية حزينة ومؤلمة جعلته يرفض هذا الواقع بلغة الإصلاح والبناء، وهو ما أكّدته توالي الأفعال الكلامية الصغرى. ولتدعيم هذه الأفعال وظّف الوصف الذي وضّح صفات الشباب المنحل أخلاقيا، لأنّ الأوصاف لها ارتباط بحركية الأفعال التي توضّح مقصديه الشاعر. إنّها أفعال إنجازية يتوجّه بها الشّاعر إلى التأثير في المتلقي حيث يسعى المتكلم إلى جعل المتلقي يقوم بفعل شيء ما، ممّا يدفع بالأفعال التوجيهية إلى مطابقتها للعالم بألفاظ وتراكيب تؤثر على السامع، وهذا ما جعلنا نكتشف أنّ هذه القصيدة حدثٌ كلامي يتركّب من فعل أدائي الذي يعدّ بؤرة الإنجاز لفعل معيّن عن طريق أفعال إنجازية تالية له. لقد أبدى الشاعر سلسلة من التساؤلات بأفعال كلامية مباشرة، وهو ينتظر جوابا للاستفهام المتكرّر لإثارة قضية اجتماعية محاولا إقناع المتلقين بأسئلة يكون الجواب ذا تأثير، حيث يُثمّن السؤال المطروح فـ "يسعى المرسل في خطابه إلى تحقيق هدف، والإقناع من أهم الأهداف التي يسعى المرسل إلى تحقيقها في خطابه. وعلاقته بمفهوم السلطة علاقة جوهرية، فالمرسل الذي يسعى إلى إقناع المرسل إليه، يمارس سلطة عليه يمكن تسميتها بسلطة الإقناع، وبذلك فالإقناع يجسد السلطة"¹ فهذه الاستفهامات أنتجت فعلا كلاميا إنجازيا توجيهيا، وتضمنت قوة إنجازية مضمونها إصلاح الشباب الجزائري وإبعاده عن خطر الفساد.

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص242.

هذه الأسئلة المتتالية في النص لا تعني أنّ الشاعر يخفي عليه ذلك، وإنّما يستقهم ليصلح، وينبّه، وينصح، ويبين حقيقة هذا الخطاب، ويتساءل مخاطبا مؤسسات لها علاقة بتوجيه الشباب للحفاظ عليه، ويتساءل عن جدوى ضياعه في مَهْمَه الفساد.

تفسّخ هذا الشباب وماعا وخرب أخلاقه وتداعى

الأفعال الكلامية (تفسخ هذا الشباب)، (ماعا)، (خرب أخلاقه)، (تداعى) تحمل فعلا قضويا يتكوّن من فعل إحالي، وفعل إسناد؛ فالفعل الإحالي يضمّ كل من المتكلم والمخاطب والعبارة والقصد: ففعل القول ظاهر وبيّن وهو فعل (تفسخ) الذي يحيلنا إلى المتكلم من خلال سياق الجملة إحالة مباشرة، أمّا المخاطب غير ظاهر، بل هو متوارى خلف ستار السياق، يقودنا الشاعر إليه عبر عملية التأويل ويقصد به مؤسسات الدولة وهو المتضمن في الكلام.

إنّ مفدي زكريا بقصده هذا يبلغ الخطاب إلى وأولي الأمر من ساسة و حكومة وأسر لإنقاذ الشباب من مستنقع الفساد والهلاك إذا تمادى في انحلاله، حيث يقوم القائلون على شؤون الشباب بتأويل كلام الشاعر ويفهمون قصده، ومردّ ذلك " إذا كان هذا الكلام من المتكلم، فإنّ المخاطب يتمّ تأويل ردّه بالوقوف على مقصد الشاعر، ومقتضاه أنه كلام إلا مع وجود القصد"¹. فلا يرتبط قصد المتكلم إلا إذا ارتبط شأن المتكلم بما يقوم به السامع من تفهم القصد من الخطاب ليتحقّق الإفهام من القائل والفهم من السامع.

والفعل الإسنادي أيّ المحمول في هذه الجملة يحمل صفة التفسخ إلى صيغة المبالغة على وزن " تفعل " الدالة على تحليه بالتفسخ الذي يلزمه الشباب، أي المسند إليه بفعل " تفسخ " فهو وصف للفعل لغرض ومقصد خاص لإضفاء صفة الانحلال بالموصوف وارتباطه بها. إلى جانب الفعل المحمول نجد تحقّق الفعل الإنجازي "تفسخ" وهو فعل تقريرى يمثل حقيقة ما اتصف به الشباب زمان نظم القصيدة، وما سبقها؛ فالشباب يعاني مرض الانحلال الخلقي وهو متضمن في القول، وهي ظاهرة اجتماعية تحدث في ظروف معينة حيث نجد الفعل المتضمن في القول " يتعلّق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص186.

ضمنية وخفية تحكمها ظروف عامة كسياق الحال وغيره¹. لقد أفصح الشاعر عن سلوكيات الشباب في الحياة اليومية، ممّا حَزَّ في نفس الشاعر هذا الانحلال، ممتعضا من فداحة هذه الظاهرة الاجتماعية الدخيلة على مجتمعنا المسلم.

ولقد نتج عن هذا الفعل الكلامي فعل تأثيري سعى الشاعر من خلاله إلى إقناع السلطات الجزائرية للبحث عن السبل الكفيلة لتهديب النشء والتأثير فيه من خلال الوازع الديني الذي هو الملاذ للخروج من المعضلة، ويعدّ هذا إقرار بالواقع بغية إحداث تغيير في سلوكيات النشء وإحداث تحسينات وتغيير نحو الفضيلة.

إنّ الأفعال الكلامية (تفسخ، ماعا، خرب، تداعي، دنس) هي أفعال يصف بها الشاعر الشباب بملفوظات إخبارية وفق أفعال الكلام عند "سيرل"، وهي أفعال يلتزم بها المتكلم (الشاعر) بالصدق حين يصف الواقع المعبر عنه، وهو شرط أكدّه "سيرل" في الأفعال التقريرية وفعلها المتضمن في القول هو إبداء الحسرة والأسى لمصير الشباب الجزائري حين دنس أخلاقه بأخلاق فاسدة دخيلة على مجتمعه. وأثناء كلامه استعمل الشاعر أيضا الوصف بالإشارة وهذا ما يسمى بـ "التعبير التأثيري" *déictique expression* باسم الإشارة (هذا)، إشارة إلى الشباب الجزائري بعينه، الذي فسدت أخلاقه، وهي إشارة إلى فئة معينة، إشارة مباشرة لأنّ الشاعر قريب من هذا الشباب، يتواصل معه بداعي الاهتمام به والحفاظ عليه فمن "الواضح أنّ التأشير هو واحد من صيغ الإشارة المرتبطة بسياق الكلام، مع الأخذ بنظر الاعتبار الفرق الأساس بين التعابير التأشيرية التي تعبّر عن حالتني قرب المتكلم وبعيدا عن المتكلم"². إنّه خطاب يوجّه أيضا للمجتمع حتى يتمّ ترشيد الشباب ترشيدا سلميا ومنه إلى الأسرة التي هي لبنة المجتمع وأساس بنائه، والفعل المتضمن في القول هو لبّ القصيدة، وهذه الجملة الفعلية بثت الحركة فيما أحدثه الشباب من تفسخ. إنّ القصد من القول أعطى صفة الفعل وهو الانحلال الخلقي للشباب، وقد يكون الشاعر موقفا في قصده

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص60.

² - جورج يول، التداولية، ص28.

هذا فنذكر أنه " قد يتردد الإنسان في إطلاق صفة الفعل على الشيء إذا لم يكن نتيجة لقصد الفاعل، وعليه فلا يسمى الفعل فعلا ما لم يصحبه القصد"¹، والقصد شرط بلوغ الكلام تمامه، وقول الشاعر دليل على ما يريد به تبليغ مقصوده، لأنّ الدور الأساسي للمقصد هو بلورة المعنى عند الشاعر.

فويلُ الجزائر والمسلمين إذا دنس النشء هذي الطباعا

إنّ الفعل الكلامي (فويل الجزائر والمسلمين) فعل مباشر في صيغته الحرفية حيث ورد للإخبار والفعل المتضمن في القول هو الوعيد والتهويل لما سيحلّ بالجزائر خاصة والمسلمين عامة من تدنيس أبناء الجزائر والأمة لأخلاقهم وانغماسهم في الشهوات والملذات، وهو وعد محقق لأنّ " الوعد الصادق أو غير الصادق، يستلزم دائما التزام القائل " (2). ونمط الوعيد عند الشاعر هو قوة ضاغطة على المتلقي تنتظر الردّ بفعل انفعالات تحتم على المتلقي باعتباره المقصود من العملية الإبداعية الامتثال للوعد، فالشاعر يقوم بتحريك مشاعر المتلقي ويستفزها ليكون له دور في التغيير.

كما يتفرّع عن هذا الفعل فعلا كلاميا وصفيا تقريريا، حيث تتمثل قوته في وصف النشء بصفات لا تليق به أصالة، فهو إنذار بالخطر المحدق به، وما أكّد هذه القوة الإنجازية أنّ الأفعال الكلامية وردت على صيغة الوعيد ، فإنّ لم تسارع السلطات فالويل كلّ الويل لها وللمجتمع، وهنا تتأكد القوة الإنجازية المتضمنة للتحذير والوعيد من خطر مستقبل النشء الذي ينعكس سلبا على البلاد وهو فعل كلامي ذا قوة انجازية مستلزمة مقاميا . إنّ فعل الوعيد والتهديد هو من صنف الوعديات وفق أفعال "سيرل" التي تحمل المتكلم على الالتزام بفعل شيء ما، وأنّ يكون القصد من الكلام ملازما لشرط الإخلاص، والفعل الكلامي ذاته يحمل سُخطا لما سيحدث في المستقبل لأنّ " قائل الوعد سواء أكان صادقا أم غير صادق

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية، ص 28 .

² - آن ريبول، جاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ص72.

يعبر بقوله عن قصد القيام بعمل¹. فالعبارات الخبرية الدالة على الوعد والمثلة في الواقع قد تنجح وتحقق تمثيل الواقع تمثيلا دقيقا سواء أكان صادقا أم كاذبا وتحدث تغييرات في العالم. ولتعديل القوة الإنجازية لفعل الوعيد، حيث استعان الشاعر بمؤشر لغوي (هذي) إشارة قبلية لقرب الشباب من الأخلاق الفاسدة وتقصيصها للوقوع فيها حيثما وجدت، كما جاءت لفظة (الطباعا) معرفة، لأن الرذائل معلومة لديهم فلا يخفى عليهم ديبها.

وكيف يسوس البلاد غبي بليد أضاع الضمير فباعا ؟

برزت في هذا الخطاب أفعال كلامية حرفية صريحة مباشرة (كيف يسوس البلاد غبي) (أضاع الضمير) نتج عنها فعلا متضمنا في القول وهو (التحقير)، أي التحقير من شأن الشباب البليد الذي صار غير قادر على قيادة البلاد، لأنه باع ضميره للأهواء، واتبع سبل العدو في الفساد، وتولد عنه فعل تقرير يجرّد الشباب من الرجولة والشهامة، كما تفرّع عن الفعل الكلامي فعلا إنجازيا آخر وهو التحذير من بلادة هذا الشباب الذي باع ضميره، لذا يجب تداركه قبل فوات الأوان. ومن هنا قد يتحدّد غرض الفعل الإنجازي الموجّه إلى المتلقي ليقدم جوابا لفعل الاستفهام الذي هو من التوجيهات التي تعتبر "محاولة توجيه المخاطب إلى فعل سلوك ما في المستقبل، وشرطها الإرادة والرغبة... وتمثلها صيغ الاستفهام والأمر والنهي والرجاء والتشجيع"². وهذه الأفعال تختلف فيما بينها حسب القوة الإنجازية، والسياق والمقام الذي يحدث فيه الخطاب، وعلاقة المتكلم بالمخاطب، فهذه الأفعال تضم صيغة استفهامية طلبية، والاستفهام هنا يقدم قوة إنجازية وظفها الشاعر للاستفهام عنها، وهو محتاج إلى الإجابة عن الاستفهام، والذي يبتغي فرض شيء على متلقيه ليقرّ استفهاما تقريريا من أجل "الدلالة على أنّ المستفهم عنه واقع معلوم عند من يتجه إليهم الخطاب"³، والشاعر يستفهم ليقرّر، فيذكر ويحذر قصد تحقيق ما يرجوه من خير لأبناء الوطن، وهذا

1 - آ، ريبول، جاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ص72.

2 - نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص102.

3 - إبراهيم بن منصور التركي، البحث البلاغي عند ابن تيمية، نادي القصيم الأدبي، ص111.

الاستفهام يحمل قوة انجازية أرادها الشاعر تحقيقها و قصد بها مخاطبة المتلقي للرد عليه بإجابة محدّدة يفرضها المقتضى الناتج عن الاستفهام.

ومن يطمئن لأقدار شعبٍ إذا استخلف الشعب فيه الضباعا ؟

الفعل الإنجازي هو الجملة الاستفهامية (من يطمئن لأقدار شعب...؟) وهو فعل إنجازي مباشر تتمثل قوته الإنجازية الحرفية في طرح السؤال، وقوته الإنجازية المستلزمة مقاميا هي التحقير. ومقام العبارة لا يقصد به السؤال ذاته، بل الفعل اللغوي غير المباشر، حيث يقوم الشاعر بالمساءلة لإنتاج فعل كلامي إنجازي إخباري على شكل استفهام يتضمن قوة إنجازية. وهذا الفعل الكلامي الإنجازي الإستفهامي تضمن معنى في القول هو التحقير والاستخفاف بشباب غير قادر على حماية الشعب إذا كان قدره الضباع من أبنائه، فلا أمان لاستخلافهم على هذا الوطن. والفعل الكلامي التحقير له قوة تأثيرية صادمة لما أحدثه هذا الشباب ممثلة في تغيير واقع الشباب والرجوع به إلى دينه الإسلام، وأن " التحدث يقصد به تبادل الأخبار، وفي الوقت نفسه يهدف إلى تغيير وضع المتلقي، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي"¹. وغرض الشاعر من الفعل الكلامي هو التوضيح، لأنه بحاجة إلى تبين لما آل إليه الشباب الذي لم يحافظ على أمن بلاده، ومن الواجب عليه أن يكون خلفا لمن سبقه في القيادة وتسيير البلاد.

وكيف يقوم بنيانه وتقويم أخلاقه ما استطاعا ؟

نلاحظ أنّ هذا البيت الشعري انطوى على فعلين كلاميين إنجازيين بصورة حرفية مباشرة (كيف يقوم بنيانه؟)، (تقويم أخلاقه ما استطاعا؟ بصيغة الاسم (كيف) الدال على الاستفهام وهو معنى حرفي، فعله الكلامي المباشر تولّد عنه فعلا كلاميا إنجازيا غير مباشر وهو التئيس، إنّه شباب فقد أخلاقه وانسلخ من جلدته وتلذّذ بذلك فأئى أن يصلح حاله؟ فالاعوجاج فيه بين وجلي. ولتقوية إنجازية فعل التئيس استعمل النقي (ما استطاعا) التي تدل على عجزه في الإصلاح من شأنه، وبالتالي تنهوى أخلاقه وينهار بناؤه، والمراد من

¹ - محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1979، ص55.

ذلك محاولة الشاعر توجيه المتلقين إلى الالتفاف حول الشباب والتأثير فيه من خلال تقويم أخلاقه، وشرط الإخلاص متمثل في رغبة الشاعر الصادقة، لأنّ درجة شدة الإنجاز تكمن في تسديد السهم إلى موضوع الأخلاق التي هي أساس استقامته للتخلص من كل اعوجاج.

كيف يصون الأصالة نشءٌ وقد ساوموه عليها فباعا ؟

الأفعال الكلامية (كيف يصون الأصالة نشء؟)، (قد ساوموه)، (فباع) هي خطاب توجيهي مباشر، معناه الحرفي هو الاستفهام عن شباب أسهم في التخلي عن أصالته طوعية واتخذها سلعة تباع وتشترى، حيث يهيئ الشاعر المتلقين وهم قادة البلاد إلى اتخاذ ردّة فعل أمام هذه الوضعية، لأنّ المقام أسهم في أداء وظيفة لغوية، وقد يكون موقف المتلقي سلبيا أو ايجابيا في مقام التّغيير من حال الشباب، ممّا يجعل المتلقين يهتمون بوظيفة تقويمية، كسنّ قوانين تحمي الشباب، والتهديب من سلوكياته.

إنّ الفعل الإنجازي هو الجملة الاستفهامية التي تتكوّن حملتها الدلالية من قوّة انجازية حرفية هي الاستفهام، أمّا القوّة الإنجازية المستلزمة فهي التحقير والاستهزاء، وهذا ما يوضّح تحقق الفعل الإنجازي غير المباشر، لأنّه قد ارتبط بالاستفهام، وبميدان استعمال اللغة حيث "يعدّ استعمال الأسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية، بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثم فإنّ المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث"¹، فالاستفهام له دور في تغيير العالم إذ لا ينتظر الشاعر إلى إجابة فحسب، بل يسعى إلى الحصول على توجيه مخاطبه بغية النّظر في المشكلة المطروحة والمعروضة، وهي متعلّقة بخدمة القصد الذي أراده الشاعر.

وكيف ينير الطريق شبابٌ وقد طمس الرّجس فيه الشعاعا ؟

وردت الأفعال الكلامية بصيغة حرفية مباشرة (كيف ينير الطريق شباب)، (طمس الرّجس فيه الشعاعا) وتضمن التركيبان فعلا كلاميا غير مباشر مستلزما مقاميا وهو الحسرة لما آل إليه الشباب حيث أظلم طريقه بنفسه، وافتقد النور الذي يهديه لنهج الاستقامة، فالنور

¹ - عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص352 .

اختفى بفعل الفساد الذي دبّ في أخلاقه، وإتباعه أفكار هدامة، ورجس المحتل التي لا تمتّ بصلة لدينه، ولا لعروبته، و لا لعاداته وتقاليده.

نلاحظ أنّ الفعل الكلامي المتمثّل في الاسم (كيف) له قوّة إنجازية صريحة تحوّلت إلى قوّة إنجازية مستلزمة مقاميا ممثلة في الحسرة، حيث أسهم المؤشر اللغوي (قد) في تعديل القوّة الإنجازية التي دلّت على التّحقّق والتّأكد من واقع الشباب السيء، إلى جانب المؤشر اللغوي ضمير الغائب في شبه الجملة (فيه) الذي أثبت تغلغل الفساد في ذاته، وأكّد ذلك الانتقال من الفعل المضارع (ينير) إلى الفعل الماضي (طمس) الذي يبيّن استحالة أن يرى الشباب النور وقد دنس أصلته بفساد الأخلاق إلا إذا تدارك دربه السويّ.

فأفعال الكلام في هذا البيت (ينير، طمس، باعا) هي أفعال القول ، أي كلمات أدلى بها الشاعر للمخاطب، (كيف ينير الطريق...؟)، وفعل الإسناد هو الرّبط بين الشاعر والمتلقي، وهو إسناد الفساد والانحلال الخلقي إلى الشباب، وفعل الإنشاء هو تحقيق المقصود المعبر عنه، ألا هو التحذير من التّفريط في أصالة الشباب الجزائري، أمّا فعل التأثير هو التأثير في نفوس المتلقين وما يقدمون عليه من خطوات جريئة للتغيير، وهذا التأويل هو الذي ورد في أبحاث "سيرل". كما استعان الشاعر بقرائن لغوية أخرى هي أدوات الرّبط الممثلة في حرف العطف (الواو) وحرف الجر (في) للدلالة على الرّبط بين السلوكيات المعنوية المكتسبة من محيطهم، وتعيين مكان الداء، فهذه الحروف دلّت على حدث لأنّ " الأدوات كالصيغ قد تستخدم للتعبير عن الفعل الإنجازي المباشر ضمن سياقات محدّدة، وقد تستخدم للتعبير عن أفعال إنجازية غير مباشرة يستدل عليها من السياق ولا سيما السياق الاجتماعي، وما يحيط به من عناصر كالعلاقة بين المتكلم والمتلقي وزمن الإنجاز ومكانه"¹.

¹ - علي محمود حجي الصراف، في البرجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص15.

وكيف يداوي المريض صحيحًا وفي قلبه مرض السِّل شاعًا ؟

وردت في هذا الخطاب أفعال كلامية صريحة مباشرة ذات قوة إنجازية تعبر عن القوة الإنجازية الحرفية بقرائن بنيوية (كيف يداوي المريض صحيحًا؟)، (وفي قلبه مرض السِّل شاعًا)، حيث تضمن الفعل الكلامي المباشر فعلا كلاميا غير مباشر وهو الإنكار، فقد أنكر الشاعر على الشباب بأن يُقدم على معالجة من به سقم، وهو ذاته عليل. فذاته مريضة بداء السِّل المُعدي بحكم أن الأخلاق الفاسدة تنتقل عدواها من شخص لآخر، فأنتى له القدرة على مداواة أبناء وطنه؟. بهذا الفعل الكلامي يريد الشاعر تجسيد وتمثيل واقع الشباب الجزائري المزري، وهذا الكلام له تأثير في نفوس المتلقين ليلفت انتباه واهتمام أولي الأمر بالمقصود بلغة مؤثرة تسعى إلى التغيير من حال الشباب، وحق القول "إنما اللغة وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية"¹. فاللغة ليست وظيفتها نقل للمعلومات أو لوصف الوقائع، بل هي وسيلة عملية للتأثير في المتلقين.

ولتعديل القوة الإنجازية للفعل الكلامي أضاف الشاعر لفظ (شاعًا) إلى الجملة الاسمية لتدلّ على انتشار مرض السِّل بشكل ثابت في جسمه بدل انتشار النور في بصيرته وبصره.

وكيف يصارع موج الحياة وما استطاع في أصغريه الصِّراعًا ؟

ورد في البيت الشعري فعل كلامي مباشر توضّحه القوة الإنجازية الحرفية (كيف يصارع موج الحياة؟) بحرف الاستفهام (كيف)، والفعل ذاته متضمن لفعل كلامي غير مباشر وهو الاستحالة، أي استحالة مقاومة هذا الشباب لخطوب الحياة، نافيا عدم تحقيق ذلك سواء بقلبه أو بلسانه، فهو بعيد كل البعد عن الصراع الذي يصنع الرجال. ولتعديل القوة الإنجازية لهذا الفعل (الاستحالة والإنكار) وظّف الشاعر مؤشرا لغويا (ما) النافية لعدم استطاعته لذلك، والمُثبتة لعجزه سواء بلسانه أو قلبه، وكذا التّصغير من قدرته المنعدمة المعبر عنه بالجملة (موج الحياة) فمصارعته مشاكل الحياة والانتصار عليه هو ضرب من الخيال، فما بالك

¹ - جون أوستين، نظرية أفعال الكلام، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص7.

بمصارعة مصاعب الدنيا التي تواجه أمتة؟، ممّا أدّى بالسؤال إلى انجاز فعل كلامي ذا قوة استفهامية، و "أنّ قوّ ممارسة الفعل تتخصّص بواسطة العبارات المنسوبة إلى الحالة الذهنية للمتكلّم"¹، حيث تطابق القصد من الفعل الكلامي بشكل حرفي وبصيغة الاستفهام، وهذا ما جعل معنى الفعل يتعالق مع تركيب الجملة والوظيفة التبليغية التواصلية، فتحقق تطابق معنيين؛ المعنى الجملي والمعنى القولي، وهذا هو التطابق الذي ذكره "سيرل" في شروط الكلام.

لقد اكتفى الشاعر باسم استفهام (كيف) لأنّ المقام يدلّ على الحال و الاهتمام بالشباب والحرص على مستقبله، وأداة الاستفهام في البيت دلت على القوة الإنجازية في معناها الحرفي الظاهر مطابقة لفعل القول حيث " تظل القوة الانجازية الحرفية ملازمة للعبارة، أمّا القوة الإنجازية المستلزمة فهي مربوطة مقاميا"². والقوة الانجازية غير المباشرة لا يتوصّل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد.

هو الخطر الجارف المستطير فإن تهملوه الوداع، الوداعا

إنّ الفعل الكلامي المباشر الصريح (هو الخطر الجارف) هو فعل للإخبار الذي يتضمن فعل القول وهو التّعجب والحيرة، لأنّ الصفات الواردة في القصيدة إذا توفرت في هذا النوع من الشباب اعتُبر خطرا على الأمة يجرف ثوابتها ومقوماتها غير مبال بمصير أمتة. واتجاه المطابقة في هذا الإخبار يصير من الفعل إلى العالم، فقد احتوت القضية إخباريات عن الحال المزري للشباب، لأنّ الشاعر شاهد حيّ على هذا الواقع، حيث تأثر نفسيا فأبدى امتعاضه من الواقع المشين. هذا البيت وصف لنا واقع الشباب الجزائري، وأنجز فعلا مقاميا مدركا مقاليا بقرائن بنيوية، ليفيد معنى مجازيا هو التحذير من الخطر المحدق بالشباب، ونعته بأوصاف صادقة مطابقة للواقع، فقد " تكون الأقوال الوصفية صادقة إذا وجدت حالة

¹- مبادئ التداولية، جيفوري ليتش، ترجمة عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،

2013

² - أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

الرباط، المغرب، ط1، 1993، ص21.

أشياء للتحقق منها وكاذبة في الحالة المعاكسة"¹، فالشاعر صادق في وصفه لهذا الشباب حيث توفر الفعل الكلامي على شرط الإخلاص في النص والتوجيه.

ولتدعيم القوة الانجازية تدعم الفعل بالضمير الشخصي الغائب (هو) للتأكيد على خطورته، ويشير إليه ويعينه دون سواه، فالضمير الشخصي ذاته فعل كلامي. ثم أردف الفعل الكلامي بفعل كلامي مباشر آخر (إن تهملوه، الوداع الوداعا) هو أسلوب شرط ختم به القصيدة لأن الأشياء تُعتبر بخواتيمها، فإن لم يتدارك أولي الأمر هذا الشباب فليقيموا عليه مأتما وعويلا، وليُجني الساسة الخزي والندامة، حيث يتضمن هذا الفعل فعلا كلاميا غير مباشر وهو النص والتوجيه لأولي الأمر والشباب معًا، وبهذا انتقل أسلوب الشرط من القوة الإنجازية الحرفية إلى القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا. ولتدعيم القوة الانجازية أيضا وظف الشاعر الجزم بالأداة (إن) ليحزم حقيقة تورّقه ألا وهي الخوف على هذا الشباب وعلى مصيره ومصير البلاد.

تضمن النص أغراضا ناتجة عن الأفعال الكلامية الحرفية كالتحذير، والحيرة، والاستحالة والتحقير، كلّها أغراض ومقاصد متكاملة اشتملت عليها الأفعال الكلامية في النص وذلك لإنجاز أفعال كلامية أخرى لها مطابقة للواقع، وبهذا نجد الشاعر قد أفصح عن هوية المخاطبين بدءا بضمير المخاطب (الشباب) المعبر عنه بالضمير الجمعي، ثم خاطب الجزائريين والجزائر محذرا من الآثار الناجمة عن تفسخ الشباب، لبيّن خطورة الوضع، ثم يعود ليخاطب الشباب بضمير المخاطب المفرد (غبي، قلبه، أصغريه)، ثم يختم خطابه بتوجيه للسلطات العليا في البلاد (إن تهملوه)، ليلقي كامل المسؤولية على مؤسسات الدولة للتكفل بالشباب، وهو فعل شرط، الغرض من فعله الكلامي هو النص والتوجيه بصفة عامة والتحذير بصفة خاصة، ونرى هناك توسع في خطابه تجاه المتلقين لأخلة سلوكيات الشباب بشكل يليق به وبدينه ووطنه.

1- أن ريبول، جاك موش لار، القاموس الموسوعي للتداولية، ص60.

إنّ التساؤلات الواردة في القصيدة أنتجت دلالتين : دلالة استفهامية ظاهرة تحققت في الشكل ودلالة إخبارية استلزامية تحققت في المضمون، فالشاعر هو المتكلم بمجموعة من الأسئلة ينتظر ردودا وأفعالا واقعية، فهو يثير بهذه التساؤلات المتلقي، منكرا لواقع الشباب بأفعال إنجازية واصفة لسلوكياته السيئة والأفكار الهدامة التي ينتهجها، في سياقات تداولية للأفعال الكلامية الواردة في النص الذي يضمّ مجمل المعطيات الاجتماعية، والدينية ، والتاريخية، والنفسية التي أسهمت في تنامي إنجازية الفعل الكلامي الكلّي، والتي توضّح تجربة الشاعر واحتكاكه بالواقع ممّا جعل الأفعال الإنجازية توطّد التواصل الاجتماعي والنّفسي والديني والتاريخي.

هذه الأفعال التوجيهية خلقت مقاصد تداولية موجهة إلى المتلقي وأولي الأمر للتأثير فيهم وتنبئهم بغية انجاز أفعال تجاه الوطن والشعب والشباب سياسيا وتاريخيا وأخلاقيا وهذه غاية تداولية. إنّ هذه الأفعال أدت وظيفة ممثلة في الأمر والطلب والنصيحة والنهي من أجل التواصل والتفاعل، فالشاعر اختار استراتيجية توجيهية حيث أولى عناية لتبليغ قصده وتحقيق مراميه من الخطاب معتمدا على التأدب كعال مهم للخطاب من أجل مصلحة نفعية وإبعاد الضرر عن المجتمع.

الختامة

في نهاية هذا البحث، فإننا تمكنا من خلاله أن نسلط الضوء على كلّ الجوانب المتعلقة بالتداولية، إذ وضّحنا كل الجوانب النظرية والتطبيقية لهذا الموضوع. وعبر رحلتنا التحليلية للإلياذة، اتّضح أنّ شعر مفدي زكريا مبنيّ على البعد التواصلّي، فاللغة المستعملة شكّلت التفاعل بين الشاعر والآخرين وفق سياقات متنوعة لصناعة دلالات تداولية في قصائد الإلياذة. فلقد ساهمت مقاصد الشاعر في ظلّ السياقات في الكشف عن حقيقة الملحمة الجزائرية، وجمال طبيعتها، حيث جعل الإنسان الجزائري الثائر مصدر إلهامه بالكفاح، والدلالة على عزّة الجزائر عبر التاريخ المتلاحق، وهذا إقرار بوجود مرجعية دينية وتاريخية وثقافية سبكت لحمّة الجزائريين. وهذا ما جعل هذه الدراسة تتّسم بالواقعية والموضوعية في معالجة مختلف مواضيع الإلياذة، وبلغة مستعملة أنبأت عن قدرة الشاعر في التواصل مع أبناء الوطن وقضاياه، وقامت بذلك تجربته الشعرية بالكشف عن كلّ الحقائق التي مرّت بها البلاد عبر العصور.

ركّز الشاعر في خطابات الإلياذة على الوظيفة التواصلية لتحقيق القصدية من العملية التخاطبية، فكان اهتمامه بالدلالات الضمنية بأفعال كلامية مقصودة داخل الخطاب موجهة إلى المتلقي، لفهم المقصود وتأويله والتواصل معه حسب البعد التداولي الممّثل في بناء استراتيجية تواصلية بين الشاعر والآخر. وكان قصد الشاعر من ذلك تثبيت حقيقة التاريخ الجزائري وإصلاح ما أفسده المحتلّ من تفشي الانحلال الخلقي والتّعصب لأفكار دخيلة، من خلال مقاصد تسعى إلى تحقيق فعل التأثير في المتلقين أو السامعين بأفعال كلامية حجاجية واصفة للحقائق، جالبة للفائدة والمنفعة وفق ما تصبو إليه التداولية. لقد أقام الشاعر علاقة تواصلية أساسها ذاته (الشاعر) والمتلقين عبر النصوص المتنوّعة في الإلياذة بأفعال إنجازية مرتبطة بالشاعر، والمتلقي، ومقام الحال، ومقاصد المتكلم، والكفاءة التأويلية المرتبطة بالمتلقي، لفهم مقاصد الشاعر وفق خلفيات دينية، اجتماعية، وثقافية للتأثير في

المتلقي لإحداث تغيير في معتقده وسلوكه بغية المنعة والإصلاح. وعلى إثر هذه الدراسة خلّص العمل إلى أهمّ النتائج المتوصل إليها مجسّدة في هذه الأمور التالية:

- كشفت المدوّنة المدروسة وفق نظيرة الأفعال الكلامية على ظواهر لغوية كالمقامي، والسياقية وأغرض أفعال المدونة، ومراميها وأبعادها، بغية تحقيق الفائدة والإقناع، وبالتالي التأثير في المتلقي، وتجلّت قوّة التواصل في اللغة والفصاحة التي استعملها الشاعر.

- تزخر الإلياذة بالأفعال الإخبارية الواصفة للأخبار عن تاريخ والجزائريين، وجهادهم عبر الأزمنة لتناسب أفعالها مع ملحمة الجزائريين، مستحضرا قيم تداولية فيها قصد الوقوف على واقع جزائري يعكس عظمة الشعب الجزائري.

- استثمر الشاعر في مدوّنته الأفعال الكلامية للكشف عن بنية الفعل الكلامي محدّدا مكوّناته وأغراضه وفق سياقات ملائمة لأنماط الأفعال الكلامية.

- اهتمام التداولية بدراسة اللغة أثناء الاستعمال من خلال الأفعال الكلامية في سياقاتها ومقاماتها المتعدّدة من أجل خلق العملية التواصلية.

- إنّ عناية التداولية بدراسة اللغة جعلها همزة وصل بينها وبين العلوم الأخرى التي تهتمّ بدراسة اللغة كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأسلوبية، والبلاغة، فالأفعال الكلامية هي المحور الأساسي في الخطاب لتُفصّل عن مقاصد المتكلم وعلاقة اللغة به، كما اهتمت بالقرائن اللغوية الموظّفة كقوة إنجازية لتدعيم قوة الأفعال الكلامية المستلزمة.

- جعل الشاعر الأفعال المتضمنة في القول هي الأساس في إلياذته، حيث تضمنت أفعالا كلامية غير مباشرة مستلزمة في معظمها، فقد غلب استعمال القوة الإنجازية المتضمنة في القول ومرّد ذلك تطلّع الشاعر إلى تفعيل الكفاءة التداولية للمتلقي من حيث الفهم والاستنباط والإدراك.

- أبرزت المدوّنة الفروق الدلالية للوحدات المعجمية ممّا جعلها تستعمل في تعديل القوّة الإنجازية كما هو الحال عند "سيرل" الذي ميّز بين شدّة القوّة الإنجازية.

- كشفت هذه الدراسة عن ظاهرتين تداوليتين وهما الاستلزام الحوارى التى تبناها الفيلسوف "غرايس"، لتحقيق المعنى المستلزم مقاميا، وطورها سيرل فيما بعد.
- تعدّ نظرية الأفعال الكلامية امتدادا للبلاغة العربية الممثلة فى علم المعاني من خبر وإنشاء والإنزياحات المترتبة عن الأفعال الكلامية المباشرة.
- توظيفه للأفعال الاستعارية والكنائية بكثرة والتي أحوالت إلى واقع جزائري ممزوج بمعاني نفسية تعبّر عن حال الجزائريين، وحال الشاعر من حيث التعلّق بالوطن، معبّرا عن دلالات هذه الأفعال وإنجازيتها غير المباشر، كي يدرك المتلقى عظمة الجزائر من خلال ما تنبّه هذه الأفعال لإثارة المتلقى وتمكينه من الوقوف على الحقائق.
- تتوّعت الأفعال الكلامية فى الإلياذة - حسب تقسيم سيرل- لتتوّع المواضيع الدالة على الواقع باستثناء الأفعال الإيقاعية؛ فالأفعال الإخبارية وردت للدلالة على القوة الإنجازية الالحرفية المباشرة والقوة الإنجازية المستلزمة مقاميا، والأفعال الصريحة المباشرة تمثّلت فى الإخبار والوصف، أمّا الأفعال غير المباشرة فاستلزمت مقاصد متعدّدة كالتعظيم، والإشادة، والتعجب والدعاء، والترغيب، والإنكار، والوعيد. أمّا الأفعال التوجيهية فأنحصرت فى النداء، والأمر والاستفهام، وحملت قوة إنجازية مستلزمة كالتحبيب، والتعجب، والتعجيز، والتّحدي، والنّصح والتّوجيه. أمّا التعبيرات فسلّطت الضّوء على الجوانب النفسية والاجتماعية، واستلزمت مقاصد كالرجاء، والسخرية، والإشاد، والتعجيب، والمدح والتعظيم. أمّا الوعديات فتمثّلت فى الوعد والوعيد، والتحذير، والتهديد، والسخرية. أمّا الإيقاعيات فخلت منها المدونة لعدم مناسبتها لمواضيع الإلياذة، وجاء هذا الترتيب للأفعال الكلامية حسب تناول المدونة بالدراسة.
- تجانست الأفعال الإنجازية لتجانس السياقات المختلفة والتي كان لها أثر فى التوظيف التداولي الذى حمل أبعاد متعدّدة.
- فتحت التداولية شهية العاملين فى البحث اللغوي للكشف عن الموروث العربى، وعن الأبعاد التداولية للغة ووظائفها المختلفة، الأمر الذى مهّد لتحليل الخطاب بجميع أنماطه.

وخلاصة ذلك أنّ هذه الدراسة التداولية أثارت موضوعاً مهماً ألا وهو تاريخ الجزائر، وطبيعتها، وعلاقتها بالأمم، وتمّت دراسة ذلك وفق منهج حديث وهو منهج لساني تداولي وفق خصوصيات اللغة العربية من ثقافة وبلاغة وهذه الدراسة ما هي إلا محاولة لتبيين الإبداع اللغوي التداولي للشاعر من خلال نصوصه المدوّنة وملابساتها.

الملحق

1/ مفدي زكريا (1908-1977):

شاعر الثورة الجزائرية، التحق بالعمل السياسي والوطني في الثلاثينيات، زج به المحتل في السجن خمس مرات متوالية، ثم فر من السجن سنة 1959 والتحق بصفوف جبهة التحرير الوطني خارج الوطن، وإثر الاستقلال عاد إلى الوطن ليواصل نشاطه وإبداعه الأدبي. ومن أشهر أعماله الأدبية: "إلياذة الجزائر"، "اللهب المقدس"، "تحت ظلال الزيتون". (مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، دراسة وشرح: الطاهر مريبعي، دار الطباعة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط2009، ص3).

2/ تشارلز ساندز بيرس: charles sanders peirce (1914-1939):

هو فيلسوف وعالم منطق وعالم رياضيات أمريكي، لقب بـ "أب البراجماتية"، كما أسهم في المنهجية العلمية والسيميوطيقا (علم العلامات)، وأسس للبراغماتية.

3/ تشارلز وليام موريس charle.w. morris (1903-1979):

هو فيلسوف أمريكي اهتم بالفلسفة الوضعية المنطقية، وتناول معنى العلامات وبالمنطقية التي تتعلق بالأصل والاستخدام، وبآثار العلامات.

4/ جون لانجو أوستين john langshaw austin (1911-1960):

اهتم بدراسة اللغة، ومن أفضل أعماله المعروفة: "كيفية فعل الأشياء بالكلمات". أصبح أستاذا للفلسفة الأخلاقية بجامعة أكسفورد/ وقدم محاضرات ويليام جيمس بجامعة هارفارد، والنقى في هذه الفترة بـ "نعوم تشومسكي".

5/ جوتلوب فريجة friedrich ludwig gottlobfrege (1848-1925):

هو فيلسوف ألماني وعالم منطق ورياضيات. ويعرف بأنه مبتدع الفلسفة التحليلية، مركزا على فلسفة اللغة والمنطق وفلسفة الرياضيات، كما وضع أسس المنطق الحديث.

6/لودفيغ فيتغنشتاين ludwig wittgenstein (1889-1951):

هو فيلسوف نمساوي ناطق باللغة الألمانية، وهو واحد من أكبر فلاسفة القرن العشرين، ولد بفيينا ودرس بجامعة كمبرج بانجلترا. ومن أعماله: "رسالة منطقية فلسفية"، "تحقيقات فلسفية"، كما عمل في أسس المنطق، والفلسفة والرياضيات وفلسفة الذهن، وفلسفة اللغة. فهو يعتبر أن اللغة تتمثل في مجموع الألعاب اللغوية، فاللغة تتضمن القواعد تماما مثل اللغة.

7/هربرت بول جرايس paul grice (1913-1988):

فيلسوف لغة بريطاني قضى أواخر حياته في الولايات المتحدة الأمريكية. اهتم جرايس بدراسة اللغة والتواصل وطور اللغة في مقاله "المعنى" للتمييز بين المعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي، وهذا المنهج أصبح يطلق عليه لاحقا باسم "الأسس الدلالية للمقصدية".

8/جون سيرل john searle (1915-1992):

فيلسوف أمريكي، معروف بمساهماته في فلسفة اللغة وفلسفة العقل والفلسفة الاجتماعية، ومن أوائل أعماله دراساته للأفعال اللفظية لتمثيل المعنى اللغوي. كما اعتمد على عمل بول غرايس في تحليل المعنى في محاولة لفهمه. "الشبكة العنكبوتية" / "موقع ويكيبيديا

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم.

ثانياً: المراجع العربية:

- 1- إبراهيم بن منصور التركي، **البحث البلاغي عند ابن تيمية**، نادي القصيم الأدبي المملكة العربية السعودية، ط1، 2000.
- 2- إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، إشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة دار الدعوة، اسطنبول، تركيا، 1979.
- 3- أبو الفتح عثمان ابن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط2006.
- 4- أبو القاسم جبار الله محمود بن محمد بن عمرو أحمد الزمخشري، **أساس البلاغة** تحقيق، محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- 5- أبو الهلال الحسن، **العسكري، الفروق في اللغة**، مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، لبنان، ط4، 1997.
- 6- أبو الهلال الحسن العسكري، **الصناعتين الكتابة والشعر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، مصر، 2004.
- 7- أبو الهلال الحسن العسكري، **كتاب الصناعتين**، الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986.
- 8- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، **تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون** مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988.

- 9- أبو عثمان عمرو بن بحر، الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تحقيق: عبدالسلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998.
- 10- أبو عثمان عمرو بن بحر، الجاحظ، رسائل الجاحظ المختارة من كتب الجاحظ، اختيار
- عبيد الله بن حسان، شرح وتعليق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط2013.
- 11- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2006
- 12- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة، تصحيح سيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي/ مطبعة السادة، القاهرة، مصر، ط1، 1907.
- 13- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982.
- 14- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دت)، ط3، 1994.
- 15- ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2000.
- 16- الخطيب القزويني جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة تحقيق: رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط2000.
- 17- الدريدي سامية، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط2، 2007.
- 18- الزركشي بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، (دت).
- 19- الزمخشري، أبو القاسم محمود، أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1982.
- 20- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1999.

- 21- السيوطي جلال الدين، همع الهوامع في شرح الجوامع، تحقيق عبدالعال سالم وعبد السلام هارون، دار البحوث، الكويت، ط1975.
- 22- الطاهر بن بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2007.
- 23- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب ط2011.
- 24- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004
- 25- القزويني، ابن يعقوب المغربي بهاء الدين السبكي، شروح التلخيص، دار الكتاب العلمية، (دت)، (ط)، 166/1
- 26- أحمد ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية مطبعة المؤيد، القاهرة، مصر، ط1910.
- 27- أحمد الماهر البكري، أساليب النفي في القرآن، دار المعرفة، الاسكندرية، مصر، ط2 1984.
- 28- أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986.
- 29- أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ط1، 1993.
- 30- أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986.
- 31- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم، ناشرون ، الرباط، المغرب، ط2020.

- 32- أحمد صبرة، التفكير الاستعاري في الدراسات الغربية، دار الصديقان للنشر والإعلان، الإسكندرية، مصر، ط1998.
- 33- أحمد كروم، مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، آفاق عربية، عمان الأردن، ط1، 2015.
- 34- أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، مقارنة سيميائية في فلسفة العلامات، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2005.
- 35- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1972.
- 36- بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، مصر، ط4، 2015.
- 37- بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، إنجلترا، ط1، 2012.
- 38- بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، ص2009.
- 39- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
- 40- جابر عصفور، مفهوم الشعر، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص232.
- 41- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2008.
- 42- جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 2013.

- 43- جلال الدين محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة ضبط وشرح عبدالرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1904.
- 44- جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي، مناهجه ونظرياته وقضاياها، المناهج والنظريات، مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مطبعة الانتصار، الاسكندرية مصر، (د ت)،
- 45- جلال شمس الدين، موسوعة مرجعية لمصطلحات علم اللغة النفسي، مطبعة الانتصار للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر ط2003، ص441
- 46- جماعة من المؤلفين، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط3، 2006
- 47- جماعة من المختصين : معجم النفائس الوسيط، إشراف أحمد أبو حاق، دار النفائس بيروت، لبنان، ط1، 2007.
- 48- جميل حمداوي، مكوّن الوصف في الرواية العربية الوافي الروائي في ضوء المقاربة البنيوية السردية، منشورات المعارف، المغرب، ط1، 2015.
- 49- جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ط1، دار النشر الألوكة، (د ت).
- 50- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، مطبعة التعليم العالي، الموصل، بغداد، ط 1979.
- 51- حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1979.
- 52- حفاوي بعلي، التداولية، البراجماتية الجديدة، ما بعد خطاب الحداثة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، (د ت).
- 53- حميد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز العربي العربي، ط1، 2003.
- 54- خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، د.ت.

- 55- خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، المغرب ط1، 2013.
- 56- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2009.
- 57- خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.
- 58- ركن الدين محمد بن علي الجرجاني الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبدالقادر حسين، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1997.
- 59- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، تونس ط1، 2007.
- 60- سمير شرف استيتية، اللغة وسيكولوجية الخطاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2002.
- 61- سيد هشام الطبطبائي سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 295، ط1994.
- 62- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر دمشق، سوريا، ط2، 2000.
- 63- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، مصر، ط1، 200.
- 64- صلاح إسماعيل عبدالحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
- 65- صلاح إسماعيل عبد الحق، فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، ط2007.

- 66- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عالم المعرفة، الكويت، ط 1978.
- 67- طالب الإبراهيمي خولة، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط 2000.
- 68- طه عبدالرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي المغربي بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.
- 69- طه عبدالرحمن، تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط المغرب، ط1993.
- 70- طه عبدالرحمن، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997.
- 71- طه وادي، جماليات القصيدة المعاصرة، الشركة المصرية للنشر، لونغمان، مصر، ط 2000.
- 72- عاطف فاضل : مبادئ البلاغة العربية، دار الرازي عمان، الأردن، ط1، 2006.
- 73- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، علم الكتب للحديث، الأردن، ط1، 2014.
- 74- عبدالرحمن عسيوي، دراسات في السلوك الإنساني، منشأة دار المعارف، الإسكندرية مصر، دط، دت.
- 75- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1981.
- 76- عبدالسلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار العربية للكتاب، تونس ط2، 1986.

- 77- عبدالسلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 2006.
- 78- عبد القاهر القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، 1984.
- 79- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004.
- 80- عصام خلف كامل: مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، دار فرحة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
- 81- عبد القاهر بن عبدالرحمن محمد الجرجاني، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، (دت)، (دط)
- 82- علي آيت أوشان، السياق النصي والشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.
- 83- علي حجي الصراف، في البرجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، الكويت، ط2010.
- 84- علي محمود الصراف، في البرجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2009.
- 85- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003.
- 86- عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2013.
- 87- عيد بلبع، التداولية، البعد الثالث في سيميولوجيا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، دار النشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009.

- 88- عيد رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط2.
- 89- غلفان مصطفى بمشاركة محمد الملاح وحافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2010.
- 90- فوزي عيسى، النص الشعري وآليات القراءة، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر دط، دت.
- 91- قاسم المقران، هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي، دار السؤال، دمشق سوريا، ط1984.
- 92- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1995.
- 93- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، د.ت.
- 94- محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، المغرب، ط6 1999.
- 95- محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي الأندلسي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
- 96- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحيح، تحقيق مصطفى ديب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط4، 1990.
- 97- محمد بن علي الجرجاني، حاشية على تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1948.
- 98- محمد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبد القادر حسين، مطبعة الآداب، القاهرة، مصر، ط1997.

- 99- محمد بن علي بن محمد الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق عبدالقادر حسين، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر بالفجالة (دت).
- 100- محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 2004.
- 101- محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1979
- 102- محمد سالم محمد، المحاجج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2008.
- 103- محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الجديد، بيروت، لبنان، ط2004.
- 104- محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان ط1، 2004.
- 105- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية مصر، ط2002.
- 106- محمود طلحة، تداولية الخطاب السردية، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عالم الكتب، الأردن ط1، 2012.
- 107- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ، ط1، 2013.
- 108- محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية الصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط2011.
- 109- محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط 1984.

- 110- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1 2005.
- 111- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، دراسة، شرح: الطاهر مريبعي دار المختار للطباعة والنشر والتوزيع، ط2009
- 112- مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان ط2، 1986.
- 113- نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، مطبعة دار التضامن، بغداد، ط2، 1965.
- 114- نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية، منشورات جامعة باجي مختار عنابة ط2006
- 115- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دط، (دت).
- 116- نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن، ط 2008.
- 117- نعمان بوقرة، اللسانيات العامة، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديثة عمان، ط1، 2009.
- 118- نواري سعود أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة سطيف، الجزائر، ط1، 2009.
- 119- نور الدين أبعيط، الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعادها الحجاجية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2016.
- 120- يحيى بن حمزة العلوي، كتاب الطراز، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1995.
- 121- يعقوب خان، البراجماتية، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط2، 1998 .

ثالثاً: المراجع المترجمة إلى العربية:

- 1- الجيلالي دلاش، **مدخل إلى اللسانيات التداولية**، ترجمة محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1982.
- 2- آن روبول، جاك موشلار- **القاموس الموسوعي للتداولية**، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف عزالدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس دار سنيترا ط2، 2010.
- 3- آن روبول و جاك موشلار، **التداولية اليوم علم حديد في التواصل**، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة، لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1 2003.
- 4- برتراند راسل، **حكمة الغرب**، تر: فؤاد زكريا، عالم المعرفة، الكويت، ط 1983.
- 5- بول، ريكو **نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى**، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2008،
- 6- ج.ب. براون، و ج. يول، **تحليل الخطاب**، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، دار النشر العلمي والمطابع، الرياض، السعودية، 1997
- 7- جورج يول، **التداولية**، ترجمة قصي عدي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان الرباط، المغرب، ط1، 2010.
- 8- جون سيرل، **العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي**، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2006.
- 9- جون سيرل، **القصدية، بحث في فلسفة العقل**، ترجمة: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2009.
- 10- جون ستروك، **البنوية وما بعدها، من ليفي شتراوس إلى دريدا**، ترجمة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1996

- 11- جون لانجو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبدالقادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1991.
- 12- جون براون، وجون يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي جامعة الملك سعود، السعودية، ط1997.
- 13- دومينيك منقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتين منشورات الاختلاف، ط1، 2005.
- 14- رولان بارت، مبادئ في علم الدلالة، ترجمة: محمد البكري، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، العراق، ط2، 1986.
- 15- زيبيليه كريم، اللغة والفعل الكلامي والاتصال مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين، ترجمة وتحقيق: ، مكتبة زهراء الشرق، سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، مصر، ط 2011.
- 16- فان ديك وتون. أ، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
- 17- فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبدالقادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2000.
- 18- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، بيروت، لبنان، مركز الإنماء القومي، (دت)، (دط).
- 19- فردينان دوسوسير: علم الكلام، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، دار الكتب والنشر، بيت الموصل، بغداد، العراق، دط، 1988.
- 20- فيليب هامون، في الوصف، ترجمة: سعاد التركي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، ط1، د.ت،
- 21- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007.

22- كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج

ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005.

23- لودجر هوفمان، علم اللغة: الجملة، المنطوق، النص، المعنى، نصوص لغوية لقراء

أهم اتجاهات البحث اللغوي، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر،

ط2015

24- ميكا أفييتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعيد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل

فايد، المجلس الأعلى للثقافة، الجزائر، ط2، 2000.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

1-osland ducrot,dire et ne pa dire,3eme Edition,pari,1972,hemann
editeur,p204

2-cathrine.kerbrate.orécchioni, enonciation de la subjectivité dan
langage. P 185 , Paris ,1980,armand colin

3-gon searl,sens et expression, Etudes de theorie de la
langue,paris,minuit.

4-c.k.orécchioni, la subjectivité dans la langue, armand colin, paris
1980.

خامسا: المجلات:

- 1- إبراهيم أصبان، السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، مجلة الإحياء، دار أبي ررقاق، المغرب، العدد 205، 2007
- 2- أبوشعيب شداق، مقصدية العمل الأدبي بين التقييد والانفتاح، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، الجزء 54، المجلد 14، ديسمبر 2004.
- 3- بوشعيب شداق، مقصدية العمل الأدبي بين التقييد والانفتاح، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، الجزء 54، المجلد 14، ديسمبر 2004، ص 449.
- 4- بوقرومة حكيمة، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقاربة تداولية، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو العدد 3، ط، 2008.
- 5- خالد عبدالرؤوف الجبر، معالجة المعنى في التراث الفكري العربي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت، العدد 90، 2000
- 6- ذهبية حمو الحاج، التحليل التداولي للخطاب السياسي، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، العدد الأول، ماي 2006، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.
- 7- سحالية عبد الحكيم، التداولية النشأة والتطور، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، بسكرة، عدد 5، ص 209
- 8- لطفي الله الشملي، تحليل الخطاب الروائي، المفاهيم والتشاكلات، مجلة الراوي ع 17، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، 2007.
- 9- محمد العبد، تعديل القوة الانجازية، مجلة فصول، عدد 65، 2004، ص 138.
- 11- محمد حسن عبدالعزيز، كيف تنجز الأشياء بالكلمات، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عدد 19.

10- مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد 33 يوليو 2004.

11- نصيرة غماري، نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة والآداب، جامعة الجزائر، العدد 17 يناير 2006.

12- نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية لأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية، مجلة اللغة والأدب قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، الجزائر، العدد 17، جانفي 2006

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
(أ.و)	مقدمة:
(22-7)	مدخل : ماهية التداولية واهتماماتها:
08	1- ماهية التداولية:
08	1-1- التداولية لغة:
12	1-1- التداولية اصطلاحاً:
18	2- اهتمامات التداولية:
97-23	الفصل الأول: التداولية: نشأتها وتطورها، ودرجاتها، ومظاهرها اللغوية، وعلاقتها بالعلوم الأخرى.
24	1- نشأة التداولية وتطورها:
24	1-1- الإرهاصات:
26	1-1-1- شارلز ساندر بيرس:
28	1-1-2- تشارلز وليام موريس:
30	1-1-3- غوتلوب فريجه:
33	1-1-4- لودفيغ فيتغنشتاين:
37	1-2- مرحلة الاكتمال والنضج:
38	1-2-1- جون لانجشو أوستين:
40	1-2-2- جون سيرل:
41	1-2-3- هربرت بول غرايس:

44	2- درجات التداولية:.....
44	2-1- تداولية الدرجة الأولى:.....
46	2-2- تداولية الدرجة الثانية:.....
47	2-3- تداولية الدرجة الثالثة :.....
49	3- الظواهر اللغوية للتداولية:.....
49	3-1- الافتراض المسبق:.....
52	3-2- الأقوال المضمرة:.....
54	3-3- الاستلزام الحواري.....
57	3-4- نظرية الملاءمة:.....
58	3-5- مبدأ التعاون:.....
65	3-6- مبدأ القصدية:.....
67	3-7- المقام:.....
68	3-8- السياق:.....
72	4- التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى.
72	4-1- التداولية واللسانيات البنيوية:.....
77	4-2- التداولية وعلم الدلالة:.....
80	4-3- التداولية والبلاغة:.....
83	4-4- التداولية وعلم اللغة الاجتماعي:.....

86	4-5- التداولية وعلم اللغة النفسي:.....
89	4-6- التداولية وتحليل الخطاب:.....
93	4-7- التداولية والشعر:.....
192-98	الفصل الثاني: الأفعال الكلامية في الدراسات العربية والغربي
99	أولاً: التداولية عند العرب:.....
101	1- الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب:.....
105	2- تصنيف البلاغيين العرب للأفعال الكلامية في تراثنا:.....
106	2-1- قسم الخبر.....
107	2-1-1- أصناف الخبر.....
112	2-1-2- ضوابط الخبر بلاغياً.....
117	2-1-3- أغراض ومعاني الخبر.....
118	2-2-1- قسم الإنشاء:.....
120	2-2-2- أغراض الإنشاء الطلبي:.....
131	2-2-3- ألفاظ العقود والمعاهدات.....
135	3- تصورات الأفعال الكلامية من منظور البلاغيين العرب:.....
135	3-1- الجاحظ.....
137	3-2- عبد القاهر الجرجاني.....

141	3-3- أبو يعقوب السكاكي.....
144	3-4- الخطيب القزويني.....
147	ثانيا: التداولية عند الغرب:
147	1- مفهوم الفعل الكلامي.....
149	2-1- الأفعال الكلامية عند أوستين.....
149	2-1-1- أبحاث أوستين.....
152	2-2- نوعا الأفعال الكلامية.....
153	2-2-1- الأفعال التقريرية.....
155	2-2-2- الأفعال الانجازية.....
158	2-3- شروط تحقيق الأفعال الانجازية.....
161	2-4- أقسام الفعل الكلامي الكامل.....
161	2-4-1- فعل القول.....
163	2-4-2- الفعل المتضمن في القول.....
164	2-4-3- الفعل الناتج عن القول.....
168	2-5- تصنيف أوستين للأفعال الكلامية.....
169	2-5-1- الحكميات.....
170	2-5-2- الإنفاذيات.....
170	2-5-3- الوعديات.....

171	 السلوكيات 2-5-4
171	 التبيينيات 2-5-5
172	3: الأفعال الكلامية عند سيرل.....
172	3-1- مفهـوم الفعل الكلامي.....
174	3-2- شروط نجاح الفعل الكلامي.....
177	3-3- أقسام الأفعال الإنجازية.....
177	3-3-1- الأفعال الإنجازية المباشرة.....
179	3-3-2- الأفعال الإنجازية غير المباشرة.....
183	3-4- أقسام الفعل الكلامي.....
183	3-4-1- فعل القول.....
183	3-4-2- الفعل القضوي.....
185	3-4-3- الفعل الانجازي.....
186	3-4-3- الفعل التأثري.....
187	3-5- ضوابط الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة.....
188	3-6- تصنيف سيرل للأفعال الكلامية.....
188	3-6-1- الأفعال التقريرية.....
189	3-6-2- الأفعال التوجيهية.....
190	3-6-3- الأفعال الوعدية.....

191	3-6-4- الأفعال التعبيرية.....
191	3-6-5 الأفعال التصريحية:.....
333-193	الفصل الثالث: الأفعال الكلامية في إلياذة الجزائر - دراسة تطبيقية.
194	1- وصف المدونة:.....
194	1-1 من حيث الشكل.....
194	1-2 من حيث المضمون.....
195	2- الأفعال الكلامية في المدونة بمنظور "سيرل".
195	2-1- الإخباريات:.....
255	2-2- التوجيهيات:.....
278	2-3- التعبيرات:.....
294	2-4- الوعديات:.....
308	3- دراسة تطبيقية مفصلة لقصيدتين من "الإلياذة" مختلفتي النمط.....
308	3-1- الأفعال التقريرية في قصيدة: تأذن ربك... نموذج تطبيقي...
320	3-2- الأفعال التوجيهية في قصيدة: "تفسخ هذا الشباب" نموذج تطبيقي...
334	الخاتمة
340	ملحق الأعلام.....
343	قائمة المراجع.....
360	فهرس الموضوعات.....

ملخص باللغة العربية:

دراسة "الأفعال الكلامية في إلياذة الجزائر" لمفدي زكريا لا تعتبر دراسة مقتصرة على هذه الأفعال ومقاصدها، بل تتعداها إلى الاستراتيجيات التي تبناها الشاعر لإقناع المتلقين وإفهامهم مقاصد الإلياذة، مع تلاؤم مشاعرهم بغية الالتفاف حول قضايا الوطن التي اشتملت عليها الإلياذة. وللوصول إلى مشاعر المتلقين اعتمد الشاعر على قرائن لغوية وبلاغية متضمنة لأغراض متعددة، بغية تحقيق التواصل بينه ومخاطبيه سواء كانوا من أولي الأمر أو من أهل الإصلاح، لأن هذه الإلياذة جسدت اللغة الواقعية التي حرصت على دراستها التداولية.

لقد تعرض المدخل والفصول الثلاثة بالدراسة بالشكل الموجز: ففي المدخل تطرقت الدراسة إلى ماهية التداولية واهتماماتها، أما الفصل الأول فضم الحديث عن تطورها وعلاقتها بالعلوم الأخرى، والفصل الثاني تطرق لدراسة الأفعال الكلامية في تراثنا العربي وعند فلاسفة الغرب، أما الفصل الثالث فخص لتطبيق الأفعال الكلامية في الإلياذة تطبيقاً محضاً.

وفي كل هذا اهتم هذا البحث بدراسة المعنى وربطه بالسياق للعناية بالعملية التواصلية مع مراعاة طرفي العملية الإبلابية (الشاعر-المخاطبين) والظروف المحيطة بالعملية التواصلية في ظروف نفسية واجتماعية وثقافية وتاريخية للتأثير في المتلقين.

الكلمات المفتاحية:

السياق، القوة الإنجازية، القصد. التداولية، الأفعال الكلامية، الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، المعينات،

ملخص باللغة الإنجليزية:

Summary:

The study of "verbal deeds in the Algerian Iliad" by Moufdi Zakaria is not considered a study confined to these verbs and their purposes, but rather extends to the strategies adopted by the poet to persuade, the recipients and their understanding of the purposes of the Iliad, with their feelings in order to circumvent the issues of the country that included the Iliad. To reach the feelings of the recipients, the poet relied on linguistic and rhetorical readers included for multiple purposes, in order to achieve communication between him and his addressers, whether they were the first or from the people of the Reformation, because this Iliad embodied the realistic language that was keen on its deliberative study. The entrance and the three chapters have been studied in the summary form: In the entrance, the study touched on the nature of deliberative and its concerns, while the first chapter included talk about its development and its relationship to other sciences, and the second chapter touched on the study of verbal actions in our Arab heritage and with Western philosophers, while the third chapter is devoted to the application of verbal verbs in Iliad is a pure application. In all of this, is concerned with studying the meaning and linking it to the context to take care of the communicative process, taking into account both sides of the reporting process (the poet-addressees) and the circumstances surrounding the communicative process in psychological, social, cultural and historical circumstances to influence recipients.

Key words:

Deliberative, verbal verbs, direct and indirect achievement verbs, meanings, context, achievement power, intent